



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية
تخصص دعوة إسلامية

الرفق وأثره في الدعوة إلى الله

بحث مقدم إلى قسم الدعوة والثقافة الإسلامية لنيل درجة الماجستير في الدعوة إلى الله

إعداد الطالبة

نورة بنت عبد اللطيف حسين فرج

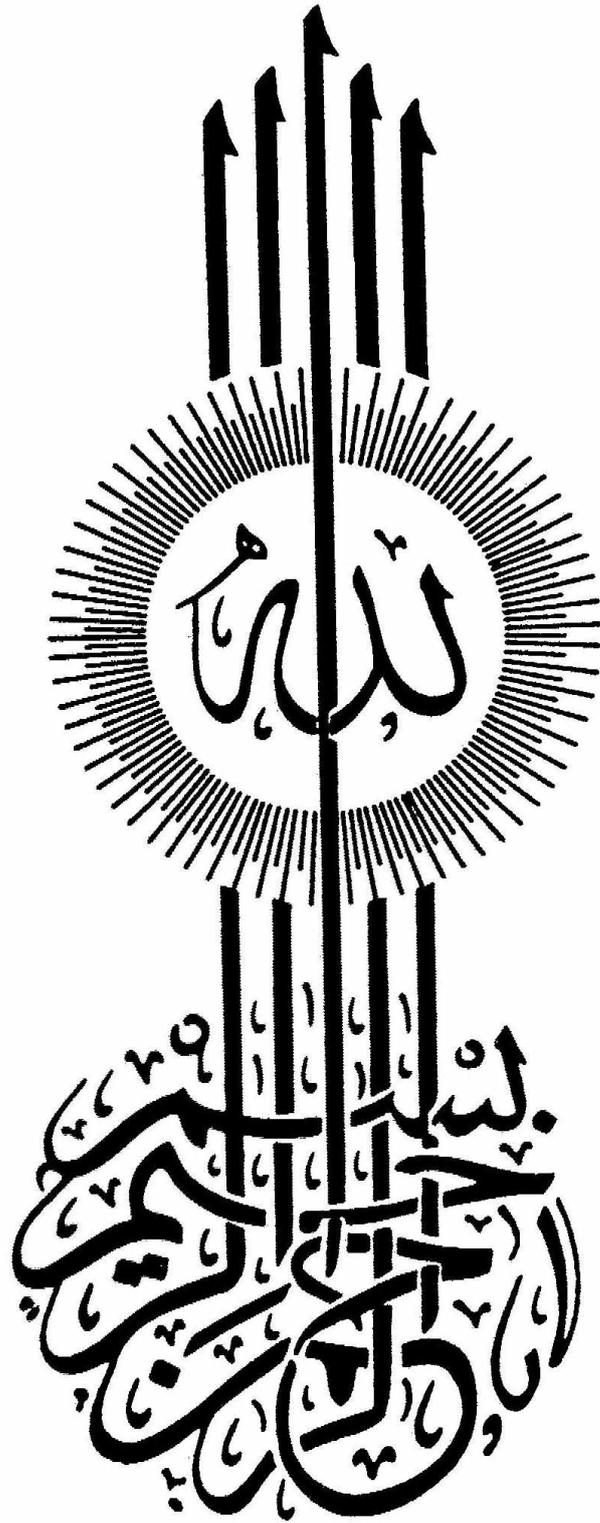
إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور:

محمد بن عبد المولى جمعة

الأستاذ في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية - جامعة أم القرى

العام الدراسي

1429 - 1430 هـ



ملخص الرسالة

موضوع البحث : (الرفق وأثره في الدعوة إلى الله) .

أسباب اختيار الموضوع : 1 - بيان المفهوم الصحيح للرفق ، كما ورد في القرآن العظيم وكما طبقه رسولنا الكريم في دعوة

الناس إلى ربهم ﷺ

2 - توضيح لبعض الشباب المسلم الذي لم يستطع فهم مقاصد الدعوة فهماً صحيحاً ، فلجأ إلى العنف والشدة والقسوة والإرهاب مع أن الأصل في نشر هذا الدين هو الرفق والسلم .

3 - إلقاء الضوء على أبرز آثار الرفق الناجمة من استخدام الداعية لهذا الخلق في دعوته إلى الله ﷻ .

ولقد احتوى البحث على مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة :

مقدمة : اهتمت ببيان أهمية الرفق ، ومنهج الباحثة في البحث مع الدراسات السابقة والتعليق العام عليها .

تمهيد : اعتنى ببيان : 1 - تعريف الأخلاق ، 2 - أهمية الأخلاق في حياة الإنسان ، 3 - أسس الأخلاق الإلهية ،

4 - خصائص الأخلاق الإسلامية .

الفصل الأول : مفهوم الرفق في الإسلام ومجالاته المتعددة ، وفيه سبعة مباحث ، المبحث الأول : تعريف الرفق لغة

وإصطلاحاً ، مع ذكر ما يرادفه ويقابله ، المبحث الثاني : الأساليب المنافية للرفق في الدعوة إلى الله تعالى ، المبحث الثالث :

النصوص الدالة على ضرورة الرفق من الكتاب والسنة وأقوال العلماء ، المبحث الرابع : الرفق في مجال الدعوة ، المبحث الخامس :

رفق الإنسان مع نفسه ومع غيره ، المبحث السادس : الرفق بالضعفاء ، المبحث السابع : رفق الراعي بالرعية .

الفصل الثاني : أثر الرفق في الدعوة إلى الله ، وفيه تمهيد وخمسة مباحث : تمهيد : ويشتمل على تعريف الدعوة لغة

وإصطلاحاً وأهميتها وحاجة الإنسان إليها . المبحث الأول : آثار الرفق في الدعوة إلى الله ، المبحث الثاني : آثار الرفق في الداعي

إلى الله . المبحث الثالث : آثار الرفق في المدعو إلى الله . المبحث الرابع : نماذج عملية من دعوة الأنبياء عليهم السلام بالرفق مع

أقوامهم ، المبحث الخامس : نماذج عملية من دعوة الرسول ﷺ بالرفق .

خاتمة : ولقد تضمنت أهم نتائج البحث والتوصيات .

(أ) النتائج : 1 - إن الرفق من أعظم مقومات الداعية وأخلاقه ، وهو من دعائم الدعوة إلى الله ﷻ .

2- من أهم الأمور التي يجب أن يدركها أبناء هذا الدين الإسلامي القائم على الساحة والمحبة والرفق أن الإسلام لم

يأت أبداً سيفاً مسلطاً على رقاب المخالفين له إن لم يعترضوا انتشاره ، إنما جاء شديداً على من أضاف إلى خصلة الكفر خصلة

الظلم والبغي بغير الحق .

3 - إن النصيحة التي تلقى في لطف تستسيغها النفوس ويعلم منها المدعو مدى شفقة الداعية وصدق أخوته ، أما ما

جاء منها بغلظة وجفاء فتمجها الأسماع وتنفر منها القلوب ، ولا توثي ثمارها المرجوة .

4 - أهمية ائتلاف المسلمين عامة والدعاة خاصة لما في اتحادهم من فلاح للأمة الإسلامية وفي تفككهم وتناحرهم

خسارة وخيبة ، فلا تزال الدعوة الإسلامية قوية بعون الله ، صامدة بمنه وكرمه مادام دعاة المسلمين متعاضدين فيما بينهم على

كلمة واحدة وإن اختلفت آراءهم وتباينت شخصياتهم .

5 - من أهم الآثار المحمودة للرفق في الدعوة إلى الله ﷻ تحقيق الغاية من الدعوة إلى الله ﷻ وهي عبادة الناس له وحده

لا شريك ، كما أن من آثاره المحمودة جذب الناس إلى الدين الإسلامي الحنيف .

التوصيات : 1 - توصي الباحثة المؤسسات الدعوية والإصلاحية في مجتمعاتنا الإسلامية بتبني موضوع الرفق عام

وهذا البحث خاصة ، فتضع أهدافها وخططها انطلاقاً من موضوعاته ومفاهيمه .

2 - توصي الباحثة المؤسسات التعليمية أن يكون موضوع الرسالة من مفردات المناهج التعليمية في شتى المراحل ، حتى

ينشأ جيل رقيق بأمر أمته ، رحيم بها ، مبتعداً كل البعد عن أساليب العنف والغلظة في التعامل .

3 - توصي الباحثة بعقد دورات تدريبية على ضوء هذا البحث لتدريب الدعاة على الأساليب الرفيعة لإنجاح الدعوة

الإسلامية ، وكسب قلوب المدعويين ، كما أن هذه الدورات ستكون مفيدة لجميع شرائح المجتمع من أبوين وأبناء ومعلمين

وغيرهم لتفعيل هذا الخلق العظيم في شتى ميادين الحياة .

عميد الكلية

المشرف

الطالبة

أ.د / عبد الله محمد الريمان

أ.د / محمد عبد المولى جمعة

نورة عبد اللطيف فرج

Abstract

***Research topic:** (compassion and its influence on call for Allah)

***The reason of choosing this issue:**

- 1-Knowing the right concept of compassion, as it came in Quran and like our great prophet applied it in calling people for Allah.
- 2-as an illustration for Islamic youth who couldn't understand calling intention correctly . So that they go to violence, severity, cruelty and terrorism ,although the origin of spread this religion are compassion and peace.
- 3-To highlight the most important influences that came due to preachers using the ethic of compassion.

*The research contains introduction, paving, two chapters and conclusion:

-As for the introduction, it shows the importance of compassion, and research curriculum with the previous studies and a commentary on it.

-As for the paving, it is interested in the following:

- 1-Ethics definition
- 2-The importance of ethics in man's life
- 3- Islamic ethics fundamentals
- 4- Islamic ethics characteristics

***The first chapter** deals with the concept of compassion in Islam, and its various aspects. It has seven studies .The first one is a definition of compassion with mention of its synonymous .The second deals with the acts that contradict with compassion in calling for Allah .The third handles the verses, from Quran and Sauna, that indicates the importance of compassion and scientists speaks .The fourth is about compassion in calling field .The fifth is about mankind compassion with himself and the other, The sixth is about compassion with the weak .The seventh treats the ruler compassion with his people

***The second chapter** is about the influence of compassion on calling for Allah. It contains a pavement and five studies. As for the pavement, it contains the definition of calling ,its importance and peoples need for it .The first study is about the influence of compassion on calling for Allah .The second is about the influence of compassion on caller for Allah .The third is about the influence of compassion on people .The fourth deals with practical samples from prophets calling for compassion with their people .The fifth is about practical samples of our prophet with compassion.

*The conclusion : it contains results and recommendations

***Results:**

- 1-Compassion is a basic feature of preacher and his ethics, and it is one of the fundamentals of calling for Allah
- 2-From the important issues that should be realized by people of this religion .which is based on leniency, love and compassion ,that it did not come as a sword on the neck of unbeliever, if they did not object its spread, but it came severely on tyranny infidelity
- 3-The advice that is said in compassion is easily reach to hearts ,but if it is said in harsh way ,it is difficult to reach
- 4- The importance of Muslims unity generally, and preachers especially. Because their unity is good for the Islamic nation, and in their fight is a beat for it .If they are in unity, with differences in their opinions, the Islamic calling will be strength
- 5-From the importance influences of using compassion in Islamic calling, is achieving the purpose of calling, that is the people worship no god but Allah.

***Recommendations:**

- 1-The researcher recommends that calling institutions should adopt compassion issue generally and this research especially .And to take its aims and plans from the research topics and concepts
- 2-The researcher recommends the education institutions to put the research issue inside the curriculums in the different phases of education in order to set up compassion generation .and to be far from violence.
- 3-The researcher suggests to held training courses, on the basis of this research, for training preachers on the compassion methods in order to success the Islamic calling, and gaining the hearts of people .This courses will be useful for all community slices from parents, sons and teachers, to affect this great ethic in all the different aspects of life..

Student

Noura Abdul latif Faraj

Supervisor

Dr/Mohammad Abdul mawla Goma

Faculty dean

Dr/Abdulla Mohammad Al-Ramian

الإهداء

إلى من أرسله الله رحمة
للعالمين .. إلى خاتم الأنبياء
والمرسلين رسولنا الكريم .. عليه
من الله أفضل صلاة وأزكى تسليم



مقدمة

الحمد لله الذي زيننا بزينة الإيمان ، وآتانا نعمة القرآن ، به الكنوز العظام ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها - من الله - النجاة ،
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم ،
صلى الله عليه و على آله وصحبه وسلم أوفر التسليم بعدن

فتطالعنا الصحف بين فينة وأخرى بأخبار مفرجة ، وصل الأمر فيها إلى
اعتداء البعض على المحتسبين أو العكس ، وإذا أمعنا النظر في أسباب هذا العنف
نجد أن من أهمها عدم فهم البعض لخلق نبوي عظيم تعامل به الرسول ﷺ بل
ووضعه قاعدة لكي يتعامل به كل من أتى من بعده حيث قال ﷺ : « إِنَّ الرَّفْقَ لَا
يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ »⁽¹⁾.

وتستفيض الأحاديث النبوية الشريفة المبينة لأهمية الرفق فتارة يحذر الرسول ﷺ
تركه فقد ورد في صحيح مسلم أنه: **قَالَ لَنْ يُحْرَمَ الرَّفْقَ يُحْرَمَ الْخَيْرُ**⁽²⁾.

(1) صحيح مسلم . مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري . تحقيق: محمد فؤاد عبد
الباقي . دار إحياء التراث العربي - بيروت . بدون طبعة أو تاريخ نشر : كِتَابُ الرِّفْقِ وَالصَّلَاةِ
وَالْأَدَابِ . باب فضل الرفق . حديث : 2593 . 4 / 2003 .

(2) سنن أبي داوود . سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي . تحقيق: محمد محيي الدين
عبد الحميد . دار الفكر : كتاب الأدب . باب في الرفق . 4 / 255 . الجامع الصحيح سنن
الترمذي . محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي . تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون . دار
إحياء التراث العربي - بيروت : كِتَابُ الْأَدَبِ . باب الرفق . 2 / 1216 . مسند الإمام أحمد بن
حنبل . أبو عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني . مؤسسة قرطبة - مصر . بدون طبعة أو تاريخ نشر :
4 / 366 . الأدب المفرد . محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي . تحقيق: محمد فؤاد
عبد الباقي . دار البشائر الإسلامية - بيروت . ط 3 / 1409 هـ - 1989 م : 1 / 164 .

وتارة يدعو لمن ترفق بأمته « اللهم من رَفَقَ بأمّتي فَارْفُقْ بِهِ وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَشُقَّ عَلَيْهِ » (1) .

وفي موضع آخر يبشر بعون الله وعطف لمن ترفق في أمره « إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ » (2) .

فيتضح مما سبق من أحاديث مدى أهمية الرفق في حياة الإنسان عامة وفي حياة الداعية خاصة فهو أحوج من غيره للتخلق بهذا الخلق ، وذلك لسببين مهمين :

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل . 6 / 62 . مسند إسحاق بن راهويه . إسحاق بن إبراهيم بن مخارج بن راهويه الحنظلي . تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي . مكتبة الإيمان - المدينة المنورة . ط 1 / 1412 هـ - 1991 م : 3 / 1020 .

(٢) صحيح مسلم : كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ . باب فضل الرفق . حديث : 2593 .
2003 / 4 .

1- ميل المدعو إلى الكلمة الطيبة « فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة وعلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم ، وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم ، وفي حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء ويحمل همومهم ولا يعينهم بهمه ، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضا ... » (1) .

2- نفور المدعوين من توجيه الداعية وذلك « لأنه يخالف رغبات كثير منهم ويعارض شهواتهم حيث يحثهم على فعل مالا يرغبون فيه ويحذرهم عما يهونونه ، لكن اتصاف الداعية بالرفق يساهم - بعون الله تعالى - في إزالة أو تقليل هذا النفور » (2) .

ولقد وضع شيخ الإسلام ابن تيمية الرفق في المرتبة الثانية بعد شرط الفقه ويليهما الحلم في الشروط الأساسية التي يجب أن يتحل بها الأمر بالمعروف، الناهي عن المنكر (3) .

وإذا قلبنا صفحات التاريخ نرى خير دعاة الأرض قد واجهوا من أقوامهم ما يميز الغيظ ، ويخرج النفس من دائرة الحلم ، فهذا نوح عليه السلام يقول لقومه بكل رفق

(1) في ظلال القرآن . سيد قطب . دار العلم للطباعة والنشر - جدة . بدون طبعة . 1406 هـ : 494 / 1 .

(2) من صفات الداعية : الرفق واللين . فضل إلهي ظهير . دراسة منشورة - إدارة ترجمان الإسلام سي - باكستان في كتاب . ط7 / 1420 هـ : ص / 3 .

(3) انظر : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني . تحقيق : محمد جميل غازي . مكتبة المدني - جدة . بدون طبعة وتاريخ نشر : ص / 42 .

﴿ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴾ (1).

فما كان من قومه إلا أن قالوا ﴿ مَا نَزَّلَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَّلَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِإِدْنِكُمْ وَأَنْ يَكُونَ لَكُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَثَلًا لِقَوْمٍ يُذَكَّرُونَ ﴾ (2).

ومع تكذيبهم له لم يغضب ولم يترك جانب الرفق بل كان حريصاً كل الحرص على هدايتهم وإنقاذهم من النار باستخدام ألفاظ التحبب والتودد لهم لعلم يرشدون .

أما موسى عليه السلام فقد واجه شر أهل الأرض ، من تجراً على الله بقوله : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ (3) .

وعلى الرغم من هذا أمره الله تعالى بإلانة القول له والرفق معه حيث قال : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (4) .

فيؤخذ من هذه الآية الكريمة أن الدعوة إلى الله يجب أن تكون برفق ولين خالصة من القسوة والشدة « فإذا كان موسى أمر بأن يقول لفرعون قولاً ليناً فمن دونه أحرى بأن يقتدي بذلك في خطابه وأمره بالمعروف في كلامه وقد قال تعالى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (5) « (6) .

(١) سورة هود : رقم الآية (25 - 26) .

(٢) سورة هود : رقم الآية (27) .

(٣) سورة النازعات : رقم الآية (24) .

(٤) سورة طه : رقم الآية (44) .

(٥) سورة البقرة : جزء من الآية رقم (83) .

(٦) الجامع لأحكام القرآن . أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (المعروف بتفسير

القرطبي) . دار الشعب - القاهرة : 11 / 200 .

وهذا يوسف عليه السلام كان شقيقاً بإخوته ، رفيقاً بهم ، برغم ما ناله على أيديهم من صنوف الأذى ، حيث قال لهم بعد أن اعترفوا بذنوبهم ، كما جاء في قول الله تعالى :
﴿ لَا تَتْرِبَ (1) عَلَيْكُمْ ﴾ (2) .

ولم يكتفِ بمساحتهم بل دعا لهم أيضاً بالمغفرة ، كما جاء في قوله تعالى :
﴿ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (3) .

ثم تجلّى هذا الرفق واضحاً بيناً عندما قَدِمَ أبواه إلى مصر حيث لم ينسب ما فعله إخوته له من أذى إليهم بل إلى الشيطان (4) ، فقال عليه السلام كما حكى القرآن في قوله تعالى :
﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ (5) .

وإذا أمعنا النظر في سيرة خيرٍ داعيةٍ وطأت قدماه الثرى سنجدّه في لحظة من لحظات حياته دامي القدمين ، كسير الفؤاد ، تطارده شرذمة من السفهاء والعييد ،

(1) لا تثرِب : لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو شحم قد غشي الكرش والأمعاء رقيق والثرِب التعبير والاستقصاء في اللوم وثرِب عليه تثرِبا قبح عليه فعله . (مختار الصحاح . محمد بن أبي بكر الرازي . تحقيق : محمود خاطر . مكتبة لبنان ناشرون - بيروت . 1415 هـ - 1995 م ، طبعة جديدة : 1 / 35) .

(2) سورة يوسف : جزء من الآية رقم (92) .

(3) السورة السابقة : نفس الآية .

(4) انظر : تفسير القرآن العظيم . أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي . دار الفكر - بيروت . 1401 هـ : 2 / 490 . أيضاً : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . عبد الرحمن ابن ناصر السعدي . تحقيق : ابن عثيمين . مؤسسة الرسالة - بيروت . 1421 هـ - 2000 م : 1 / 404 .

(5) سورة يوسف : رقم الآية (100) .

يرجمونه بالحجارة ، ويصيحون عليه ، حتى أُلجؤوه إلى حائط ، يناجي ربه .
 فإذا بربه ﷺ يستجيب له من فوق سبع طباق ويرسل له أمين وحيه ، وخير
 ملائكته ، جبريل عليه السلام ، ومعه ملكُ الجبال يبشرانه بالانتقام العاجل ممن آذوه
 وأدموه ، فيجيبه ﷺ : « بل أرجو أن يخرج الله ﷻ من أصلابهم من يعبد الله وحده
 لا يشرك به شيئاً » (1) .

إنها لإجابة جديرة بمن قال فيه ربه ﷻ ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ
 عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (2) .

(1) الجامع الصحيح المختصر . محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي . تحقيق : مصطفى
 ديب البغا . دار ابن كثير . اليمامة - بيروت . ط 3 / 1407 هـ - 1987 م : كتاب بدء الخلق .
 باب إذا قال أحدكم آمينَ والملائكةُ في السماء فوافقَت إحداهما الأخرى غُفرَ له ما تقدَّم من ذنْبِهِ .
 . 1180 / 3

(2) سورة التوبة : رقم الآية (128) .

وقوله ﷺ: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (1)، أي « فبرحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى - وهي ربطه على جأشه وتخصيصه بمكارم الأخلاق - كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف بهم » (2).

فما أحوج الدعاة الذين حملوا هم الدعوة بين جوانحهم أن يقتدوا بسيد البشرية وخاتم الأنبياء والمرسلين - عليهم السلام - في التخلق بهذا الخلق العظيم ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (3).

أسباب اختيار الموضوع :

1 - الرد على الدعاوى المغرضة ضد الدعوة الإسلامية بزعمهم أنها تؤدي إلى العنف والإرهاب بسبب تصرف بعض من ينتسبون إلى الإسلام ولا يفهمون طبيعة الدعوة إلى الله ﷻ.

2 - إيقاظ لمن غاب عنهم ما في هذا الدين العظيم من رحمة تسع كل من على الأرض ، انطلاقاً من قوله ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (4).

حتى يتبين لهم البون الشاسع بين الحضارة المادية التي لا تذكي في نفوس

(1) سورة آل عمران : رقم الآية (159) .

(2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (المعروف بتفسير أبي السعود) . أبي السعود محمد بن محمد العمادي . دار إحياء التراث العربي - بيروت : 2 / 105 .

(3) سورة يوسف : رقم الآية (108) .

(4) سورة الأنبياء : رقم الآية (107) .

أصحابها إلا الغلظة والقسوة وب ين الإسلام الذي يربي أبناءه على التراحم والتواصل ، ويحمله على المحبة ومكارم الأخلاق .

3 - بيان ما للرفق من مواطن كثيرة ومجالات متعددة .

4 - توضيح لبعض الشباب المسلم الذي لم يستطع فهم مقاصد الدعوة فهماً صحيحاً ، فلجأ إلى العنف والشدة والقسوة والإرهاب مع أن الأصل في نشر هذا الدين هو الرفق والسلم « فهذه جزر اندونيسيا والملايو وأجزاء كبيرة من القارة الأفريقية لم يشهر فيها سيف واحد ولا سفكت فيها قطرة دم واحدة ، ما زال الناس هناك يتحدثون عنمن كانوا سبباً في إسلامهم ، إنهم التجار المسلمون جاؤوا بتجارتهم ومعهم أخلاقهم ودينهم ، لقد رأى الناس هناك قلوباً نظيفة مراقبة لربها تضبط أقوالهم وأفعالهم وترجمها إلى صدق وسماحة ودعوة إلى الله برفق وتحن لا عنف فيه ولا سفك للدماء الحرام ، فرحب الناس بالإسلام واستأنسوا بالمسلمين وصاهروهم حتى تداخلت الأعراق والأنساب ، فكانت إحدى معجزات الإسلام في التاريخ البشري»⁽¹⁾ .

5 - إلقاء الضوء على أبرز آثار الرفق عند استخدام الداعية لهذا الخلق في

دعوته إلى الله ﷻ .

منهج البحث :

1 - الرجوع إلى آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن الرفق بمعناه واستنباط آثاره الجليلة في الدعوة إلى الله بالأسفادة من كتب المفسرين المعتمدة ، مع الالتزام بعزو الآيات المستشهد بها إلى سورها وبيان أرقامها وضبطها .

(1) الخطاب الديني بين تحديث الدخلاء وتجديد العلماء . محمد بن نعيم ساعي . دار السلام -

2 - الرجوع إلى كتب السنة النبوية والسيرة العطرة لجمع الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ التي تحث على ضرورة الرفق .

3 - تخريج الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في البحث .

4 - توثيق النقول وعزوها إلى قائلها مع بيان مواضعها ، أما النصوص التي يُزاد فيها بقليل أو كثير فسيشار إليها في الهامش بلفظة « انظر » .

5 - التعرف على مرادفات الرفق والاستفادة من الكتب التي تحدثت عنها وذلك لإثراء البحث علمياً .

6 - شرح الألفاظ الغريبة التي وردت في البحث .

7 - وضع الفهارس التفصيلية المستوعبة لما في البحث تيسيراً على القارئ وخدمة لجوانب البحث العلمي .

خطة البحث :

لقد اشتملت الدراسة على مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة احتوت على النتائج والتوصيات ثم الفهارس :

أما المقدمة : فقد اشتملت على الأمور التالية :

- 1- أهمية الموضوع .
- 2 - أسباب اختياره .
- 3 - منهج البحث .
- 4 - خطة البحث .
- 5 - الدراسات السابقة .

وأما التمهيد : فقد اعتنى ببيان :

- 1 - تعريف الأخلاق .
- 2 - أهمية الأخلاق في حياة الإنسان .
- 3 - أسس الأخلاق الإسلامية .
- 4 - خصائص الأخلاق الإسلامية .

الفصل الأول مفهوم الرفق في الإسلام ومجالاته المتعددة **سبع** مباحث

المبحث الأول تعريف الرفق لغة واصطلاحاً ، مع ذكر ما يرادفه ويقابله

المبحث الثاني : الأساليب المنافية للرفق في الدعوة إلى الله تعالى .

المبحث الثالث : النصوص الدالة على ضرورة الرفق من الكتاب والسنة وأقوال العلماء .

المبحث الرابع : الرفق في مجال الدعوة ، وفيه تمهيد : اشتمل على بيان

أن الأصل في الدعوة كخطاب هو الرفق أما الشدة
فحالات استثناء تكون في تطبيق الشريعة .

المبحث الخامس : رفق الإنسان مع نفسه ومع غيره .

المبحث السادس : الرفق بالضعفاء .

المبحث السابع : رفق الراعي بالرعية .

الفصل الثاني : أثر الرفق في الدعوة إلى الله ، وفيه تمهيد وخمسة مباحث :

تمهيد : ويشتمل على تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً وأهميتها وحاجة

الإنسان إليها .

المبحث الأول : آثار الرفق في الدعوة إلى الله .

المبحث الثاني : آثار الرفق في الداعي إلى الله .

المبحث الثالث : آثار الرفق في المدعو إلى الله .

المبحث الرابع : نماذج عملية من دعوة الأنبياء عليهم السلام بالرفق

مع أقوامهم .

المبحث الخامس : نماذج عملية من دعوة الرسول ﷺ بالرفق .

خاتمة : ولقد تضمنت أهم نتائج البحث والتوصيات .

الفهارس التفصيلية : وتحتوي على :

- 1 - فهرس الآيات .
- 2 - فهرس الأحاديث .
- 3 - فهرس الآثار .
- 4 - فهرس الأعلام .
- 5 - فهرس الأشعار .
- 6 - فهرس المراجع .
- 7 - فهرس الموضوعات .

الدراسات السابقة :

أولاً : الدراسات المباشرة⁽¹⁾ :

1- دراسة : (مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين من منظور التربية الإسلامية) صالح بن سليمان المطلق البقعاوي ، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير مقدم إلى قسم التربية الإسلامية بكلية التربية - جامعة أم القرى (1420 هـ) .

هدف الدراسة : توضيح مبدأ الرفق ومكانته في التربية الإسلامية ، مع بيان عناية القرآن والسنة به ، وإبراز جهود بعض المربين المسلمين في توضيح هذا المبدأ في المجال التربوي .

وقد قسم الباحث بحثه إلى ستة فصول :

الفصل الأول : الإطار العام للدراسة .

الفصل الثاني : مفهوم الرفق في القرآن .

الفصل الثالث : الدعوة إلى الرفق في السنة النبوية ومضامينها التربوية .

الفصل الرابع : نماذج من التطبيقات التربوية لمبدأ الرفق من سيرة المصطفى

ﷺ .

الفصل الخامس : مظاهر الرفق واللين في التعامل مع المتعلمين عند العلماء

المسلمين .

الفصل السادس : مظاهر رفق المعلم بالمتعلمين عند المربين المعاصرين .

(1) مرتبة حسب تاريخ الدراسة (من الأقدم للأحدث) .

ثم ختم بحثه بمجموعة من النتائج كان من أبرزها : إن الرفق في التربية الإسلامية إرادة نفع المتعلم ومعاملته بسهولة وعدم التشديد عليه في المادة الدراسية .

أما أهم التوصيات فكانت : الاهتمام بتأصيل التعليم عند تطبيق المبادئ التربوية من الكتاب والسنة في التعامل مع المتعلمين وأن تدرس المبادئ التربوية الإسلامية في كليات التربية وكليات المعلمين ويتم توضيح مدى الاستفادة منها في تربية الناشئة .

2 - دراسة : (من صفات الداعية : الرفق واللين) فضل إلهي ظهير
دراسة قامت بنشرها إدارة ترجمان الإسلام سي - باكستان ، الطبعة السابعة (1420 هـ) .

هدف الدراسة : إزالة اللبس عند بعض الناس حيث يجعلون الرفق مرادفاً لقلّة المبالاة في الدين أو معاشرّة الفاسق والرضا بما هو فيه ، كذلك تنبيهها لما يحدث لبعض الدعاة من تقصير في الاتصاف بالرفق أثناء الدعوة إلى الله .
ولقد اشتملت الدراسة على مقدمة وستة مباحث وخاتمة :

مقدمة : الإطار العام للدراسة .

المبحث الأول : المراد باللين والرفق .

المبحث الثاني : نصوص تبين ضرورة تحلي الداعية باللين والرفق .

المبحث الثالث : الدعوة بالرفق في سيرة إمام الدعوة وقدوتهم ﷺ .

المبحث الرابع : أقوال العلماء في ضرورة تحلي الداعية بالرفق .

المبحث الخامس: أحوال يعدل فيها عن الدعوة بالرفق إلى الدعوة بالشدة

المبحث السادس: ضرورة مراعاة ما يترتب على الدعوة بالشدة

ثم ختم بحثه بمجموعة من النتائج كان من أبرزها : أن المراد بالرفق المداراة

وذلك بتعليم الجاهل ونهي الفاسق بترك الإغلاظ عليه لا المداهنة ومعاشرة الفاسق من غير الإنكار عليه ، أيضاً خلص الباحث إلى أن الرفق هو القاعدة العامة للدعوة ولكن هناك أمور يلجأ فيها إلى الشدة و لا تستعمل إلا بعد وقتنظور.

وكان من أبرز التوصيات : حث الدعاة أن يسترشدوا في دعوتهم بسيرة

المصطفى ﷺ حيث جعل الله لنا فيها أسوة حسنة فيستخدموا اللين في موضعه والشدة في مكانها .

3 - دراسة : (الإحسان في ضوء الكتاب والسنة النبوية) أحمد بن سعد

الغامدي . بحث مكمل لنيل درجة ال دكتوراه مقدم إلى قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى (1422 هـ) .

هدف الدراسة : محاولة الوصول إلى حقيقة الإحسان لسد باب التجاوزات

الدينية عند بعض المسلمين والتي سببها الجهل بمرتبة الإحسان وثمراته .

ولقد اشتملت الدراسة على مقدمة تناولت الإطار العام للدراسة وباين

وخاتمة :

الباب الأول : معنى الإحسان ومصادره ومكانته ومرتبته ودرجات المحسنين

وشروطه .

الباب الثاني أنواع الإحسان وصوره ووسائله وثمراته وصفات المحسنين

وختم دراسته بنتائج ، كان من أهمها : أن الإحسان أعلى مراتب الدين وهو لبه وروحه وأن الله تعالى محسن يجب الإحسان وأنه صفة الأنبياء وصالحى بنى آدم وهو يزيد وينقص بحسب إحسان أهله .

4 - دراسة : (الرفق وآثاره التربوية على الفرد والمجتمع) محمد حسنى محمد موسى . بحث مكمل لنيل درجة الماجستير مقدم إلى قسم الدراسات الإسلامية بجامعة اليرموك (1423 هـ - 2002 م) .

هدف الدراسة : بيان المفهوم الصحيح للرفق كما ورد فى القرآن والسنة حتى ينعكس هذا الفهم على حياة الفرد والمجتمع وحتى يتوضح دور المؤسسات التربوية فى تنشئة الأفراد على هذا السلوك العظيم .

ولكى يصل الباحث إلى هدفه فقد قسم بحثه إلى فصل تمهيدي تناول فيه الإطار العام للدراسة ثم أربعة فصول أخرى ، كانت كما يلي :

الفصل الأول : معنى الرفق ومكانته فى الإسلام .

الفصل الثانى : مظاهر الرفق فى الإسلام .

الفصل الثالث : المجالات التطبيقية لرفق الفرد والمجتمع .

الفصل الرابع: دور المؤسسات التعليمية فى تنشئة الأفعلى الرفق

ثم ختم بحثه بمجموعة من النتائج كان من أبرزها : أن من أهم الآثار النفسية لمعرفة مظاهر الرفق في الإسلام الشعور براحة نفسية وتقوية روح الأمل والبعد عن الجزع كما ينتج عن معرفة مظاهر الرفق في الإسلام مجموعة من القواعد السلوكية أهمها التخلق بالرفق اقتداء بالرسول ﷺ وبناء السلوك الإنساني على قاعدة دفع المشقة .

وانطلاقاً من نتائج البحث فقد توصل الباحث إلى مجموعة من التوصيات ، كان من أهمها : إجراء دراسة ميدانية تطبيقية تقارن بين استخدام المعلم للأسلوب الرفيق وبين استخدام العنف ، كما أوصى الباحث بإعادة صياغة المناهج المدرسية والجامعية بصيغ تضمن إيصال الفكرة بصورة سهلة ميسرة مع مراعاة أسلمة هذه النتائج واستبعاد الأفكار التي تحدث تضارباً في عقول الطلاب .

ثانياً : الدراسات غير المباشرة :

5- دراسة : (الخليل إبراهيم الخليلي في الكتاب والسنة ودعوته وهجرته ورد شبه المستشرقين) عبد الله بن علي محمد أبو سيف . رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بجامعة الملك عبد العزيز - فرع مكة . كلية الشريعة الإسلامية فرع قسم الكتاب والسنة (1397 هـ - 1977 م) .

6 - دراسة : (معاملة الأسير في ضوء الكتاب والسنة) عبد الله سيف الأزدي . بحث مكمل لنيل درجة الماجستير مقدم إلى قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى (1402 - 1403 هـ) .

- 7 - دراسة : (قصة نوح عليه السلام كما يصورها القرآن الكريم) علي عبد الله طوبجي . رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى بكلية الشريعة الإسلامية ، فرع قسم الكتاب والسنة . 1402 هـ - 1982 م .
- 8 - دراسة : (الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة) أحمد بن نافع سليمان المورعي . بحث مكمل لنيل درجة الماجستير مقدم إلى قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى (1405 هـ) .
- 9 - دراسة : (العبرة من قصة يوسف عليه السلام) . رفيقة عمر بكر صباغ . رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الشريعة الإسلامية - فرع الكتاب والسنة بجامعة أم القرى . 1405 هـ .
- 10 - دراسة : (منهج القرآن الكريم في عرض الأخلاق الأسرية) علي بن عبد الله الشهري . بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية بجامعة أم القرى (1406 هـ - 1986 م) .
- 11 - دراسة : (أخلاق العالم والمتعلم عند أبي بكر الآجري) عبد الرؤوف يوسف عبد القادر عبد الرحمن . بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية بجامعة أم القرى (1408 هـ) .
- 12 - دراسة : (تربية الطفل في ضوء القرآن والسنة أسماء بنت عبد الله سلطان . بحث مكمل لنيل درجة الماجستير مقدم إلى قسم التربية وعلم النفس ، كلية التربية للبنات بالرياض - الأقسام الأدبية (1409 هـ - 1989 م) .
- 13 - دراسة : (دور التربية الإسلامية في مواجهة تحديات العنف الأسري) أميرة بنت أحمد باهميم . بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في قسم التربية الإسلامية والمقارنة بجامعة أم القرى (1427 هـ) .

التعليق العام على الدراسات السابقة :

1- أكدت بعض الدراسات السابقة على أهمية الأخلاق في حياة الفرد

والمجتمع وكونها من المقاصد الرئيسية لبعثة المصطفى ﷺ .

2- وضحت بعض الدراسات السابقة عن أهمية الرفق في حياة الإنسان

3 - تختلف الدراسة الحالية عن دراسات الرفق في التعامل مع المتعلمين من

منظور التربية الإسلامية و (الرفق وآثاره التربوية على الفرد والمجتمع

فكلتا الدراستين قد اهتمتا بالرفق من منظور التربية الإسلامية الأمر الذي يختلف عن

الدراسة الحالية حيث سيتم التركيز فيها على الرفق كخلق سلوكي للداعية ﷺ

ينفي اختلاف التخصص ما لهاتين الدراستين من أهمية شديدة فالدعوة ﷺ من

صور التعليم ، إن الداعية في حقيقة أمره يعلم الناس الخير سواء في المدارس أو الجامعات

أو على صهوات المنابر ، كذلك كان الأنبياء عليهم أفضل صلاة وأزكى تسليم في دعوتهم

للناس على جميع أحوالهم

4 - أظهرت دراسة أخلاق العالم والمتعلم عند أبي بكر الأجرأبي الآجري رحمه

الله - في الفرق بين الملواة ولمداهنة ، فإن المداراة رفق وحمعاشة بينما المداهنة بذل الدين

لصلاح الدلي، وستبين الدراسة الحالية حقائق وتفق وكونه مداراة كما فعل الرسول ﷺ مع من

قال عنه «بئس أخو العشيرة»⁽¹⁾ .

5 - أكدت بعض الدراسات السابقة على ضرورة استعمال اللين في مواضعه

(1) جزء من حديث في صحيح البخاري : كتاب الأدب . باب المداراة مع الناس ، رقم الحديث :

واللجوء إلى الشدة عند بعض المواقف اقتداءً بالرسول ﷺ وصحابته الكرام كدراسة (الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة) ودراسة (من صفات الداعية : الرفق واللين) .

6 - من خلال تفحص الدراسات السابقة تبين أنه لا توجد أي دراسة قد تحدثت عن آثار الرفق في مجال الدعوة إلى الله .

7 - أكدت كثير من الدراسات على ضرورة الرفق بذوي الأرحام والضعفاء كدراسة : (الإحسان في ضوء الكتاب والسنة) و (منهج القرآن الكريم في عرض الأخلاق الأسرية) .

8 - وضحت بعض الدراسات أهمية العلاقة بين العلم والمتعلم ، وهذا ما بيته الدراسة الحالية بإذن الله تعالى عند التحدث عن رفق المعلم بتلامذته

9 - أشارت دراسة (معاملة الأسير في ضوء الكتاب والسنة) إلى وجوب الرفق بالأسرى وحث الإسلام على تكريمهم وثناء الله على المؤمنين الذين يحسنون إليهم ، قال الله ﷻ : ﴿ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِمْ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ (1) .

10 - أبرزت بعض الدراسات نماذج رائعة عن رفق الأنبياء بأقوامهم عند دعوتهم إلى الله ﷻ كدراسة (قصة نوح عليه السلام كما يصورها القرآن الكريم) ودراسة (الخليل إبراهيم عليه السلام في الكتاب والسنة ودعواته وهجراته ورد شبه المستشرقين) ودراسة (العبرة من قصة يوسف عليه السلام) .

12 - تتميز هذه الدراسة بأنها استفادت من الدراسات السابقة ، وأضافت

(1) سورة الإنسان : رقم الآية (8) .

إليها ما يتصل بالدعاة إلى الله ﷻ فتكون بذلك قد قدمت منهجاً متكاملًا في استخدام أسلوب الرفق للدعاة خاصة وجميع شرائح المجتمع عامة .

ولقد بذلت في هذا البحث كل جهدي ، فإن كان صواباً فمن الكامل الوهاب جل في علاه ، وإن كانت الأخرى فرحم الله ابن القيم عندما قال : « إن المنصف يهب المخطئ لإصابته وسيئاته لحسناته ، ومن ذا الذي يكون قوله كله سديداً ، وعمله كله صواباً ؟ وهل ذلك إلا للمعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ، ونطقه وحي يوحى » (1) .

وأخيراً :

لقد كان ما سبق هو المنهج الذي اتبعته في البحث أثناء إعدادة حتى تكامل بفضل الله ﷻ ، وبلغ ما أرجوه من جمال يليق بحسن الخلق الذي تطرقت إليه ، فأرجو من الله العلي الكريم أن يكون هذا الجهد خالصاً لوجهه يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون ، إلا من أتاه بقلب سليم .

وإن أسمى ما لهج به لسان ، وهفا إليه جنان هو شكر الله ﷻ على نعمه الكثيرة ، وآلائه الجسيمة .

ثم هو بعد ذلك موصول إلى أهل الفضل من خلقه ، وأبتدر بمن قرن الله

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين . أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي . دار الكتب

العلمية - بيروت . دون طبعة : 1412 هـ - 1992 م : ص / 14 - 15 .

ذكرهم باسمه ﷺ فلن أجد من الكلمات والدعوات ما توفي حق والدي الحبيب
 سعادة الأستاذ الدكتور / عبد اللطيف بن حسين فرج على توجيهه ومشورته
 ومساعدته في إمدادي عند بداية كتابتي بأفضل الكتب وأحدث الدراسات ، رحمه
 الله رحمة واسعة وجعل مثواه الأخير الفردوس الأعلى من الجنة عما قدمه لي
 ولجميع طلاب العلم من غزير علمه .

وأسمى آيات الشكر والعرفان إلى الحبيبة الغالية (والدتي الحنون) التي
 غمرتني بحبها وتشجيعها طيلة حياتي ، وعلمتني كيف يكون الصمود الحق رغم
 الصعاب التي تنتاب النفس ويضيق بها الصدر ، فجزاها الله عني جزاء الصابرين ،
 ولا حرمني برها ودعاءها ، وجعل ما قدمته في ميزان حسناتها وأمد الله في عمرها
 بالصحة والعافية .

ثم عظيم شكري وفائق تقديري لشيخني المشرف على هذه الرسالة فضيلة
 الأستاذ الدكتور / محمد بن عبد المولى جمعة ، فلولا الله ثم فضله ، لما اكتسى هذا
 البحث أبهى الحلل ، وأروع الأثر ، وقد شرفُتُ بانتمائي إلى مدرسته البحثية ،
 فبارك الله في علمه ، وشكر له سعة صدره ، وكريم معاملته ، وجهده المتواصل في
 المتابعة والتوجيه ، فجزاه الله عني خير الجزاء ، وأجزل له المثوبة ، إنه ولي ذلك
 والقادر عليه .

كما يسرني التقدم بالشكر الجزيل لسعادة الأستاذ الدكتور / محمد بن
 عبد العزيز داود ، وسعادة الدكتور / صالح بن عبد الله الفريح لتفضلها بمناقشة
 هذا البحث ، وتزويدي بتوجيهاتها وآرائها السديدة .

والشكر كذلك لهذه الجامعة المباركة التي أتاحت لي الفرصة لمواصلة دراستي

العليا ، وأخص منها كلية الدعوة وأصول الدين ممثلة في عميد الكلية سعادة الدكتور / عبد الله بن محمد الرميان ، ولو كلائها الكرام : سعادة الدكتور / محمد ابن سعيد السرحاني ، وسعادة الدكتور / صالح بن عبد الله الفريح ، وسعادة الدكتور / خالد بن علي الغامدي .

كما أشكر رئيس قسم الدعوة والثقافة الإسلامية سعادة الدكتور / ناصر بن محمد الغريبي ، و سائر مشا محنا أعضاء هيئة التدريس بالقسم على تعليمهم ورعايتهم وحسن معاملتهم لنا في أطوار مراحل الدراسة بالجامعة .

وكذلك لكل من كانت له عليّ أياد بيضاء في المساعدة بتزويدي بالمراجع التي أعانني بفضل الله ﷻ على إتمام هذا البحث ، وأخص بالذكر فضيلة الدكتور / سليمان بن طلق الحازمي ، وسعادة الدكتور / صالح بن سليمان البقاوي ، على ما تكرما به من إثرائي بكل ما هو مفيد من نفائس المراجع ، أثقل الله بجهدهما ميزان حسناتهما ، وجزاهما خير الجزاء على حسن بذلها ، وكريم معاملتهما .

كما أبعث رسالة شكر إلى من شدوا أزرني ، وشاركوني في أمري ، إخواني وأخواتي الأعزاء أسأل الله أن يحقق لهم الآمال ، ويوفقهم لما فيه الخير والصلاح .

لهؤلاء جميعاً أزجي خالص شكري وعظيم تقديري ، وأدعو لهم بجزيل المثوبة إنه سميع مجيب الدعاء .



تمهيد

اشتمل على :

أولاً / تعريف الأخلاق .

ثانياً / أهمية الأخلاق في حياة الإنسان .

ثالثاً / أسس الأخلاق الإسلامية .

رابعاً / خصائص الأخلاق الإسلامية .

1- تعريف الأخلاق :

أ / تعريف الأخلاق في اللغة :

وردت كلمة الخلق في اللغة بمعنى : « السجية والطبع ⁽¹⁾ والمروءة والدين » ⁽²⁾ .

(1) الخُلُق والسجية والطبع جميعهم مترادفات يدل أحدهما على آخر فقد جاء في معاجم اللغة أن السجية هي : الخُلُق والطبيعة وهذه الكلمة مصدر من الفعل الثلاثي (سجا) فالسين والجيم والألف أصل يدل على سكون وإطباق . يقال * سَجَا اللَّيْلُ ، إذا ادهمَّ وسكَّن . ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَلَيْلٌ إِذَا سَجَى﴾ سورة الضحى : رقم الآية (2) . (انظر لسان العرب . محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر - بيروت ، ط / 1 : مادة (سجا) 14 / 370 - 372 . معجم مقاييس اللغة . أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . دار الجليل / بيروت 1420 هـ - 1999 م ، ط / 2 : مادة (سجو) 3 / 137 . القاموس المحيط . محمد بن يعقوب الفيروز آبادي . مؤسسة الرسالة - بيروت . بدون سنة الطبع والطبعة : مادة (سجا) 1 / 1668 . كما عرف علماء المعاجم في اللغة الطَّبْعُ والطَّبِيعَةُ بأنهما : الخَلِيقَةُ والسَّجِيَّةُ التي جُبِلَ عليها الإنسان ، ويجمع طَبْعُ الإنسان طِبَاعاً ، وهو ما طُبِعَ عليه في مأكَلِهِ ومَشْرَبِهِ وسُهولةِ أَخْلَاقِهِ وعُسْرِها ويُسْرِها وشِدَّتِهِ ورَخَاوَتِهِ وبُخْلِهِ وسَخَائِهِ ، ويأتي الطبع بمعنى الختم فالتطاء والباء والعين أصل على نهاية ينتهي إليها الشيء حتى يختم عندها يقال طَبَعَت على الشيء طَبَاعاً ومن ذلك طَبَعَ اللهُ على قَلْبِ الكافر ، كأنه ختم عليه حتى لا يصل إليه هُدًى ولا نُور ، فلا يوقَّق لخير . (انظر : لسان العرب . ابن منظور . مرجع سابق : مادة (طبع) 8 / 232 . معجم مقاييس اللغة . ابن فارس : مادة (طبع) 3 / 438) .

(2) انظر : لسان العرب . مرجع سابق . 10 / 85 - 86 . مختار الصحاح . مرجع سابق : مادة (خ ل ق) : 1 / 78 . النهاية في غريب الحديث والأثر . أبو السعادات المبارك الجزري . تحقيق : طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي . المكتبة العلمية - بيروت - 1399 هـ - 1979 م . مادة (خ ل ق) : 2 / 70 .

والجمع أخلاق، ولا يكسر على غير ذلك .

وفي التنزيل قال الله ﷻ مخاطباً رسول الله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (1)

والخلق غير الخلق ، فالخلق هو التقدير وإيجاد الشيء من العدم ، يقول الله ﷻ:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ

يَعْدِلُونَ﴾ (2) .

وقال ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ﴾ (3) .

أما الخلق بمعنى الإبداع فلا يكون إلا لله ﷻ حيث قال: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا

يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (4) .

بينما يطلق الخلق على سجية الإنسان وطبعه « أي صورة الإنسان الباطنة

ونفسه وأوصافه » (5) .

يقول ابن فارس في ذلك « الخاء و اللام والقاف أصلان أحدهما تقدير الشيء

والآخر ملاسقة الشيء ... » (6) .

وهو لفظ مطلق يحتاج إلى تقييد كأن يقال الخلق محمودا و « خلق مذموم» .

(1) سورة القلم : رقم الآية (4) .

(2) سورة الأنعام : رقم الآية (1) .

(3) سورة النساء : جزء من الآية رقم (1) .

(4) سورة النحل : رقم الآية (17) .

(5) انظر : لسان العرب . مرجع سابق : 10 / 86 والنهاية . مرجع سابق : 2 / 71 .

(6) معجم مقاييس اللغة . ابن فارس . مرجع سابق : 2 / 214 .

ب / تعريف الأخلاق في الاصطلاح :

عرف العلماء الأخلاق في الاصطلاح بعدة تعريفات كان من أبرزها :

التعريف الأول : « هيئة في النفس راسخة تصدر الأفعال عنها بسهولة ويسر دون الحاجة إلى فكر وروية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً »⁽¹⁾ .

التعريف الثاني : « حال للنفس داعية إلى أفعالها من غير فكر ولا روية »⁽²⁾ .

التعريف الثالث : « صفة مستقرة في النفس فطرية أو مكتسبة ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة »⁽³⁾ .

(1) إحياء علوم الدين . محمد بن محمد الغزالي أبو حامد . دار المعرفة - بيروت : 3 / 53 .
 (2) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق . أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه . مكتبة الثقافة الدينية / بورسعيد - القاهرة : ص / 39 .
 (3) الأخلاق الإسلامية وأسسها . عبد الرحمن بن حنكة . دار القلم / دمشق . ط / 2 : 1407 هـ - 1987 م : 1 / 10 .

التعريف الرابع: «هي غرائز كامنة تظهر بالاختيار وتقهّر بالاضطرار⁽¹⁾.

التعريف الخامس: «هي تلك الأفعال التي تصدر من الإنسان لمبفلة على مبادئ متأصلة في نفسه ، بحيث تكون هذه المبادئ قابلة للترويض والتوجيه⁽²⁾.

التعريف السادس : « ملكة نفسانية تصدر عنها الأفعال النفسانية بسهولة من غير روية »⁽³⁾.

ونستأنس بتعريف عبد الكريم زيدان عندما قام بتعريف الأخلاق بأنها :
 « علم الخير والشر والحسن والقبيح وله قواعده التي حددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه »⁽⁴⁾.

(1) تسهيل النظر وتعجيل الظفر . علي بن محمد الماوردي . تحقيق : محي السرحان ، محمد بن

حبيب . دار النهضة العربية - بيروت . ط / 1 . 1981 م : ص / 5 .

(2) منهج القرآن الكريم في عرض الأخلاق الأسرية . علي بن عبد الله الشهري . رسالة مقدمة لنيل

درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية . 1406 هـ - 1986 م . ص / 8 .

(3) معجم مقاليد العلوم . أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي . تحقيق : محمد إبراهيم

عبادة . مكتبة الآداب - القاهرة / مصر . الطبعة : الأولى : 1424 هـ - 2004 م :

. 197 / 1

(4) أصول الدعوة . عبد الكريم زيدان . مؤسسة الرسالة / بيروت . الطبعة التاسعة : 1423 هـ -

2002 م : ص / 79 .

وعند التأمل في التعاريف السابقة نلاحظ أن معظمها يكد على أن الأخلاق ما هي إلا صفات مستقرة في النفس الإنسانية تكون ردودها على الأفعال أو المواقف بطريقة سريعة تلقائية لا تكلف فيها أو تفكير في عاقبتها « فالصفة إن لم تكن مستقرة فليست جديرة بأن تسمى خلقاً فمن بذل المال مرة لحاجة عارضة لا يقال إنه سخي أو كريم وهو لا يستحق هذه الصفة حتى يصبح البذل عادة له » (1).

ولقد احتوى كل تعريف على لطيفة جميلة وحكمة بالغة فقد كانت هذه العبارة جيدة في التعريف الرابع « فطرية أو مكتسبة » فالإنسان تنقصه الكثير من الصفات ولا يستطيع الإحاطة بها جملة واحدة إلا أنه مع التمرن والتحمل يستطيع امتلاكها وحينئذ يقال عنه إنه إنسان خلوق .

كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أناساً من الأنصار سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده فقال : « مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ

(1) الأخلاق في الإسلام . مجموعة من المؤلفين منهم : لكيد قرعوش . دار المناهج للنشر والتوزيع /

يُغْنِيهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَنْصَبِرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنْ
الصَّبْرِ» (1) .

وفي ذلك يقول ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين « فإن قلت : هل يمكن
أن يقع الخلق كسبياً أو هو أمر خارج عن الكسب ؟ قلت : يمكن أن يقع كسبياً
بالتخلق والتكلف حتى يصير له سجيةً وملكةً » (2) .

وخلاصة هذه التعريفات السابقة نستنتج أن الأخلاق هي : « صفات نفسية
تصاحب الإنسان منذ بداية نشأته ثم تظهر بعد ذلك على سلوكه و تنمو بعد ذلك
بالاكتساب وتكون محمودة أو مذمومة بحسب رؤية الشرع لها » .

فإذا كان الخلق هو صفة باطنية في النفس فإن السلوك هو صورة النفس
الظاهرة فإن العلاقة بينها علاقة الدال بالمدلول .

2 - أهمية الأخلاق في حياة الإنسان :

لا يخفى على مسلم ما للأخلاق من مكانة عظيمة الشأن ، عالية المنزلة في
الدين الإسلامي الحنيف ، فهي إحدى الأصول الأربعة التي يقوم عليها (3) ، وهي

(1) صحيح البخاري : كتاب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة . رقم الحديث : 1469 .

2 / 286 . وبنحوه : صحيح مسلم : كتاب الزكاة ، باب فضل التعفف والصبر ، رقم

الحديث : 1053 / 4 . 156 .

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين . محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو

عبد الله . تحقيق : محمد حامد الفقي . دار الكتاب العربي - بيروت . ط 2 / 1393 هـ -

1973 م : 3 / 315 .

(3) وهي : العقيدة ، العبادة ، الأخلاق ، المعاملات .

من أسباب بعثة المصطفى ﷺ كما أخبر الله ﷻ : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَبَزَكَيَهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (1) ، أي يطهر أنفسهم بحملها على مكارم الأخلاق .

ولأجل تطبيق هذه الغاية السامية أرسل الله ﷻ من كان أهلاً لحمل هذه الرسالة الداعية إلى مكارم الأخلاق ، حيث قال فيه : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (2) .

وجعلها الهدف من بعثته ﷺ فقال : « إنما بعثت لأتمم مكارم - وفي روايات أخرى كثيرة صالح - الأخلاق » (3) .

وعندما سئلت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) عن خلقه ﷺ قالت : « كان خلقه القرآن » (4) .

بل شهد له بذلك أبو سفيان رضي الله عنه - وقد كان على الكفر يومئذ - في ذلك الحوار الذي دار بينه وبين هرقل ملك الروم (5) .

(1) سورة آل عمران : رقم الآية (164) .

(2) سورة القلم : رقم الآية (4) .

(3) مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . رقم الحديث : 2 . 8939 / 381 .

(4) مسند الإمام أحمد بن حنبل : رقم الحديث : 25341 / 6 . 163 . المعجم الأوسط . أبو

القاسم سليمان بن أحمد الطبراني . تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد - عبد المحسن بن

إبراهيم الحسيني . دار الحرمين - القاهرة . 1415 هـ : رقم الحديث : 1 . 72 / 30 .

(5) صحيح البخاري . كتاب بدء الوحي : باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ . رقم

الحديث : 7 / 1 . 7 . صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير . باب كتب النبي ﷺ إلى هرقل

يدعوه إلى الإسلام . رقم الحديث : 1773 / 3 . 1397 .

و لقد عَظَّمَ النبي ﷺ من شأن الأخلاق فبين أهميتها في مواضع كثيرة لا حصر لها ، كان من أهمها :

أولاً : أنها أثقل ما يوضع في الميزان ، قال ﷺ : « ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق » (1) .

ثانياً : إن حسن الخلق يمثّل العبادات في الأهمية : « إن المؤمن ليلبغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم » (2) .

ثالثاً : أنها دلالة على كمال الإيمان : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا » (3) .

رابعاً : إن المرء ينال بحسن الخلق الخيرية ، قال ﷺ : « إِنْ مِنْ خِيَارِكُمْ

-
- (1) سنن أبي داود : كتاب الأدب . باب في حسن الخلق : 4799 . 4 / 253 . سنن الترمذي : كتاب الرواصلة . باب ما جاء في حسن الخلق . رقم : 2002 . 4 / 362 . مسند الإمام أحمد عن أبي الدرداء ؓ . رقم : 27557 . 6 / 446 . الأدب المفرد : باب الرفق . 1 / 164 . مسند أبي داود الطيالسي . سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي . دار المعرفة - بيروت : عن أبي الدرداء ؓ . رقم الحديث : 978 . 1 / 131 .
- (2) سنن أبو داود . كتاب الأدب . باب في حسن الخلق الحديث : رقم الحديث : 4798 . 4 / 252 . مسند الإمام أحمد بن حنبل عن عائشة رضي الله عنها . رقم الحديث : 24400 . 6 / 64 . صحيح ابن حبان . محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي . تحقيق : شعيب الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط2 / 1414 هـ - 1993 م : باب حسن الخلق . ذكر رجاء نوال المرء بحسن الخلق درجة القائم ليلة الصائم . رقم الحديث : 480 . 2 / 229 .
- (3) سنن أبي داود : كتاب السنة . باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه . رقم الحديث : 4682 . 4 / 220 . مسند أحمد بن حنبل عن أبي هريرة ؓ . رقم الحديث : 7396 . 2 / 250 . مسند إسحاق بن راهويه : رقم الحديث : 522 . 1 / 449 . صحيح ابن حبان . باب حسن الخلق . ذكر البيان بأن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً . رقم : 479 . 2 / 227 .

أَحْسِنُكُمْ أَخْلَاقًا» (1) .

خامساً : الفوز ببيت في أعلى الجنة ، قال ﷺ : « أَنَا زَعِيمٌ (2) بَيْتٍ فِي رَبْصِ (3) الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ (4) وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ » (5) .

سادساً : حسن الخلق أكثر ما يدخل المرء الجنة ، ف عن أبي هريرة قال سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال : « تَقْوَى اللَّهِ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ » (6) .

(1) صحيح البخاري : كتاب الأدب . باب حُسْنِ الْخُلُقِ وَالسَّخَاءِ وَمَا يُكْرَهُ مِنَ الْبُخْلِ . رقم الحديث : 5688 / 5 . 2245 . صحيح مسلم : كتاب الفضائل . باب كَثْرَةِ حَيَاتِهِ ﷺ . 1810 / 4 . 2321 .

(2) الزعيم : الكفيل (مختار الصحاح : 1 / 115) .

(3) أي ما حولها خارجا عنها تشبيها بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع (النهاية : 185 / 2) .

(4) ماراه مرء أي جادله (مختار الصحاح : 1 / 260) .

(5) سنن أبي داود : كتاب الأدب . باب فِي حُسْنِ الْخُلُقِ . رقم الحديث : 4800 / 4 . 253 . سنن ابن ماجه . محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . دار الفكر - بيروت . بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر : رقم الحديث : 51 / 1 . 19 . سنن البيهقي الكبرى . أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي . تحقيق : محمد عبد القادر عطا . مكتبة دار الباز - مكة المكرمة . 1414 هـ - 1994 م : رقم الحديث : 20965 . 249 / 10 .

(6) قال الترمذي : حديث صحيح غريب . قال الشيخ الألباني : حسن الإسناد . رواه الترمذي في سننه : 2004 / 4 . 363 . والإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة ؓ : 7894 / 2 . 291 .

سابعاً : ينال بحسن الخلق محبة النبي ﷺ : « إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقاً » (1) .

ثامناً : وصية النبي ﷺ لأصحابه بحسن الخلق : « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَ تَمَحُّهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِحُلُقٍ حَسَنٍ » (2) .

فاهتمام الإسلام بالأخلاق هو ما يميزه عن غيره من الأنظمة الأخرى ، لأنه اهتم بجانبه المادي والمعنوي ، ولقد فشل الغربيون في تلبية احتياجات الروح ، كما أخفق الرهبان عند منعهم لأنفسهم ما أحل الله ﷻ من الطيبات ، فجنت أيديهم الكثير من الولايات بسبب فقدان هذا التوازن .

إن أزمة الحضارة الغربية هي أزمة دينية أولاً وأخلاقية ثانياً بلا شك ، يقول مصطفى صادق الرافعي في كتابه (وحي القلم) : « لو أنني سئلت أن أجمل فلسفة

(1) صحيح البخاري . 3549 / 3 . 1372 .

(2) سنن الترمذي : كتاب الشهادات . باب المزاح لا ترد به الشهادة ما لم يخرج في المزاح إلى
عضه النسب أو عضه بحد أو فاحشة . رقم الحديث : 1987 / 4 . 355 . سنن الدارمي .
عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي . تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي .
دار اللكتاب العربي - بيروت . ط 1 / 1407 هـ : كتاب السير . باب في حُسن الخُلُق . رقم
الحديث : 2791 / 2 . 415 . مسند أحمد بن حنبل من حديث أبي ذر ﷺ : رقم الحديث :

الدين الإسلامي كلها في لفظين ، لقلت : ثبات الأخلاق ، ولو سئل أكبر فلاسفة الدنيا أن يوجز علاج الإنسانية كلها في حرفين لما زاد على القول : إنه ثبات الأخلاق ، ولو اجتمع كل علماء أوروبا ليدرسوا المدنية الأوروبية ، ويحصرها ما يعوزها في كلمتين لقالوا : ثبات الأخلاق»⁽¹⁾ .

لقد علم أعداء الإسلام أهمية الأخلاق في حياة المؤمن ، فحاولوا بشتى الوسائل زعزعة هذا البناء الخلقى المتين حتى يتسببوا في انهيار المجتمع الإسلامي ، فيتم لهم ما يطمحون إليه من محو الدين ، واستعمار بلاد المسلمين ، يقول (صموئيل زويمر) رئيس إرسالية التبشير بالبحرين في خطاب له : « ... ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم إليها دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية فإن في هذا هداية لهم وتكريماً ، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله ، وبالتالي فلا صلة له تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية ... »⁽²⁾ .

وهذا لن يكون لهم - بإذن الله تعالى - ما زال هناك طائفة من أمة المصطفى ﷺ قوية في دينها ، صادقة مع مجتمعتها ، راحمة لصغيرها وكبيرها ، عزيزة النفس ، آمرة بالمعروف ، ناهية عن المنكر ، تتعبد ربها بعقيدتها وعبادتها وأخلاقها الحسنة وخصالها الطيبة ، عالمة أن أخلاقها الإسلامية هي منبع قوتها وهي المعتصم الذي

(1) وحي القلم . مصطفى صادق الرافعي . دار الكتاب العربي - بيروت . 1427 هـ - 2006 م .

بدون طبعة أو تاريخ نشر : 2 / 48 .

(2) الأخلاق الإسلامية وأسسها . عبد الرحمن حبنكة الميداني . مرجع سابق : 1 / 38 .

يجب أن متمسك به ، فقد ورد في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ » (1).

3- أسس الأخلاق الإسلامية :

الأساس الأول / العقيدة الإسلامية :

إن كل بناء - سواء كان مادياً أو معنوياً - لا بد له من أساس يقوم عليه ويتقوى به ، من أجل ذلك أرسل الله ﷻ رسله جميعاً - عليهم صلوات الله وسلامه - بعروة التوحيد القائمة على أساس العقيدة الإسلامية التي تتخذ من وحدانية الله سبحانه وتعالى وعدم استحقاق غيره للعبادة منطلقاً لها ، قال الله ﷻ :

﴿ وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴾ (2) فكانت العقيدة هي أول شيء اهتموا بتصحيحه وهي المحور الرئيسي من دعوتهم ، دعا إليها نوح وهود وصالح وشعيب وسائر الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - إلى أقوامهم ، وحتى خاتمهم رسولنا الكريم ﷺ فقد بدأ دعوته بتصحيح العقيدة ثلاثة عشر عاماً في مكة و عدها الإسلام الأساس الأول في المنهج الخلقي ، فالعقيدة الصحيحة تستلزم التحلي بكل خلق فاضل والتخلي عن كل خلق ذميم ، وقبل الحديث عن الارتباط الوثيق بين العقيدة الإسلامية والأخلاق نعرف العقيدة في اللغة والاصطلاح ، فأصل هذه الكلمة في

(1) صحيح البخاري : كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة . باب قول النبي ﷺ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ

أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ وَهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ : رقم الحديث : 6881 . 6 / 2667 .

(2) سورة النحل : رقم الآية (36) .

اللغة يدل على « الشد والتوثيق »⁽¹⁾ ، كما تدل على « التخليط في الأمر والمعاهدة والتأكيد »⁽²⁾ .

ومنه قوله ﷺ : ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾⁽³⁾ .

وتعرف (العقيدة الإسلامية) بأنها :

« القضايا العلمية الغيبية التي أخبرتنا بها آيات القرآن وصحاح الأحاديث ، ولا تكون عقيدة حتى ينعقد القلب عليها انعقاداً جازماً لا يقبل الاعتراض والمناقشة »⁽⁴⁾ .

إذاً نستنتج من التعريف السابق أن العقيدة الإسلامية هي شعور باطني وجداني ، يتمثل في ذلك الإحساس الذي يشعر به الإنسان ويقينه الداخلي بأمور غيبية وهي الأصل الذي تبنى عليه تعاليم الإسلام ، وهي ضرورة من الضرورات الفطرية التي لا يستغني عنها أي إنسان ، فإن صحت وتمكنت من قلب المسلم

(1) معجم مقاييس اللغة . مرجع سابق : مادة (عقد) : 4 / 86 .

(2) مختار الصحاح . مرجع سابق . مادة (عقد) : 1 / 186 . تهذيب اللغة . أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى . تحقيق : محمد عوض مرعب . دار إحياء التراث العربى - بيروت - 2001 م . ط / 1 : 1 / 134 . العين . الخليل بن أحمد الفراهيدي . تحقيق : مهدي المخزومي / إبراهيم السامرائي . دار ومكتبة الهلال : 1 / 140 .

(3) سورة البقرة : رقم الآية (225) .

(4) نحو ثقافة إسلامية أصيلة . عمر سليمان الأشقر . دار النفائس للنشر والتوزيع - الأردن . ط 12 / 1425 هـ - 2005 م : ص / 209 .

حققت له السعادة والعزة التي يصبو إليها ف « لا حياة للقلوب ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويكون ذلك كله أحب إليها مما سواه ، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه » (1) .

ولقد عبر القرآن الكريم في كثير من المواضع عن العقيدة ليس بذات اللفظ ولكن بمرادفه وهو (الإيمان) كما عبر عن الشريعة بلفظ « العمل الصالح » (2) حيث يقول ﷺ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴾ (3) .

أركان العقيدة الإسلامية :

إن هذه العقيدة الإسلامية مبنية على أركان لا ينفك أحدهم عن الآخر ، وهي ستة أركان لقول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ (4) .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ إِذْ أَنَّهُ رَجُلٌ يَمْشِي فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ : « الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ

(1) شرح العقيدة الطحاوية . علي بن علاء الدين الدمشقي الحنفي . المكتب الإسلامي - بيروت - 1391 هـ . ط / 4 : 1 / 65 .

(2) انظر : في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة دراسة ونقد . محمود خفاجي . مطبعة الأمانة . ط 1 / 1399 هـ - 1979 م : ص / 11 .

(3) سورة الكهف : رقم الآية (107) .

(4) سورة النساء : رقم الآية (136) .

وَمَلَأَتْكُمْ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبُعْثِ الْآخِرِ» (1).

علاقة الأخلاق بالعبادة :

من خلال العرض السابق لأركان العقيدة يتبين أن هناك علاقة وثيقة بين العقيدة والأخلاق ف« الأخلاق جزء أصيل من هذا الدين ينبع نبعاً مباشراً من الإيمان بالله ، ويمارسها المؤمن عبادة لله ، فلا هي أمور هامشية في حياة المؤمن ولا هي في حسه خارجة عن نطاق العبادة التي يتقدم بها إلى الله » (2).

وتتجلى هذه الكلمات كأسمى ما يكون عند تلاوة هذه الآيات المباركة من كتاب الله ﷻ : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ۝١٠ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝١١﴾ (3).

إذا أمعنا النظر في صفات من وصفهم الله بالمؤمنين وبشهرهم ﷻ بالفلاح والفوز ، سنرى أن معظمها قائمة على الامتثال بالأخلاق الإسلامية ، فعدم

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير . باب ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ . 4499 . 4 / 1793 .

صحيح مسلم : كتاب الإيمان . باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه . رقم الحديث : 9 / 1 . 39 .

(٢) مفاهيم يجب أن تصحح . محمد قطب . دار الشروق . ط / 1 . ص / 219 .

(٣) سورة المؤمنون : رقم الآية (١ - ١١) .

الخوض في لغو الحديث والعفة عمّا حَرَّمَ اللهُ وتعهد الأمانة ورعايتها كل هذه أخلاق تؤكد على الارتباط الوثيق القائم بين العقيدة والأخلاق .

كذلك يتجلى هذا الترابط وتتوضح هذه الأهمية في حديث رسولنا الكريم ﷺ: «الإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ» (1) فلقد جعل إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ - وهو خلق سامي كريم - شعبة يترسخ بها إيمان الفرد إذا امتثل بها ، ويقل إيمانه إذا نأى عنها .

ويعظم خسران المرء يوم القيامة إن كان في الدنيا ممن يُتقى شره وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ اتَّقَاءً فُحْشِهِ» (2) .

ومن هنا نخلص بأن الأخلاق متعلقة بالعقيدة لا تنفصل عنها ولا تحيد ، فمن رسخ الإيمان في قلبه ، واطمأن به ، سارع إلى أداء هذه الأخلاق الإسلامية وتعبد بها ربه ، وتجنب كل خلق قبيح مبتغياً في تركه الثواب الجزيل من الكريم المنان ﷺ كما في قصة هابيل مع أخيه قابيل وامتناعه التعدي على أخيه لتمكن الإيمان في قلبه ، قال الله ﷻ: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَىٰ يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (3) .

(1) صحيح مسلم : باب بَيَانِ عَدَدِ شُعْبِ الْإِيمَانِ وَأَفْضَلِهَا وَأَدْنَاهَا وَفَضِيلَةِ الْحَيَاءِ وَكَوْنِهِ مِنَ الْإِيمَانِ . رقم الحديث : 1 . 35 / 63 .

(2) صحيح البخاري : كتاب الأدب . باب ما يُجُوزُ مِنْ اغْتِيَابِ أَهْلِ الْفَسَادِ وَالرَّيْبِ . رقم الحديث : 5707 . 5 / 2250 . صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب . باب مُدَارَاةِ مَنْ يَتَّقِي فُحْشَهُ . رقم الحديث : 2591 . 4 / 2002 .

(3) سورة المائدة : رقم الآية (٢٨) .

الأساس الثاني / الشريعة الإسلامية :

الشريعة لغة من الفعل الثلاثي (شرع) أي مورد الشاربة و الشريعة أيضا ما شرع الله لعباده من الدين وقد شرع لهم أي سن ، لقوله ﷺ : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ (1) و شرع في الأمر أي خاض ، و شرعت الباب إلى الطريق أي أنفذته إليه (2) .

وتعرف الشريعة في الاصطلاح بأنها :

1- « الأحكام الموجودة في القرآن الكريم والسنة النبوية والتي هي وحي من الله إلى نبيه محمد ﷺ ليلبغها إلى الناس » (3) .

2- « سن التعاليم الدينية وبيان العقيدة التي يجب الإيمان بها ، وعبادة الله على أساسها ، وإصدار الأوامر والنواهي التي تحقق ذلك لئله » (4) .

ومن هذه التعريفات يتبين لنا أن الشريعة هي تلك التكاليف العملية أي

(1) سورة الشورى : رقم الآية (١٣) .

(2) انظر : لسان العرب : مادة (شرع) . 8 / 175 - 177 . مختار الصحاح : مادة (شرع) :

1 / 141 . النهاية في غريب الحديث والأثر : مادة (شرع) . 2 / 461 .

(3) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية . عبد الكريم زيدان . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط 16 /

1421 هـ - 2001 م . ص / 35 .

(4) الأخلاق في الشريعة الإسلامية . أحمد العليان . دار النشر الدولي . ط / 1 : 1420 هـ .

ص / 93 . وأيضاً : النظام الإجتماعي والخلقي في الإسلام . محمد أحمد حسن ، أحمد فؤاد

محمود . دار النشر الدولي . ط 1 / 1424 هـ - 2004 م : ص / 119 .

العبادات التي سنّها الله ﷻ لعباده وهي برهان أصيل لمدى تعمق العقيدة في نفس المؤمن « وعن هذه الأصالة يصدر المجتمع في تقاليده وأعرافه الإسلامية كما يصدر الفرد في سلوكه وأمانته ، وانضباطه الذاتي ، وإقباله على تعلم الشريعة ، وتطبيق أحكامها على نفسه دون الحاجة إلى رقيب ، أو جلاد رهيب يدفعه إلى تنفيذ الأوامر دفعاً كما يحدث لدى الأمم ذات القوانين الوضعية »⁽¹⁾ .

علاقة الأخلاق بالشريعة :

لا يخفى على مسلم ما للشريعة من أثر عظيم في تربية سلوك الفرد والمجتمع ، فلقد جعل الله ﷻ الصلاة - وهي أهم العبادات - سبباً في ترويض النفس البشرية وحملها على مكارم الأخلاق والنأي بها عن مفسدها ، قال الله ﷻ في محكم تنزيله :
 ﴿ أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾⁽²⁾ ، كذلك الزكاة والحج والصوم وجميع العبادات ليست إلا ضوابط تضبط سلوك المؤمن وتعلمه الترابط والتكاتف مع من حوله من المسلمين وغيرهم .

وفي المقابل فإن الشريعة لن تؤتي ثمارها ولن تحقق الغاية المرجوة من سنّها إن لم يصاحبها خلق إسلامي رفيع ، فإن تجردت منها فستصبح مجرد حركات رياضية وتكون قد فلوقت المقصود الذي أراده شارعها ﷻ .

(1) الأخلاق في الشريعة الإسلامية . أحمد العليان . مرجع سابق : ص / 104 .

(2) سورة العنكبوت : رقم الآية (45) .

ولنا في إجابة الرسول ﷺ لأصحابه خير مثال على ذلك ، فعندما سألوه عن امرأة كثيرة الصلاة والتعبد لله ﷻ ولكنها تؤذي جيرانها ، فقال ﷺ : « هي في النار » (1) .

كذلك يقول النبي ﷺ مبيناً العاقبة الوخيمة بسبب هذا الانفصال « أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ . قالوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ . فقال : إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » (2) .

إن هذا المصير هو نتيجة مؤكدة لذلك القصور في فهم واستيعاب مفهوم

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل : من حديث أبي هريرة . رقم الحديث : 2 . 9673 / 440 . المستدرک علی الصحیحین . محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري . تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية - بيروت - 1411 هـ - 1990 م . ط / 1 : رقم الحديث : 4 . 7305 / 184 . صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان . ذكر الإخبار عما يجب على المرء من ترك الوقعة في المسلمين وإن كان تشميره في الطاعات كثيرا . رقم الحديث : 5764 . 77 / 13 .

(2) صحيح مسلم . كتاب البر والصلة والآداب . باب تحريم الظلم . رقم الحديث : 2581 .

الشريعة الإسلامية والذي نبع من عوامل عديدة أهمها الجلبة العلمانية والغزو الفكري الوافد الذي حاول حصر الدين في الطقوس وتشبيهه بالدين المسيحي أو اليهودي أو غيرهما مكرراً عن فهم ، أو جهلاً عن قلة علم ، فتشوهت صورة الشريعة عند بعض من المسلم ين وقاموا بفصلها عن الأخلاق وهي المحرك الأساسي لها ، ولن تؤتي هذه الشريعة ثمارها إلا عند أخذها لمكانها الطبيعي في بؤرة التطبيق العملي في حياة كل مسلم .

ثالثاً / خصائص الأخلاق الإسلامية :

تأتي كلمة الخصائص من الفعل الثلاثي (خصص) « فالحاء والصاد أصل مطرد و هو يدل على الفرجة والثلمة »⁽¹⁾ ، و « خَصَّه بالشيء يُخَصِّه خَصّاً وَخُصُوصاً وَخُصُوصِيَّةً وَخُصُوصِيَّةً ، والفتح أفصح ، وَخَصَّصَهُ وَخَتَّصَهُ . أَفْرَدَهُ به دون غيره ، ويقال: اخْتَصَّ فلانٌ بالأمر وتخصَّص له إذا انفرد »⁽²⁾ ، ويقول صاحب كتاب التعريفات « الخصوص : أحدية كل شيء عن كل شيء بتعيينه ، فلكل شيء وحدة تخصه »⁽³⁾ ، وتُعرَّف كلمة الخصائص في الاصطلاح بكونها الصفات التي تميز - أي أمر - عن غيره وتفردته وتظهر فضله على غيره⁽⁴⁾ .

(1) معجم مقاييس اللغة . مادة (خصص) : 3 / 133 .

(2) لسان العرب : مادة (خصص) . 7 / 24 .

(3) التعريفات . علي بن محمد بن علي الجرجاني . تحقيق: إبراهيم الأبياري . دار الكتاب العربي -

بيروت . ط1 / 1405 هـ : 1 / 133 .

(4) خصائص أهل السنة والجماعة دراسة وبيان . صالح بن عبد الرحمن بن إبراهيم الدخيل . رسالة

مقدمة لنيل درجة الدكتوراه من قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى .

أما أهم خصائص الأخلاق الإسلامية :

1- ربانية المصدر :

من أهم ما يميز أخلاقنا الإِسلامية أنها مستمدة من كتاب الله ﷺ وسنة نبيه « فهي ليست رأياً بشرياً ولا نظاماً وضعياً ... هي ربانية الهدف والغاية والقصد»⁽¹⁾ ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾⁽²⁾ .

2- عبادية القصد وثنائية الجزاء :

نرى التداعي المهول للأخلاق الوضعية على مرّ الأزمان وذلك لانتفاء الحافز الذي يضمن استمرارية وجودها ، أما الأخلاق الإسلامية فهي تلزم أصحابها بسلامة النية والقصد وتخليص هذه الأخلاق من أي شوائب وتوجيهها إلى الله ﷻ ، كما جاء في حديث المصطفى ﷺ : « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَىٰ »⁽³⁾ .

ويترتب على ذلك الإخلاص الوعد العظيم من الله ﷻ في الدنيا والآخرة للمتمثل بالأخلاق الحسنة في معاملته مع الناس ، يقول الله ﷻ ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ

(١) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً . محمود محمد الخزندار . دار طيبة للنشر والتوزيع . بدون

طبعة : ص / 19 .

(٢) سورة آل عمران: رقم الآية (١٦٤) .

(٣) وهو جزء من حديث في صحيح البخاري . كتاب الإيثار ، باب ما جاء أن الأعمال بالنية

والحسبة ولكل امرئ ما نوى . رقم الحديث : 54 / 1 . 34 .

مَثْكَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرُّهُ. ﴿١﴾ والوعيد الشديد لمن أعرض عن هذه الأخلاق وعمل بخلافها حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (2) .

3 - الشمول :

تتميز الأخلاق في الشريعة الإسلامية بالشمول يقول الحق تبارك وتعالى :
﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (3) .

ولقد وضح لنا ديننا الإسلامي الحنيف كيفية تعامل الإنسان مع ربه وخالقه وتعامله مع نفسه ومع غيره فعن أبي ذر الغفاري قال: قال لي رسول الله ﷺ: « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ (4)» .

قال العلامة ابن رجب الحنبلي رحمه الله : « فهذه الوصية وصية عظيمة جامعة لحقوق الله وحقوق عباده » (5) .

(١) سورة الزلزلة: رقم الآية (٧) .

(٢) سورة الهمزة: رقم الآية (١) .

(٣) سورة النحل: رقم الآية (٨٩) .

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، من حديث أبي ذر الغفاري ﷺ رقم الحديث : 21392 .

5 / 153 . سنن الترمذي . كتاب البر والصلة . باب في حسن الخلق . باب ما جاء في مُعَاشِرَةِ

الناس . رقم الحديث : 1987 . 4 / 355 . المعجم الكبير . سليمان بن أحمد بن أيوب أبو

القاسم الطبراني . تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي . مكتبة الزهراء - الموصل - ط 2 /

1404 هـ - 1983 م : رقم الحديث : 296 . 20 / 144 .

(٥) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم . زين الدين أبي الفرج

عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي . تحقيق: شعيب الأرنؤوط / إبراهيم باجس . مؤسسة

الرسالة - بيروت . ط 7 / 1417 هـ - 1997 م : 1 / 158 .

بل تجاوز الأمر ذلك إلى علاقة الإنسان مع غيره من الكائنات الأخرى ، يقول الله ﷻ : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَالِكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ تُؤْمَرُ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (1) .

4 - الكمال :

إن التشريعات الأخلاقية الوضعية لا بد وأن تخضع لهوى القلوب حتى وإن نادى في ظاهرها بمبادئ الإنصاف والعدل « وهي إلى ذلك قاصرة بقصور عقول أصحابها حيث تتغير النظم بتغير العصور والظروف أو الأشخاص أو التجارب » (2) .

بل إننا إذا أمعنا النظر سنرى أن مفكري الغرب نادوا بالأخلاق لا بما يرفع من شأنها ويعلي من منزلتها كنظرية نيتشة وفرويد ومكيا فيلبي وغيرهم أما الأخلاق الإسلامية فأنت كاملة لا نقص فيها ولا غموض فقد عالجت أمور الدين والدنيا ولم تترك ثغرة إلا وقد قامت بسدها ، يقول الله ﷻ : ﴿ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا نَحْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْبَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (3) .

(1) سورة الأنعام : رقم الآية (٣٨) .

(2) الأخلاق في الشريعة الإسلامية . أحمد العليان . مرجع سابق : ص / 32 . وأيضاً : النظام الاجتماعي والخلقي في الإسلام . محمد أحمد حسن ، أحمد دفؤاد محمود . مرجع سابق : ص / 267 .

(3) سورة الأنعام : رقم الآية (153) .

5 - الثبات :

ويقصد بثبات الأخلاق الإسلامية أنها صالحة لكل زمان ومكان لا تتغير ولا تتبدل لأن مشرعها هو الله ﷻ العالم بما يصلح حال الإنسان على مر الأزمان ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (1) .

وعلى عكس النظام الأخلاقي الإسلامي نجد النظم الوضعية « تدور مع المصالح والأهواء تدير صاحبها على حسب قلبها » (2) .

6 - التوازن والوسطية :

ويتجلى التوازن في الأخلاق الإسلامية بكونها لا يطغى جانب فيها على جانب فكما تشجع صفات القوة والشجاعة فهي أيضاً تأمر بصفات العفو والتسامح ، يقول الله ﷻ : ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (3) ، وقوله ﷻ : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (4) .

7 - الواقعية (موافقتها للفطرة) :

فقد جاءت الأخلاق الإسلامية بكل ما يوافق الطبيعة البشرية ويكملها

(1) سورة فاطر : رقم الآية (43) .

(2) هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً . محمود محمد الخزندار . مرجع سابق : ص / 20 .

(3) سورة الشورى : رقم الآية (40) .

(4) سورة النحل : 126 .

ويرقى بها إلى المثالية ، لا بما يصادمها ، فالله ﷻ خالق الإنسان ما شرع أمراً إلا وهو
عالم بمدى صلاحيته لفطرة من خلقه ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّذِينَ فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ
لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (1) .



الفصل الأول

مفهوم الرفق في الإسلام ومجالاته

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الرفق مع ذكر ما يرادفه وما يقابله .

المبحث الثاني : الأساليب المنافية للرفق في الدعوة إلى الله ﷻ .

المبحث الثالث : نصوص الرفق من الكتاب والسنة وأقوال العلماء .

المبحث الرابع : الرفق في مجال الدعوة إلى الله ﷻ .

المبحث الخامس : رفق الإنسان مع نفسه وغيره .

المبحث السادس : الرفق بالضعفاء .

المبحث السابع : رفق الراعي بالرعية .



المبحث الأول

تعريف الرفق مع ذكر ما يرادفه وما يقابله

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الرفق .

المطلب الثاني : الفرق بين مفهوم الرفق ومفهوم المداهنة .

المطلب الثالث : مرادفات الرفق .

المطلب الرابع : ما يقابل الرفق .



المطلب الأول

تعريف الرفق

1 - تعريف الرفق في اللغة :

يُبين بعض علماء اللغة المراد بالرفق فقالوا بأنه :

« حسن الانقياد لما يؤدي إلى الجميل »⁽¹⁾ .

وهو ضد (الخرق والعنف)⁽²⁾ .

والمادة مشتقة من (رفق) ف « الفاء والراء والقاف أصل واحد يدل على

موافقة ومقاربة بلا عنف »⁽³⁾ .

و « رفق يرفق رفقاً فهو رفيق بكذا أي لطيف به »⁽⁴⁾ .

والرفق هو : « لين الجانب⁽⁵⁾ ولطافة الفعل »⁽⁶⁾ .

-
- (1) التوقيف على مهمات التعاريف . محمد عبد الرؤوف المناوي . تحقيق : محمد عبد الرضوان الداية . دار الفكر المعاصر - بيروت . ط 1 / 1410 هـ . باب الراء . فصل الفاء : 1 / 105 .
أيضاً : شرح القاموس المسمى بتاج العروس من جواهر القاموس للإمام اللغوي محب الدين أبي الفيض السيد محمد الواسطي الزبيدي الحنفي . المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر . ط 1 / 1306 هـ : مادة (رفق) . 6 / 358 .
- (2) القاموس المحيط : مادة (رفق) : 1 / 1145 . جمهرة اللغة . أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد . تحقيق : رمزي البعلبكي . دار العلم للملايين . ط 1 / 1784 م : مادة (رفق) . 2 / 784 . مختار الصحاح . الرازي : 1 / 105 .
- (3) معجم مقاييس اللغة . ابن فارس . باب الراء والفاء وما يثلاثها . 2 / 418 . لسان العرب . ابن منظور . مادة (رفق) : 10 / 118 .
- (4) لسان العرب : مادة (رفق) : 10 / 118 . جمهرة اللغة لابن دريد : 2 / 784 .
- (5) النهاية في غريب الحديث والأثر . الجزري : مادة (رفق) . 2 / 246 .
- (6) أساس البلاغة . أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري . دار الفكر - 1399 هـ / 1979 م : مادة : (رفق) . 1 / 243 . إكمال الأعلام بتلخيص الكلام . محمد بن عبد الله الطائي الجبلي . تحقيق : سعد بن حمدان المالكي . جامعة أم القرى - مكة المكرمة . ط 1 / 1404 هـ - 1984 م : 1 / 258 . لسان العرب : 10 / 118 .

ويقال « أرفقته أي نفعته⁽¹⁾ وأحسن الصنع له ، واسترفقته فأرفقني بكذا أي نصحني » . ويطلق الرفق أيضاً على « الماء القصير الرشاء ، ويقول العرب طلبت حاجة فوجدتها رفق البغية إذا كانت سهلة »⁽²⁾ .
« وفي ماله رفق أي قلة »⁽³⁾ .

والرُفقة (بضم الراء أو كسرهما) أي الجماعة يترافقون في السفر⁽⁴⁾ .
والرفيق المرافق والجمع رفقاء لقوله ﷺ : ﴿ وَحَسَنَ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا ﴾⁽⁵⁾ .
فإذا تفرقوا ذهب اسم الرفقة⁽⁶⁾ .

ويتبين مما سبق أن أصل الكلمة يدل على التلطف في أخذ الأمور مع محاولة بلوغ المقصود بأيسر الطرق وألطفها ، فيرادف الرفق كل كلمة تدل على الموافقة والمقاربة بلا عنف كالرحمة والعطف واللطف والرأفة وغيرها من المصطلحات

2 - تعريف الرفق في الاصطلاح :

إن مفهوم الرفق - بلفظه - لم يذكر بتعريف واضح ولم أجد من أشار إليه بمفهومه الاصطلاحي - حسب علمي - إلا صاحب كتاب (فتح الخلاق في مكارم الأخلاق) .

-
- (1) القاموس المحيط : 1 / 1145 . لسان العرب : 10 / 118 . مختار الصحاح : 1 / 105 .
(2) القاموس المحيط : 1 / 1145 . معجم المقاييس في اللغة . أحمد بن فارس . باب الراء والفاء وما يثلاثها . 2 / 418 . لسان العرب : 10 / 118 .
(3) لسان العرب : 10 / 118 .
(4) لسان العرب لابن منظور : 10 / 118 .
(5) سورة النساء: جزء من الآية رقم (٦٩) .
(6) تاج العروس . الزبيدي : 6 / 358 . لسان العرب : 10 / 118 .

ولقد ذكر في تعريفه أن الرفق هو « التذرع بالشفقة والرحمة مع جميع المخلوقات لا فرق بين إنسان وحيوان والعطف على البؤساء والضعفاء ومعاملة جميع الناس بالرأفة ولين الجانب والابتعاد عن القسوة والغلظة »⁽¹⁾.

ولعل ما يهمننا أن نقوم بتعريف الرفق كخلق سلوكي للداعية إلى الله ﷻ فالرفق هو : « إرادة نفع المدعو والإحسان إليه وعدم تعنيفه وتوبيخه جاعلاً اللطف معه جسراً لتحقيق الغاية الكبرى من الدعوة إلى الله وهي هداية الناس إلى ربهم ﷻ » .

3 - ورود لفظ الرفق في القرآن الكريم :

لا شك بأن الآيات القرآنية الكريمة قد أثنت على هذا الخلق الرفيع إلا أنها قد حثت عليه بمعناه أما لفظه في القرآن الكريم وما تصرف منه فقد جاء في أكثر من آية ومنها قول الله ﷻ: ﴿ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾⁽²⁾ والرفيق هو الصديق المرافق مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولاً وفعلاً وسرمي الرفيق كذلك لارتفاق الإنسان واعتماده عليه⁽³⁾ وقول الله ﷻ: ﴿ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾⁽⁴⁾ وقول الله ﷻ: ﴿ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾⁽⁵⁾ والمرتفق هو الشيء

(1) فتح الخلاق في مكارم الأخلاق . أحمد سعيد الدجوي . تحقيق : عبد الرحيم مارديني . مكتبة

دار المحبة . الطبعة الأولى : 1411 هـ . 1991 م . ص / 113 .

(2) تقدم تحريج الآية في نفس الصفحة .

(3) انظر : تفسير أبي السعود : 2 / 198 . الجامع لأحكام القرآن . محمد القرطبي : 5 / 271 .

(4) سورة الكهف : رقم الآية (29) .

(5) سورة الكهف : رقم الآية (31) .

الذي « يرتفق به فهو من الرفق وقيل يرتفق عليه فهو من الارتفاق بمعنى الاتكاء »⁽¹⁾ ففي الآية الأولى يخبر الله ﷻ أي ساءت مكان للاتكاء والارتفاق عليه فإنه لن يجد فيه لا لطف ولا لين⁽²⁾ إنما عذاب وجحيم خلافاً لجزاء المحسنين في الآية الثانية الذين هيا الله لهم جنات عدن مكاناً هيناً ليناً يجدون فيه من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

أما قول الله ﷻ : ﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوْا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾⁽³⁾ .

أي أمراً « يرفق بنفوسكم فيعطيهما من لذات عبادته ما ينسيها سائر اللذات »⁽⁴⁾ ويغنيكم فيه عن سائر الأمور .

(1) التسهيل لعلوم التنزيل . محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبلي . دار الكتاب العربي - لبنان .

1403 هـ - 1983 م . ط 4 . 2 / 187 .

(2) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن . أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري

(المعروف بتفسير الطبري) . دار الفكر - بيروت - 1405 هـ : 15 / 237 .

(3) سورة الكهف : رقم الآية (16) .

(4) محاسن التأويل . جمال الدين القاسمي . مؤسسة التاريخ العربي - بيروت . 1415 هـ :

المطلب الثاني

الفرق بين مفهوم الرفق ومفهوم المداهنة

مما يشكل و يلتبس عند بعض الناس في شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الخلط وعدم التمييز بين الرفق وهو مداراة المدعوين وبين المداهنة⁽¹⁾ المنهي عنها . وفي ذكر الفرق بينهما يقول ابن بطال : « إن المداراة من أقوى أسباب الألفة وظن بعضهم أن المداراة هي المداهنة فغلط لأن المداراة مندوب إلي ها ، والمداهنة محرمة والمداهنة فسرها العلماء أنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه والمداراة هي الرفق بالجاهل في التعليم وبالفاستق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتاج إلى تألفه ونحو ذلك »⁽²⁾ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فلا بد من هذه الثلاثة : العلم ، والرفق ، والصبر ، العلم قبل الأمر والنهي ، والرفق معه والصبر بعده ، وإن كان كل من الثلاثة لا بد أن يكون مستصحباً في هذه الأحوال »⁽³⁾ .

(1) المداهنة : أي المصانعة والمدهن هو المظهر لخلاف ما يبطن وأدهن أي غش (انظر : لسان العرب مادة : دهن . 13 / 162 . أيضاً : مختار الصحاح . مادة دهن . 1 / 89) ولقد عرف ابن حجر العسقلاني رحمه الله أن المدهن هو : المحابي والمراد به من يرثي ويضيع الحقوق ولا يغير المنكر وهو المعنى المراد هنا (فتح الباري بشرح صحيح البخاري . أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي . تحقيق : محب الدين الخطيب . دار المعرفة - بيروت . بدون طبعة أو تاريخ نشر : 5 / 295) .

(2) المصدر السابق : 10 / 528 . باختصار

(3) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني . تحقيق : محمد جميل غازي . مكتبة المدني - جدة : ص / 30 .

إن الفرق المقصود تطبيقه يكون في الأسلوب وليس بغض الطرف عما حرم الله وعدم الغيرة على محارمه ﷺ .

فيُعلم مما سبق الفرق بين المداراة والمداهنة ، فبالفرق يستمع الداعية إلى المدعو ويتبين السبب الذي دفعه إلى ارتكاب المنكر فلربما كان جاهلاً أو ناسياً ، ثم يبدي الحكم الشرعي بأيسر الطرق وأرفقها دون تعنيف أو تجريح .

يقول الإمام البغوي في تفسير قول الله ﷻ : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (1) « بمعنى دارياه وأرفقابه » (2) .

أما المداهنة فقد ذمها الله ﷻ فقال في محكم تنزيله : ﴿ وَدُّوْا لَوْ تَدُهْنُ فَيَذْهَبُونَ ﴾ (3) .

وهي التي وقع بسببها بنو إسرائيل في دائرة العذاب ، قال الله ﷻ : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (4) .

ولقد بين الرسول ﷺ سوء عاقبة المداهن حيث قال : « مَثَلُ الْمُدْهِنِ (5) فِي

(١) سورة طه : رقم الآية (44) .

(٢) تفسير البغوي . تحقيق : خالد عبد الرحمن العك . دار المعرفة - بيروت . بدون طبعة :

. 219 / 3

(٣) سورة القلم : رقم الآية (٩) .

(٤) سورة المائدة : رقم الآية (٧٨ - ٧٩) .

(٥) أي المصانع والمواري والغاش (انظر : لسان العرب ، مادة (دهن) : (13 / 162)

حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا مِثْلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا⁽¹⁾ سَفِينَةً فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمْرُونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا فَتَأَذَّوْا بِهِ فَأَخَذَ فَأَسَا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ فَأَنَّهُ فَقَالُوا مَا لَكَ قَالَ تَأَذَّيْتُمْ بِي وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ وَإِنْ تَرَكَوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ»⁽²⁾.

ولا يفهم مما سبق أن المداراة والرفق هما الصورتان الوحيدتان عند الدعوة إلى الله ﷻ فإن من أرفق الرفق أن تستخدم الشدة في بعض الأحوال التي تقتضي ذلك نهوضاً بالدعوة الإسلامية وإنجاحاً لها⁽³⁾.

(1) أي اقترعوا (لسان العرب . مادة : سهم . 12 / 314) .

(2) صحيح البخاري . كِتَابُ الشَّهَادَاتِ . بَابُ الْقُرْعَةِ فِي الْمَشْكَلَاتِ رَقْمُ الْحَدِيثِ : 2686 .

. 954 / 2

(3) كما سنرى في المبحث الرابع من هذا الفصل بإذن الله ﷻ .

المطلب الثالث

مرادفات⁽¹⁾ الرفق

1 - الرأفة :

(أ) تعريف الرأفة لغةً :

الرأفة هي « رفع المكروه وإزالة الضرر »⁽²⁾ .

ولقد فرق أهل اللغة بين الرأفة والرحمة بأن الصفة الأولى هي شدة الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهة إلا للمصلحة ، وهي أخص من الرحمة وأرق⁽³⁾ .

-
- (1) والمترادف كما عرفه الجرجاني في التعريفات : « ما كان معناه واحداً وأسماءه كثيرة، وهو ضد المشترك ، أخذاً من الترادف، الذي هو ركوب أحد خلف آخر، كأن المعنى مركوب واللفظين راكبان عليه، كالليث والأسد » (التعريفات . الجرجاني : ص / 64)
- وقد عزى أحمد بن مصطفى الدمشقي صاحب كتاب اللطائف في اللغة (معجم أسماء الأشياء) كثرة المترادفات في اللغة العربية إلى بعض الأسباب أذكر منها :
- أ - كثرة اللهجات فقد يكون للشيء الواحد في كل لهجة اسماً .
- ب - الاستعارة من اللغات الأجنبية مثل الألفاظ المستعارة من الفارسية والرومية وغيرها .
- ج - الطور اللغوي للفظ الواحد فقد تتطور بعض الأصوات للكلمة الواحدة فتشأ للكلمة عدة مترادفات لاختلاف النطق بها أكثر من شكل كتابي فيعدها اللغويون ترادفاً مثل هطلت السماء وهتلت وهنت وأصلهم واحد وتمتلىء كتب الأبدال بمثل هذه الكلمات (اللطائف في اللغة (معجم أسماء الأشياء) . دار الفضيلة - القاهرة . بدون طبعة . 1 / 24) .
- (2) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية . أبو البقاء أيوب الحسيني الكفومي . تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري . مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419 هـ - 1998 م . فصل الرأفة . 1 / 471 . أيضاً : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم م والسبع المثاني . أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي . دار إحياء التراث العربي - بيروت . 2 / 7 .
- (3) مختار الصحاح . محمد الرازي : 1 / 96 . لسان العرب . ابن منظور . 9 / 112 .

(ب) تعريف الرأفة في الاصطلاح :

من خلال التعريف اللغوي نستطيع أن نستنبط تعريفاً للرأفة ، ألا وهو :
« التلطف مع الناس بدفع الضر عنهم والعطف عليهم بأيسر العبارات وأرق الأفعال » .

(ج) معنى لفظ الرأفة في القرآن الكريم :

ذكر المفسرون أن الرأفة هي « الشفقة والرحمة الإحسان »⁽¹⁾ .

وقال بعضهم « الرأفة تكون دفع المكروه والرحمة إيصال المحبوب »⁽²⁾ ، وقال سفيان الثوري « الرأفة للمذنبين والرحمة للتائبين »⁽³⁾ .

ويقول الله ﷻ : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلَّةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي

دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلِشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَافِئَةً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ أَي
« لا تحملنكم الشفقة عليهما على ترك الحد »⁽⁵⁾ .

والرؤوف صفة من صفات الله ﷻ ، يقول الله ﷻ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَسْتَرِي

(١) روح المعاني . الألويسي : 2 / 7 .

(٢) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم . نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي . تحقيق :

محمود مطرجي . دار الفكر - بيروت . 2 / 495 .

(٣) المرجع السابق : نفس الجزء والصفحة .

(٤) سورة النور : رقم الآية (2) .

(٥) تفسير السمرقندي . 2 / 495 .

نَفْسُهُ أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿١﴾ فهو رحيم بعباده عطوف عليهم بالطفاه .

والرؤوف أيضاً صفة من صفات رسوله الكريم ﷺ ، يقول الله ﷻ : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (2) .

وعند اجتماع الصفتين (الرحمة والرأفة) يراد بالصفة الأولى شدة الرحمة ولا تكاد تقع في الكراهة إلا للمصلحة ، وهي أخص من الرحمة (3) وأرق ولقد قدمت الرأفة - في هذه الآية - باعتبار أن من آثارها دفع المضار وأخرت الرحمة عنها باعتبار أن من آثارها جلب المنافع والأول أهم من الثاني (4) ، ولهذا قدمت أيضاً في قوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِنَاءَ يَتَدْعَوْنَهَا

(١) سورة البقرة : رقم الآية (207) .

(٢) سورة التوبة : رقم الآية (128) .

(٣) تفسير أبي السعود . مرجع سابق : 4 / 114 . تفسير البيضاوي . دار الفكر - بيروت . بدون طبعة . 3 / 181 . تفسير القرطبي : 2 / 158 . زاد المسير في علم التفسير . عبد الرحمن الجوزي . المكتب الإسلامي - بيروت . الطبعة : الثالثة - 1404 هـ . 1 / 156 . فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . محمد بن علي الشوكاني . دار الفكر - بيروت . بدون طبعة . 1 / 151 . مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح . علي بن سلطان القاري . تحقيق : جمال عيتاني . دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت . ط 1 / 1422 هـ - 2001 م . الطبعة :

الأولى . 7 / 270

(٤) انظر : روح المعاني . الألوسي . مرجع سابق : 11 / 53 .

مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِفُونَ ﴿١﴾

2 - الرحمة :

(أ) الرحمة في اللغة :

الرحمة : « مصدر من الفعل الثلاثي (رَحِمَ) وهي الرقة والتعطف » (2) ،
ف « الرء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة يقال من ذلك
رحمه يرحمه إذا رق له وتعطف عليه » (3) .

وتعرف أيضاً بأنها « رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم » (4) .

(ب) تعريف الرحمة في الاصطلاح :

التعريف الأول : « رقة في القلب يلامسها الألم حينما تدرك الحواس أو يتصور
الفكر وجود الألم عند شخص آخر ، أو يلامسها السرور حينما تدرك الحواس أو
يتصور الفكر وجود المسرة عند شخص آخر » (5) .

التعريف الثاني : « كمال في الطبيعة - أي طبيعة الإنسان - يجعل المرء يرق
لآلام الخلق ويسعى لإزالتها ويأسى لأخطائهم فيتمنئهم الهدى » (6) .

(١) سورة الحديد : رقم الآية (27) .

(٢) مختار الصحاح . الرازي . 1 / 100 . لسان العرب : 12 / 230 .

(٣) معجم مقاييس اللغة : ابن فارس : 2 / 498 .

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف : 1 / 360 . تاج العروس : الزبيدي : 32 / 225 .

(٥) الأخلاق في الشريعة الإسلامية . أحمد عليان . مرجع سابق : ص / 201 .

(٦) خلق المسلم . محمد الغزالي . دار البيان للتراث - القاهرة . الطبعة الأولى : 1408 هـ / 1987 م .

التعريف الثالث : « إفاضة الخير وإرادة إيصاله (أي للناس) »⁽¹⁾ .

التعريف الرابع : « التعبير الخلقى العملي عن تعاطف الإنسان مع أخيه الإنسان حين يواجه الألم أو المرض أو حين يقع في مأزق أو مصيبة ولا يجد الخلاص لذلك »⁽²⁾ .

التعريف الخامس : « رقة القلب وحساسية في الضمير وإرهاق في الشعور تستهدف الرأفة الآخرين والتألف لهم والعطف عليهم وكفكفة دموع أحزانهم وآلامهم »⁽³⁾ .

إذاً وعلى ضوء التعريف اللغوي وما سبق من تعريفات اصطلاحية نستخلص أن الرحمة تعني : « الرقة والعطف على البشر بترك التثريب والم وأخذة باللذنب والتحبب إليهم في الأقوال والأفعال » .

(ج) معنى لفظ الرحمة في القرآن الكريم :

وقد جاءت الرحمة في القرآن بمعاني متعددة منها :

1- الجنة⁽⁴⁾ : قال الله ﷻ : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾⁽⁵⁾ .

(1) دستور العلماء : 2 / 95 .

(2) الأخلاق في الإسلام مجموعة من المؤلفين منهدم / كايد قرعوش مرجع سابق : ص / 228 .

(3) أخلاق المسلم وآدابه . بدر عد الرزاق الماص . مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع . الطبعة الأولى : 1418 هـ - 1998 م . ص / 41 .

(4) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي . تحقيق : صفوان عدنان داوودي دار القلم / بيروت ، الدار الشامية / دمشق . الطبعة : الأولى : 1415 هـ : 1 / 414 .
تنوير المقباس من تفسير ابن عباس . الفيروز آبادي . دار الكتب العلمية - لبنان . بدون طبعة : 138 / 1 .

(5) سورة الأعراف : رقم الآية (151) .

2 - النبوة⁽¹⁾ ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾⁽²⁾ .

3 - الخصب والنماء بعد القحط والمجاعة⁽³⁾ ، يقول الله ﷻ : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾⁽⁴⁾ .

4 - الأمن والشفقة⁽⁵⁾ ، يقول الله ﷻ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾⁽⁶⁾ .

-
- (1) انظر : تفسير أبي السعود : 1 / 141 . تفسير البغوي : 1 / 103 . فتح القدير : 1 / 125 . تفسير الجلالين . محمد بن أحمد و عبدالرحمن بن أبي بكر المحلي و جلال الدين السيوطي . دار الحديث - القاهرة . ط 1 : 1 / 22 . الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل . أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي . تحقيق : عبد الرزاق المهدي . دار إحياء التراث العربي - بيروت : 1 / 201 .
- (2) سورة البقرة : رقم الآية (105) .
- (3) انظر : تفسير القرآن العظيم . أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي : 2 / 413 . فتح القدير . الشوكاني : 2 / 434 . تفسير الواحدي : 1 / 493 . تفسير الجلالين : 1 / 269 .
- (4) سورة يونس : رقم الآية (21) .
- (5) والمقصود أن الله ﷻ أرسل رسوله ﷺ أماناً لكلا الثقليين من العذاب فكان للمؤمنين وقاية لهم من عذاب الله لما اتبعوه وآمنوا به وأماناً للكافرين بأن أحرّ عنهم العذاب الذي لحق بالأمم السابقة من خسف ومسح وغير ذلك من أنواع العذاب الذي أحاط بهم . (انظر : تفسير البغوي : 3 / 271 . تفسير الواحدي : 2 / 725 . تفسير مجاهد . مجاهد بن جبر الم خزومي التابعي أبو الحجاج . تحقيق : عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي . المنشورات العلمية - بيروت . بدون طبعة : 1 / 417 . التسهيل لعلوم التنزيل : 3 / 33 . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : 4 / 103 . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . محمد الأمين بن محمد الجكني الشنقيطي . تحقيق : مكتب البحوث والدراسات . دار الفكر للطباعة والنشر / بيروت . 1415 هـ - 1995 م : 4 / 250 .
- (6) سورة الأنبياء : رقم الآية (١٠٧) .

5 - القرآن (1) ، كما في قوله ﷻ : ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (2) .

و « الرحمة من الله ﷻ إنعام وتفضل ومن الأدميريَّة وتَعَطَّفَ » (3) .

وعُلم من هذا القول أن اسم (الرحمن) المشتق من هذه الصفة مختص بالله ﷻ ولا يجوز أن يسمى به غيره فقد قال ﷻ : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (4) « فعاذل به الاسم الذي لا يشركه فيه غيره ، ولكن يقال رجل رحيم بمعنى ملر حوم (5) »

3 / الشفقة :

(أ) تعريف الشفقة في اللغة :

هي مصدر من الفعل الثلاثي (شَفِقَ) .

يقول ابن فارس « الشين والفاء والقاف أصل واحد يدل على رقة في الشيء » (6) .

-
- (1) تفسير البغوي : 2 / 164 . المحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي .
تحقيق: عبد الحميد هندراوي . دار الكتب العلمية - بيروت . ط 1 / 2000 م : 3 / 338 .
(2) سورة الأعراف: رقم الآية (٥٢) .
(3) تاج العروس : 32 / 226 .
(4) سورة الإسراء : 110 .
(5) مختار الصحاح . 1 / 100 . أيضاً: جمهرة اللغة : 1 / 524 .
(6) مقاييس اللغة . مادة (شفق) : 3 / 197 .

وتأتي كلمة (شفق) في اللغة بعدة معاني :

- 1 - الحذر⁽¹⁾ .
- 2 - الرحمة والرفقة والعطف والحنان⁽²⁾ .
- 3 - الرديء من الأشياء⁽³⁾ .
- 4 - حرص الناصح على صلاح المنصوح⁽⁴⁾ .
- 5 - البخل ، ومنه : شفق على الزاد إذا بخل به⁽⁵⁾ .

والذي يعيننا في هذه المعاني اللغوية هو ما أتى في معنى الشفقة بأنها الرحمة والرفقة والعطف والحنان ، كما يقصد به الحذر وحرص الناصح على صلاح المنصوح .

-
- (١) لسان العرب . مادة (شفق) : 10 / 179 . مختار الصحاح . مادة (شفق) : 1 / 144 . المعجم الوسيط . مادة (شفق) : 1 / 487 . جمهرة اللغة . مادة (شفق) : 2 : 874 . تاج العروس . مادة (شفق) : 25 / 509 .
 - (٢) المصباح المنير . مادة (شفق) : 1 / 318 . المعجم الوسيط . مادة (شفق) : 1 / 487 . تاج العروس : 25 / 508 . أساس البلاغة . الزمخشري : 1 / 333 .
 - (٣) مقاييس اللغة . مادة (شفق) : 3 / 197 . تهذيب اللغة . مادة (شفق) : 8 / 261 . تاج العروس : 25 / 507 . أساس البلاغة : 1 / 333 .
 - (٤) تاج العروس : 25 / 508 . لسان العرب : 10 / 180 . تهذيب اللغة : 8 / 261 .
 - (٥) معجم الأفعال المتعدية بحرف . موسى بن محمد بن الملياني الأحدي . دار العلم للملايين - بيروت . 1979 م : 1 / 181 .

(ب) تعريف الشفقة في الاصطلاح :

التعريف الأول : « رقة من نصح أو حب يؤدي إلى خوف »⁽¹⁾.

التعريف الثاني « هي صرف الهمة إلى إزالة المكروه عن الناس »⁽²⁾.

ويعلم مما سبق أن الشفقة هي رقة ورحمة تمازج القلب يصحبها الخوف

والحرص على سلامة المنصوح من نفس أو أهل أو غير ذلك .

فعن الحسن البصري - رحمه الله - أنه قال في آية : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءًا تَوًّا وَقُلُوبُهُمْ

وَجِلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾⁽³⁾ : « كانوا ما يعملون من أعمال البر وهم مشفقون أن

لا ينجيهم ذلك من عذاب الله عز وجل »⁽⁴⁾.

(١) موسوعة القيم والمكارم الأخلاق العربية الإسلامية (خلق الرحمة) . الباحث الرئيسي ورئيس

الفريق العلمي : مرزوق بن صنيان بن تنباك . دار رواح . ط 1 / 1421 هـ . 26 / 10 .

(٢) التعريفات . الجرجاني : 1 / 168 . دستور العلماء : 2 / 159 . معجم مقاليد العلوم .

السيوطي : 1 / 209 .

(٣) سورة المؤمنون : رقم الآية (٦٠)

(٤) شعب الإيمان . أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي . تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول . دار

الكتب العلمية - بيروت . الطبعة : الأولى : 1410 هـ : 1 / 478 .

(ج) معنى لفظ الشفقة في القرآن الكريم :

تأتي كلمة الشفقة في القرآن الكريم بمعنى :

- 1 - الخوف ⁽¹⁾ كقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنَ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ ⁽²⁾ ، وقوله ﷺ : ﴿ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴾ ⁽³⁾ .

2 - اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس ، كما جاء في قوله ﷻ :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْشَّفَقِ ﴾ ⁽⁴⁾ ، فسرها بذلك عدد من المفسرين في كتبهم ⁽⁵⁾ .

يقول صاحب كتاب المصباح المليون هذا هو المشهور في كتبنا ⁽⁶⁾ .

(١) لسان العرب : 1 / 180 . المعجم الوسيط : 1 / 487 . تهذيب اللغة : 8 / 261 . تاج

العروس : 25 / 508 . . أساس البلاغة : 1 / 333 .

(٢) سورة الأنبياء : رقم الآية (٢٨) .

(٣) سورة الأنبياء : رقم الآية (49) .

(٤) سورة الانشقاق : رقم الآية (١٦) .

(٥) من هذه الكتب : تفسير الجلالين : 1 / 800 . تفسير السعدي 1 / 917 . تفسير الطبري :

19 / 274 . تفسير ابن كثير : 4 / 490 . تفسير الطبري : 30 / 119 . تفسير أبي السعود :

9 / 133 .

(٦) المصباح المنير : 1 / 318 . وانظر أيضاً : مقاييس اللغة : 3 / 197 . جمهرة اللغة : 2 : 874 .

تاج العروس : 25 / 507 .

4 / اللطف :

(أ) اللطف في اللغة :

مصدر من الفعل الثلاثي (لُطِفَ) ف « اللام والطاء والفاء أصل يدل على صغر في الشيء »⁽¹⁾ .

وهو « ضد الجفاء »⁽²⁾ .

وهو « الرأفة والرفق »⁽³⁾ .

كما يطلق على معنى اللطف « البر والتكرمة »⁽⁴⁾ .

فاللطف « الذي يوصل إليك أربك في رفق »⁽⁵⁾ و « الذي لا يتجافى من الكلام وغيره »⁽⁶⁾ .

(1) مقاييس اللغة : 5 / 250 .

(2) تهذيب اللغة : 13 / 235 .

(3) انظر : لسان العرب : 9 / 317 . مقاييس اللغة : 5 / 250 . القاموس المحيط :

1 / 1102 . تاج العروس : 24 / 363 . تهذيب الأسماء واللغات . محي الدين بن شرف

النووي . تحقيق : مكتب البحوث والدراسات . دار الفكر - بيروت . ط 1 / 1996م :

3 / 303 .

(4) العين : 7 / 429 . تهذيب اللغة : 13 / 235 . الفرق . الفرق بين اللطف والرفق .

1 / 241 .

(5) لسان العرب . 9 / 316 . تاج العروس : 24 / 363 . الكليات : 1 / 797 .

(6) العين : 7 / 429 .

وإذا « وصف به الجسم فالمقصود به ضد الجثل وهو الثقيل » (1) .

(ب) اللطف في الاصطلاح :

التعريف الأول : « سلوك طريق توصل إلى المطلوب » (2) .

التعريف الثاني : « المبالغة في البر على أحسن وجوهه » (3) .

وعند التأمل فيما سبق نجد أن اللطف هو : « الوصول إلى المبتغى مع الحذر من إلحاق الأذى أو الإساءة للغير » .

(ج) معنى لفظ اللطف في القرآن الكريم :

اللطف صفة من صفات الله ﷻ واسم من أسمائه .

« وَمَعْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ الْبِرِّ بِعِبَادِهِ الْمُحْسِنِ إِلَى خَلْقِهِ بِإِيصَالِ الْمَنَافِعِ إِلَيْهِمْ بِرَفْقٍ
وَلُطْفٍ » (4) .

وفي التنزيل : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ
الْخَبِيرُ ﴾ (5) .

(1) المفردات في غريب القرآن . أبو القاسم الحسين بن محمد . تحقيق : محمد سيد كيلاني . دار المعرفة - لبنان : 1 / 450 .

(2) إجابة السائل شرح بغية الأمل . محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني . تحقيق : حسين بن أحمد السياغي - حسن محمد مقبولي الأهدل . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط 1 / 1986 م : 1 / 21 .

(3) مشارق الأنوار : 1 / 296 .

(4) تاج العروس : 24 / 364 .

(5) سورة الأنعام : 103 .

وقوله ﷻ : ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (1) .

أي رفيق بعباده (2) برهم من حيث لا يعلمون وقيل لطيف بعباده أي عليم بخفيات الأمور (3) .

5 / اللين :

(أ) تعريف اللين في اللغة :

مصدر من الفعل الثلاثي (لين) فـ « اللام والياء والنون كلمة واحدة وهي اللين ضد الخشونة » (4) و « الصعوبة » (5) .

وتستعمل الكلمة في الأجسام ثم تستعار للخلق ولغيره من المعاني فيقال فلان لين وفلان خشن وكل منهما يمدح به طوراً ويذم طـ ورا بحسب اختلاف المواضع (6) .

ويقال في ليان من العيش أي رخاء ونعمة (7) .

« وفلان ملينة أي لين الجانب » (8) .

(1) سورة الشورى : 19 .

(2) لسان العرب : 9 / 316 .

(3) انظر : مشارق الأنوار على صحاح الآثار . أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي المالكي . المكتبة العتيقة ودار التراث : 1 / 357 .

(4) مقاييس اللغة : 2 / 225 . تاج العروس : 36 / 135 .

(5) المصدر السابق : نفس الجزء والصفحة .

(6) التعريف : 1 / 360 .

(7) تاج العروس : 36 / 135 . مقاييس اللغة : 2 / 225 .

(8) المصدر السابق : نفس الجزء والصفحة .

(ب) تعريف اللين في الاصطلاح :

« سهولة الانقياد للحق والتلطف في معاملة الناس وعند التحدث إليهم⁽¹⁾ »

وهو تعريف مطابق لمفهوم اللين كخلق حميد في معاملة الناس يدفع

الإنسان لمعاملة غيره برقة وعطف خالية من الغلظة والحشونة .

(ج) معنى لفظ اللين في القرآن الكريم :

وقد جاءت الكلمة في التنزيل بمعنى النخل ، يقول الحق تبارك

وتعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِجَ

الْفَاسِقِينَ ﴾⁽²⁾ .

أي ما قطعتم من أي نوع من أنواع النخيل عدا العجوة⁽³⁾ فبأمر الله

وقضائه .

(1) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ . إعداد مجموعة من المختصين

بإشراف : صالح بن عبد الله بن حميد ، عد الرحمن بن محمد بن ملوح . دار الوسيلة للنشر

والتوزيع . 3296 / 8 .

(2) سورة الحشر : رقم الآية (5) .

(3) تفسير الطبري : 32 / 28 . تفسير القرآن . عبد الرزاق بن همام الصنعاني . تحقيق : د. مصطفى

مسلم محمد . مكتبة الرشد - الرياض . الطبعة : الأولى : 1410 هـ : 3 / 283 .

وأخيراً وبعد هذا العرض الجمل للألفاظ المرادفة لخلق (الرفق) يتضح لنا

ما يلي :

مما لا ريب فيه أن هذه الألفاظ جميعها تقع تحت مظلة معنى واحد ، ألا وهي :
« تحقيق المبتغى بأسهل الطرق وأيسرها » .

إلا أننا لو أمعنا النظر فيها لوجدنا تلك الاختلافات الدقيقة بين بعض

المصطلحات الواردة والتي تميز كل مصطلح عن غيره ، فعلى سبيل المثال

إن كلاً من المصطلحين (الرأفة والرحمة) يقتضيان رقة القلب وحساسية

الضمير ، ولكنها يختلفان في أن الرحمة قد تقع في المكروه ، بم عنى أن الإنسان قد

يُكْرَهُ على أمر ما إذا كان في الأمر مصلحة ويكون ذلك قمة الرحمة من المُكْرَهُ كإكراه

الأب لابنه على الاستذكار ، مما يكون رحمة له وعوداً في بلورة مستقبله - بإذن الله

تعالى - وكالحدود التي تجب على مستحقيها فتكون كفارة له من الذنب ووقاية له

من عذاب الآخرة - بإذن الله تعالى - .

أما الرأفة فلا تكون أبداً في مكروه والدليل قوله ﷺ : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا

كُلَّ وَجِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ

عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ، نهى الله ﷻ أن يكون هناك وجود لهذا الخلق عند

تطبيق الحدود .

وتأتي الشفقة متضمنة لمعاني العطف والتيسير والرقة إلا أنها تتميز عن غيرها

من المصطلحات المرادفة للرفق فيما يصحبها من شعورين الخوف والحرص في

المعاملة .

(١) سورة النور : رقم الآية (2) .

وإجمالاً للأمر فإن الرفق - وما يرادفه من ألفاظ - خلق محمود وهو من أكد الأخلاق عند الدعوة إلى الله ﷻ فقد قال بعض السلف : لا يأمر بالمعروف إلا من كان رفيقاً فيما يأمر به ، رفيقاً فيما ينهى عنه ، حليماً فيما يأمر به ، حليماً فيما ينهى عنه ، فقيهاً فيما يأمر به ، فقيهاً فيما ينهى عنه (1) .

وجاء في كتاب (من صفات الداعية : الرفق واللين) ذكر بعض آداب المحتسبين ، ومنها الرفق : « وليكن من شيمته الرفق ، ولين القول وطلاقة الوجه ، وسهولة الأخلاق عند أمره للناس ونهيه فإن ذلك أبلغ في استمالة القلوب ، وحصول المقصود ، قال الله ﷻ : ﴿ فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّالْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (2) ولأن الإفراط في الزجر ربما يغري بالمعصية والتعنيف بالموعظة تمجه الأسماع » (3) .

(1) مختصر منهاج القاصدين . عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي . تحقيق : عبد الرزاق

المهدي . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر . ط 1 / 2002 م : ص / 138 .

(2) سورة آل عمران : رقم الآية (159) .

(3) من صفات الداعية : الرفق واللين . فضل إلهي . إدارة ترجمان الإسلام سي - باكستان . ط 7 /

المطلب الرابع

مقابلات الرفق

المراد بمقابلات الرفق ما يضاذه من الأخلاق المذمومة ، التي ينبغي أن يتخلى عنها المسلم بصفة عامة والداعية إلى الله ﷻ على وجه الخصوص ، ومن أهم تلك الأخلاق المقابلة للرفق :

1 / العنف :

(أ) تعريف العنف في اللغة :

وهو بضم العين وإسكان النون : « مصدر عنف يعنف عنفاً فهو عنيف إذا لم يترفق في أمره .

« والجمع عُنْفٌ »⁽¹⁾.

« وهو ضد الرفق »⁽²⁾.

ويقول أبو الحسن المرسي : « العنف الخرق بالأمر وقلة الرفق به »⁽³⁾ ، و« الشدة والمشقة وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف من اللئيم⁽⁴⁾ مثله

(1) لسان العرب . مادة (عنف) : 9 / 257 . تاج العروس . مادة (عنف) : 24 / 186 . المحكم والمحيط الأعظم . مادة (عنف) : 2 / 185 .

(2) العين . مادة (عنف) : 2 / 175 . الأفعال . أبو القاسم علي بن جعفر السعدي . عالم الكتب - بيروت . الطبعة الأولى : 1403 هـ - 1983 م : 2 / 338 . القاموس المحيط : 1 / 1085 .

مختار الصحاح : 1 / 192 . معجم الأفعال المتعدية بحرف : 1 / 250 . تهذيب اللغة . مادة (عنف) : 3 / 5 . تهذيب الأسماء . مادة (عنف) : 3 / 227 .

(3) المحكم والمحيط الأعظم : 2 / 185 . تاج العروس : 24 / 186 .

(4) لسان العرب . مادة (عنف) : 3 / 309 .

و« اعتنفت الشيء إذا كرهته »⁽¹⁾ .

« واعتنفت المجلس إذا تحول عنه »⁽²⁾ .

« والتعنيف التعيير واللوم »⁽³⁾ ، ومنه قول الشاعر :

فأصبحت قد عنفت بالجهل أهله وعري أفراس الصبا ورواحله⁽⁴⁾

(ب) تعريف العنف في الاصطلاح :

التعريف الأول « السلوك المشوب بالقسوة والعدوان والقهر والإكراه وهو عادةً

سلوك بعيد عن التحضر والتمدن تستثار فيه الدوافع والطاقات الغدوانية⁽⁵⁾

(١) مقاييس اللغة . مادة (عنف) : 4 / 158 . تهذيب اللغة . مادة (عنف) : 3 / 5 .

(٢) القاموس المحيط . مادة (عنف) : 1 / 1085 .

(٣) مختار الصحاح : (1 / 192) وانظر : مقاييس اللغة : 4 / 158 . وتاج العروس :

186 / 24 .

(٤) أساس البلاغة . الزمخشري : 1 / 437 .

(٥) العنف في عالم متغير . زكريا يحيى لال . طبع على نفقة المؤلف . الطبعة الأولى : 1428 هـ -

2007 م . ص / 13 .

التعريف الثاني : « استخدام الضغط أو القوة استخداماً غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد ما » (1) .

التعريف الثالث : « استخدام الشدة والغلظة في غير موضعها أو في غير أوانها ، أو بأكثر مما يلزم ، أو بغير حاجة إليها ، أو بدون ضوابط استعمالها » (2) .

ويلاحظ على التعريف السابق الخلط بين الشدة والعنف في المصطلحين اختلاف بين الشدة قد تستحب في بعض الأوقات (3) .

بينما العنف مذموم على الإطلاق والدليل ذم الرسول ﷺ له حيث قال : « إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطَى عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطَى عَلَى مَا سِوَاهُ » (4) .

ومن هذه التعريفات الاصطلاحية نرى أن العنف يحمل معاني كثيرة منها عدم التوسط وفقدان التلطف وهو سلوك مشوب بالقسوة والعدوان ومجاوزة الحد واستخدام الشدة والغلظة .

(1) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية . أحمد زكي بدوي . مكتبة لبنان - بيروت . بدون طبعة .

1993 م : ص / 414 .

(2) مقالة ليوسف القرضاوي بعنوان : (المسلمون والعنف السياسي .. نظرات تأصيلية) . موقع

إسلام أون لاين : www.Islamonlin.com .

(3) كما ستطرق لذلك - بإذن الله - في المبحث الرابع .

(4) صحيح مسلم : باب فضل الرفق . حديث : 2593 . (4 / 2003) .

2 / الخرق :

(أ) تعريف الخلق في اللغة :

« الخاء والراء والقاف أصل واحد وممزق الشيء»⁽¹⁾ و« جوبه»⁽²⁾.

و « الخرق بفتحتين مصدر الأخرق وهو ضد الرفيق .

والتخرق لغة في التخلق من الكذب»⁽³⁾ .

وقيل الخرق هو : « الأرض البعيدة مستوية كانت أو غير مستوية أو الفلاة

الواسعة»⁽⁴⁾ . وقيل الخرق هو : « الجاهل بما يجب عمله ولم يكن في يديه صنعة

يكتسب منها»⁽⁵⁾ . وقيل الخرق هو « التحير والدهش»⁽⁶⁾ و« الجهل والحمق »⁽⁷⁾

،⁽⁷⁾ و« خرق الرجل خرقاً إذا لصق بالأرض حتى لا يتحرك»⁽⁸⁾ .

(١) مقاييس اللغة : 2 / 172 .

(٢) مختار الصحاح : 1 / 73 . مقاييس اللغة : 2 / 172 .

(٣) مختار الصحاح : 1 / 73 .

(٤) لسان العرب : 10 / 74 . تهذيب اللغة : 7 / 14 .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر : 2 / 26 . لسان العرب : 10 / 74 .

(٦) مقاييس اللغة : 2 / 173 . الفائق : 1 / 362 .

(٧) لسان العرب (10 / 76) ، النهاية (2 / 26) . وتاج العروس : (25 / 233) .

(٨) جمهرة اللغة : (1 / 590) .

وهو قطعاً ضد الرفق لحديث الرسول ﷺ: «الرفق يمن والخرق شؤم»⁽¹⁾.

(ج) تعريف الخرق في الاصطلاح :

وهو كما عرفه صاحب المقاليد في تعريف جامع له :

« الجهل بالعلوم العملية بأن يفعل أكثر مما يجب أو أقل أو على غير النظام المحمود »⁽²⁾.

وقد قيل قديماً « من استعمل الرفق غنم ومن استعمل الخرق ندم ، ومن اقتحم الأمور لقي المحذور . العجول مخطئ وإن ملك و المتأني مصيب وإن هلك »⁽³⁾ ، وقال معاوية بن أبي سفيان : « إن المتأني مصيب أو كاد أن يكون مصيباً وإن العجل مخطئ أو كاد أن يكون مخطئاً ، وأن من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ... »⁽⁴⁾.

(ج) ورود لفظ الخرق في القرآن الكريم :

جاء الخرق في القرآن الكريم بمعنى الكذب⁽⁵⁾.

-
- (1) المعجم الأوسط . أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني . تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني . دار الحرمين - القاهرة . 1415 هـ : 4 / 242 .
- (2) مقاليد العلوم . السيوطي . مرجع سابق : 1 / 202 .
- (3) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة . القلعي . تحقيق: إبراهيم يوسف عجو . مكتبة المنار - الأردن الزرقاء . ط 1 . بدون تاريخ الطبعة : 1 / 221 .
- (4) بدائع السلك . ابن الأزرقي . تحقيق علي سامي النشار . وزارة الإعلام - العراق . ط 1 : 1 / 476 .
- (5) تفسير الواحدي : 1 / 368 . تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . عبد الرحمن بن ناصر السعدي . مرجع سابق : 1 / 267 .

وتخرقه أي اختلقه لقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ (1)

3 / الشدة :

(أ) تعريف الشدة في اللغة :

ونعني بالشدة في اللغة : « القوة وهي ضد الرخو » (2) أو « الصلابة وهي نقيض اللين والجمع شدد » (3) .

وتأتي في اللغة بعدة معاني :

1- الشدُّ: الارتفاع والامتداد ، ومثله شد النهار إذ ارتفع واملأ (4) .

2 - التقوية : لحديث الرسول ﷺ الذي نهى فيه عن بيع الحب حتى يشتد : « نَهَى عَنْ بَيْعِ الْعِنَبِ حَتَّى يَسْوَدَّ وَعَنْ بَيْعِ الْحَبِّ حَتَّى يَشْتَدَّ » (5) ، ويقال : شد على على يديه أي قواه وأعانه .

3 - الشدُّ : المغالبة (6) ، ومنه حديث الرسول ﷺ : « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ » (7) .

(1) سورة الأنعام : رقم الآية (100) .

(2) دستور العلماء . باب الشين مع الراء المهملة . مرجع سابق : 2 / 150 .

(3) لسان العرب : مادة (شدد) : 3 / 232 .

(4) تاج العروس . مادة (شدد) : (8 / 241) .

(5) رواه أبو داود في سننه : كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالتُّدْوِيرِ . بَابُ فِي بَيْعِ الشُّمَارِ قَبْلَ أَنْ يَبْدُوَ صَلاَحُهَا . رقم الحديث : 3371 . 3 / 253 .

(6) تاج العروس : (8 / 242) .

(7) صحيح البخاري : كِتَابُ الْإِيمَانِ . بَابُ الدِّينِ يُسْرٌ وَقَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ . رقم الحديث : 39 . 1 / 23 .

4 - الشدة : النجدة وثبات القلب (1) .

(ب) تعريف الشدة في الاصطلاح :

من خلال النظر في التعريفات لمصطلح اللين - المقابل للشدة - نستطيع أن نضع تعريفاً له ، وهو : « الحدة في القول والفعل » .

ومن المعلوم بالضرورة أن ليس كل شدة مذمومة ، فهناك مواضع كما ستتطرق إلى ذلك - بإذن الله تعالى - سيقوضح فيها ما يستثنى من مواضع تقدم فيها الشدة على الرفق ، بل تكون الشدة وقتها من صميم الرفق .

(ج) ورود لفظ الشدة في القرآن الكريم :

1 - الشدُ : أي التقوية ، قال الله ﷻ : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُمْ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ (2) .

2 - الشدة : الإيثاق : ومنه شددت الشيء إذا أوثقته (3) ، قال ﷻ : ﴿ فَإِذَا

لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْمَتْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَانَ فِإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ

الْحَرْبُ ﴾ (4) .

(1) تاج العروس : 8 / 244 .

(2) سورة ص : رقم الآية (20) .

(3) لسان العرب : 0 (3 / 232 - 233) . وتاج العروس : (8 / 241) . التعاريف . مرجع

سابق : 1 / 425 .

(4) سورة محمد ﷺ : جزء من الآية رقم (4) .

3 - الشديد : البخيل ، وفي التنزيل قوله ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ (1) .

وأشده أي مبلغ الرجل وحنكته لقوله ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾ (2) .

4 / الفظافة :

(أ) تعريف الفظافة في اللغة :

الفظ الخشن الكلام ، وقيل الفظ : الغليظ .

ورجل فظ : أي جاف غليظ في منطقه غلظة وخشونة (3) .

و الفظ أيضاً هو « الجانب السيء الخلق الخشن الكلام » (4) .

و « الفظافة هي القسوة » (5) .

وقيل « الفظافة ضد الكرم » (6) .

(1) سورة العاديات : رقم الآية (8) .

(2) سورة الأنعام : رقم الآية (152) .

(3) لسان العرب : 7 / 451 .

(4) القاموس المحيط : 1 / 900 .

(5) صبح الأعشى في كتابه الإنشا . القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزازي . تحقيق : عبد القادر

زكار . وزارة الثقافة - دمشق . 1981 م : 3 / 225 .

(6) الأمثال من الكتاب والسنة . أبو عبد الله محمد الحكيم الترمذي . تحقيق : د . السيد الجميلي . دار

ابن زيدون / دار أسامة - بيروت - دمشق : 1 / 90 .

(ب) تعريف الفظاظة في الاصطلاح :

- 1 - « غلظة القلب و قسوته و قلة إشفاقه و عدم انفعاله للخير »⁽¹⁾ .
- 2 - « سوء الخلق و جفوة الفعل »⁽²⁾ .

(ج) لفظ الفظاظة في القرآن الكريم :

جاءت لفظة الفظاظة في القرآن بمعنى « سوء الأخلاق »⁽³⁾ .

ومنه قوله ﷺ: ﴿ فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنَّ حَوْلِكَ ﴾⁽⁴⁾ أي لو كنت سيء الخلق .

فيستنتج من التعريفات اللغوية ومما سبق من تعريفات اصطلاحية أن الفظاظة تشمل الجفاء اللفظي والفعلي إلا أنها تتجلى في المنطق وما يصدر عن المرء من خشن الحديث .

(١) فتح القدير : 1 / 393 .

(٢) التبيان في تفسير غريب القرآن . شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري . تحقيق: فتحي أنور الدابلوي . دار الصحابة للتراث بطنطا - مصر . الطبعة : الأولى : 1412 هـ - 1992 م : (1 / 158) .

(٣) فتح القدير . مرجع سابق : 1 / 393 .

(٤) سورة آل عمران : رقم الآية (159) .

5 / الغلظة :

(أ) تعريف الغلظة في اللغة :

الغلظة ضد الرقة ⁽¹⁾ في الخلق والطبع والفعل والمنطق والعيش ونحو ذلك ⁽²⁾ .

وأصله أن يستعمل في الأجسام لكن قد يستعار للمعاني ⁽³⁾ .

(ب) تعريف الغلظة في الاصطلاح :

ولا يكاد المعنى الاصطلاحي يبتعد عن الأصل اللغوي ، فعلى ضوء ما جاء من تعريفات لغوية نستطيع أن نعرف الغلظة بأنها : « الجفاء في القول والخشونة في الفعل وسوء العشرة » .

(ج) ورود لفظ الغلظة في القرآن الكريم :

جاء لفظ الغلظة في القرآن الكريم في الآية الكريمة : ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَتْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ ⁽⁴⁾ ، ومنه قوله ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ⁽⁵⁾ أي شدة وعنف (في الآية الأولى) ⁽⁶⁾ .

(1) التعاريف . فصل اللام . (1 / 540) . تاج العروس : (20 / 243) .

(2) تاج العروس : (20 / 243) . لسان العرب : 7 / 449 .

(3) التعاريف . فصل اللام . (1 / 540) .

(4) سورة النساء : رقم الآية (21) .

(5) سورة التوبة : رقم الآية (123) .

(6) تفسير الواحدي . مرجع سابق : 1 / 486 .

وقال السعدي أن المقصود بالغلظة في الآية الثانية الشجاعة والثبات⁽¹⁾.

6 / **الفحش** :

(أ) **تعريف الفحش في اللغة** :

« الفاء والحاء والشين كلمة تدل على قبح في شيء وشناعة »⁽²⁾.

وجمع الكلمة : (فواحش) .

والفاحش هو : « الذي يتكلف سب الناس ويفحش عليهم بلسانه »⁽³⁾.

ويأتي الفحش في بعض المواضع بمعنى الزنا⁽⁴⁾ ، وبمعنى البخل⁽⁵⁾ ومنه قول

قول الشاعر :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد⁽⁶⁾

ويقصد بالفحش أيضاً ما تجاوز الحد⁽⁷⁾.

ومنه غبن فاحش أي متجاوز للحد⁽⁸⁾.

(١) تفسير السعدي . مرجع سابق : 1 / 365 .

(٢) مقاييس اللغة مادة : (فحش) : 4 / 478 .

(٣) تهذيب اللغة مادة (فحش) : (4 / 112) .

(٤) لسان العرب مادة (فحش) : 6 / 325 .

(٥) مقاييس اللغة مادة (فحش) : 4 / 478 .

(٦) التعاريف لمحمد المناوي : (1 / 551) .

(٧) التعاريف لمحمد المناوي : (1 / 551) . مختار الصحاح : 1 / 206 . مقاييس اللغة :

4 / 478 .

(٨) التعاريف لمحمد المناوي : (1 / 551) .

وَفَحَّاشُ : « أي كثير الفحش - على صيغة المبالغة (فَعَّال) - وهو ضرب من ضروب الجهل وهو ضد الحلم »⁽¹⁾ .

(ب) تعريف الفحش في الاصطلاح :

التعريف الأول : « هو عدوان الجواب »⁽²⁾ .

التعريف الثاني : « ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال »⁽³⁾ .

وجميع التعريفات تبين معنى الفحش في الاصطلاح إلا أن التعريف الثاني أشمل لكونه ضم الأفعال مع الأقوال لوجود الفحش في الجانبين كما في حديث الرسول ﷺ عندما قال لعائشة (رضي الله عنها) : « عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ وَالْفُحْشَ »⁽⁴⁾ .

(ج) لفظ الفحش في القرآن :

جاء لفظ الفحش في القرآن بمعاني متعددة منها :

1 - الزنا ⁽⁵⁾ : لقوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِءُ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِءُ

كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾⁽⁶⁾ وقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ

(1) تاج العروس : (17 / 298) .

(2) الكليات للكفوي : (1 / 697) .

(3) التعاريف لمحمد المناوي : (1 / 551) .

(4) صحيح البخاري : كِتَابُ الْأَدَبِ . بَابُ لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَّفَحِّشًا . رقم الحديث :

2243 / 5 . 5683

(5) تفسير الجلالين : 1 / 306 .

(6) سورة يوسف : 24 .

اللَّهُ يَا مُرُّ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥﴾ .

يقول الواحدي الفحشاء أي « الزنا » (1) .

وقد ذكر السعدي في تفسيره لهذه الآية أن ال فحشاء « كل ذنب عظيم
استفحشته الشرائع والفطر كالشرك بالله والقتل بغير حق والزنا والسرقه والعجب
والكبر واحتقار الخلق » (2) فجعل اللفظ شاملاً لكل كبيرة .

2 - الشرك (3) و تجاوز الحد في الكبائر (4) : لقوله ﷻ عندما صرف كيد امرأة

العزیز عن يوسف ﷻ : ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ﴾ (5) .

3 - ويأتي بمعنى البخل (6) - كما في معناه اللغوي - لقوله ﷻ :

﴿ الشَّيْطَانُ يُعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يُعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (7) .

(١) تفسير الواحدي : 1 / 617 .

(٢) تفسر السعدي : 1 / 447 .

(٣) تفسير الجلالين : 1 / 196 .

(٤) تفسير البيضاوي : 1 / 446 .

(٥) سورة البقرة : رقم الآية (169) .

(٦) تفسير البيضاوي . مرجع سابق : 1 / 569 . تفسير البغوي . مرجع سابق : 1 / 256 .

(٧) سورة البقرة : رقم الآية (268) .

أما ما يتضح لنا من هذا العرض الجمل للألفاظ المقابلة لخلق

(الرفق) :

إن هذه الألفاظ المقابلة للرفق مذمومة على الإطلاق ، عدا :

أولاً / الشدة فلا تقارن بالعنف - على الوغم من تقارب المعاني - فهناك أحوال يعدل فيها من الدعوة بالرفق إلى الدعوة بالشدة (1).

يقول الإمام الغزالي - رحمه الله - : « لقد وصف الله ﷻ الصحابة فقال :

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (2) إشارة إلى أن للشدة

موضعا وللرحمة موضعا فليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل حال .. » (3).

ثانياً / الغلظة فإنها وإن كانت مذمومة في أغلب الأحوال .

كما قال صاحب كتاب نصاب الاحتساب : « ويجب أن يكون فيه ثلاث

خصال رفق فيما يأمر به يفهى عنه... فإن الغلظة لا تزيد إلا فساداً » (4).

إلا أن الله ﷻ قد أوجبها في بعض المواضع منها عند معاملة الكفار المعاندين

المحاربين ، قال الحق ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ

(1) وستحدث - بإذن الله - في المبحث الثالث من هذا الفصل عن تلك الأحوال .

(2) سورة الفتح : جزء من الآية (29) .

(3) إحياء علوم الدين . أبو حامد محمد بن محمد الغزالي . دار المعرفة - بيروت . بدون طبعة .

. 55 / 3

(4) نصاب الاحتساب . عمر بن محمد بن عوض السنامي . تحقيق : موئل يوسف عز الدين . دار

العلوم - الرياض . ط 1 / 1982 م : 1 / 327 .

وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١﴾.

ولقد جمع القلقشندي في مقولة لطيفة له معظم مقابلات الرفق فقال :
 « ... وأن يقصد في مشيه ويغضض من صوته ويحذف الفضول من لفظه ولحظه
 ويخفف من حركاته ولفئاته ... ويتجنب الخرق والحدة وليتوقى الفظاظة والشدة
 ويلين كنفه من غير مهانة ويرب هيئته من غير غلظة ويتوخى في ذلك وقوفاً بين
 غايته وتوسطاً بين طرفيه فإنه يخاطب أخلاطاً من الناس مختلفين وضروباً غير
 متفقين » (٢).



(١) سورة التوبة : رقم الآية (123) .

(٢) صبح الأعشى في كتابة الإنشا . القلقشندي : 10 / 290 . باختصار .



المبحث الثاني

الأساليب المنافية للرفق في الدعوة إلى الله

وفيه تمهيد وأربعة مطالب :

المطلب الأول : الأساليب المنافية للرفق في شخصية الداعية .

المطلب الثاني : الأساليب المنافية للرفق في الدعوة إلى الله ﷻ .

المطلب الثالث : الأساليب المنافية للرفق مع المدعوين .

المطلب الرابع : الأساليب المنافية للرفق في تعامل الدعاة فيما

بينهم .



تمهيد :

مما سبق من ذكر مقابلات الرفق يتبين لنا كثير من الأساليب المنافية له ، والتي قد ينتهجها الداعية عند القيام بدعوته ، مما يعرضها لخطر عدم الاستجابة .

وذلك لأن حمل الدعوة الإسلامية يحتاج إلى خبرة ومهارة ، كما يحتاج إلى قدر واجب من العلم والمعرفة بأحوال الناس .

والدعوة الإسلامية لا بد لها من طرق ووسائل يسلكها الداعية لتبليغ المدعو وإرشاده مع محاولة تخير أنسب الطرق في دعوة كل مدعو بما يناسبه .

وفي ذلك يقول الله ﷻ : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (1) .

وهذه أساليب رئيسي حث عليها القرآن الكريم ، ودعا إلى استخدامها ،

ومنها تتفرع كثير من الأساليب الدعوية ، والداعية الفطين هو الذي يستطيع أن يحدد الأسلوب الأمثل في دعوته سواء كانت دعوة فردية ، أم جماعية .

ومما يجب الحذر منه أثناء الدعوة إلى الله ﷻ استخدام ضدها مما ينافي الآيات

القرآنية والأحاديث النبوية الآمرة باستخدام هذه الأساليب الرئيسية « الحكمة - الموعظة الحسنة- الجدل بالتي هي أحسن» وما يتفرع منها في التبليغ

وقبل أن نقوم بتعداد الأساليب المنافية للرفق نُوضح معنى « الأساليب المنافية

للرفق » .

(1) سورة النحل : رقم الآية (125) .

أولاً / تعريف كلمة (الأساليب) :

الأسلوب في اللغة :

الأسلوب : الطريق والفن (1) .

وهو على أسلوب من أساليب القوم أي : على طريق من طرقهم (2) .

وخلاصة القول : إن الأسلوب في اللغة هو ذلك الطريق الذي يسلكه

الإنسان ، ويستطيع أن يوضح من خلاله آراءه وتوجهاته .

الأسلوب في اصطلاح الدعوة إلى الله ﷻ :

1 - « العلم الذي يتصل بكيفية مباشرة التبليغ وإزالة العوائق عنه » (3) .

2 - « الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته » (4) .

3 - « كيفيات تطبيق مناهج الدعوة » (5) .

4 - « عرض ما يراد عرضه من عقيدة الإسلام وشريعته وأخلاقه في عبارات

واضحة المعاني ، بينة المراد » (6) .

(1) المصباح المنير ، مادة (سلب) : 1 / 284 . لسان العرب ، مادة (سلب) : 1 / 473 .

(2) انظر : المصباح المنير ، مادة (سلب) : 1 / 284 .

(3) أصول الدعوة . عبد الكريم زيدان . مرجع سابق : ص / 411 .

(4) المدخل إلى علم الدعوة . محمد أبو الفتح البيانوني . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط 3 /

1422 هـ - 2001 م : ص / 242 .

(5) المختصر من فقه الدعوة إلى الله . سامية عمر . مكتبة الرشد / الرياض . ط 1 / 1429 هـ -

2008 م : ص / 173 .

(6) فقه الدعوة والداعية . إبراهيم النعمة . دار الفرقان للنشر والتوزيع / عمان - الأردن . بدون

طبعة أو تاريخ نشر : ص / 35 .

ونستطيع أن نستنتج من التعريفات السابقة أن الأسلوب في الدعوة : « كل طريقة يستخدمها الداعية في عرض دعوته إلى الناس ، وتنفيذ خطوات منهجه ، مراعيًا في ذلك أحوال المدعويين في استخدام الطريقة المناسبة » .

ثانياً / تعريف كلمة (النافية) :

النفي في اللغة مشتق من مادة (نفي)

نَفَيْتُ الرَّجُلَ وَغَيْرَهُ نَفْيًا إِذَا طَرَدْتَهُ وَأَبْعَدْتَهُ فَهُوَ مَنْفِيٌّ .

ويقال : نفيت الشيء أَنْفَيْتُهُ نَفْيًا وَنُفَايَةً إِذَا رَدَدْتَهُ .

وَالنُّفَايَةُ الْمَنْفِيُّ الْقَلِيلُ مِثْلُ الْبُرَايَةِ وَالنُّحَاتَةِ .

وَنَفَيْتُ الْمَاءَ : مَا انْتَضَحَ مِنْهُ إِذَا نُزِعَ مِنَ الْبُرِّ بِالْذَّلْوِ وَالقَرَبِ (1) .

وانتفى منه : تبرأ .

ونفى الشيء نفيًا : جحدته .

ونفى ابنه : جحدته .

ونفت الريح التراب نفيًا ونفيانًا : أطارته (2) .

فنستنتج مما سبق من تعريفات لغوية للكلمة أن معنى النفي هو : « مخالفة

الأمر المضاف إليه شكلاً أو مضموناً » .

(1) انظر : تهذيب اللغة ، مادة (نفي) : 15 / 341 . تاج العروس ، مادة (نفي) : 40 / 116 .

(2) المحكم والمحيط الأعظم . مرجع سابق : 10 / 495 .

إذاً فالأساليب المنافية للرفق هي :

« كل طريقة خالفت ما أمر الإسلام به الدعوة عند تعاملهم مع المدعوين ، متجاهلاً لأحوال المدعوين ومدى صلاح هذه الطريقة لنجاح دعوته » .

وإن حصر هذه الأساليب المنافية للرفق لأمر عسير جداً فكما أن الأساليب الداعية لرفق الداعية في دعوته كثيرة جداً ، كذلك ما ينافيها من طرق تخالف سماحة الدين الإسلامي .

وستتناول في هذه المبحث - بإذن الله ﷻ - نماذج لتلك الأساليب المنافية للرفق التي تختص بالدعوة وطرفيها من داعية ومدعو ، كما ستتطرق - بإذن الله تعالى - إلى الطرق المنافية للرفق في معاملة الدعوة فيما بينهم .

المطلب الأول

الأساليب المنافية للرفق في ذات الداعية

وهي كثيرة ، ومن أبرزها وأكثرها خطراً على الداعية :

أولاً / التهاون في تزكية النفس :

يتساهل بعض الدعاة في تزكية أنفسهم وتطهيرها مما يعلق بها من أدران أثناء دعوتهم إلى الله ﷻ .

ومن أشد هذه الأمراض فتكاً بحسن عمل ا لداعية وجهده في دعوته الإعجاب بالنفس وبما هي عليه من صلاح وتقوى .

والعجب لغة هو :

مشتق من الفعل (عجب) فالعين والجيم والباء أصل يدل على كبر واستكبار للشيء (1) .

وجاء العُجْبُ بمعنى الزَّهْوُ والكِبْرُ ، وَرَجُلٌ مُعْجَبٌ مَزْهُوٌّ بِمَا يَكُونُ مِنْهُ حَسَنًا أَوْ قَبِيحًا وَقِيلَ الْمُعْجَبُ الْإِنْسَانُ الْمُعْجَبُ بِنَفْسِهِ أَوْ بِالشَّيْءِ وَقَدْ أُعْجِبَ فُلَانٌ بِنَفْسِهِ فَهُوَ مُعْجَبٌ بِرَأْيِهِ وَبِنَفْسِهِ (2) .

أما اصطلاحاً فهو :

« الإحساس بالتميز والافتخار بالنفس ، والفرح بأحوالها ، وبما يصدر عنها

(1) مقاييس اللغة ، مادة (عجب) : 4 / 243 .

(2) تاج العروس ، مادة (عجب) : 3 / 318 .

من أقوال وأفعال محمودة أو مذمومة « (1) .

ولقد حذرنا الله ﷻ من العجب بالذات ، وتكبرها قائلاً : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ (2) .

وأمر الله ﷻ نبيه الكريم ﷺ بعد الاجتهاد في الخير، وهجر الرجز ، بأن يظهر عمله من أي عجب بالذات يعتريه ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تَمَنَّوْا أَنْ تَكُونَ مِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُنَافِقُونَ ﴾ (3) .

يقول الحسن البصري - رحمه الله - : « أي لا تمنن بعملك على ربك تستكثره » (4) .

وليس من صفات المؤمن الحق الإعجاب بكثرة العمل الصالح ، يقول الله ﷻ في سورة المؤمنون مثنياً على صفاتهم : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (5) .

وقد سألت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - الرسول ﷺ عن الآية السابقة فقالت : هم الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ ؟ فقال لها ﷺ : « لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُمْ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ أَوْلِيَّتُكَ »

(1) مقالة : (العجب وخطره على الداعية) . محمد حسين يعقوب . www.yaqop.com .

(2) سورة النجم : رقم الآية (32) .

(3) سورة المدثر : رقم الآية (6) .

(4) تفسير ابن كثير . مرجع سابق : 4 / 442 .

(5) سورة المؤمنون : رقم الآية (60) .

الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ « (1) .

ولقد عد الرسول ﷺ الإعجاب بالنفس أحد المهلكات التي تؤدي بالمرء فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث مهلكات وثلاث منجيات وثلاث كفارات وثلاث درجات ، فأما المهلكات : فشح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه ، وأما المنجيات : فالعدل في الغضب ، والرضا والقصد في الفقر والغنى ، وخشية الله في السر والعلانية ، وأما الكفارات : فانظار الصلاة بعد الصلاة وإسباغ الوضوء في السبرات (2) ونقل الأقدام إلى الجماعات وأما الدرجات : فإطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، وصلاة بالليل والناس نيام » (3) .

بل إن العجب أكبر خطراً من الذنوب ، فالمسلم إذا تاب من ذنبه غفر الله له ﷻ - بإذنه تعالى - ولكن يخشى على المعجب بنفسه عدم الازدياد من فعل الخيرات ، وإبطال ما جناه من حسنات بسبب المن المترتب من العجب بالنفس :

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطَلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ (4) .

(1) سنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ . باب وَمِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ . رقم الحديث : 3175 . 5 / 327 .

(2) السيرة شدة البرد (غريب الحديث لابن سلام : 1 / 184 . غريب الحديث لابن الجوزي : 1 / 455) .

(3) المعجم الأوسط : رقم الحديث : 5754 . 6 / 47 .

(4) سورة البقرة : رقم الآية (264) .

ويقول سفيان بن عيينة رحمه الله -: « المهلكتان العجب والقنوط⁽¹⁾ .

وجاء في تاريخ الإسلام عن عبد الله بن المبارك - رحمه الله - : « لا أعلم في المصلين شيئاً شراً من العجب »⁽²⁾ .

ولقد كان الرسول ﷺ على ما أعطاه الله إياه من عصمة وكمال خلق ، لا يستكثر ويُعجب مما هو فيه من تعبد لربه ﷻ ففي صحيح البخاري عن المغيرة رضي الله عنه يقول : « إن كان النبي ﷺ لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حَتَّى تَرِمَ⁽³⁾ قَدَمَاهُ أَوْ سَاقَاهُ فَيُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا »⁽⁴⁾ .

لذلك كان الصحابة - رضوان الله عليهم - مع ما لهم من فضل ، ومع تزكية النبي ﷺ لهم بأنهم أفضل القرون ، كان يخافون أن تحبط أعمالهم .

فكانت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - على ما هي عليه من مكانة تقول عن نفسها في حادثة الإفك : « ثُمَّ مَحَوْتُ عَلَى فِرَاشِي وَأَنَا أَرْجُو أَنْ يُبَرِّتَنِي اللَّهُ وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُ أَنْ يُنَزَلَ فِي شَأْنِي وَحَيًّا وَلَا نَا أَحَقَّرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ فِي

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني . دار الكتاب العربي - بيروت . ط 4 / 1405 هـ : 7 / 298 .

(٢) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام . شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . تحقيق : عمر عبد السلام تدمري . دار الكتاب العربي - لبنان / بيروت . ط 1 / 1407 هـ - 1987 م : 12 / 229 . أيضاً : سير أعلام النبلاء : 8 / 407 .

(٣) حتى تتشقق وتتفطر (انظر : فتح الباري . مرجع سابق : 3 / 14) .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الكسوف . باب قيام النبي ﷺ حتى ترم قدماه وقالت عائشة رضي الله عنها حتى تنفطر قدماه والفتور الشقوق انفطرت انشقت . رقم الحديث : 1078 .

أَمْرِي وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ فَوَ اللَّهُ مَا رَامَ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ» (1)

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو فاروق الأمة يسأل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه :
« نشدتك الله هل سماني لك رسول الله يعني في المنافقين » فيقول : « لا ولا أزكي
بعدك أحداً » (2).

أما أبو ذر الغفاري رضي الله عنه فكان يقول : « وددت أني شجرة تعضد » (3) .
فوجب على الدعاة الاقتداء بما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح من
المواظبة على العمل الصالح بدون الإعجاب به واستكثاره .

ثانياً / فقدان القدوة :

إن كل إنسان في الحياة يبحث عن قدوة ومثل أطلععه ويسير على خطاه
فمن رحمة الله على خلقه أن أرسل إليهم بشراً يتعلمون منهم مباشرة تعاليم
الشرع ، ولو أرسل ملائكة لشق عليهم تطبيق تلك الأحكام لاختلاف التكوين
والهيئة .

(1) جزء من حديث في صحيح البخاري : كتاب الشهادات . باب تَعْدِيلِ النِّسَاءِ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا .

رقم الحديث : 2518 . 2 / 945 . صحيح مسلم : كتاب التوبة . باب في حديث الإفك

وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْقَازِفِ . رقم الحديث : 2770 . 4 / 2135 .

(2) طريق المهجرتين وباب السعادتين . أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي . تحقيق : عمر بن

محمود أبو عمر . دار ابن القيم - الدمام . ط2 / 1414 هـ - 1994 م : 1 / 433 .

(3) الزهد . ابن أبي عاصم . تحقيق : عبد العلي عبد الحميد حامد . دار الريان للتراث - القاهرة .

ط2 / 1408 هـ : 1 / 42 .

ولقد كان الرسول ﷺ وما زال خير قدوة يتأسى بنهجه ، ويتبع هديه عند الدعاة وعامة الناس جميعاً ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (1) .

والقدوة في اللغة : « اسم من اقتدى به إذا فعل مثله فعله تأسيا و فلان (قدوة) أي يقتدى به و الضم أكثر من الكسر قال ابن فارس و يقال إن (القدوة) الأصل الذي يتشعب منه الفروع » (2) .

أما في الاصطلاح فهي : « نماذج بشرية متكاملة تقدم الأسلوب الواقعي للحياة في مجالاتها المختلفة السلوكية والانفعالية والعملية والاجتماعية (3)

والقدوة لفظ عام يحتاج إلى تقييد ، فهي إما قدوة حسنة أو سيئة قد جاء في سنن الترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ يَتَّبِعُهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامٍ مَنْ يَتَّبِعِيْنَهُ فَضُلُوكٌ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا (4) .

والإنسان بحاجة إلى نموذج حي ، يتأسى به ويسير عليه ، وذلك لأن العمل أكثر أثراً من القول .

(1) سورة الأحزاب : رقم الآية (21) .

(2) المصباح المنير . مرجع سابق : 2 / 494 .

(3) نحو تربية إسلامية . حسن الشرقاوي . مؤسسة شباب الجامعة / الإسكندرية . 1983 م .

ص / 183

(4) سنن الترمذي : كتاب العلم عن رسول الله ﷺ . باب ما جاء فيمن دعا إلى هدى فاتب ع أو إلى

ضلالة . رقم الحديث : 2674 / 5 . 43 .

وقد علم ذلك الأنبياء والرسل - عليهم السلام ، فقد قال النبي شعيب عليه السلام :
 ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَيَّ مَا أَنهَكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا أَسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي
 إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (1) .

كما أن المستقرئ لكتب السنة يجد كيف كشفت لنا سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم التطبيق
 النموذجي لتأثيره على الناس ، من خلال الخلق العظيم ، والأدب السامي الذي
 كان يتصف به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان يزور الناس ويغشاهم ، في مجامعهم ، ويتودد
 إليهم ويستقبل وفودهم ، ويدعوهم إلى الصراط الحق المستقيم ، ويعفو عن
 ظلمه ، ويحلم على من أساء إليه ، مما يجعلنا - معاشر الدعاة - نلتزم بتفعيل جانب
 القدوة الحسنة في واقع دعوتنا (2) .

إن « الداعية الموفق حينما يكون مهتدياً في نفسه ، محبباً لله تعالى طائعاً له مجتنباً
 نواهيهِ ملتزماً بأوامره ، فإن ذلك ولا شك دليل على صحة إيمان هذا الداعية ودليل
 على صدق ما يدعو إليه ويأمر الناس به ، لأنه أول من التزم وقام بتنفيذ ما يدعو
 إليه ، وهذا من أقوى الوسائل والسبل في إقناع المدعوين وتقبلهم لما يدعون إليه ،
 ولو لم تكن الدعوة بصورة مباشرة ، لكن سلك الحميد والسيرة الطيبة العطرة تشد الناس
 وتدعوهم إلى الإيثار والدخول في الإسلام (3) .

(1) سورة هود : جزء من الآية رقم (88) .

(2) البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى . عزيز بن فرحان العنزي . مكتبة دار الإمام مالك / أبو ظبي .

ط 1 / 1426 هـ - 2005 م : ص / 133 .

(3) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر . عبد الرحيم

ابن محمد المغذوي . دار الحضارة للنشر والتوزيع / الرياض . ط 1 / 1429 هـ - 2008 م :

وليس معنى ما سبق أن يتوقف الإنسان عن دعوة غيره ، فسيؤدي ذلك إلى تعطيل الدعوة إلى الله ﷻ ، ولكن أن يجاهد نفسه مع دعوته للمدعوين فإن ذلك أجدى لاتباعهم له ، وقد قال بعض الحكماء : « ليس الحكيم الذي يلقتك الحكمة تلقيناً ، وإنما الحكيم الذي يعمل العمل فتقتدي به » (1) .

وقال الشاعر :

ونفسك فاحفظها من الغي والردى متى تغوها تُغو الذي بك يقتدي (2)
وقد قال الشاعر :

يا أيها الرجل المعلم غيره	هلا لنفسك كان	ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنى	كيما يصح به وأنت سقيم	
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا	أبدأ وأنت من الرشاد عديم	
فأبدأ بنفسك فانها عن غيرها	فإذا انتهت عنه فأنت حكيم	
فهناك يقبل ما تقول ويهتدى	بالقول منك وينفع التعلّم	
لا تنه عن خلق وتأتي مثله	عار عليك إذا فعلت عظيم (3)	

(1) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء . أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني . تحقيق :

عمر الطباع . دار القلم - بيروت - 1420 هـ - 1999 م : 1 / 168 .

(2) المصدر السابق : نفس الجزء والصفحة .

(3) المستطرف في كل فن مستظرف . شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبيشي . تحقيق : مفيد

محمد قميحة . دار الكتب العلمية - بيروت . ط 2 / 1406 هـ - 1986 م : 1 / 48 .

المطلب الثاني

الأساليب المنافية للرفق في الدعوة إلى الله ﷻ :

الأسلوب الأول : عدم استخدام الحكمة في الدعوة إلى الله ﷻ :

وذلك من أبرز الأمور التي تنافي الرفق في الدعوة إلى الله ﷻ، فنرى كثيراً من الدعاة - مع الأسف- لا يراعون استخدام أساليب الدعوة المناسبة للمواقف فيستخدمون اللين في مواضع الشدة ، والشدة في مواضع اللين ، وهذا مما ينافي الحكمة التي تعد من أهم أساليب الدعوة إلى الله ﷻ وأبرز أطرافها الموصلة إلى نجاح دعوة الداعي ، وسرعة استجابة من حوله .

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (1) .

وحتى يدرك الداعية مقدار الإخفاق الذي سيلاقيه عند ترك الحكمة في الدعوة نلقي الضوء على معناها والعناية التي أولاها الإسلام لها :

الحكمة في اللغة : مشتقة من الفعل (حَكَمَ) فـ « الحاء والكاف والميم أصل واحد وهو المنع ، وأول ذلك الحكم وهو المنع من الظلم ، وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها يقال حكمت الدابة وأحكمتها ، ويقال حكمت السفينة وأحكمتها إذا أخذت على يديه » (2) .

(١) سورة النحل : رقم الآية (125) .

(٢) مقاييس اللغة ، مادة (حَكَمَ) : 2 / 91 .

فمدار معنى الكلمة لغة على المنع ، كما أنها جاءت بمعاني أخرى اللغة أيضاً ،

منها :

- 1 - (العلم)⁽¹⁾ .
- 2 - (النبوة⁽²⁾ و القرآن)⁽³⁾ .
- 3 - « معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها حكيم »⁽⁴⁾ .
- 4 - « الفقه والقضاء بالعدل⁽⁵⁾ و الحلم »⁽⁶⁾ .
- 5 - « معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم و العلم و التفقه »⁽⁷⁾ .
- 6 - « الكلام الذي يقل لفظه و يجلب معناه »⁽⁸⁾ .

ونستخلص مما سبق أن مدار معنى الحكمة في اللغة هو : « منع الخطأ والتوجه

للصواب » فالعلم - وهو أحد معاني الحكمة - يمنع صاحبه من الجهل ويوجهه

(1) مختار الصحاح ، مادة (حَكَمَ) : 1 / 62 . أيضاً : لسان العرب ، مادة (حَكَمَ) : 12 / 141 .

العين ، مادة (حَكَمَ) : 3 / 66 . القاموس المحيط ، مادة (حكم) : 1 / 1415 .

(2) القاموس المحيط ، مادة (حكم) : 1 / 1415 .

(3) القاموس المحيط ، مادة (حكم) : 1 / 1415 .

(4) لسان العرب ، مادة (حَكَمَ) : 12 / 140 .

(5) لسان العرب ، مادة (حَكَمَ) : 12 / 141 . العين ، مادة (حَكَمَ) : 3 / 66 .

(6) العين ، مادة (حَكَمَ) : 3 / 66 . القاموس المحيط ، مادة (حكم) : 1 / 1415 .

(7) المعجم الوسيط ، مادة (حَكَمَ) : 1 / 190 .

(8) المعجم الوسيط ، مادة (حَكَمَ) : 1 / 190 . المصدر السابق : نفس الجزء والصفحة .

للمعرفة ، كما أن القرآن والنبوة تمنعان صاحبهما من الشرك والكفر وتوجهانه إلى طريق الإيمان .

كذلك العدل فهو يمنع صاحبه من الظلم ويوجهه إلى أداء الحقوق إلى أصحابها ، والحلم يمنع صاحبه من الوقوع في الغضب ويوجهه إلى الأناة والتروي .

الحكمة في اصطلاح العلماء قديماً وحديثاً :

لقد عرف العلماء الحكمة بأنها :

التعريف الأول : « معرفة الحق وقوله والعمل به » (1)

التعريف الثاني : « إصابة الحق والعمل به ، وهي العلم النافع والعمل

الصالح » (2).

التعريف الثالث : « إتقان الأمور وإحكامها بأن تنزل الأمور منازلها ، وتوضع

مواضعها ، وليس من الحكمة أن تتعجل وتريد من الناس أن ينقلبوا عن حالهم التي هم عليها إلى الحال التي كان عليها الصحابة رضي الله عنهم بين عشية وضحاها ومن أراد فعل ذلك فهو سفیه » (3) .

(1) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية . أبو العباس أحمد عبد الحلیم بن تيمية الحراني .

تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي . مكتبة ابن تيمية . ط 2 : 45 / 2 .

(2) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة . أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي . دار الكتب العلمية - بيروت . بدون طبعة أو تاريخ نشر : 1 / 52 .

(3) الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات . محمد العثيمين . إعداد وترتيب : أبو أنس علي بن حسين أبو لوز . دار المنجد / الرياض - المملكة العربية السعودية . ط 1 / 1414 هـ - 1993 م :

أما الحكمة إذا أضيفت للدعوة إلى الله ﷻ فتعني كما عرفها أحد الدعاة بأنها :
 « حاسة الصواب الكامنة في كيان الداعية محددة له في الدعوة سبيل الوصول إلى
 الغاية » (1) .

ونستطيع أن نستخلص مما سبق من تعريفات بالإضافة إلى التعريفات اللغوية
 بأن الحكمة في الدعوة إلى الله ﷻ تعني : « قدرة الداعية على استعمال الأساليب
 الدعوية في مواضعها بالوسائل المناسبة لكل مدعو مراعيًا في ذلك أحوال
 المدعويين ، وظروف الزمان والمكان » .

(1) حكمة الدعوة . رفاعي سرور . مكتبة وهبة - القاهرة / مصر . ط 1 / 1398 هـ - 1978 م :

إن الحكمة في الدعوة إلى الله ﷻ لا تقتصر على جانب المعاملة باللين فقط فإن من الرفق ما يستدعي الحزم في بعض مواقف الدعوة ، فهي لا تعني وضع الأمور في مواضعها فقط - كما أسل فنا - إنما تعني كذلك « العلم والوعي والتقدير للموقف ، ثم التفاعل مع الحدث تفاعلاً مثمرًا ، لا يخرج عن نهج الحق والصواب ، الذي اتضحت معالمه بنور القرآن وسير الأنبياء ، فطريق الحكمة حينئذ ليس طريق متاهة وضياع ، ليس عليه علامات ومنارات ، وكذلك فهو ليس طريقاً محددًا جامدًا ، لا يفرق بين مدعو وآخر ، ولا زمن وزمن ، أو مكان ومكان ، ولا يقيم للظروف والأحوال قيمتها واعتبارها .

وبهذا المفهوم أيضاً يتبين أن الحكمة في الدعوة إلى الله لا تعني اللين واللطف والسماحة والتنازل ، حتى تتحول هذه الألفاظ إلى معاني الذل والهوان والضعف

والجبن ، الحكمة لين في وقت اللين فحسب ، وشدة في وقت الشدة فحاصل أن تكون ليناً في مواضع الشدة فهذا ليس بحكمة وإنما هو ضعف وذل وهوان ، أو أن تكون الحكمة الشدة في موضع اللين صَلفاً⁽¹⁾ وحماقة واعتداء وتجاوز⁽²⁾ .

لذلك فلا ينبغي على الداعية الاستغناء عن الحكمة بأي حال من الأحوال فهي طريقه التي يسلك بها إلى قلوب الناس وعقولهم وتسخيرها لما يريد بدون عنت أو مشقة ، وهي أدواته التي لا يستطيع ممارسة وظيفة الدعوة إلا بها ، وتتجلى أهمية الحكمة وأهميتها ومكانتها كأسلوب بارز من أساليب الدعوة إلى الله ﷻ من خلال أمور كثيرة أهمها :

1 - اتصاف الله ﷻ بها ، ومنه قوله ﷻ : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾⁽³⁾ .

2 - صفة لكلامه ﷻ ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ كُنْتُ أَهْكَمْتُ إِيَّانَهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴾⁽⁴⁾ .

3 - أنها منحة إلهية اختصها الله لبعض عباده ، قال ﷻ : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾⁽⁵⁾ .

(1) هو الغلو في الظرف والزيادة على المقدار مع تكبيران العرب ، ما (اصلف) : 9 / 196 .

(2) الحكمة في الدعوة إلى الله تعريف وتطبيق . زيد بن عبد الكريم الزيد . دار العاصمة -

الرياض . ط 1 / 1412 هـ : ص 33 - 34 .

(3) سورة فصلت : رقم الآية (42) .

(4) سورة هود : رقم الآية (1) .

(5) سورة البقرة : رقم الآية (269) .

4 - إن تعليمها من الأسس التي تقتضيها رسالة النبي ﷺ ، قال الله ﷻ :

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (1) .

ومن تتبع سيرة أعظم داعية يقتدى به رسولنا الكريم ﷺ لوجده ملتزماً بالحكمة في أمره كله ، خصوصاً في دعوته لا يجيد عنها قيد أنملة ، كيف لا وقد تقدم أثرها وأثبت فضلها ووهبه الله إياها ملازمة لكلامه الجليل ، فقد قال الحق تبارك وتعالى : ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ (2) .

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « فُرَجَّ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءٍ زَمْزَمٍ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ (3) مِنْ ذَهَبٍ مُّتَمَلِّئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَعَهَا فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّاءِ ... » (4)

وقد دل الحديث على أن الحكمة من أعظم الوسائل التي يجب على الداعية أن يلتزم بها قبل دعوته إلى الله ﷻ كما يؤكد الحديث على « قيمة الحكمة إلى الله من

(1) سورة آل عمران : رقم الآية (164) .

(2) سورة النساء : رقم الآية (113) .

(3) الطست من آنية الصفر (لسان العرب ، مادة (طست) : 2 / 58)

(4) جزء من حديث في صحيح البخاري : كتاب الأنبياء . باب ذِكْرِ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . رقم

الحديث : 3164 . 3 / 1217 .

خلا مجيئها يحملها جبريلي عليه السلام وهو روح القدس ، في طست من الذهب وهو
أغلى المعادن ، في مكة وهي أشرف البقاع ، ليلة الإسراء والمعراج وهي أعظم
اللحظات ، ليمتلئ بها صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خير البشر بعد غسله بماء زمزم
وهو أطهر الماء»⁽¹⁾ .

فكيف ببعض الدعاة بعدما تقدم من تعريف الحكمة وبيان أهميتها وفضلها
العدول عنها وعدم التبصر والتأني في حال المدعو قبل دعوته ، فيعرضها بذلك إلى
الفشل وإعراض المدعو عن الحق .

الأسلوب الثاني / ترك التدرج في الدعوة إلى الله عز وجل :

إن ترك الداعية لمنهج التدرج في الدعوة إلى الله عز وجل من الأساليب المنافية
للرفق ، حيث أنه بتركه للتدرج لا يترك فرصة للدعوة أن تؤدي دورها ، وتؤدي
ثمارها .

وكثيرة هي الآثار السلبية المترتبة على عدم تدرج الداعية في دعوته إلى الله عز وجل
ومنها :

(1) إعراض المدعو عن سماع الحق :

إن التدرج في الدعوة إلى الله يهيء النفس إلى سماع الحق ، فتوجيه الأمر أو
النهي للمدعو على دفعات يجعله أكثر تقبلاً لتطبيق الحكم الشرعي .
ولكن إن أتاه دفعة واحدة شق ذلك على نفسه وربما أوصله الأمر إلى الشاق
قبل المضي في التطبيق .

(1) حكمة الدعوة . رفاعي سرور : ص / 3 .

وقد وجه الله نبيه الكريم إلى ذلك في قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَا آمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (1).

فأمره بإجارة المستجير في بداية الأمر ، وذلك حتى تطيب نفسه ، ويأسره جميل الداعية ، فيكون على أهبة الاستعداد التام للسمع النصيح .

(2) تنفير المدعو من الحق :

فحتى لو سمعه فلن يقوم بتطبيقه وذلك لأن المدعويين ينقسمون إلى أصناف متباينة فمنهم الجاهل بالحكم الشرعي ، كما أن منهم العاصي ، ومنهم الملتزم به ، ومنهم المجاهد لنفسه في تطبيق أوامر الشريعة والبعد عن نواهيها .

يقول الحق تبارك وتعالى في أصناف المدعويين من أمة الاستجابة : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (2).

وجميعهم يحتاج إلى التدرج حتى يتيسر له تطبيق أوامر الشريعة الإسلامية والبعد عن نواهيها ، ففي صحيح البخاري عن عائشة - رضي الله عنها أنها قالت : «إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبداً ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبداً» (3).

(1) سورة التوبة : رقم الآية (6) .

(2) سورة فاطر : رقم الآية (32) .

(3) صحيح البخاري : كتاب فضائل القرآن . باب تأليف القرآن . رقم الحديث : 4707 .

يقول العلامة ابن حجر - رحمه الله تعالى - معلقاً على الحديث : « فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام ولهذا قالت - أي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندعها وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف » (1) .

وذلك لأن الانغماس في اللذات هو الأمر المستحب السهل ، بينما التوجه إلى الأوامر التشريعية ثقيل على النفس ، يحتاج إلى مجاهدة حتى قال رسول الله ﷺ في ذلك : « حُفَّتِ (2) النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ وَحُفَّتِ الجُنَّةُ بِالمُكَّارِهِ » (3) .

وقد جاء في أضواء البيان قول بعض العلماء عن عواقب ترك التدرج في الدعوة إلى الله ﷻ : « إن الله تبارك وتعالى لعظم حكمته في التشريع إذا أراد أن يشرع أمراً شاقاً على النفوس كان تشريعه على سبيل التدرج لأن إلزامه بغتة في وقت واحد من غير تدرج فيه مشقة عظيمة على الذين كلفوا به » (4) .

(3) عدم ثبات الحكم في نفس المدعو :

يسعد بعض الدعاة إن استطاع تطويع المدعويين على الحق جملة واحدة ، ولكنه يغفل أهمية ترسيخ الدعوة في نفس المدعو .

فلا يكفي أن يستمع المدعو له ، أو أن يبدأ في تطبيقه فقط ، ولكن الأهم من

(1) فتح الباري : 9 / 40 .

(2) أي أحرق بها وعكف واستدار عليها (انظر : لسان العرب مادة (حفف) : 9 / 49) .

(3) صحيح ابن حبان : باب الفقر والزهد والقناعة . ذكر الإخبار عما يجب على المرء من الاحتراز

من النار مجانبة الشهوات في الدنيا . رقم الحديث : 719 . 2 / 494 .

(4) أضواء البيان : 5 / 263 .

ذلك كله تثبيته في نفس المدعو ووجدانه .

فالنفس البشرية يشق عليها أن تغير ما اعتادت عليه وألفته ، وأصبح جزءاً أو
أمراً مهماً وضرورياً في حياتها ، بصورة مفاجأة خصوصاً التغيير العملي «(1) .

(1) أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي . طه عبد الله محمد السبعوي ، دار الكتب العلمية -

و مما يستلزمه البحث - وبعد ذكرنا لأهم الآثار السلبية الناجمة عن ترك

التدرج - أن نعرض معنى التدرج ونوضح أهميته :

تعريف التدرج في اللغة :

مشتقة من الفعل الماضي (دَرَجَ) ف « الدال والراء والجيم أصل واحد يدل على مضي الشيء والمضي في الشيء ، من ذلك قولهم درج الشيء إذا مضى لسبيله ، ورجع فلان أدراجه إذا رجع في الطريق الذي جاء منه ، ودرج الصبي إذا مشى مشيته » (1) .

ومعنى تدرج أيضاً : « تقدم شيئاً فشيئاً و فيه تصعد درجة درجة ، واستدرجه : رقاها من درجة إلى درجة و جعله يدرج على الأرض » (2) .

ومما سبق من معاني لغوية نستخلص من ذلك أن كلمة التدرج تعني التقدم في الأمر المراد تنفيذه شيئاً فشيئاً بدون الإلزام من بادئ الأمر .

أما التدرج في الدعوة إلى الله ﷻ فيُقصد به : « التقدم بالمدعو شيئاً فشيئاً للبلوغ به إلى غاية ما طلب منه وفق طرق مشروعة مخصوصة » (3) .

ورود لفظ التدرج في القرآن الكريم :

جاء لفظ التدرج في قول الله ﷻ : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ

(1) مقاييس اللغة ، مادة (درج) : 2 / 275 .

(2) المعجم الوسيط ، مادة (دَرَجَ) : 1 / 277 .

(3) التدرج في دعوة النبي ﷺ . إبراهيم عبد الله المطلق . وزارة الشؤون الإسلامية

والأوقاف والدعوة والإرشاد - مركز البحوث والدراسات الإسلامية . ط 1 / 1417 هـ :

حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ وفي قوله ﷺ : ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (2) .

قال الشيخ القرطبي - رحمه الله - في تفسير معنى الكلمة : « الاستدراج هو الأخذ بالتدرج منزلة بعد منزلة والدرج لف الشيء يقال أدرجته ودرجته ومنه أدرج الميت في أكفانه ، وقيل : هو من الدرجة ، فالاستدراج أن يحط درجة بعد درجة إلى المقصود » (3) .

ولقد كانت أقوال المفسرين في معنى التدرج والاستدراج كالمعنى اللغوي وهو - كما أسلفنا - : « التقدم في الأمر المراد تنفيذه شيئاً فشيئاً » ولكن الآية كانت في سياق العقاب للمكذبين الضالين ، فلذلك جاء لفظ الاستدراج توعداً لهم وتوريطاً في المكروه .

أهمية التدرج في الدعوة إلى الله ﷻ وحث الإسلام عليه :

إن دعوة الداعي لمن حوله من المدعوين بشتى أصنافهم مستخدماً أسلوب التدرج ، جاعلاً نصب عينيه الرفق واللين ، وعدم مطالبتهم بالالتزام بتعاليم الدين دفعة واحدة ، بل التأنى في تطبيقه إلى دفعات ، من أهم أساليب الرفق في الدعوة إلى الله ﷻ ، وترك ذلك منافياً له بل للدعوة عموماً .

(١) سورة الأعراف : رقم الآية (182) .

(٢) سورة القلم : رقم الآية (44) .

(٣) تفسير القرطبي . مرجع سابق : 7 / 329 .

وذلك لأن كل أمر شرعي جديد على المدعو لا بد أن يكون ثقیلاً على النفس ،
منفراً لها عن الطاعة .

لذلك كان على الدعاة التنبه لهذا الأمر العظيم فقد قامت الشريعة الإسلامية
منذ فجر تاريخها على مبدأ التيسير والتدرج أملاً في تثبيت وترسيخ هذا الدين في
نفوس أبناء .

وقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالتدرج في دعوته بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا
أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴿٤٥﴾ وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ . (1)

ومن اهتمام الإسلام أيضاً بالتدرج نزول القرآن منجماً (2) على رسول الله ﷺ
طيلة ثلاث وعشرين سنة موضحاً للحكمة من هذا التدرج في سورة الفرقان من

(١) سورة الأحزاب : رقم الآية (45 - 46) .

(٢) أي مفرقاً المعجم الوسيط ، مادة (فرق) : (2 / 685) .

قوله ﷺ: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ (1).

لقد حث الله على الأخذ بهذا التدرج ، وطبقه باديء ذي بدء مع نبيه الكريم ﷺ ليري هذه الأمة كيف أن الأمر الشرعي خاصة وجميع الأُمور الدنيوية عامة تكون ثقيلة ، صعبة على فهم المدعو وتطبيقه أنه تثبت وترسخ بالتدرج والتأني في التطبيق .

بل حتى الأحكام الإسلامية والحدود الشرعية قد انتهج فيها مشرعها الكريم ﷺ منهج التدرج ، فالناظر إلى ما كان عليه العرب قبل الإسلام سيجد أنهم كانوا في إباحة مطلقة في أمور حياتهم من سلب ونهب وشرب خمر ، وقتل حتى لأقرب الناس إليهم ، فلما جاء الإسلام بأسمى الفضائل وأجل الأخلاق ، وكان من لدن حكيم خبير ، عالم بأحوالهم وبصعوبة تغيير هذا العادات بين ليلة وضحاها ، لم يأمر نبيه الكريم بأن يفرض عليهم أحكام الدين دفعة واحدة ، بل بقي ﷺ ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى التوحيد ، مصححاً لعقائدهم غير ملتفت لغير ذلك ، طمعاً في ترسيخ هذا الدين الإسلامي في نفوس أتباعه .

وفي المستدرک من الصحيحين عن ربيعة بن عباد الدؤلي قال : رأيت رسول الله ﷺ في الجاهلية بسوق ذي المجاز وهو يقول : « يا أيه الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا قال يرددها مرارا والناس مجتمعون عليه يتبعونه » (2) .

(1) سورة الفرقان : رقم الآية (32) .

(2) المستدرک على الصحيحين : كتاب الإیمان . رقم الحديث : 39 / 1 . 61 .

واستمر على الاهتمام بجانب التوحيد مع كل الوفود الداخلة في الإسلام حديثاً ، حتى يتم ترسيخه في نفوسهم توطئة لاستقبال الأحكام الشرعية ففي الصحيحين عن ابن عباسٍ - رضي الله عنهما - أَنَّ النَّبِيَّ بَعَثَ مُعَاذًا رضي الله عنه إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ : « ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَلْيَنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ » (1) .

ولقد بين الحديث النبوي تطبيق النبي صلى الله عليه وسلم لمبدأ التدرج كأروع ما يكون فبعثته لمعاذ رضي الله عنه كانت قبل وفاته بسنة وقد اكتملت شعائر الإسلام جميعاً ، إلا أنه لم يفرضها عليهم جملة واحدة ، بل وصى رسوله أن يتدرج معهم بالأهم ثم المهم ، فأوصاه بداية بدعوتهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله حيث أن النطق بها مع إتقانها لا يجزئ عنها شيء ولا يصح ما بعدها إذا لم يتم الإيمان به ، ثم ثنى بالصلاة لأنها عماد الدين ، فإذا صلحت صلح العمل كله ، كما أنها أول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة من عمل .

ثم أعقب ذلك بالزكاة ، فهي من أهم أركان الإسلام ودعائه وقد أوقف « دخول الجنة على أعمال من جملة أداء الزكاة فيلزم أن من لم يعملها لم يدخل ومن لم يدخل الجنة دخل النار وذلك يقتضي الوجوب » (2) .

(1) صحيح البخاري : كِتَابُ الزَّكَاةِ . بَابُ وُجُوبِ الزَّكَاةِ . رقم الحديث : 1331 . 2 / 505 .

صحيح مسلم : كِتَابُ الْإِيمَانِ . بَابُ الدُّعَاءِ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ . رقم الحديث : 19 .

(2) فتح الباري . مرجع سابق : 3 / 263 .

وهكذا نرى « كيف خط رسول الله ﷺ لمعاذ - ولكل داعية - طريق الدعوة إلى الله ﷻ بأسلوب يبدأ شيئاً فشيئاً ، ويتدرج من الأهم إلى المهم ، حتى تنهياً النفوس ويتقوى إيمانها بالله تعالى ، وبأسماؤه وصفاته ، فإذا ما علمت أن الملك ملك الله ﷻ ، وأن الرزق كله بيد الله ، وأنه هو الغني الحميد بادرت إلى إخراج حق الله في أموالها ، وهكذا كلما أدت طاعة لله تقوت واستعدت لأداء غيرها » (1) .

وكان الحث على التدرج وصيته الدائمة ﷺ ففي مسند الإمام أحمد - رحمه الله - عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إن هذا الدين متين فأوغلوا (2) فيه برفق » (3) .

ثالثاً / الخلل في ترتيب أولويات الدعوة :

من تمام نعم الله ﷻ أن ارتضى لنا هذا الدين الإسلامي العظيم ، وأتمه لنا ، وجعله صالحاً لكل زمان ومكان ، وحدد لكل إنسان مسؤوليته في هذه الحياة بتكاليف شرعية ، متدرجة في الأهمية ، فهناك ما لا يتم الإسلام إلا به كأركان العقيدة وهناك فرائض ، وتحتها نوافل .

(1) أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي . مرجع سابق : ص / 72 .

(2) الإيغال : السير الشديد يقال أوغل القوم وتوغلوا إذا امعنوا في سيرهم والوغل الدخول في الشيء وقد وغل يغل وغلولا يريد سر فيه برفق وابلغ الغاية القصوى منه بالرفق لا على سبيل التهافت والخرق ولا تحمل على نفسك وتكلفها ما لا تطيق فتعجز وتترك الدين والعمل (النهاية ، مادة (وغل) : 5 / 208) .

(3) مسند الإمام أحمد : رقم الحديث : 13074 . 3 / 198 .

إلا أننا نلاحظ أن كثيراً من الدعاة يسلكون طرقاً خاطئة عند بدء دعوتهم، مبتدئين بالمهم وتاركين الأهم، فيدعو مثلاً إلى المحافظة على النوافل مع إهمال الدعوة إلى الفرائض، أو يبدأ بالعبادات مع جهل المدعو بأركان العقيدة وثوابتها وهذا مما يخالف بالتأكيد فقه الأولويات الذي اهتم به الإسلام واعتنى من شأنه، ومصطلح فقه الأولويات مصطلح جديد، جرى على السنة الدعاة والعلماء في العصر الحديث، وإن كان معناه وتطبيقه الفعلي ثابت بأدلة من الكتاب والسنة كما سنرى - بإذن الله تعالى - وبذكر المراد من (فقه الأولويات) وأهميته وحث الإسلام عليه نستطيع إدراك ما في تركه من حرج على الدعوة الإسلامية والمدعو الذي توجه له تلك الدعوة.

تعريف فقه الأولويات :

مصطلح فقه الأولويات مركب، يشتمل على :

أولاً : الفقه :

تعريف الفقه لغة : « العلم بالشيء والفهم له وغلب على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم » (1).

تعريف الفقه اصطلاحاً : « العلم بالأحكام الشرعية العملية المستدل على أعيانها بحيث لا يعلم كونها من الدين ضرورة » (2).

ثانياً : الأولويات :

تعريف الأولويات لغة : « القرب والدنو والمطر بعد المطر، والولي الصاحب والقريب ونحوه والجار والحليف والابن والعم والنزيل والشريك وابن الأخت

(1) لسان العرب، مادة (فقه) : 13 / 522 .

(2) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية : 13 / 112 .

والولي والرب والناصر والمنعم والمنعم عليه وداره ولي داري قريبة منها وأولى على اليتيم أوصى ووالى بين الأمرين موالاة وولاء تابع» (1) .

تعريف الأولويات اصطلاحاً : « الأعمال الشرعية التي لها حق التقديم على غيرها عند الامتثال أو عند الإنجاز » (2) .

تعريف فقه الأولويات : وهو تعريف جامع مانع من أفضل ما كُتب في فقه الأولويات وهو : « العلم بمراتب الأعمال ودرجات أحقيتها في تقديم بعضها على البعض المستنبط من الأدلة ومعقولها ومقصودها » (3) .

ولقد وردت آيات قرآنية كثيرة وأحاديث نبوية كريمة مؤكدة لمشروعية فقه الأولويات وضرورته في الدعوة إلى الله ﷻ وطلب العلم ، ومن هذه الأدلة

أولاً / الآيات القرآنية :

1 - قال الله ﷻ : ﴿ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (4) .

ويقول الله ﷻ : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا

لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكِ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (5) .

(1) القاموس المحيط ، مادة (ولي) : 1 / 1732 .

(2) فقه الأولويات دراسة في الضوابط . محمد الوكيل . المعهد العالي للفكر الإسلامي . سلسلة الرسالة الجامعية (22) : ص / 15 .

(3) تأصيل فقه الأولويات . محمد همام عبد الرحيم ملحم . دار العلوم / عمان - الأردن . ط 1 / 2007 م : ص / 46 .

(4) سورة الزمر : جزء من الآية رقم (55) .

(5) سورة الأعراف : رقم الآية (145) .

يقول ابن عطية - رحمه الله - في المحرر الوجيز : « قوله : بأحسنها يحتمل معنيين أحدهما التفضيل ، كأنه قال : إذا اعترض فيها مباحان فيأخذون الأحسن منهما كالعفو والقصاص والصبر والانتصار .

والمعنى الآخر الذي يحتمله قوله بأحسنها أن يريد بأحسن وصف الشريعة بجملتها فكأنه قال قد جعلنا لكم شريعة هي أحسن كما تقول الله أكبر دون مقايسة ثم قال : فمرهم يأخذوا بأحسنها الذي شرعناه لهم » (1) .

2 - قول الله ﷻ : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾ (2) .

يقول العلامة ابن القيم - رحمه الله - في الآية : « فَرَّتْ بِالمُحَرَّمَاتِ أَرْبَعٌ مَرَاتِبٌ وَبَدَأَ بِأَسْهَلِهَا وَهِيَ الْفَوَاحِشُ ثُمَّ ثَنَّى بِمَا هُوَ أَشَدُّ تَحْرِيمًا مِنْهُ وَهُوَ الْإِثْمُ وَالظُّلْمُ ثُمَّ ثَلَّثَ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ تَحْرِيمًا مِنْهُمَا وَهُوَ الشَّرْكُ بِهِ سُبْحَانَهُ ثُمَّ رَبَعَ بِمَا هُوَ أَشَدُّ تَحْرِيمًا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ وَهُوَ الْقَوْلُ عَلَيْهِ بِلَا عِلْمٍ وَهَذَا يَعُمُّ الْقَوْلَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِلَا عِلْمٍ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَفِي دِينِهِ وَشَرْعِهِ » (3) .

ثانياً / الأحاديث النبوية الشريفة :

1 - جاء في صحيح البخاري عن طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ يَقُولُ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرِ الرَّأْسِ يُسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ وَلَا يُفْقَهُ مَا يَقُولُ ،

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . مرجع سابق : 2 / 453 .

(2) سورة الأعراف : رقم الآية (33) .

(3) إعلام الموقعين عن رب العالمين . أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي .

تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد . دار الجيل - بيروت - 1973 م : 1 / 38 .

حتى دَنَا فإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ » فقال : هل عَلَيَّ غَيْرُهَا قَالَ : « لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ » قال رسول الله ﷺ : « وَصِيَامُ رَمَضَانَ » . قال : هل عَلَيَّ غَيْرُهُ ؟ قال : « لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ » قال : وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزَّكَاةَ قَالَ : هل عَلَيَّ غَيْرُهَا ؟ قال : « لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ » قال : فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ ، قال رسول الله ﷺ : « أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ » (1) .

فدل الحديث على وجوب تقديم الفروض على النوافل وأن لها الأولوية في العبادة .

2- وفي صحيح البخاري أيضاً عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو - رضي الله عنهما - يقول : جاء رجُلٌ إلى النبي ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ فَقَالَ : « أَحْيَى وَالِدَاكَ ؟ » قال : نعم ، قال : « ففِيهِمَا فَجَاهِدْ » (2) .

قدّم رسول الله ﷺ بر الوالدين والإحسان إليهما على الجهاد مع فضله وشرفه

الأسلوب الرابع / كتمان بعض العلم في الدعوة إلى الله ﷻ :

وذلك من أشد المنهيات التي نهى الله عنها ، وأوجب على صاحبها الطرد من

رحمته ﷻ ، لقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾ (3) .

(1) صحيح البخاري : كتاب الإيمان . باب الزكاة من الإسلام . رقم الحديث : 46 / 1 . 25 .

(2) صحيح البخاري : كتاب الجهاد . باب الجهاد بإذن الأبوين . رقم الحديث : 2842 .

. 1094 / 3

(3) سورة البقرة : رقم الآية (159) .

بل إن الأمر لا يقتصر على الطرد من رحمة الله ﷻ رغم أن ذلك وحده ليس بطاقة بشر ، بل يزيد على ذلك الوعيد الشديد يوم القيامة بالعذاب الأليم لقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (1) .

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من سُئِلَ عن عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أَجْمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (2) .

ولقد أخذ الله ﷻ العهد المؤكد على علماء أهل الكتاب ، الذين أنعم عليهم بتعلم أحكام دينه بتبيان هذا العلم للناس وعدم كتمه ، والبخل به ، قال الله ﷻ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (3) .

فجاء هذا الخبر منه ﷻ تحذيراً للعلماء الأمة الإسلامية ، ولكل من أنعم الله ﷻ بتعلم العلم الشرعي بعدم كتمه وتبيانه للناس والنصح به .

ومن كتمان العلم أيضاً عدم بذل الجهد في إيضاحه وبيانه للمدعوين ، ولقد أمر الله ﷻ رسوله الكريم ﷺ ببيان الدعوة وإيضاحها ، وذلك في قوله ﷻ : ﴿ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ (4) .

(١) سورة البقرة : رقم الآية (174) .

(٢) سنن أبي داود أول كتاب العلم . باب كراهية منع العلم . رقم الحديث : 3658 . 3 / 321 .

(٣) سورة آل عمران : رقم الآية (187) .

(٤) سورة النساء : رقم الآية (63) .

فعلى الداعية الحذر من تعريض نفسه لهذا الوعيد الشديد وعليه المباشرة ببيان كل علم تعلمه فإن زكاة العلم نشره بين الناس .

خامساً / عدم فقه الداعي للواقع :

هناك من الدعاة من لا يعلم مشاكل عصره ، و مستجدات الأحداث مما يؤدي إلى جمود الدعوة الإسلامية وعدم التوسع في انتشارها ، وهو أمر فظن له المبشرون في الغرب فانتشروا في شتى بقاع الأرض وحلوا في أواسط من يحتاج إلى دواء أو كساء ، فأعطوهم ما يريدون مقابل إخراجهم من دينهم ، وإدخالهم لـ الدين النصراني .

ولقد أطلق العلماء والمفكرون على علم الداعية بمشاكل عصره واحتياجات الناس مصطلحاً حديثاً تعارفوا عليه وهو (فقه الواقع) .

وتعريف فقه الواقع هو : « علم يبحث في فقه الأحوال المعاصرة من العوامل المؤثرة في المجتمعات والقوى المهيمنة على الدول ، والأفكار الموجهة لزعزعة العقيدة ، والسبل المشروعة لحماية الأمة ورفيها في الحاضر والمستقبل⁽¹⁾ »

أهمية فقه الواقع :

وفقه الواقع المعاصر للداعية من أهم الوسائل التي تؤدي إلى نجاح دعوته الإسلامية - بإذن الله تعالى - وهو مقصد من مقاصد الإسلام ، فالداعية المعاصر « يعيش في ظروف وملابسات تختلف عن تلك التي كان يعيشها إخوانه الذين سبقوه بالإيمان في العصور الماضية ، فللباطل اليوم صولة وجولة ، والجاهلية

(١) فقه الواقع : ناصر العمر . موقع الشيخ ناصر بن سليمان العمر . www.almoslim.net :

المعاصرة تخطو خطوات حثيثة لإقصاء تيار التربية الإسلامية عن التغيير في مجريات الأحداث لتعبيد العباد لرب العباد ، في الوقت الذي بذلت فيه الجاهلية قصارى جهدها وإمكاناتها لتعبيد العباد للشهوات والطواغيت ، ولقد نجحت في ذلك إلى حد كبير .

إن الإسلام اليوم لا يستقيم عموده فقط بدعاء شيخ في زوايا المسجد أو بإلقاء الخطب الونانة الجوفاء التي لا مكان لها في الواقع»⁽¹⁾.

والأدلة الحاشية على ذلك كثيرة ، ومنها قوله ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾.

يقول العلامة ابن القيم - رحمه الله تعالى - في الآية : « فالعالمون بالله وكتابه ودينه عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية فاستبان لهم السبلان كما يستبين للمسالك الطريق الموصل إلى مقصوده والطريق الموصل إلى الهلكة »⁽³⁾.

ويقول - رحمه الله - كذلك : « وهذه حال المؤمن يكون فطناً حاذقاً أعرف الناس بالشر وأبعدهم منه ، فإذا تكلم في الشر وأسبابه ظننته من شر الناس فإذا خالطته وعرفت طويته رأيته من أبر الناس ، والمقصود أن من بُلي بالآفات صار من

(1) التربية الذاتية من الكتاب والسنة . هاشم علي الأهدل . دار التربية والتراث / مكة المكرمة - دار المعالي / عمان - الأردن . ط2 / 1421 هـ - 2001 م : ص / 133 .

(2) سورة الأنعام : رقم الآية (55) .

(3) الفوائد . أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت . ط2 / 1393 - 1973 م : 1 / 108 .

أعرف الناس بطرقها وأمكنه أن يسدها على نفسه وعلى من استنصحه من الناس
ومن لم يستنصحه» (1).

ولقد كان النبي ﷺ بصيراً بأحوال أمته وواقع عصره ، متفرساً في طبائع
الرجال ، ومن تلك المواقف الدالة على ذلك :

علمه بطبائع الملوك والحكام ومن ذلك لما كثر المسلمون وخاف منهم الكفار
اشتد أذاهم له ﷺ وفتنتهم إياهم فأذن لهم رسول الله ﷺ في الهجرة إلى الحبشة
وقال : « إن بها ملكاً لا يظلم الناس » (2) .

كما كان يعلم ﷺ بأحوال الديانات الباطلة حتى يستطيع مناظرة قومها وبيان
ما هم عليه من الباطل ، فعن عدي بن حاتمٍ رضي الله عنه قال : دَخَلْتُ على رسول الله ﷺ
فقال لي : « يا عدي بن حاتمٍ أَسْلِمَ تَسْلَمٌ ثَلَاثًا » قال : قلت : إني على دينٍ قال :
« أنا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ » فقلت : أنت أَعْلَمُ بديني مني ؟ قال : « نعم أَلَسْتَ مِنَ
الرَّكُوسِيَّةِ (3) وَأَنْتَ تَأْكُلُ مِرْبَاعَ (4) قَوْمِكَ » قلت : بلى ، قال : « فإن هذا لا يَحِلُّ
لك في دينك » قال : فلم يَعُدْ أَنْ قَالَهَا فَتَوَاضَعْتُ لها ، فقال : « أما إني أَعْلَمُ ما الذي
يَمْنَعُكَ مِنَ الإِسْلَامِ تَقُولُ إِنَّمَا اتَّبَعَهُ ضَعْفَةُ النَّاسِ وَمَنْ لَأَقْوَى لَهُ وَقَدْ رَمَتْهُمُ الْعَرَبُ

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة . الزرعي . مرجع سابق : 1 / 296 .

(2) زاد المعاد في هدي خير العباد . أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي . تحقيق : شعيب
الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت -
الكويت . ط 14 / 1407 هـ - 1986 م : 1 / 97 .

(3) الركوسية : قوم لهم دين بين النصراني والصابئين (لسان العرب ، مادة (ركس) : 6 / 101 .
النهاية في غريب الحديث والأثر ، مادة (ركس) : 2 / 259) .

(4) المربع : ما يأخذه الرئيس وهو ربع الغنيمة (لسان العرب ، مادة (ربع) : 8 / 101) .

أَتَعْرِفُ الْحِيرَةَ ؟ « قلت : لم أَرَهَا وقد سمعت بها قال : « فوالذي نفسي بيده لَيَتَمَنَّ اللَّهُ هذا الأَمْرَ حتى تَخْرُجَ الظَّعِينَةُ (1) مِنَ الْحِيرَةِ حتى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جَوَارٍ أَحَدٍ وَلَيَفْتَحَنَّ كُنُوزَ كِسْرَى بنِ هُرْمُزَ » (2) .

بل كان ﷺ يحاول تتبع أخبار الأعداء من مشركين وكفار سعياً في التخطيط لهم على علم وبصيرة ففي صحيح البخاري عن جابرٍ رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ؟ » قال الزُّبَيْرُ : أنا ثُمَّ قال : « من يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ ؟ » قال الزُّبَيْرُ : أنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ » (3) .

(1) ظعن يظعن ظعنا بالتحريك إذا سار، والظعن النساء واحدها ظعينة، وأصل الظعينة الراحلة التي يرحل ويظعن عليها أي يسار 0 وقيل للمرأة ظعينة لأنها تظعن مع الزوج حيثما ظعن أو لأنها تحمل على الراحلة إذا ظعنت، وقيل الظعينة المرأة في الهودج، وجمع الظعينة ظعن وظعائن وأظعان (النهاية، مادة (ظعن) : 3 / 157) .

(2) مسند الإمام أحمد : رقم الحديث : 18286 . 4 / 257 .

(3) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير . باب فَضْلِ الطَّلِيعَةِ . رقم الحديث : 2691 .

المطلب الثالث

الأساليب المنافية للرفق مع المدعويين

ومن أبرز تلك الأساليب المنافية للرفق أثناء دعوة المدعويين :

الأسلوب الأول/ عدم اتباع الإقناع في دعوة المدعو إلى الله :

للأسف فإن بعض الدعاة لا يتبع الأساليب المقنعة التي تتسم بالرفق في دعوته للمدعو ، متناسياً أن الإسلام قد جاء مكرماً للعقل ، وقد تواترت الأدلة من القرآن الكريم على ذلك ، فمن مظاهر تكريم الإسلام له :

1- مدح الله ﷻ لأصحاب العقول في فهمهم لمقاصد العبادة وأحكام التشريع ، يقول الله

ﷻ : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (1) .

2 - حثهم على الانتفاع بما في القرآن من مواعظ وعبر ، يقول الحق

تبارك وتعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا

كثيراً وما يذكركم إلا أولوا الألباب ﴾ (2) وقوله ﷻ : ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ

لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (3) .

3 - جعله أحد الضرورات الخمس التي يقوم عليها التشريع الإسلامي .

وغير ذلك كثير جداً .

(1) سورة البقرة : رقم الآية (179) .

(2) سورة البقرة : رقم الآية (269) .

(3) سورة يوسف : جزء من الآية رقم (111) .

وذلك لأن الدعوة الإسلامية تقوم على أصول ثابتة وقواعد راسخة ، فهي وإن كانت قد اهتمت بالجانب العاطفي في الإقناع إلا أن محور اهتمامها كان للعقل ، لأن ما بُني على العاطفة ليس بدائم ، وما بُني على العقل راسخ الثبوت .

وقد كان من أهم مظاهر الرفق بالمدعويين عموماً وبمرتكب الذنب بصفة خاصة إقناعه بالحجة والبرهان ، استخدم ذلك الرسول ﷺ في كثير من مواقفه ، أبرزها ما جاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله انذني لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مه مه . فقال : « أدنه » فدنا منه قريباً قال فجلس قال : « أئحبه لأُمَّك » قال : لا والله جعلني الله فداءك قال : « ولا الناس يُحبونه لأُمَّهاتهم » قال : « أفتحبه لابنتك » قال : لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك ، قال : « ولا الناس يُحبونه لبناتهم » قال : « أفتحبه لأختك » قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : « ولا الناس يُحبونه لأخواتهم » قال : « أفتحبه لعممتك » قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : « ولا الناس يُحبونه لعماتهم قال أفتحبه لخالتك » ، قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : « ولا الناس يُحبونه لخالاتهم قال فوضع يده عليه وقال اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء⁽¹⁾ .

رفق عظيم منه ﷺ وتربية نبوية كريمة ففي الوقت الذي كان يستأذن منه هذا الشاب لفعل كبيرة من الكبائر تستدعي قيام الحاضرين عليه واستنكارهم - وحق لهم - إذا بالرحيم بلهفته ﷺ يأمرهم بتركه ثم يحاوره حواراً هادئاً لا تقرع فيه ولا توبيخ مستخدماً الإقناع العقلي في ذلك مع قليل من العاطفة حتى يثير نخوة

(1) مسند الإمام أحمد رقم الحديث : 22265 : 5 / 256 .

الشاب في استقباح الفعل واستنكاره ، مكللاً هذه النصيحة بالدعاء له والمسح على صدره فيقوم الشاب متسرلاً بالقناعة التامة من فداحة طلبه فلم يكن بعد ذلك يلتفت لشيء في الحرام .

وموقفه ﷺ مع عبدة بن خلف فعنه ﷺ أنه قال : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَأَنَا شَابٌّ مُتَأَزَّرٌ بِبُرْدَةٍ لِي مَلْحَاءٍ (1) أَجْرُهَا فَأَدْرَكَنِي رَجُلٌ فَعَمَزَنِي بِمِخْصَرَةٍ (2) مَعَهُ ثُمَّ قَالَ : « أَمَا لَوْ رَفَعْتَ ثَوْبَكَ كَانَ أَبْقَى وَأَنْقَى » فَالْتَفَتُ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّمَا هِيَ بُرْدَةٌ مَلْحَاءٌ ، قَالَ : « وَإِنْ كَانَتْ بُرْدَةٌ مَلْحَاءً أَمَّا لَكَ فِي أَسْوَتِي » فَانظَرْتُ إِلَى إِزَارِهِ فَإِذَا هُوَ فَوْقَ الْكَعْبَيْنِ وَتَحْتَ الْعَصَلَةِ (3) .

لما رآه الرسول ﷺ أراد محاورته فيها مع أن الحكم في الإسبال صريح وواضح فقد قال ﷺ : « ما تحت الكعبين من الإزار في النار » (4) إلا أن الرسول ﷺ جعل يحاوره بكل رفق وسماحة ويدعوه دعوة عقلية تستند على المنطق السليم قائلاً له « أما لك في أسوتي ؟ » أي بعيداً عن كونها ملحاء ألا تحب أن أكون قدوتك في كل أمر فيتحقق لك الإتياع الكامل لستتي .

ولقد سار على نهجه ﷺ السلف الصالح - رحمهم الله - فلم يأخذوا على يد المذنب إنما حاولوا إقناعه وجداله بالتي هي أحسن ، ويأتي موقف أبي حنيفة

(1) أي بردة فيها سواد وبياض (لسان العرب ، مادة (ملح) : 2 / 602) .

(2) ما يختصره الإنسان بيده فيمسكه كعصا أو عكازة أو مقرعة يتكئ عليها (انظر : النهاية ، باب

الحاء مع الصاد : 2 / 36)

(3) سنن النسائي الكبرى : رقم الحديث : 23136 . 5 / 450 .

(4) سنن البيهقي الكبرى : باب موضع الإزار من الرجل . رقم الحديث : 9711 . 2 / 224 .

النعمان مع الخوارج⁽¹⁾ موضعاً ذلك ، حتى أدى هذا الفرق وهذه الساحة إلى توبة هؤلاء القوم عما كانوا فيه على الوغم مما هو معروف عنهم من تمسك بالرأي وصلابة فيه بغير حق ، يقول أبو القاسم الأصفهاني : « دخل الخوارج الكوفة فانتهوا إلى الإمام أبي حنيفة - رحمه الله - فانتضوا⁽²⁾ سيوفهم فقالوا : يا عدو الله ما أحد منا إلا وقتلك عنده أحب إليه من عبادة سبعين سنة قد جئناك بمسألتين إن أجبت عنهما وإلا أرقنا دمك .

فقال : أنصفوني اغمدوا السيوف فإن بريقها يهولني ، فأبوا .

فقال : تكلموا .

فقالوا : جنازتان على باب المسجد إحداهما جنازة شارب خمر شر بها فمات فيها غرقاً والأخرى جنازة زانية حبلت وشربت دواء فقتلت جنينها وماتت

(1) من أوائل الفرق التي ظهرت في تاريخ الإسلام وقد انقسمت فيما بينها إلى عشرين فرقة ، خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، من أبرز معتقداتهم تكفير مرتكب الكبيرة ، وقد نتج عن وضعهم للأدلة في غير ما دلت به إلى استحلال قتل المسلمين ، من عقائدهم الأساسية أيضاً وجوب الخروج على الأئمة المسلمين لارتكاب الفسق أو الظلم وإنكار الشفاعة ، وتكفير بعض الصحابة كأهل التحكيم (عمرو بن العاص ، أبو موسى الأشعري ، وكل من رضي بالتحكيم) وتكفير أصحاب الجمل بمن فيهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، كما أنهم لا يرون وجوب اشتراط الأئمة من قريش ، إلى غير تلك المعتقدات (انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة . إعداد : الندوة العالمية للشباب الإسلامي بإشراف : مانع بن حماد الجهني . دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع . ط 5 / 1424 هـ - 2003 م :

(2) انتضوا سيوفهم أي أخرجوها من غمدها انظر : لسان العرب ، مادة انتض : (235 / 7)

فقال : أمن النصارى كانا أم من اليهود .

قالوا : لا .

قال : فمن أي الملل كانا .

قالوا : ممن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

قال : يشهدان به أمن الكفر أم من الإيمان

قالوا : من الإيمان .

قال : أقول كما قال نوح عليه السلام في قوم كانوا أعظم جرماً منهم ﴿ قَالَ وَمَا

عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٣﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ ﴿١﴾ .

أو ما قال إبراهيم : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾ .

أو ما قال عيسى : ﴿ إِنَّ تَعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ .

وأقول ما قال نبينا ﴿ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي

مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا

لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٤﴾ .

(١) سورة الشعراء : رقم الآية : (112 - 113) .

(٢) سورة إبراهيم : رقم الآية : (36) .

(٣) سورة المائدة : رقم الآية (118) .

(٤) سورة هود : رقم الآية (31) .

فألقي القوم أسلحتهم ، وقالوا : تبرأنا مما كنا عليه « (1).

الأسلوب الثاني / استخدام الفحش في القول مع المدعويين :

وهو بهذا الأسلوب المخالف للرفق يعرض دعوته إلى الخطر بعدم استجابة أي مدعو له .

والفحش كما عرفناه سابقاً ما عظم قبحه من الأقوال والأفعال⁽²⁾.

ويقول معاوية بن أبي سفيان في ذم الفحش :

وما قتل السفاهة مثل حلم
فلا تسفه وإن ملت غيظاً
يعود به على الجهل الحليم
على أحد فإن الفحش لوم⁽³⁾

وينفي عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أي فحش قولي كان
أم فعلي على سيد الدعاة رسولنا ﷺ ، كيف لا وقد كان القرآن له خلقاً ، حيث
قال : « لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً وكان يقول إن من خياركم أحسنكم
خلقاً » (4).

(1) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء . أبو القاسم الحسين الأصفهاني . مرجع

سابق : 2 / 214 .

(2) سبق ذكر التعريف في الصفحة (90) .

(3) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل . أبي القاسم علي بن الحسن بن
عبد الله الشافعي . تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر العمري . دار الفكر - بيروت . 1995 م :

. 186 / 59

(4) صحيح البخاري كتاب المناقب باب صفة النبي ﷺ . حديث : 3366 . (3 / 1305) .

يقول العلامة ابن حجر - رحمه الله - في شرحه للحديث : « أي لم يكن الفحش له خلقاً ولا مكتسباً ، لم يكن سبباً ولا فحاشاً ولا لعاناً وكان إذا بلغه عن الرجل الشيء يقول ما بال أقوام ، وما بال فلان ... فلم يكن هناك أحد أحسن خلق من رسول الله ﷺ » (1) .

ولقد نفى رسولنا الكريم ﷺ أن يكون المؤمن بذيء اللسان فاحشه ففي مسند الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس المؤمنُ بطعانٍ ولا بلعانٍ ولا الفاحش البذيء » (2) .

وبذاءة اللسان لا تزيد المدعوين إلا كرهاً للداعية ومقتاً له حتى وإن كان حاملاً للحق مبيناً له .

ولن يفقده الفحش حب الناس له فقط فقد قال ﷺ : « إِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفْحُشَ » (3) ، وقوله ﷺ : « إن الله يبغض الفاحش البذيء » (4) .

وأي خسران له أكبر من بغض الله ﷻ وكرهه له ، كذلك يخشى عليه أن يكون من المفلسين يوم القيامة ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ

(1) فتح الباري . مرجع سابق : 6 / 575 .

(2) مسند أحمد : رقم الحديث : 3839 / 1 . 404 .

(3) جزء من حديث في مسند الإمام أحمد بن حنبل . مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ . رقم الحديث : 6487 / 2 . 159 .

(4) جزء من حديث في سنن البيهقي الكبرى : كتاب الشهادات . باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها التي من كان متخلقا بها كان من أهل المروءة التي هي شرط في قبول الشهادة على طريق الاختصار . رقم الحديث : 20587 / 10 . 193 .

قال : « أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ ؟ » قالوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، فقال :
 « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا
 وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ
 وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ
 فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » (1) .

وبذاءة اللسان وفحشه سبب في استحقاق المرء لنار جهنم فعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ
 قال : قال ﷺ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْوَ أَخَذُ بِكُلِّ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فقال : « تَكَلَّمْتَ
 أُمَّكَ يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَهَلْ يَكُوبُ (3) النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ
 أَلْسِنَتِهِمْ » (4) .

فكيف للداعية بعد ذلك أن يمحق جهد دعوته بما يحصده من فحش حديثه ،
 وكيف به إذ يعرض دعوته للإعراض والنفور المخالف لهدي النبي ﷺ ومن تبعه
 بإحسان في تبليغ الناس ودعوتهم للحق بالرفق واللين .

(1) صحيح مسلم : كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ . بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ . رقم الحديث : 2581 .
 . / 4 1997 .

(2) تكلتك أمك أي فقدتك الشكل فقد الولد كأنه دعا عليه بالموت لسوء فعله أو قوله والموت يعم
 كل أحد فإذا هذا الدعاء عليه كلا دعاء أو أراد إذا كنت هكذا فالموت خير لك لئلا تزداد سوءا ،
 ويجوز أن يكون من الألفاظ التي تجري على ألسنة العرب ولا يراد بها الدعاء كقولهم تربت يداك
 وقاتلك الله (لسان العرب ، مادة (ثكل) : 11 / 89) .

(3) أي يلقى ويقلب على وجهه في النار (انظر : المعجم الوسيط ، مادة (كبب) : 7 / 771) .

(4) المعجم الكبير . مرجع سابق : رقم الحديث : 258 . 20 / 127 .

الأسلوب الثالث / إظهار عيوب الناس وإفشاء أسرارهم :

وهذا يتنافى مع آداب الدعوة إلى الله ﷻ ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿يَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نَسَاءً مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِّنَّهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١﴾ وإظهار العيب وإفشاء السر من اللمز الذي نهى الله عنه عامة المسلمين ، والدعاة إلى الله هم أولى الناس للالتزام بهذا الأمر .

فقد يقع نظر الداعية وسمعه في دعوته على مواقف للمدعوين تلبسوا فيها بمعصية ما ، فيتحدث بذلك لمن يعرف ولمن لا يعرف على سبيل الفضح والاستنكار .

وإظهار عيوب المدعوين للناس يؤدي إلى نفورهم من الداعية والإمعان في الإفساد بعد فضحهم ، فعن معاوية رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ » (2) .

وذلك لأن الستر على المدعو يزيد من فرصة رجوعه إلى الحق وندمه على فعل الذنب ، أما فضحه بين الناس وهتك ستره ، يضيع الحياء من نفسه ، ويغيره بعد معرفة الناس لذنبه إلى المضي قدماً فيه .

ولقد حذر الرسول ﷺ من هتك المسلم لستر أخيه ففي سنن ابن ماجه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : « من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عونه » .

(١) سورة الحجرات : رقم الآية (11) .

(٢) سنن أبي داود : كتاب الأدب . باب في النهي عن التجسس . رقم الحديث : 4888 .

الله عَوْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَشَفَ اللهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ
بِهَا فِي بَيْتِهِ» (1).

ولقد عاب الرسول ﷺ من اشتغل في عيب أخيه المسلم متجاهلاً عيوبه ،
فقال : « يُبْصِرُ أَحَدَكُمْ الْقَدَاةَ (2) فِي عَيْنِ أَخِيهِ وَيَنْسَى الْجُدْعَ فِي عَيْنِهِ » (3).

وفي ذلك يقول الشاعر :

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا فيكشف الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن م - فيه م - إذا ذكروا ولا تعب أحدا منهم بما فيكا (4)
ولله در القائل :

إذا شئت أن تحيا ودينك سالم وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرئ فعندك عورات وللن - اس ألسن
وعينك إن أبدت إليك معايبا لقوم فقل يا عين للناس أعين
وصاحب بمعروف وجانب من اعتدى وفارق ولكن بالتي هي أحسن (5)

(1) سنن ابن ماجه : كِتَابُ الْحُدُودِ . بَابُ السُّتْرِ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَدَفْعِ الْحُدُودِ بِالشُّبُهَاتِ . رقم الحديث :
. 850 / 2 . 2546

(2) وهو ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو تبن أو وسخ أو غير ذلك أراد اجتماعهم يكون
على فساد في قلوبهم فشبهه بقذى العين والماء والشراب (النهاية في غريب الحديث
والأثر : 4 / 30)

(3) صحيح ابن حبان . كتاب الحظر والإباحة . ذكر الإخبار عما يجب على المرء من تفقد عيوب نفسه
دون طلب معايب الناس . رقم الحديث : 5761 . 13 / 73 .

(4) الآداب الشرعية والمنح المرعية . أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي . تحقيق : شعيب الأرنؤوط
/ عمر القيام . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط 2 / 1417 هـ - 1996 م : 1 / 274 .

(5) السحر الحلال في الحكم والأمثال . أحمد الهاشمي . دار الكتب العلمية - بيروت . بدون طبعة
طبعة أو تاريخ نشر : 1 / 110 . أيضاً : شذرات الذهب في أخبار من ذهب . عبد الحي بن أحمد

الأسلوب الرابع / الغلظة مع المدعو :

ومن الأساليب المنافية للرفق أسلوب الغلظة مع المدعو ومما يؤكد ذلك ما
خاطب الله ﷻ به رسوله ﷺ في قوله : ﴿ فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لَلَاحِقَ الْأُولَئِكَ إِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (1) .

ولقد تم تعريف الغلظة سابقاً بأنها : « الجفاء في القول والخشونة في الفعل
وسوء العشرة » (2) .

ومما لاشك فيه أن النفوس جُبلت على الميل لكل من أحسن إليها ، وتلطف
معها ، والبعد عن كل غليظ القلب ، فظ المنطق ، وفي ذلك يقول الله ﷻ لرسوله
ﷺ مادحاً إياه على رحمته ، وبعده عن الغلظة ولما في ذلك من أبرز الأسباب
لالتفاف الناس حوله وذلك لأن الداعية يثمر بالرفق في دعوته ما لا يناله بغير
ذلك ، حتى قال بعض الحكماء : « يدرك بالرفق ما لا يدرك بالعنف ، ألا ترى أن
الماء من لينه يقطع الحجر على شدته » (3) .

فإن الناظر في دعوة الرسول ﷺ وسيرته يجدها غاية في الرفق واللطف ،
شاملة دعوته لكل معاني الإحسان والشفقة والرفق .

بن محمد العكري الحنبلي . تحقيق: عبدالقادر الأرنبوط - محمود الأرنبوط . دار بن كثير -

دمشق . ط 1 / 1406 هـ : 3 / 350 .

(1) سورة آل عمران : رقم الآية (159) .

(2) انظر التعريف في الصفحة (88) .

(3) العقد الفريد . أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي . دار إحياء التراث العربي - بيروت /

لبنان . ط 3 / 1420 هـ - 1999 م : 2 / 190 .

وقد استخدم نبينا الكريم ﷺ أسلوب الرفق واللفظ مشبعاً حاجة المدعو إلى التقدير والاحترام ، مشجعاً له بذلك على الاستزادة بفعل الخيرات والطاعات فعن خريم بن فاتك رضي الله عنه أنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : « نِعَمَ الرَّجُلُ أَنْتَ يَا خُرَيْمُ لَوْلَا خُلَّتَانِ فِيكَ قَلْتِ وَمَا هُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ إِسْبَالِكِ إِزَارَكَ وَإِرْخَاؤُكَ شَعْرَكَ » (1) وفي رواية: « لَوْلَا أَنْ فِيكَ اثْنَتَيْنِ كُنْتَ أَنْتَ » قال : إِنْ وَاحِدَةً تَكْفِينِي ، قال : « تُسْبَلُ إِزَارَكَ وَتُوفَّرُ شَعْرَكَ » قال : لَا جَرَمَ وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ (2) .

فأثمرت هذه الطريقة القائمة على اللطف وترك الغلظة ، الموضحة للمدعو بأن أخطائه قليلة وأنه سيصبح في مكان معهود ومنزلة كريمة إن تخلص من هذه الآفات ، حتى جعلت خريم رضي الله عنه يقسم أن ينتهي عما بدر منه ، فحري بالدعاة أن ينتهجوا نهج رسول الله ﷺ بدلاً من تركيز بعضهم على المساوئ مما يجعل المدعو يشعر معهم بالقنوط من إصلاح ذاته .

الأسلوب الخامس / مخاطبة المدعويين بخطاب واحد :

على الداعية أن يخاطب كل مدعو على قدر عقله ، فإن تجاوز ذلك وأهمله لم تثمر دعوته بما يريده من استجابة نتيجة لعدم فهم المدعويين عليه .
وقد كان خطاب الناس كل على قدر عقله منهج النبي ﷺ حيث قال : « إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يفزعهم ويشق عليهم » (3) .

(1) مسند الإمام أحمد : رقم الحديث : 18921 . 4 / 322 .

(2) مسند الإمام أحمد : رقم الحديث : 18919 . 4 / 321 .

(3) المعجم الأوسط : رقم الحديث : 8196 . 8 / 135 .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام: « حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » (1) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: « مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ » (2) .

الأسلوب السادس/ اعتزال الداعي لبعض المدعويين وتجنبهم

وهو أسلوب ينتهجه بعض الدعاة إذا وجد صدوداً وتمادياً في فعل المنكر من المدعويين ، فأين فعله من قول الله عز وجل: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (3) .

فإن استغناء الداعية عن المدعويين لما يراه عليهم من ذنوب بدون الاختلاط بهم والتدرج في نصحهم ، والمحاولة الفعلية لتصحيح خطأهم هو قمة التفرق الذي نهى الله تعالى عنه في الآية السابقة .

وقد جاء في صحيح مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ : « لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلَائِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » (4) .

(1) صحيح البخاري : كتاب العلم . باب من خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةً أَنْ لَا يَفْهَمُوا . رقم الحديث : 1.127 / 1 . 59 .

(2) صحيح مسلم : المقدمة . باب النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ . رقم الحديث : 1.5 / 1 . 11 .

(3) سورة آل عمران : رقم الآية (103) .

(4) صحيح مسلم : كتاب الإيمان . باب بَيَانِ أَنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ . رقم الحديث : 1.55 / 1 . 74 .

وعلى الداعية الإدراك أن في خلطته مع الناس نجاته مع نجاتهم لحديث السفينة المشهور فعن النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلَاهَا فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا فَتَأَذَّوْا بِهِ فَأَخَذَ فَاسًّا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ فَآتَوْهُ فَقَالُوا مَا لَكَ قَالَ تَأَذَّيْتُمْ بِي وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الْمَاءِ فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ وَإِنْ تَرَكَوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ » (1) .

ويقول الإمام الغزالي - رحمه الله - في حُسن المخالطة : « إن الإرتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل أذاهم كسراً للنفس ، وقهراً للشهوات ، وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهي أفضل من العزلة في حق من لم تتهدب أخلاقه ولم تدعن لحدود الشرع شهواته » (2) .

وجاء في أفرح الروح في ذم العزلة : « حين نعتزل الناس لأننا نحس أننا أطهر منهم روحاً ، أو أطيب منهم قلباً ، أو أرحب منهم نفساً ، لا نكون قد صنعنا شيئاً كبيراً ، لقد اخترنا لأنفسنا أيسر السبل وأقلها مؤونة .

إن العظمة الحقيقية أن نخالط هؤلاء الناس مشبعين بروح السباحة والعطف على ضعفهم ونقصهم وخطئهم وروح الرغبة الحقيقية في تطهيرهم و تثقيفهم ورفعهم إلى مستوانا بقدر ما نستطيع ، إنه ليس معنى هذا أن نتخلى عن آفاقنا العليا ومثلنا السامية ، أو أن نتملق هؤلاء الناس ونثنى على رذائلهم ، أو أن نشعرهم أننا

(1) تقدم تحريج الحديث في الصفحة (61 - 62) .

(2) إحياء علوم الدين . مرجع سابق : 2 / 238 .

أعلى منهم أفقاً، إن التوفيق بين هذه المتناقضات وسعة الصدر لما يتطلبه هذا التوفيق من جهد هو العظمة الحقيقية» (1).

ويقول في موضع آخر: «عندما نعيش لذواتنا فحسب، تبدو لنا الحياة قصيرة ضئيلة، تبدأ من حيث بدأنا نعي، وتنتهي بانتهاء عمرنا المحدود، أما عندما نعيش لغيرنا، أي عندما نعيش لفكرة، فإن الحياة تبدو طويلة عميقة، تبدأ من حيث بدأت الإنسانية وتمتد بعد مفارقتنا لوجه هذه الأرض.

إننا نعيش لأنفسنا حياة مضاعفة، حينما نعيش للآخرين، وبقدر ما نضاعف إحساسنا بالآخرين، نضاعف إحساسنا بحياتنا، ونضاعف ه ذه الحياة ذاتها في النهاية» (2).

وهكذا نجد أن الدعوة الإسلامية لا تثمر في النفوس إلا إذا خالط الداعية جموع المدعوين وصبر على أذاهم متحلياً بالشفقة والرحمة، باذلاً كل جهده في سبيل دعوتهم، فنجاته مرتبطة بنجاتهم.

(1) أفراح الروح . سيد قطب . دار عمار للنشر والتوزيع - عمّان / الأردن . ط 1 / 2002 م :

ص / 4

(2) المرجع السابق : ص / 2-3 .

المطلب الرابع

الأساليب المنافية للرفق في تعامل الدعوة فيما بينهم

الأصل في الدعوة أنهم حملة الرسالة بعد رسول الله ﷺ فهم الأسوة والقدوة فما دام أن ذلك هو الأصل كانت الفرقة والحقد والخلافات المتأزمة بين بعضهم من أشد الأساليب والطرق منافاة لمبدأ السماحة والرفق ، متناسين بهذا الاختلاف وهذه الفرقة أنهم أصحاب رسالة واحدة ودين واحد .

بل إن جميع دعاة البشرية من أنبياء - عليهم السلام - ومن تبعهم بإحسان من الدعوة إلى يوم الدين أصحاب رسالة واحدة ودين واحد حتى وإن تفرقت الملل ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ ﴾ (1) .

وقوله ﷻ : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (2) .

جاء بذلك أنبياء الله ورسله جميعاً - عليهم الصلاة والسلام - فقال نوح ﷺ لقومه : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴾ (3) .

(١) سورة النحل : رقم الآية (36) .

(٢) سورة الأنبياء : رقم الآية (92) .

(٣) سورة نوح : رقم الآية (1 - 3) .

وهي رسالة هود عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ ۗ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۙ﴾ (1).

كما أنها رسالة صالح عليه السلام: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۙ﴾ (2).

وبذلك أرسل جميع الأنبياء كيوسف عليه السلام فقال لمن معه في السجن :
﴿يَصْحَبِ السِّجْنِ ۙ أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۙ﴾ (3).

كذلك عيسى عليه السلام إذ قال لقومه : ﴿يَبْنَئِ بِإِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ۙ﴾ (4).

وهكذا يجب على الدعاة التأسى بما كان عليه الأنبياء - عليهم السلام - وعدم التفرق والتنازع الذي من عواقبه ضعف الدعوة الإسلامية وانحسار نشرها في بقاع الأرض ، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنزَعُوا فَنفُسُكُمُوتَ تَذَهَبَ رِيحَكُمْ وَأَصِيرُوا إِنَّا اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۙ﴾ (5).

وليعلموا أنهم في اعتصامهم وعدم اختلافهم كالجسد الواحد القوي ، فإذا تفرقوا ضعفوا وذلوا غيرهم ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد

(١) سورة الأعراف : رقم الآية (65) .

(٢) سورة الأعراف : جزء من الآية رقم (73) .

(٣) سورة يوسف : رقم الآية : (39) .

(٤) سورة المائدة : جزء من الآية رقم (72)

(٥) سورة الأنفال : جزء من الآية رقم (46) .

بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه» (1).

ويقول ﷺ: « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » (2).

وقوله ﷺ: « لا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً » (3).

ويقول الشاعر :

تجمعوا أمماً وصوروا أمة	فالملك أعظم بالعد	يد الأكثر
كونوا كبنيان يشدد بعضه	بعضاً فيأمن كل ريح صرصر	
والله لا حرية إلا التي	كتبت بصف الجيش لا بالأسطر	
لا شيء يفصلكم وهذا دينكم	ولسانكم فتمسكوا بالجواهر	(4)

فهذه وغيرها تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أهمية اتئلاف المسلمين عامة والدعاة خاصة لما في اتحادهم من فلاح للأمة الإسلامية وفي تفككهم وتناحرهم خسارة

(1) صحيح البخاري . أبواب المساجد . باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره . رقم الحديث : 1.466 / 1 . 182 . صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب . باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم . رقم الحديث : 2586 / 4 . 1999 .

(2) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب . باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم . رقم الحديث : 2586 / 4 . 1999 .

(3) صحيح البخاري : كتاب النكاح . باب لا يخطب من خطب على أخيه حتى ينكح أو يدع . رقم الحديث : 4849 / 5 . 1976 . صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب . باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم . رقم الحديث : 2563 / 4 . 1985 .

(4) روابط الأخوة الإسلامية على ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة . صادق محمد البيضاني . دار الهدى النبوي / مصر . ط 1 / 1430 هـ - 2009 م : ص / 220 - 221 .

وخفية ، فلا تزال الدعوة الإسلامية قوية بعون الله ، صامدة بمنه وكرمه مادام دعاة المسلمين متعاضدين فيما بينهم على كلمة واحدة وإن اختلفت آراءهم وتباينت شخصياتهم⁽¹⁾ .



(1) وسيتم التوسع في مطلب الرفق بالمخالف من المبحث الرابع في ذلك - بإذن الله - مع عرض نماذج للود والتقدير التي كانت بين السلف الصالح رحمهم الله رغم ما كان بينهم من اختلافات كثيرة .



المبحث الثالث

النصوص الواردة في الرفق من الكتاب والسنة وأقوال العلماء

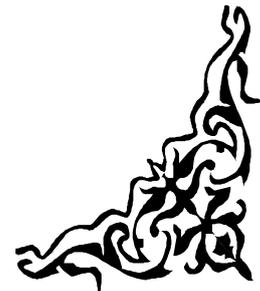
وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الآيات القرآنية الواردة في الرفق .

المطلب الثاني : الأحاديث النبوية الواردة في الرفق .

المطلب الثالث : من أقوال العلماء في أهمية الرفق وفضله .

المطلب الرابع : من مظاهر رفق الله ﷻ في الكون .



المطلب الأول

الآيات القرآنية الواردة في الرفق ومرادفاته

إن القرآن الكريم قد حفل بكثير من الآيات التي تحدثت عن الرفق لفظاً ومعنى وبينت ضرورته ومن هذه النصوص :

أولاً / آيات الرفق في القرآن الكريم :

ورد في القرآن الكريم لفظ الرفق وما تصرف عنه في خمس آيات

1 - قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (2)

2 - قول الله ﷻ: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهَا مِنْهُمُ سُرَادُهَاً وَإِنْ يَسْتَعِثُوا يَعْثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (3)

3 - قول الله ﷻ: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (4)

(1) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي

- بيروت . بدون طبعة . ص / 323 .

(2) تقدم تخريج الآية في نفس الصفحة .

(3) سورة الكهف : رقم الآية (29) .

(4) سورة الكهف : رقم الآية (31) .

4 - قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَعْرَضْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأَ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ (1).

5 - قول الله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ (2).

ثانياً / الآيات الواردة في معنى الرفق :

أ - آيات الرحمة في القرآن الكريم :

وردت مادة الرحمة في القرآن الكريم مرات عديدة في المصحف بلغ مجملها :
« ثلاثائة وثلاث وعشرون » (3) مرة :
- مائة وأربع مرات بلفظ (رحمة) (4) .

(1) سورة الكهف : رقم الآية (16) .

(2) سورة المائدة جزء من الآية رقم (6)

(3) انظر : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز . محمد الفيروز آبادي . دار المعارف - القاهرة . 1389 هـ . 2 / 252 .

(4) في مواضع كثيرة وهي - غير ما سيذكر - : في سورة البقرة الآية (178) وفي سورة آل عمران (8) والآية (107) وفي سورة النساء في الآيتين (96) و (175) وفي سورة الأنعام في الآيات (12 / 54 / 133 / 147 / 154 / 157) وفي سورة الأعراف في الآيات (49 / 52 / 72 / 154 / 203) وفي سورة التوبة في الآيتين (21) و (61) وفي سورة يونس في الآيتين (21) و (57) وفي سورة هود في الآيات (9 / 17 / 28 / 58 / 63 / 66 / 94) وفي سورة يوسف في الآية (111) وفي سورة الحجر الآية رقم (56) وسورة النحل في الآيتين (64) و (89) وسورة الإسراء في الآيات رقم (24 / 28 / 82 / 87 / 100) وفي سورة الكهف في الآيات (10 / 58 / 65 / 82 / 98) وفي سورة مريم في الآيتين (2) و (21)

- مرة واحدة بلفظ (مرحمة) .
- مرة واحدة أيضاً بلفظ رحماء .
- سبع وخمسون مرة بلفظ (الرحمن) .
- مائة وخمس عشرة مرة بلفظ (الرحيم) .
- أربع مرات بصيغة التفضيل (أرحم) .
- اثني عشرة مرة بلفظ الأرحام .
- مرة واحدة بلفظ (رُحماً) .
- خمس مرات بصيغة الأمر في الدعاء (ارحم) .
- خمس عشرة مرة بصيغة الفعل المضارع (يرحم / ترحم) .
- ثمان مرات بصيغة الفعل الماضي (رحم) .

وفي سورة الأنبياء في الآية (107) وفي سورة النمل في الآية (77) وفي سورة القصص في الآيات (43 / 46 / 86) وفي سورة العنكبوت الآية (51) وفي سورة الروم الآيات (21 / 23 / 36) وفي سورة لقمان في الآية رقم (3) وفي سورة الأحزاب في الآية (17) وفي سورة فاطر في الآية (2) وفي سورة يس في الآية (44) وفي سورة ص في الآيتين (9 / 43) وفي سورة الزمر في الآيات (9 / 38 / 53) وفي سورة غافر في الآية (7) وفي سورة فصلت في الآية (50) وفي سورة الشورى (48) وفي سورة الزخرف (32) وفي سورة الشورى (32) وفي سورة الزخرف (32) وفي سورة الدخان في الآية رقم (6) وفي سورة الجاثية (20) وفي سورة الأحقاف في الآية (12) وفي سورة الحديد في الآيتين (13 / 27) .

وهذه بعض الآيات الواردة في الرحمة :

- مثال على ما ورد في صيغة الرحمة بلفظها : قوله ﷻ : ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (1) وقوله ﷻ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (2) .

وقال الله ﷻ : ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (3) .

- مثال على ما ورد بصيغة الرحمن : قول الله ﷻ : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (4) .

- وقد ورد اللفظ في اسم الله الرحيم في مواضع عديدة منها : قوله ﷻ : ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (5) وقوله ﷻ : ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (6) .

- مثال على ما ورد بصيغة الفعل الماضي : ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرِّ لَلْجُؤِ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (7) .

(١) سورة البقرة : رقم الآية (157) .

(٢) سورة الأنبياء : رقم الآية (107) .

(٣) سورة آل عمران : جزء من الآية رقم (159) .

(٤) سورة الفرقان : رقم الآية (63) .

(٥) سورة المائدة : رقم الآية (98) .

(٦) سورة النساء : رقم الآية (110) .

(٧) سورة المؤمنون : رقم الآية (75) .

وبصيغة الفعل المضارع ﴿وَمَا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدَّ ضَلُّوا قَالُوا

لَيْن لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿(1) وقوله ﷺ :

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿2) .

وأما بصيغة الأمر فقوله ﷺ : ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا

فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿(3) .

وقوله ﷺ : ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿(4) .

- وبصيغة التفضيل قوله ﷺ : ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَيُّ مَسْفِي الضُّرِّ وَأَنْتَ

أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿(5) .

- وجاءت كلمة الرحمة بلفظ (رحما) مرة واحدة فقط في قوله ﷺ : ﴿فَارْدَنَا أَنْ

يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿(6) .

- وبلفظ الأرحام في مواضع متفرقة ، قال الله ﷻ : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ

تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿(7) وقوله ﷺ : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ

(١) سورة الأعراف : رقم الآية (149) .

(٢) سورة النور : رقم الآية (56)

(٣) سورة المؤمنون : رقم الآية (109) .

(٤) سورة المؤمنون : رقم الآية (118) .

(٥) سورة الأنبياء : رقم الآية (83) .

(٦) سورة الكهف : رقم الآية (81) .

(٧) سورة محمد : رقم الآية (22) .

الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ .

- وجاءت كلمة رحماء مرة واحدة بسورة الفتح في قوله ﷺ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (2) .

بينما جاءت كلمة المرحمة مرة واحدة بسورة البلد في قوله ﷺ: ﴿تَمَّكَانَ مِنَ

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ (3) .

ب/ آيات اللين في القرآن الكريم :

ورد لفظ اللين وما تصرف عنه في القرآن الكريم خمس مرات (4) في الآيات

التالية :

1 - قال الله ﷻ: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَهُ. يَتَذَكَّرُ أَوْ

يَخْشَىٰ﴾ (5) .

2 - قال الله ﷻ: ﴿فِيمَا رَحِمْتَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ غَافِقًا غَلِيظًا أَلْقَبُ لَأَنْفَضُوا

مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (6) .

(١) سورة آل عمران : رقم الآية (6) .

(٢) سورة الفتح : رقم الآية (29) .

(٣) سورة البلد : رقم الآية (17) .

(٤) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . ص / 323 .

(٥) سورة طه : رقم الآية (٤٣ - ٤٤) .

(٦) سورة آل عمران : رقم الآية (١٥٩) .

3 - قوله تبارك وتعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنِهِ أَوْ تَرَكَتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيْحَزِي الْفَاسِقِينَ ﴾ (1) .

4 - قوله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَنْجِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ (2) .

5 - قوله ﷻ : ﴿ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَقَشَرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنَ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ (3) .

ج / آيات الرأفة في القرآن الكريم :

- جاءت الرأفة في كتاب الله ﷻ مصدرًا في موضعين (4) :

1 - قوله ﷻ : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (5) .

2 - قوله ﷻ : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (6) .

(1) سورة الحشر : رقم الآية (5) .

(2) سورة سبأ : رقم الآية (10) .

(3) سورة الزمر : رقم الآية (23) .

(4) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . ص / 280 .

(5) سورة الحديد : جزء من الآية رقم (27) .

(6) سورة النور : رقم الآية (2) .

- وجاءت صفة الله ﷻ في إحدى عشر موضعاً :

- 1 - قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (1).
- 2 - قوله ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رُءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (2).
- 3 - قوله ﷻ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رُءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (3).
- 4 - قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (4).
- 5 - قوله ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيْنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (5).
- 6 - قوله ﷻ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (6).
- 7 - قوله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (7).

(1) سورة البقرة: رقم الآية (143).

(2) سورة البقرة: رقم الآية (207).

(3) سورة آل عمران: رقم الآية (30).

(4) سورة الحشر: رقم الآية (10).

(5) سورة الحديد: رقم الآية (9).

(6) سورة النور: رقم الآية (20).

(7) سورة الحج: رقم الآية (65).

8 - قوله ﷻ : ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (1) .

9 - قوله ﷻ : ﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَاغِهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ ۗ

إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (2) .

10 - قوله ﷻ : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (3) .

11 - قوله ﷻ : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ

اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ

إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (4) .

د / آيات الشفقة في القرآن الكريم :

وردت كلمة الشفقة وما تصرف منها من ألفاظ إحدى عشرة (5) مرة :

1 - قوله ﷻ : ﴿ وَوَضَعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا

مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا

يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (6) .

(1) سورة النحل : رقم الآية (47) .

(2) سورة النحل : رقم الآية (7) .

(3) سورة التوبة : رقم الآية (128) .

(4) سورة التوبة : رقم الآية (117) .

(5) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . مرجع سابق : ص / 384 .

(6) سورة الكهف : رقم الآية (49) .

- 2 - قوله ﷻ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ (1) .
- 3 - قوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ (2) .
- 4 - قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ (3) .
- 5 - قوله ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (4) .
- 6 - قوله ﷻ: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ (5) .
- 7 - قوله ﷻ: ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ (6) .
- 8 - قوله ﷻ: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جَحُونَكُمْ صَدَقْتُمْ﴾ (7) .
- 9 - قوله ﷻ: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ (8) .

(1) سورة الأنبياء: رقم الآية (28) .

(2) سورة الأنبياء: رقم الآية (49) .

(3) سورة المؤمنون: رقم الآية (57) .

(4) سورة الأحزاب: رقم الآية (72) .

(5) سورة الشورى: جزء من الآية رقم (18) .

(6) سورة الشورى: جزء من الآية رقم (22) .

(7) سورة المجادلة: جزء من الآية رقم (13) .

(8) سورة الطور: رقم الآية (26) .

10 - قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ (1) .

11 - قوله ﷻ: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ (2) .

هـ/ آيات اللطف في القرآن الكريم :

جاءت كلمة اللطف في القرآن الكريم مرة واحدة بصيغة الأمر (3) في قول الله

الله ﷻ: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا

فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ (4) .

- وجاءت صفة الله ﷻ في سبعة مواضع (5) :

1- قوله ﷻ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (6) .

2 - قوله ﷻ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (7) .

3 - قوله ﷻ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ

قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رُبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّبْحِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ

بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (8) .

(١) سورة المعارج : رقم الآية (27) .

(٢) سورة الانشقاق : رقم الآية (16) .

(٣) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . مرجع سابق : ص / 647 .

(٤) سورة الكهف : جزء من الآية رقم (19) .

(٥) انظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . مرجع سابق : ص / 647 .

(٦) سورة الملك : رقم الآية (14) .

(٧) سورة الأنعام : رقم الآية (103) .

(٨) سورة يوسف : رقم الآية (100) .

4 - قوله ﷻ: ﴿لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً
إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (1).

5 - قوله ﷻ: ﴿يَبْنِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي
السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (2).

6 - قوله ﷻ: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُمْتَلِي فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (3).

7 - قوله ﷻ: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (4).

ح / آيات العفو في القرآن الكريم :

جاء لفظ العفو وما تصرف منه (36) مرة في القرآن الكريم :

جاءت مرتين بلفظ العفو : قول الله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوُ
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (5) وقوله ﷻ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ
بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (6).

(1) سورة الحج : رقم الآية (63) .

(2) سورة لقمان : رقم الآية (16) .

(3) سورة الأحزاب : رقم الآية (34) .

(4) سورة الشورى : رقم الآية (19) .

(5) سورة البقرة : جزء من الآية رقم (219) .

(6) سورة الأعراف : رقم الآية (199) .

- وجاءت خمس مرات صفة لله ﷻ :

1 - قال الله ﷻ : ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (1) .

2 - قال الله ﷻ : ﴿ فَأُولَٰئِكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (2) .

3- قال الله ﷻ : ﴿ إِنْ يُبَدُّوا خَيْرًا أَوْ لُخْفُوهُ أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ (3) .

4 - قال الله ﷻ : ﴿ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْنَاهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ ﴾ (4) .

5 - قال الله ﷻ : ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِمَّن نَسَايَهُمْ مَا هُمْ بِأُمَّهَاتِهِمْ وَإِن أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّاتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ ﴾ (5) .

- وجاءت مرة واحدة صفة للمؤمنين في قول الله ﷻ : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ

وَالضَّرَّاءِ وَالْكَنُظْمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (6) .

(1) سورة النساء : رقم الآية (43) .

(2) سورة النساء : رقم الآية (99) .

(3) سورة النساء : رقم الآية (149) .

(4) سورة الحج : رقم الآية (60) .

(5) سورة المجادلة : رقم الآية (2) .

(6) سورة آل عمران : رقم الآية (134) .

- وجاءت إحدى عشرة مرة بصيغة الفعل الماضي :

1 - قال الله ﷻ : ﴿ أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ﴾ (1) .

2 - قال الله ﷻ : ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (2) .

3 - قال الله ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَانَ إِنَّمَا أَسْتَرَلَهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (3) .

4 - قال الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ طَ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أُرْيَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ؕ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ اللَّهُ نِيكَاً وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ؕ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (4) .

5 - قال الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بِلِغِ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّراً طَ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَاماً لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ؕ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ (5) .

- قال الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ

(1) سورة البقرة : رقم الآتي (187) .

(2) سورة البقرة : رقم الآية (52) .

(3) سورة آل عمران : رقم الآية (155) .

(4) سورة : آل عمران : رقم الآية (152) .

(5) سورة المائدة : رقم الآية (95) .

تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدِلْكُمْ عَفَاَ اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١﴾ .

6 - قال الله ﷻ : ﴿عَفَاَ اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ

صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ﴾ (2) .

7 - قال الله ﷻ : ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا

يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (3) .

8 - قال الله ﷻ : ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ

ءِآبَاءَنَا الصَّرَاءَ وَالسَّرَاءَ فَأَخَذْنَاهُمْ بَعْنَةً وَهُمْ لَا يُشْعُرُونَ﴾ (4) .

- قال الله ﷻ : ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا

مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ الصُّعِقَةَ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ

مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطٰنًا مُّبِينًا﴾ (5) .

9 - قال الله ﷻ : ﴿يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ

وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأْتِبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسٰنٍ

ذٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (6) .

(١) سورة المائدة : رقم الآية (101) .

(٢) سورة التوبة : رقم الآية (43) .

(٣) سورة الشورى : رقم الآية (40) .

(٤) سورة الأعراف : رقم الآية (95) .

(٥) سورة النساء : رقم الآية (153) .

(٦) سورة البقرة : رقم الآية (178) .

- وجاءت اثنتا عشرة مرة بصيغة الفعل المضارع :

1 / 3 - ثلاث مرات في قوله الله ﷻ : ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الزَّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (1) .

4 - قال الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَوْا وَنَصَفَحُوا وَتَغَفَرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (2) .

5 - قال الله ﷻ : ﴿ إِنْ تُبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخْفَوُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴾ (3) .

7 - قال الله ﷻ : ﴿ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا ﴾ (4) .

8 - قال الله ﷻ : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (5) .

9 - قال الله ﷻ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ (6) .

(1) سورة البقرة : رقم الآية (237) .

(2) سورة التغابن : رقم الآية (14) .

(3) سورة النساء : رقم الآية (149) .

(4) سورة النساء : رقم الآية (99) .

(5) سورة المائدة : رقم الآية (15) .

(6) سورة الشورى : رقم الآية (25) .

10 - قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (1).

11 - قال الله ﷻ: ﴿ أَوْ يُؤَيِّتُهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (2).

12 - قال الله ﷻ: ﴿ لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعُفَ عَنْ طَآئِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (3).

- كما جاءت خمس مرات بصيغة فعل الأمر:

1 - قال الله ﷻ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (4).

2 - قال الله ﷻ: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا إِنَّتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (5).

3 - قال الله ﷻ: ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ۗ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۗ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (6).

(1) سورة الشورى : رقم الآية (30) .

(2) سورة الشورى : رقم الآية (34) .

(3) سورة التوبة : رقم الآية (66) .

(4) سورة البقرة : رقم الآية (109) .

(5) سورة البقرة : جزء من الآية رقم (286) .

(6) سورة آل عمران : رقم الآية (159) .

4 - قال الله ﷻ : ﴿ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ، وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ، وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (1).

5 - قال الله ﷻ قال الله ﷻ : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (2).

- وهناك نصوص كثيرة حثت على هذا الخلق وأمرت به في غير الآيات السابقة ، ومن هذه النصوص :

1 - قول الله ﷻ : ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (3)

2- قوله ﷻ : ﴿ وَلَا تَسْتَوِيَ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (4).

4 - قوله ﷻ : ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (5).

(١) سورة المائدة : رقم الآية (13) .

(٢) سورة النور : رقم الآية (22) .

(٣) سورة الحجر : جزء من الآية رقم (88) .

(٤) سورة فصلت : رقم الآية (34 - 35) .

(٥) سورة الإسراء : رقم الآية (53) .

5 - قوله ﷺ: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي

هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (1).

وتكثر النصوص القرآنية الحاثية على الرفق وفي ذلك دلالة مؤكدة على أهميته وفضله والثواب الكبير لمن امتثل لأوامر الله ﷻ في التحلي بهذا الخلق ، كما أن تعدد الآيات وتشعبها دلالة موضحة لساحة الدين الإسلامي وأنه دين رحمة ورفق لا عنف وغلظة .

(1) سورة النحل: رقم الآية (125) .

المطلب الثاني

الأحاديث النبوية الواردة في الرفق ومرادفاته

أولاً / الأحاديث النبوية الواردة في الرفق بلفظه:

وردت أحاديث في الرفق بلفظه أذكر منها :

1- عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ » (1) .

2- عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهِ » (2) .

3- عن جرير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من يُحْرِمِ الرَّفْقَ يُحْرِمِ الْخَيْرَ » (3) .

4- عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « من أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ » (4) .

(1) صحيح مسلم . كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ . بَابُ فَضْلِ الرَّفْقِ . رقم الحديث : 2594 .
2004 / 4 .

(2) صحيح مسلم : كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ . بَابُ فَضْلِ الرَّفْقِ . حديث : 2593 .
2003 / 4 .

(3) سنن أبي داود : كِتَابُ الْأَدَبِ . بَابُ فِي الرَّفْقِ . 4 / 255 . ورواه ابن ماجه في سننه . كِتَابُ الْأَدَبِ . بَابُ الرَّفْقِ . 2 / 1216 . ورواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن جرير بن عبد الله . 4 / 366 . ورواه البخاري في الأدب المفرد . 1 / 164 .

(4) سنن الترمذي: كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ بَابُ مَا جَاءَ فِي الرَّفْقِ رقم الحديث: 2013 . 4 / 367 .

5 - عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « اللهم من رفق بأمتي فارفق به ومن شق عليهم فشق عليه » (1) .

6 - عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق » (2) .

ثانياً / الأحاديث الواردة في مترادفات الرفق :

(أ) الرأفة :

عن أبي بن كعب أن أبا هريرة رضي الله عنه كان جريئاً على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها غيره فقال : يا رسول الله ما أول ما رأيت في أمر النبوة ؟ . فاستوى رسول الله ﷺ جالساً وقال : « لقد سألت أبا هريرة أني لفي صحراء بن عشر سنين وأشهر وإذا بكلام فوق رأسي وإذا رجل يقول لرجل أهو هو ، قال : نعم . فاستقباني بوجهه لم أرها لخلق قط وأزواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فاقبلا إليّ يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجدهما مساً فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعاني بلا قصر ولا هضر وقال أحدهما لصاحبه : أفلق (3) صدره فهوى أحدهما إلى صدري ففلقها فيما أرى بلا دم ولا وجع . فقال له : أخرج الغل والحسد فاخرج شيئاً كههيئة العلقة ثم نبذها

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل . 6 / 62 . ومسند إسحاق بن راهويه . 3 / 1020 .

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل : 6 / 71 . مسند ابن الجعد . علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن

الجوهري البغدادي . تحقيق : عامر أحمد حيدر . مؤسسة نادر - بيروت . ط 1 / 1410 هـ -

1990 م : 1 / 495 .

(3) فلق الشيء أي شقه (مختار الصحاح . مادة (فلق) : 1 / 21) .

فَطَرَحَهَا . فقال له : أَدْخِلِ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ فَإِذَا مِثْلُ الَّذِي أُخْرِجَ يُشْرِبُهُ الْفِضَّةَ ، ثُمَّ هَزَّ
إِيَّهَاًمَ رَجُلِي الْيُمْنَى فقال : اغدوا سلم فَرَجَعْتُ بِهَا أَغْدُو رِقَّةً عَلَى الصَّغِيرِ وَرَحْمَةً
لِلْكَبِيرِ (1) .

(ب) اللين :

1- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ
يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ » (2) .

2- عن راشد بن سعد قال لَقِينِي أَبُو أَمَامَةَ فَأَخَذَ بِيَدِي ثُمَّ لَقِينِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
فَأَخَذَ بِيَدِي ثُمَّ قَالَ « يَا أَبَا أَمَامَةَ إِنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَلِينُ لَهُ قَلْبِي » (3) .

3- عن أبي إسحاق قال سمعت البراء رضي الله عنه يقول : أَهْدَيْتُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم حُلَّةً
حَرِيرٍ فَجَعَلَ أَصْحَابُهُ يَمْسُونَهَا وَيَعْجَبُونَ مِنْ لِينِهَا فَقَالَ : « أَتَعْجَبُونَ مِنْ لِينِ هَذِهِ
لِمَنَادِيلِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ خَيْرٌ مِنْهَا وَأَلِينُ » (4) .

(1) مسند أحمد بن حنبل من حديث محمد بن أبي بن كعب عن أبيه رضي الله عنه . رقم الحديث : 21296 .

. 139 / 5

(2) مسند الإمام أحمد بن حنبل عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . رقم : 3938 / 1 . وابن حبان

في صحيحه : باب حسن الخلق . رقم : 469 / 2 . المستدرک علی الصحیحین .

. 215 / 1

(3) المعجم الكبير . الطبراني . رقم الحديث : رقم الحديث : 7499 / 8 . 103 .

(4) صحيح البخاري . كتاب فضائل الصحابة . باب في مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه . رقم الحديث :

3591 / 3 . صحيح مسلم . كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم . باب من

فضائل سعد بن معاذ رضي الله عنه . رقم الحديث : 2468 / 4 . 1916 .

(ج) الرحمة :

1 - عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال قَبَّلَ رسول الله ﷺ الحُسَيْنَ بنَ عَلِيِّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بنَ حَابِسِ التَّمِيمِيِّ جَالِسًا فقال الأَقْرَعُ إِنَّ لي عَشْرَةَ من الوَلَدِ ما قَبَّلْتُ منهم أَحَدًا فَنظَرَ إليه رسول الله ﷺ ثُمَّ قال : « من لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ » (1) .

2- عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ : « تَحَاجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ فقالت النارُ أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَرِّينَ وَقَالَتِ الجَنَّةُ ما لي لا يَدْخُلُنِي إِلا ضِعْفَاءُ الناسِ وَسَقَطَهُمُ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ من أَشَاءُ من عِبَادِي وقال لِلنَّارِ إِنما أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ من أَشَاءُ من عِبَادِي

3- عن عُمَرَ بنِ الحُطَّابِ رضي الله عنه قَدِمَ على النبي ﷺ سَبِيًّا فإذا امرأَةٌ من السَّبْيِ قد تَحَلَّبُ ثَدْيَها تَسْقِي إِذا وَجَدَتْ صَبِيًّا في السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِها وَأَرْضَعَتْهُ فقال لنا النبي ﷺ : « أَتَرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَها في النَّارِ قُلْنَا: لا وَهي تَقْدِرُ على أَنْ لا تَطْرَحَهُ. فقال: « اللهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ من هَذِهِ بِوَلَدِها » (3) .

4 - عن أَبِي هُرَيْرَةَ عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْها رَحْمَةً وَاحِدَةً

(١) صحيح البخاري : كِتَابُ الأَدَبِ . باب رَحْمَةِ الوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ . رقم : 5651 / 5 . 2235 .

صحيح مسلم : كِتَابُ البرِ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ . باب رَحْمَتِهِ ﷺ بِالصَّبِيانِ وَالعِيالِ وَتَوَاضَعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ . رقم : 2318 / 4 . 1808 .

(٢) صحيح البخاري : كِتَابُ التفسيرِ . باب قَوْلِهِ « وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ » رقم الحديث : 4569 . 1836 / 4 .

(٣) صحيح البخاري : كِتَابُ الأَدَبِ . باب رَحْمَةِ الوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ . رقم الحديث : 5653 .

5 / 2235 . صحيح مسلم : كِتَابُ التَّوْبَةِ . باب في سِعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى وَأَنَّها سَبَقَتْ غَضَبَهُ . رقم الحديث : 2754 / 4 . 2109 .

بين الجنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ الْهُوَامِ فِيهَا يَتَعَاطَفُونَ وَبِهَا يَتَرَاحُمُونَ وَبِهَا تَعُطِفُ الْوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا وَأَخْرَ اللَّهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (1)

5 - عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « قال الله عز وجل سبقت رحمتي غضبي » (2) .

6 - عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « أرحم أمتي بأمتي أبو بكر » (3) .

7 - عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت : سألت رسول الله ﷺ عن الطَّاعُونَ فَأَخْبَرَنِي : « أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونَ فَيَمُوتُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ » (4) .

8 - عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري رضي الله عنه أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ مرَّ عليه بِجِنَازَةٍ فَقَالَ : « مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْمُسْتَرِيحُ عَلَيْهِ بِجِنَازَةٍ فَقَالَ :

(1) المصدر السابق : نفس الكتاب والباب . رقم الحديث : 2752 . 4 / 2108 .

(2) المصدر السابق : نفس الكتاب والباب . رقم الحديث : 2751 . نفس الجزء والصفحة .

(3) سنن النسائي الكبرى : كتاب المناقب . مناقب أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار

والنساء . فضل زيد بن ثابت رضي الله عنه رقم الحديث : 8287 . 5 / 78 . صحيح ابن حبان . ذكر

البيان بأن معاذ بن جبل كان من أعلم الصحابة بالحلال والحرام . جزء من الحديث رقم :

(7131) . 16 / 74 . سنن أبي داود : كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ . باب مناقب معاذ بن

جبل وزيد بن ثابت وأبي وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم . رقم الحديث : 3790 . 5 / 664 .

(4) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء . باب « أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم » حديث

الغار . رقم الحديث : 3287 . 3 / 1281 .

وَالْمُسْتَرَّاحُ مِنْهُ؟ قَالَ: « الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالذَّوَابُّ » (1).

(د) الشفقة :

1 - عن سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: أَخْبِرْنَا عَنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ مَاذَا فِيهِ مِنَ الْخَيْرِ؟ قَالَ: « فِيهِ خَمْسٌ خِلَالَ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ هَبَطَ آدَمُ وَفِيهِ تُوْفِيَ آدَمُ وَفِيهِ سَاعَةٌ لَا يَسْأَلُ اللَّهُ عَبْدٌ فِيهَا شَيْئًا إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ مَا لَمْ يَسْأَلْ مَأْنَفًا أَوْ قَطِيعَةً رَحِمٍ وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ مَا مِنْ مَلِكٍ مُقَرَّبٍ وَلَا سَمَاءٍ وَلَا أَرْضٍ وَلَا جِبَالٍ وَلَا حَجَرٍ إِلَّا وَهُوَ يُشْفِقُ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ » (2).

2 - عن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: « مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ وَلَمْ يَشْفُقْ (3) رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » (4).

هذه طائفة عطرة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تدل - كما دلت الآيات من قبل -

على أهمية الرفق ، وهكذا يكون الإسلام قد قدم منهجاً متكاملًا ينبغي أن يسير عليه الدعاة إلى الله خاصة وجميع المسلمين عامة في التعامل بهذا الخلق العظيم

(١) صحيح البخاري: كتاب الرِّقَاقِ . باب سَكَرَاتِ الْمَوْتِ . رقم الحديث : 6147 . 5 / 2388 .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل : 5 / 284 .

(٣) أي غير مقلل ولا جازع (لسان العرب . ماد : شفق . 10 / 180) .

(٤) سنن الدارمي : كتابِ الْمَنَاسِكِ . باب فِي فَضْلِ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ . رقم الحديث : 1796 . 2 / 49 .

مسند الإمام أحمد بن حنبل عن حديث أبي أمامة . رقم الحديث : 22353 . 5 / 267 .

المطلب الثالث

من الأقوال الواردة في الرفق

لقد تأثر أصحاب الرسول ﷺ ومن جاء من بعدهم من التابعين وتابعي التابعين ومن تبعهم بإحسان بهدي القرآن والسنة ، وهذه أقوالهم التي تدل على هذا التأثير في ضرورة التحلي بالرفق وفضله :

أولاً / أقوال السلف في الرفق :

1 -- قال أبو الدرداء رضي الله عنه : « إن من فقه الرجل رفقته في معيشتك⁽¹⁾ .

2 -- قال عمر بن عبد العزيز : جاء عن عمرو بن العاص أنه كتب إلى معاوية يعاتبه في التآني فكتب إليه معاوية : أما بعد : « فإن التفهم في الخير زيادة رشد ، وإن الرشيد من رشد عن العجلة ، وإن الخائب من خاب عن الأناة ، وإن المثبت مصيب ، أو كاد أن يكون مصيباً ، وإن العجل مخطئ أو كاد أن يكون مخطئاً ، وإن من لا يخفعه الرفق يضره الخي ، ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي⁽²⁾ .

3 -- عن عبد الله ابن عياش عن أبيه قال : شهد أعرابي عند معاوية بشهادة فقال معاوية : كذبت . فقال الأعرابي : إن الكاذب للمتزمل في ثيابك . فقال معاوية : هذا جزاء من يعجل⁽³⁾ .

(1) الزهد . هناد بن السري الكوفي . تحقيق : عبد الرحمن عبد الجار الفريوائي . دار الخلفاء للكتاب الإسلامي / الكويت . ط 1 / 1406 هـ : 2 / 654 .

(2) لا تغضب . أحمد عبد الرحمن . دار الإيوان - الإسكندرية . بدون طبعة أو تاريخ النشر . ص / 179 .

(3) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء . محمد البستي . تحقيق : محمد محي الدين عبد الح ميد . دار الكتب العلمية - بيروت . 1397 هـ - 1977 م : 1 / 219 .

- 4 - قيل للإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله تعالى) : كيف ينبغي أن يأمر ؟ قال :
« يأمر بالرفق والخضوع ، إن أسمعوه ما يكره لا يغضب فيكون يريد يتتصر
لنفسه » (1) .
- 5 - قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فلا بد من هذه الثلاثة : العلم ، و الرفق ،
و الصبر . العلم قبل الأمر والنهي ، والرفق معه والصبر بعده ، وإن كان كل من
الثلاثة لا بد أن يكون مستصحباً في هذه الأحوال » (2) .
- 6 - قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه : « عجبت لمن يطلب أمراً بالغلبة وهو يقدر
عليه بالحجة ، ولمن يطلبه بخرق وهو يقدر عليه برفق » (3) .
- 7 - قال الحسن البصري (رحمه الله تعالى) : « إن المؤمن وقاف ، متأن ، وليس
كحاطب ليل » (4) .
- 8 - « ما أحسن الإيمان يزينه العلم ، وما أحسن العلم يزينه الرفق وما أضيف
شيء إلى شيء مثل حلم إلى رفق » (5) .
- 9 - قال أشجع السلمي لجعفر بن أبي يحيى : « ما كاد يُدرك بالرجال ولا بالمال
ما أدركت بالرفق » (6) .

(1) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . أبو بكر الخلال . تحقيق : عبد القادر أحمد عطا . دار الباز
للنشر والتوزيع - مكة المكرمة . ط 1 / 1406 هـ : ص / 50 .

(2) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية . مرجع سابق : ص / 30 .

(3) فتح الخلاق في مكارم الأخلاق . أحمد سعيد الدجوي . تحقيق : عبد الرحيم مارديني . مكتبة دار
المحبة . الطبعة الأولى : 1411 هـ - 1991 م . ص / 114 .

(4) لا تغضب ، أحمد عبد الرحمن . مرجع سابق : ص / 180 .

(5) إحياء علوم الدين للغزالي . مرجع سابق : 3 / 189 .

(6) فتح الخلاق في مكارم الأخلاق . أحمد سعيد الدجوي . مرجع سابق : ص / 114 .

10 - عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال : « مكتوب في الحكمة الرفق رأس الحكمة » (1) .

11 - « إذا لم يدرك الظفر بالرفق فبماذا يدرك ؟ » (2) .

12 - « من غرس الحلم شجراً ، وسقى الأناة درراً ، جنا منه ثمراً ، وأثبت في المكارم أثراً » (3) .

13 - « يدرك بالرفق ما لا يدرك بالعنف ، ألا ترى أن الماء من لينه يقطع الحجر على شدته » (4) .

14 - « يد الرفق تحين ثمرة السلامة ، ويد الخرق تغرس شجرة الندامة (5) »

15 - « يلزم الرفق في الأوقات والاعتدال في الحالات لأن الزيادة على المقدار في المبتغي عيب كما أن النقصان فيما يجب من المطلب عجز وما لم يصلحه الرفق لم يصلحه العنف ولا دليل أمهر من رفق كما لا يظهر أوثق من العقل ومن الرفق يكون الاحتراز وفي الاحتراز ترجي السلامة وفي ترك الرفق يكون الخرق وفي لزوم الخرق تخاف الهلكة » (6) .

(1) الزهد . أحمد بن عمرو الشيباني . تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد . دار الريان للتراث / القاهرة . ط2 - 1408 هـ . 1 / 49 .

(2) فتح الخلاق في مكارم الأخلاق . مرجع سابق . ص / 115 .

(3) الشهب اللامعة في السياسة النافعة . أبو القاسم ابن رضوان المالقي . تحقيق : علي سامي النشار . دار الثقافة - المغرب . ط1 . 1404 هـ - 1984 م : ص / 106 .

(4) المصدر السابق . نفس الصفحة . أيضاً : العقد الفريد : 2 / 190 .

(5) فتح الخلاق في مكارم الأخلاق . مرجع سابق : ص / 115 .

(6) روضة العقلاء . مرجع سابق : 1 / 216 .

16 - « يد الرفق تجني ثمرة السلامة ويد الخرق تغرس شجرة اللدائمة⁽¹⁾ »

17 - « ما أحسن الإيمان يزينه العلم وما أحسن العلم يزينه العمل حوماً للعمل

يزينه الرفق وما أضيف شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم⁽²⁾ .

18 - « الخرق بالرفق يلجم »⁽³⁾ .

ثانياً / أقوال العلماء والدعاة المعاصرين في الرفق :

1 - يقول الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - في درس دعوي له بعنوان

(الدعوة إلى الله وأخلاق الدعوة) : « عليك - يا عبد الله - أن ترفق في دعوتك ، ولا

تشق على الناس ، ولا تنفرهم من الدين ، ولا تنفرهم بغلظتك ولا بجهلك ، ولا

بأسلوبك العنيف المؤذي الضار ، عليك أن تكون حليماً صبوراً ، سلس القيادة ،

لين الكلام ، طيب الكلام ، حتى تؤثر في قلب أخيك ، وحتى تؤثر في قلب المدعو ،

وحتى يأنس لدعوتك ويلين لها ويتأثر بها ، ويثني عليك بها ، ويشكرك عليها ، أما

العنف فهو منفر لا مقرب ومفرق لا جامع »⁽⁴⁾ .

2 - ويقول الدكتور سعيد بن مسفر القحطاني - حفظه الله - : « الرفق

(1) فتح الخلاق في مكارم الأخلاق . مرجع سابق : ص / 115 .

(2) الزهد لابن المبارك : 1 / 470 .

(3) مجمع الأمثال . أبو الفضل أحمد الميداني النيسابوري . تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد . دار

المعرفة / بيروت . 1 / 263 .

(4) مجموع دروس ورسائل في الدعوة إلى الله . عبد العزيز بن باز / محمد بن صالح العثيمين /

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ . دار ابن الجوزي / القاهرة . ط 1 / 1427 هـ - 2006 م :

ص / 26 .

والرحمة واللين من أبرز الصفات وأهم الخصائص للداعية إلى الله ﷻ إذ أنه يتعامل مع القلوب ، والقلوب حساسة رقيقة تجذبها العبارة الطيبة وتنفرها وتطردها اللفظة النابية والكلمة الجافية ، وهذه الصفات محبوبة - عند الله ﷻ - لأنها تكسب من تحلى بها دماثة الخلق ورقة الجانب وحسن العشرة وتجعله محبوباً عند الناس ، قريباً من نفوسهم ، خفيفاً على أرواحهم ، وبالتالي يقبلون على دعوته ، ويستجيبون لتوجيهاته ، ويكون ذلك سبباً في نجاتهم وفوزهم وسعادتهم « (1) .

3 - ويقول الأستاذ الدكتور فضل إلهي - حفظه الله - : « ينشأ عند كثير من المدعويين نفور تجاه الداعية بسبب دعوته وذلك لأنه يخالف رغبات كثير منهم ويعارض شهواتهم حيث يحثهم على فعل ما لا يرغبون فيه ويحذرهم عما يهونونه ، لكن اتصاف الداعية بالرفق يساهم - بعون الله تعالى - في إزالة أو تقليل هذا النفور « (2) .

4 - ويقول إبراهيم النعمة في كتابه (فقه الدعوة والداعية) : « إذا كانت الرحمة من أهم أخلاق الداعية ، فإن الغلظة والفظاظة لا تنتج إلا الشر والسوء والإعراض عن دعوة الله ﷻ ، وحتى لو كان ما يقوله حقاً وصدقاً ، وقد مدح الله رسوله الكريم بقوله : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (3) .

(1) الدعوة إلى الله تجارب وذكريات . سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني . دار طيبة الخضراء / مكة المكرمة . ط 2 / 1423 هـ . ص / 261 .

(2) من صفات الداعية اللين والرفق . فضل إلهي ظهير . مرجع سابق : ص / 3 .

(3) سورة آل عمران : رقم الآية (159) .

وأما الرفق في الدعوة ، فهو خلق إسلامي كريم ، أمر الله به في آيات كريمات ، كما أمر به رسوله ﷺ ، وإذا كانت ملاطفة من يرجى إسلامه خلقاً كريماً دعا إليه الإسلام - مع الكفار - فكيف بالمسلم الذي شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً ﷺ رسول الله ، أليس هو أحق بالرفق من الكافر ؟ فطبيعة هذا الدين قائمة على الرفق واللين» (1) .

5 - ويقول الدكتور عبد الحلیم الرمحي : « ينبغي أن يتحلى الداعية بالحلم ، والمصابرة وسعة الصدر ، وأن يحمل نفسه إلى أخذ المدعوين بالرفق والمودة ولين الجانب ، مشاركاً إياهم في همومهم ، ذلك أن الغلظة والفظاظة والخشونة والفوقية والتعنيف والتجهيل أمراض خطيرة تجعل حامل الدعوة غريباً بين أهله وناسه وقد جسدت الفكرة الإسلامية هذه الظاهرة وحددت إطارها ورسمت أبعادها ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (2) وقال : ﴿ فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (3) .

وقال الله ﷻ : ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (4) فالنفس البشرية لها عزتها وكرامتها ولها عنادها ، فلا تنقاد إلى القول الخشن ، ولا تقبل التوبيخ والإساءة ، بل

(1) فقه الدعوة والداعية . إبراهيم النعمة . دار الفرقان للتوزيع والنشر - عمان / الأردن . بدون

طبعة أو تاريخ نشر . ص / 89 .

(2) سورة التوبة : رقم الآية (128) .

(3) سورة آل عمران : رقم الآية (159) .

(4) سورة الشعراء : جزء من الآية رقم (215) .

تميل إلى اللين والرفق والإحسان ، والكلمة لها تأثيرها فتنفذ إلى أعماق النفس فنراها تلين القلب وترققه وتنشد إلى اللطف والمسامحة ، والنفس البشرية تحتاج إلى عنصر مشوق وجذاب وتسامح ومحبة ، وأن ينظر الدعاة إلى المدعوين نظر الأخوة والمنظومة، التراحم وشفقة المحب ، إذ المسلمون على نفس واحدة يثق بهم ويقدم لهم العلاج ويتفاعل معهم ويقودهم إلى طريق الخير والسعادة» (1) .

6 - ويقول الدكتور محمد منصور : « إن الشفقة في قلب الداعي لا بد أن

ترجم في دعوته لمن يدعو في شكل لين ورفق في أقواله وأفعاله كما يقول الرسول ﷺ : « إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ » (2) وقوله ﷺ : « يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطَى عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطَى عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطَى عَلَى مَا سِوَاهُ » (3) فهو من شفقتة دائم الترغيب لمن حوله في الله ﷻ وجنته وإسلامه وكيف يسعدهم لو اتبعوه ، ودائم التعاون معهم والخدمة لهم ، والتدرج معهم والصبر عليهم ، والفرحة بهم كلما عادوا إلى ربهم ، أو التزموا بشيء من دينه ، كما فرح الرسول ﷺ بإسلام خادمه اليهودي إذ أن ذلك معناه خطوة أبعد عن النار ودرجة أعلى في الجنة ، فالفرحة من الأدلة العملية على الثقة (4)

7 - ويقول فتحي يكن : « النفوس جُبلت على حب من أحسن إليها ، وقد

(1) مفاهيم في فقه الدعوة وأساليبها . عبد الحليم محمد الرمحي . دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع

- عمان . ط 1 / 2002 م . ص / 93 .

(2) تقدم تخريج الحديث في الصفحة (6) .

(3) تقدم تخريج الحديث في الصفحة (7) .

(4) الدعوة الفردية وسائل ومفاهيم . محمد منصور . دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة /

مصر . ط 1 / 1424 هـ - 2003 م . ص / 228 - 229 .

تدفعها القسوة والشدة أحياناً إلى المكابرة والإصرار والنفور فتأخذها العزة بالإثم ،
وليس معنى اللين المداهنة والرياء والنفاق ، وإنما بذل النصيح وإسداء المعروف
بأسلوب دمث ومؤثر ، يفتح القلوب ويشرح الصدور «⁽¹⁾ .

ثالثاً / أقوال الشعراء في الرفق :

1 - - أنشد منصور بن محمد الكريزي :

الرفق أيمن شيء أنت تتبعه
وذو الثبث من حمد إلى ظفر
والخرق أشأم شيء يقدم الرجلا
من يركب الرفق يستقيح الزللا⁽²⁾
2 - يقول النابغة الذبياني :

الرفق يمن والأناة سعادة
3 - يقول الشاعر :

فاستأن في رفق تلاق نجاحاً⁽³⁾

تأن ولا تعجل لأمر تريده
4 - وأنشد محمد بن حبيب الواسطي :

وكن رحماً للناس تبلى براحم⁽⁴⁾

بني إذا ما ساقك الضر فاتند
فلا تحمين عند الأمور تعززا
فا لرفق أولى بالأريب واحرز⁽⁵⁾
فقد يورث الذل الطويل التعزز

(١) مشكلات الدعوة والداعية . فتحي يكن . مؤسسة الرسالة - بيروت / لبنان . ط 16 /

1412 هـ - 2001 م . ص / 120 .

(٢) روضة العقلاء : 1 / 216 .

(٣) العقد الفريد : 2 / 190 .

(٤) فتح الخلاق في مكارم الأخلاق . أحمد سعيد الدجوي : ص / 116 .

(٥) روضة العقلاء : 1 / 218 .

5 - يقول محمود سامي البارودي :

فاستعمل الرفق تعش راشداً
واعطف على الأذنى تكن سيّداً

6 - وأنشد المنتصر بن بلال الأنصاري :

الرفق ممن سيلقى اليمن صاحبه
والحزم أن يتأنى المرء فرصته
والخرق منه يكون العنف والزلل
والكف عنها إذا ما أمكنت فشل (2)

7 - ويقول أحمد بن موسى الأزرق :

وزن الكلام إذا نطقت فإنها
لا ألفينك ثاويماً في غربة
بيدى العقول أو العيوب المنطق
لو سار ألف مدجج في
إن الغريب بكل سهم يرشق
حاجة لم يقضها إلا الذي يترفق (3)

8 - يقول أبو الفتح البستي :

ورافق الرفق في كل الأمور فلم
ولا يغرنك حظُّ جرّه خرقاً
يندم رفيق ولم يذمه إنسان
فالخرق هدم ورفق المرء بنيان (4)

9 - يقول عبد الرحمن التميمي ، المشهور بـ (ابن عائشة) :

لن يدرك المجد أقوامٌ وإن كرموا
ويصفحوا عن ك ثير من إساءتهم
حتى يذلوا وإن عزوا لأقوام
لا صفح ذلٍ ولكن صفح أحلام (5)

هذه طائفة من أقوال علماء السلف والدعاة المعاصرين والشعراء تدل على أهمية الرفق أقدمها لكل الدعاة العاملين في حقل الدعوة إلى الله ﷻ .

(١) ديوان البارودي . محمود سامي البارودي . تحقيق : علي الجارم / محمد شفيق معروف . دار العودة - بيروت . بدون طبعة . 1992 م : 1 / 2293 .
(٢) روضة العقلاء : 1 / 215 .
(٣) المصدر السابق : 1 / 216 .
(٤) فتح الخلاق في مكارم الأخلاق . مرجع سابق : ص / 115 .
(٥) الشهب اللامعة في السياسة النافعة . المألقي . مرجع سابق : ص / 104 .

المطلب الرابع

من مظاهر رفق الله ﷻ في الكون

لقد ثبت اسم الله (الرفيق) بالسنة النبوية المطهرة في الحديث الصحيح الذي روته أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عن رسول الله ﷺ في قوله لها : « يا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطَى عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطَى عَلَى مَا سِوَاهُ » (1) .

فجاء اسمہ ﷻ في حديث المصطفى ﷺ صريحاً ، مراداً به العلمية ، دالاً على كمال الوصفية .

ويقول الإمام النووي - رحمه الله تعالى - معلقاً على الحديث السابق : « أما قوله ﷻ إن الله رفيق ففيه تصريح بتسميته سبحانه وتعالى ووصفه برفيق ، قال المازري : لا يوصف الله سبحانه وتعالى إلا بما سمي به نفسه أو سماه به رسول الله ﷻ أو أجمعت الأمة عليه » (2) .

ورفق الله ﷻ بعباده عظيم ، وما هذا الرفق السائد في الأرض إلا بعضاً من رفقته ورحمته ﷻ التي وسعت كل شيء ، والتي لم ينزل الله منها إلا جزءاً واحداً يتراحم الناس بينهم ، ويرفقون على من حولهم بها ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً فَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ بِكُلِّ

(1) تقدم تخريج الحديث في الصفحة (7) .

(2) شرح النووي على صحيح مسلم . أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي . دار إحياء التراث

الذي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَيْأَسْ مِنَ الْجَنَّةِ وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ « (1) .

فكل ما في الكون يدل على رفقه ع ز وجل ورحمته الواسعة ، وهذه بعض مظاهر رفقه ﷺ بعباده في الكون :

الظاهر الأول : رحمته التي وسعت كل شيء .

فرحمته ﷺ وسعت الخلق كلهم لقوله ﷺ : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ (2) وقوله ﷺ : ﴿ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴾ (3) .

ولقد جعل الرحمة مائة جزء ووضع جزءاً واحداً بين الخلق ليتراحموا فيها بينهم وهذا من سعة رحمة الله ﷺ بعباده ورفقه بهم أن أخرج ما بقي إلى يوم القيامة عندما يكون المرء أحوج ما يكون إلى ذلك .

ثم إنه أنزل رحمة واحدة بين الإنس والجن وجميع الكائنات يتعاطفون بها ويتراحمون ، يقول ﷺ « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ طَبَاقٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ رَحْمَةً فَبِهَا تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ » (4) .

- (١) صحيح البخاري : كِتَابُ الرَّقَاقِ . بَابُ الرَّجَاءِ مَعَ الْخَوْفِ . رقم الحديث : 6104 .
 2274 / 5 . وبنحوه في صحيح مسلم : كِتَابُ التَّوْبَةِ . بَابُ فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ . رقم الحديث : 2753 . 4 / 2108 .
 (٢) سورة الأعراف : جزء من الآية (156)
 (٣) سورة الأنعام : جزء من الآية (147) .
 (٤) صحيح مسلم : كِتَابُ التَّوْبَةِ . بَابُ فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ . رقم الحديث : 2753 (4 / 2109) .

وعلى الرغم من شدة شفقة الأم ورحمتها بصغارها إلا أن الله سبحانه وتعالى أشد رحمة منها لما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبِيٌّ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبِيِّ قَدْ تَحَلَّبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبِيِّ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ أَتَرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ قُلْنَا لَا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ فَقُلْنَا أَرَحِمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا⁽¹⁾ .

ومن رفقته ﷺ بعباده أن رحمته غلبت غضبه ولولا ذلك لهلك الناس من آثار ذنوبهم ومحاصيهم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخُلُقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي⁽²⁾ .

المظهر الثاني : تذييله ﷺ كل ما في الأرض للإنسان :

ذلل الله ﷺ الأرض للإنسان وجعلها صالحة للعيش بما يتناسب مع جسده ، وفي ذلك يقول ﷺ : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْهَا ﴾

(١) صحيح البخاري . كتاب الأدب . باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته . رقم الحديث (5653)

2235 / 5 . صحيح مسلم . كتاب التوبة . باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه . رقم

الحديث (2754) . 2109 / 4 .

(٢) صحيح البخاري . كتاب بدء الخلق . باب ما جاء في قوله تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق) . رقم

الحديث 3022 . 1166 / 3 .

رَزَقَهُ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١﴾ كما سخر له المناخ المناسب لقواه الجسدية من تعاقب الفصول الأربعة ودرجة الحرارة والرطوبة واليبوسة وتصريف الرياح وغزارة الأمطار إلى غير ذلك ﴿٢﴾ .

ثم إنه جعل من الماء كل شيء حي ، وأنزله إلى الأرض ، يقول ﷺ : ﴿أَوْلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَنَقَّنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣) .

كما جعله حق مشاع للجميع ليس لأحد احتكاره عن الآخر ، يقول ﷺ :
« الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ فِي الْمَاءِ وَالْكَلَاءِ وَالنَّارِ وَتَنْتُمْ حَرَامٌ » (٤) .

وأنعم على الإنسان إذ سخر له الدواب طعاماً كواباً وحمللاً للأثقال في السفروفي ذلك يقول الله ﷻ : ﴿وَالأَنعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالخَيْلَ وَالْبَعَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ .

(١) سورة الملك : رقم الآية (15) .

(٢) الإحسان في ضوء الكتاب والسنة . دراسية موضوعية . أحمد بن سعيد الغامدي . رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه . جامعة أم القرى . كلية الدعوة وأصول الدين . قسم الكتاب والسنة . 1422 هـ : ص / 169 .

(٣) سورة الأنبياء : رقم الآية (30) .

(٤) قال أبو سعيد يعنبي الماء الجاري سنن ابن ماجه . كتاب الرُّهُونِ . باب المُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ . رقم الحديث : (2472) . 2 / 826 . مسند ابن حنبل . رقم الحدي ث : (23132)

. 364 / 5

(٥) سورة النحل : رقم الآيات (5 - 8) .

المظهر الثالث : إرساله الرسل والأنبياء عليهم الصلاة

والسلام .

وهذا من رفقهِ ﷺ بخلقه حيث لم يتركهم هملاً بل أرسل إليهم الأنبياء لإرشادهم إلى سبيله وإيصالهم إلى طريق النجاة ، يقول الله ﷻ : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَبَزَكَ يَسَرًا وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (1) .

فختمت الرسالات برسالة نبينا الكريم ﷺ فكانت بعثته رحمة وتفضلاً من الله ﷻ حيث قال : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (2) .

وفي ذلك يقول سيد قطب - رحمه الله - : «ولقد كانت رسالة محمد ﷺ رحمة لقومه ورحمة للبشرية كلها من بعده» (3) .

المظهر الرابع : هبة العقل .

من أبرز ما تميز به الإنسان عن سائر المخلوقات وقد جعله مناط التكليف .
ولقد أعلى الله ﷻ من شأنه إذ ذكره في كتابه العزيز - هو وأفعاله المتفرعة منه -
خمسین مرة وذكر أولي الألباب في بضع عشرة آية ، وأما أولي النهى فقد جاءت مرة
واحدة في آخر سورة طه (4) .

(١) سورة آل عمران : رقم الآية (164) .

(٢) سورة الأنبياء : رقم الآية (107) .

(٣) في ظلال القرآن . سيد قطب . مرجع سابق : 4 / 2401 - 2402 .

(٤) الوحي المحمدي . محمد رشيد رضا . مؤسسة عز الدين - بيروت / لبنان . ط 3 / 1406 هـ .

وجعل آياته العظيمة في الكون دلالة لمن كرمهم بالفهم العميق والتفكير
السديد فقد قال الله ﷻ : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسْحَرِ بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (1) .

وعلى الرغم من هذه الحرية العقلية إلا أنه لم يتركه بها فقط بل أرشده إلى طريق
الخير ومآثره وحذره من طريق الشر وعواقبه لقوله ﷻ : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا
شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (2) وقوله ﷻ : ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (3) .

فمن تولى بعد ذلك وأعرض عما يمليه عليه العقل عن طريق الشرع وتوأم به
فطرته فلا يلوم من يوم القيامة إلا نفسه ، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿وَقَالُوا
لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (4) ويقول ﷻ : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ
كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا
يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (5) .

(1) سورة البقرة : رقم الآية (164) .

(2) سورة الإنسان : رقم الآية (3) .

(3) سورة البلد : رقم الآية (10) .

(4) سورة الملك : رقم الآية (10) .

(5) سورة : الأعراف : رقم الآية (179) .

المظهر الخامس : حفظ الله ﷻ للإنسان .

فالإنسان محاط بشرور ومخاطر لا يستطيع أن يتصورها « لكن لطف الله أعظم وإحسانه أوسع ، حيث جعل له من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، وحتى الكافر المضطر إن دعاه ، نجاه وألبسه ثوباً فيلج السلامة⁽¹⁾ .

فكان ذلك مما تفضل به الله ﷻ على عباده حيث قال ﴿ قُلْ مَنْ يُجْحِكُمْ مِنْ ظُلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيْنٍ أَجْنَبْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَتَكُونَ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾⁽²⁾ .

المظهر السادس : فرحة الله ﷻ بتوبة العبد .

ومن سعة رحمة الله ﷻ وتمازج رفقته على عباده قبوله لتوبتهم ، وفي ذلك يقول الله ﷻ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفَعَلُوا ﴾⁽³⁾ .

بل إن الأمر يتعدى القبول إلى الفرحة بهذه التوبة فقد ورد في الحديث الصحيح : « لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجلٍ في أرضٍ دويبة مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهب فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليُموت فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه فالتفت إليه ففرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده »⁽⁴⁾ .

(1) الإحسان في ضوء الكتاب والسنة . مرجع سابق : ص / 175

(2) سورة الأنعام : رقم الآية (63) .

(3) سورة الشورى : رقم الآية (25) .

(4) صحيح مسلم . كتاب التوبة . باب في الخوض على التوبة والفرح بها . رقم الحديث : (2744) .

فهذا من عظيم رفقته وواسع فضله وهو الغني عن هذه التوبة ، القادر على عذاب العبد جراء ما اقترفه من ذنوب ، لكنه يعفو ويصفح ، طالما كانت التوبة نصوحة لم يجاهر فيها بمعصية فقد قال رسولنا الكريم : «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ فَيَقُولُ يَا فَلَانُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذًّا وَكَذًّا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيَصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَهُ اللَّهُ عَنْهُ» (1) .

المظهر السابع : مضاعفة الحسنات وتكفير السيئات .

لو أثناب الله ﷻ العبد بالحسنة عند فعله للعمل الصالح وجازاه بالسيئة عند اقترافه للذنب لكان ذلك من تمام العدل إلا أنه من رفقته ﷻ بعباده ورحمته بهم جعل الحسنات مضاعفة ، أما السيئات فإنه لا يجزي إلا بمثلها : ﴿مَنْ عَمَلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (2) .

ويقول رسولنا الكريم ﷺ في الحديث القدسي « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسّيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولةً ومن لقي بقرب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة» (3) .

(1) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ستر المؤمن على نفسه رقم الحديث (5721) / 5 / 2245 .

(2) سورة النحل : رقم الآية (97) .

(3) صحيح مسلم . كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار . باب فضل الذكر والدعاء والتقرب

إلى الله تعالى . رقم الحديث (2687) . / 4 / 2068 .

ومن رفقته ﷺ أن جعل الاستغفار ماحياً للذنوب والخطايا وفي ذلك يقول

ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ

جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾ (1)

ويقول ﷺ: ﴿ قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ

الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (2).

ويقول النبي ﷺ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَجَاءَ بِقَوْمٍ

يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » (3).



(1) سورة النساء: رقم الآية (64).

(2) سورة الزمر: رقم الآية (53).

(3) صحيح مسلم . كتاب التوبة . باب سقوط الذنوب بالتوبة والاستغفار . رقم الحديث



المبحث الثالث

الرفق في مجال الدعوة

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب :

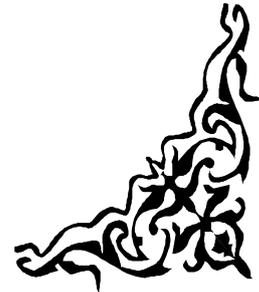
تمهيد : اشتمل على بيان أن الأصل في الدعوة كخطاب هو الرفق

أما الشدة فحالات استثناء تكون في تطبيق الشريعة .

المطلب الأول : الرفق مع المدعوين .

المطلب الثاني : الرفق مع المخالف .

المطلب الثالث : الرفق مع الكفار .



تهيد :

وبعد هذه الرحلة المباركة في البحث والتي تحدثت فيها عن الأخلاق الإسلامية ثم الرفق ومرادفاته ومقابلاته ، وقدمت نصوصاً يتزود بها الداعية آن لنا أن نقدم هذا الخلق كمنهج في مجال الدعوة إلى الله ﷻ .

ولا شك أن الدين والرفق هم الأساسان في نجاح الدعوة إلى الله ﷻ ، ولكن لا بد من أحوال يعدل فيها الداعي عن هذا الخلق العظيم إلى الشدة فتكون أوقع أثراً عند دعوته .

ومن المعلوم بالضرورة أن الشدة في هذه الأحوال هي رفق في حقيقة الأمر ، وهي حرص على أن لا يصيب المدعو ضرر إن لم يؤخذ على يده لسوء فعله سواء كان عالماً بخطأ هذا الفعل أو غير عالم ، كالطبيب عند مداواته للمريض فهو رحيم به حريص على علاجه حتى وإن كانت الوسيلة في هذا العلاج مؤلمة ، عند التيقن بعدم جدوى غيرها من وسيلة .

ولا يتعارض ذلك مع نصوص القرآن والسنة النبوية فإنها جاءت مؤكدين على الرفق لأن الإنسان قد يسرع إلى الغلظة في معاملة الناس والعجلة في مداواة الأمور .

يقول الإمام الغزالي -رحمه الله تعالى - في ذلك : « لما كانت الطباع إلى العنف والحدة أميل كانت الحاجة إلى ترغيبهم في جانب الرفق أكثر »⁽¹⁾ .

من أجل ذلك وجب على الداعية أن يتنبه في دعوته مع المدعويين ، فاستخدام

(1) إحياء علوم الدين . الغزالي . مرجع سابق : 3 / 186 .

الرفق في مواقف لا تفيد معها إلا الشدة يضر أكثر مما ينفع فإنه يؤدي إلى عدم تأثير المدعوين بالدعوة .

و سأل بعضهم أصحابه : « أتدرون ما الرفق ؟ . قالوا : قل ، قال : أن تضع الأمور في مواضعها ، الشدة في موضعها واللين في موضعه ، والسيف في موضعه ، و السوط في موضعه » (1) .

وقال الشاعر :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلی مضر كوضع السيف في موضع الندى⁽²⁾

وتقدير استخدام الرفق أو الشدة في دعوة الداعية مرهون بأمرين

أولهما : اقتداء الداعية بنصوص الكتاب والسنة ليرى المواضع التي استخدم القرآن فيها الرفق و الشدة في آياته ، كذلك النظر في مواقف الرسول ﷺ مع صحابته -رضوان الله عليهم - وغيرهم في التعامل مع المدعوين .

ثانيهما : حكمة الداعية في اختيار الأسلوب الأمثل عند دعوته وتقديره

للمصالح والمفاسد الناجمة من اختيار هذا الأسلوب .

(1) بداع السلك . مرجع سابق : 1 / 475

(2) المرجع السابق : 1 / 475 .

وه ناك مثال حي من الواقع وذلك في سيرة قدوة الدعاة وإمامهم ﷺ : فلقد منع عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قتل زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول رغم استحقاؤه ذلك ، خوفاً من أن تترتب مفسدة أعظم . فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : « كنا في غزاة فكسع (1) رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال الأنصاري : يا للأنصار . وقال المهاجري : يا للمهاجرين . فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال : « ما بال دعوى الجاهلية ؟ » . قالوا : يا رسول الله ﷺ كسع رجل من المهاجرين رجل من الأنصار . فقال : « دعوها فإنها منتنة (2) » . فسمع بذلك عبد الله بن أبي فقال : فعلوها ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . فبلغ النبي ﷺ فقام عمر رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ﷺ دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال النبي ﷺ : « دع ، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » (3) .

فيستفاد من الحديث وجوب « نوك بعض الأمور المختارة والصبر على بعض المفاسد خوفاً من أن تترتب علي ذلك مفسدة أعظم منه » (4) .

(1) الكسع : أن تضرب بيدك أو برجلك بصدر قدمك على دبر إنسان (انظر : لسان العرب ، مادة كسع : 8 / 309) .

(2) أي مذمومة في الشرع مجتنبة مكروهة كما يجتنب الشيء الكريه الرائحة (انظر النهاية ، مادة نتن : 5 / 13) .

(3) صحيح البخاري : كتاب المناقب . باب ما ينهى من دعوى الجاهلية . رقم الحديث : 3330 . 3 / 1296 .

(4) شرح النووي : 16 / 139 .

ويقول ابن تيمية - رحمه الله - معلقاً على الحديث : « فإن الأمر والنهي إن كان متضمناً لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له ، فإن كان الذي يفوت من المصالح ، أو يحصل من المفاسد أكثر ، لم يكن مأموراً به ، بل يكون محرماً إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته ، لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة ... ومن هذا الباب ترك النبي ﷺ لعبد الله بن أبي وأمثاله من أئمة النفاق والفجور لما لهم من أعوان . فإزالة المنكوبين عقابه مستلزمة إزالة معروف أكبر من ذلك بغضب قومه وحميتهم وبنفور الناس إذا سمعوا أن محمداً يقتل أصحابه » (1) .

وهناك أحوال من المدعوين قد تستلزم على الداعية أسلوب الحزم عند دعوته إلى الله ﷻ وأبرز تلك الأحوال :

(1) الحزم عند الخوف من ظهور الفتن :

وقد كان ﷺ دائم الاستعاذة من الفتن ما ظهر منها وما بطن لقوله ﷺ :
« اللهم إني أعوذُ بك من العجزِ والكسلِ والجبنِ والهَرَمِ وأعوذُ بك من عذابِ القبرِ وأعوذُ بك من فتنةِ المحيا والمماتِ » (2) .

وأعظم هذه الفتن فتنة الدين فلا ينجو منها كل أحد لذلك كان ﷺ حازماً

(1) انظر : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . مرجع سابق : 1 / 32 .

(2) صحيح البخاري : كَلَبَ الدَّعَوَاتِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ

عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ . بَابُ التَّعَوُّدِ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ . رقم الحديث :

6006 . 5 / 2341 . مسلم : كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ . بَابُ مَا يُسْتَعَاذُ مِنْهُ فِي الصَّلَاةِ .

رقم الحديث : 588 / 1 . 412 .

عند قمعها شديداً في ردع من قال أو فعل ما يؤججها حتى وإن لم يقصد

ومن هذه الفتن خوفه ﷺ من فتنة ترك الدعوة والفهم الخاطيء لآيات الله ﷻ
 فعن أبي عامر الأشعري قال كان رجُلٌ قُتِلَ منهم بأوطاسٍ فقال له النبي ﷺ: « يا
 أبا عامرٍ إلا غيَّرتَ » فتلا هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن
 ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (1) فغضب
 رسول الله ﷺ وقال: « أَيْنَ ذَهَبْتُمْ إِنَّمَا هِيَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ
 مِنَ الْكُفَّارِ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ » (2).

فمعنى الآية كما فسرها رسول الله ﷺ أنه ليس بضارهم من أعرض

عن الدعوة وضل الطريق الصحيح إن لم يستجب لدعوتكم ، وليس المراد
 ترك الدعوة بمجملها ، فلقد حذر الله ﷻ في مواضع كثيرة منها قوله : ﴿ لُعِنَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا
 وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا
 يَفْعَلُونَ ﴾ (3) كما حذر من ذلك الرسول ﷺ : « ما من قومٍ يعملُ فيهم
 بالمعاصي ثمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيَّرُوا ثُمَّ لَا يُغَيَّرُوا إِلَّا يُوْشِكُ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ
 بِعِقَابٍ » (4).

ومن مواقفه ﷺ أيضاً حزمه عندما عارض البعض تولي أسامة بن زيد قيادة
 الجيش خوفاً من اختلاف الناس وتفرقهم وردهم لقوله على الرغم من تحذير

(١) سورة المائدة : رقم الآية (105) .

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل : 4 / 129 .

(٣) سورة المائدة : رقم الآية : (78 - 79) .

(٤) سنن أبي داود : كِتَابُ الْمَلَا حِمِ . بَابُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ . رقم الحديث : 4338 . 4 / 122 .

القرآن الكريم لهم في هذا الشأن عندما قال ﷺ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (1).

فقد سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثرة المقال في تولى أسامة فجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره بقول من قال فغضب ﷺ غضباً شديداً فخرج وقد عصب على رأسه بعصابة وعليه قطيفة ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إِنْ تَطَعْنَا فِي إِمَارَتِهِ - يُرِيدُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ - فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ وَأَيْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لَهَا وَأَيْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لِأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَيْمُ اللَّهِ إِنْ هَذَا لَهَا لَخَلِيقٌ - يُرِيدُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ - وَأَيْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لِأَحَبَّهُمْ إِلَيَّ مِنْ بَعْدِهِ فَأُوصِيكُمْ بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ صَالِحِيكُمْ» (2).

كما بلغ به الحزم مبلغه ﷺ في موقف عظيم خوفاً مما يترتب عليه من فتنه أوصلت الأمم السابقة إلى الإشراف بالله ﷻ وذلك بوضع التماثيل والأرواح المصورة، فعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ سَفَرٍ وَقَدْ سَتَرْتُ بِقِرَامٍ (3) لِي عَلَى سَهْوَةٍ (4) لِي فِيهَا تَمَائِيلٌ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَتَكَهُ (5)

(1) سورة النور: رقم الآية (63).

(2) صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم. باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله عنهما. رقم الحديث: 2426 / 4. 1884. وبنحوه في صحيح البخاري: كتاب المغازي والسير. باب غزوة زيد بن حارثة. رقم الحديث: 4004 / 4. 1551.

(3) الستر الرقيق (لسان العرب، مادة: قمر: 12 / 475).

(4) سهوة: حائط صغير يبنى بين حائطي البيت ويجعل السقف على الجميع فما كان وسط البيت فهو سهوة وما كان داخله فهو المخدع هي صفة بين بيتين أو مخدع بين بيتين وقيل هي شبيهة بالفرف والطاق يوضع فيه الشيء (لسان العرب مادة سها: 14 / 406).

(5) أي خرق الستر (النهاية، مادة (هتك): 5 / 242).

وقال : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ ⁽¹⁾ بِخَلْقِ اللَّهِ » قالت : فَجَعَلْنَاهُ وَسَادَةً أَوْ وَسَادَتَيْنِ ⁽²⁾ .

وسار على نهج الرسول ﷺ صحابته - رضوان الله عليهم - من الذب عن الدين كل فتنة وقمعتها حتى لا تنتشر ، فهذا علي بن أبي طالب عليه السلام يخشى على المسلمين من فتنة الاختلاط بين نساء المسلمات وجموع الكفار في الأسواق ومواطن الازدحام فيقول : « أَلَا تَسْتَحْيُونَ أَوْ تَعَارُونَ فَإِنَّهُ بَلْغَنِي أَنْ نِسَاءَكُمْ يَخْرُجْنَ فِي الْأَسْوَاقِ يَزَاحِمْنَ الْعُلُوجَ ⁽³⁾ » ⁽⁴⁾ .

كذلك فعلت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - عندما رأت على ابنة أخيها خماراً رقيقاً فعن علقمة بن أبي علقمة عن أمه أنها قالت : « دَخَلْتُ حَفْصَةَ بِنْتُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَى عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى حَفْصَةَ خِمَارٌ ⁽⁵⁾ رَقِيقٌ فَشَقَّتْهُ عَائِشَةُ وَكَسَّتْهَا خِمَارًا كَثِيفًا ⁽⁶⁾ » .

(١) يشابهون خلق الله (النهاية : مادة ضها : 3 / 106) .

(٢) صحيح البخاري : كتاب اللباس . باب ما وطئ من التصاوير : رقم الحديث : 5610 .
2221 / 5 .

(٣) العلق بوزن العجل الواحد من كفار العجم والجمع علوج وأعلاج (مختار الصحاح ، مادة
علج) : (1 / 188) .

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل : رقم الحديث : 1118 . 1 / 133 .

(٥) الخمار للمرأة هو النصف وقيل الخمار ما تغطي به المرأة رأسها وجمعه أخمرة و خمر (لسان
العرب ، مادة (خمر) : (4 / 257) .

(٦) موطأ الإمام مالك . كتاب اللباس . باب ما يُكره للنساء لبسه من الثياب . رقم الحديث :
913 / 2 . 1625 .

(2) الحزم عند التنطع في أمور الدين :

وذلك خوفاً من الوصول إلى الترك ثم الكفر وقد تواترت كثير من الأحاديث
الناهية عن هذا الأمر ، الحائثة على تطبيق الدين بكل يسر وسهولة⁽¹⁾

فعن عَائِشَةَ قَالَتْ رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَمْرِ فَتَنَّتْهُ عَنْهُ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ فَبَلَغَ
ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَعَضِبَ حَتَّى بَانَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ : « مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْغَبُونَ
عَمَّا رُخِّصَ لِي فِيهِ فَلِلَّهِ لَأَنَا أَعْلَمُهُمُ اللَّهُ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشِيَةً »⁽²⁾ .

وذلك لأن فعلهم فيه تضيق على أنفسهم ما أنزل الله به من سلطان ، قال ﷺ :
﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾⁽³⁾ .

كما فيه من محادة ومخالفة لله ﷻ ورسوله ﷺ ولقد « أشار ابن بطال إلى أن
الذي تنزهوا عنه القبلة للصائم ، وقال الداودي : التنزه عما رخص في ه الشارع
من أعظم الذنوب لأن هذا يرى نفسه أتقى في ذلك من رسوله وهذا إلحاد
وكذا قال ابن التين : ولا شك أنه إلحاد إذا اعتقد ذلك قوله أعلمهم بالله إشارة إلى
القوة العلمية وأشدهم خشية إلى القوة العملية أي هم يتوهمون أن رغبتهم عما
فعلت أفضل لهم عند الله وليس ك ما توهموا إذ أنا أعلمهم بالأفضل وأولاهم
بالعمل »⁽⁴⁾ .

(١) وسيتم الإسهاب عن ذلك في مطلب (رفق الإنسان بنفسه) .

(٢) صحيح البخاري : رقم الحديث : 6870 . 6 / 2662 .

(٣) سورة الحج : جزء من الآية رقم : (78) .

(٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري . بدر الدين محمود بن أحمد العيني . دار إحياء التراث

وهناك مواقف تصرف فيها الرسول ﷺ بحزم على من أراد تضيقاً وحرماً على المسلمين وذلك شفقة منه ﷺ ورحمة من أن يصيب أمته حرماً من بعده كما حصل مع الأعرابي الذي سأله عن فريضة الحج فعن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال : قام رسول الله ﷺ في الناس فقال : « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمْ الْحُجَّ » فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ فَقَالَ : أَيْ كُلِّ عَامٍ ؟ فَغَلِقَ كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَغَضِبَ وَمَكَثَ طَوِيلًا ثُمَّ تَكَلَّمَ فَقَالَ : « مِنْ هَذَا السَّائِلُ ؟ » فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : أَنَا ذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ : « وَيْحَكَ مَاذَا يُؤْمِنُكَ أَنْ أَقُولَ نَعَمَ وَاللَّهِ لَوْ قُلْتَ نَعَمَ لَوَجِبَتْ وَلَوْ وَجِبَتْ لَتَرَكْتُمْ وَلَوْ تَرَكْتُمْ لَكَفَرْتُمْ أَلَا إِنَّهُ إِذَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أُمَّةَ الْحَرْجِ وَاللَّهُ لَوَ أَنِّي أَحَلَلْتُ لَكُمْ جَمِيعَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ وَحَرَّمْتُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ حُفِّ بَعِيرٍ لَوَقَعْتُمْ فِيهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ بُدِّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ ﴾ (1) (2) .

فلا شك أن الحج كل عام مشقة ما بعدها مشقة ، ستجلب على الإنسان الترك ولربما أوصله ترك هذه الفريضة إلى الكفر - والعياذ بالله - من أجل ذلك كان حزمه ﷺ مع الأعرابي الذي سأله ، وهو حزمٌ أراد به رفق - كما أسلفنا - فلو لم يضع إجابة حازمة في هذا الموقف لتكرر السؤال بالحج في كل سنة ، فوجب على جموع المسلمين .

(3) الشدة عند التهاون بالدين والدعوة :

فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال :

(1) سورة المائدة : جزء من الآية رقم : (101) .

(2) سنن الترمذي : كتاب الحج . باب ما جاء كم فرض الحج . رقم الحديث : 814 . 3 / 178 .

« كُلُّ يَمِينِكَ » قال : لَا أَسْتَطِيعُ ، قال : « لَا اسْتَطَعْتَ ، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ قَالَ فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ » (1) .

وهو صحابي جليل يدعى بسر بن راعي العير وليس بصحيح أنه منافق فإن مجرد الكبر والمخالفة لا يقتضيان النفاق والفسوق (2) ، لكنها معصية استلزمت غضب النبي ﷺ ، فصحابي مثله لا يجهل فضل التيامن وكونه أدباً من آداب الأكل .

وللشدة في هذه المواقف أبلغ الأثر خصوصاً عند القدوات الذين لا يتوقع صدور تلك المخالفات الشرعية منهم فعن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى خَاتِمًا مِنْ ذَهَبٍ فِي يَدِ رَجُلٍ فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ لِيُعْمِدُ أَحَدَكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدَيْهِ فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا هَبَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : خُذْ خَاتِمَكَ انْتَفِعْ بِهِ ، قَالَ لَا وَاللَّهِ لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ » (3) .

ولقد كان من ثمار هذا الحزم الذي يحمل في طياته أجل معاني الرفق أن أقسم الرجل أن لا يأخذ ما طرحه رسول الله ﷺ مبالغة في الامتثال لأمره ، وتركه للفقراء يستفيدون منه في غير لباس وإلا فلا بأس له بأخذه ، ولكن تأثره بطريقة دعوة النبي ﷺ جعلته يزهد فيه .

(1) صحيح مسلم : كِتَابُ الْأَشْرَبَةِ . بَابُ آدَابِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَأَحْكَامِهِمَا . رقم الحديث :

. 1599 / 3 . 2021

(2) انظر : شرح النووي . مرجع سابق : 13 / 192 .

(3) صحيح مسلم : كِتَابُ اللَّبَاسِ وَالزَّيْنَةِ . بَابُ تَحْرِيمِ خَاتِمِ الذَّهَبِ عَلَى الرَّجَالِ وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ

إِبَاحَتِهِ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ . رقم الحديث : 2090 / 3 . 1655 .

ولقد سار على نهجه ﷺ بالحزم لمن تهاون في تعاليم دين الله ﷻ - صحابته رضي الله عنهم - فهذا عبادة بن الصامت يقول : « نهى عن دِرْهِمَيْنِ بَدْرَهُمْ » فقال فُلَانٌ : ما أَرَى بهذا بأساً يَدَا بِيَدٍ ، فقال عُبَادَةُ : « أَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَتَقُولُ لَا أَرَى بِهِ بِأَسَا وَاللَّهِ لَا يُظِلُّنِي وَإِيَّاكَ سَقْفٌ أَبَدًا » (1) .

ويتجلى هذا الاقتداء أيضاً لما كان ﷺ من حزم عند التهاون بالدين أو المخالفة لتعاليمه ، فقد زجر عثمان رضي الله عنه محمد بن جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنهما - لما رآه عليه من ثياب معصفرة نهى عن لبسها رسول الله ﷺ ، فعن أبي هريرة قال : رَاحَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ حَاجًّا وَدَخَلَتْ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ امْرَأَتُهُ فَبَاتَ مَعَهَا حَتَّى أَصْبَحَ ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ رَدْعُ الطَّيِّبِ وَمِلْحَفَةٌ مُعَصْفَرَةٌ (2) مقدمة فأدرك الناس بِمَلَلٍ قَبْلَ أَنْ يَرُوحُوا فَلَمَّا رَأَاهُ عُثْمَانُ انْتَهَرَهُ وَاقْفَلُوا قَالَ : « أَتَلْبَسُ الْمُعَصْفَرَ وَقَدْ نَهَى عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ » (3) فقد ورد النهي في المسند أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أنه قال : « رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى ثِيَابٍ مُعَصْفَرَةٌ فَقَالَ أَلْقِهَا فَإِنَّهَا ثِيَابُ الْكُفَّارِ » (4) .

وكامتناع أبا أيوب رضي الله عنه من تناول طعام سالم بن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - والجلوس في بيت أبيه عبد الله رضي الله عنه لما رآه ساتراً لجدران منزله ، فعن سالم بن

(1) سنن الدارمي : باب تَعَجِيلِ عُقُوبَةِ مَنْ بَلَغَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثٌ فَلَمْ يُعَظِّمَهُ وَلَمْ يُوقِّرْهُ . رقم الحديث : 1 . 443 / 129 .

(2) ثوب معصفر أي مصبوغ (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي . أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي . المكتبة العلمية - بيروت . بدون طبعة أو تاريخ نشر : 2 / 414)

(3) مسند الإمام أحمد : رقم الحديث : 517 / 1 . 71 .

(4) المصدر السابق : رقم الحديث : 6536 / 2 . 164 .

عبد الله قال : « عرست في عهد أبي فآذن أبي الناس وكان فيمن آذن أبو أيوب وقد سترت بيتي بجنادي أخضر ، فجاء أبو أيوب فدخل وأبي قائم ينظر فإذا البيت ستر بجنادي أخضر فقال : إي عبد الله تسترون الجدر فقال أبي واستحيى : غلبنا النساء يا أبا أيوب ، قال : من أخشى أن يغلبه النساء فلم أخش أن يغلبنك لا أطعم لك طعاما ولا أدخل لك بيتا ثم خرج » (1) .

وذلك لأن النبي ﷺ قد نهى عن ستر الجدران ففي صحيح مسلم عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : « أَخَذْتُ نَمَطًا (2) فَسَتَرْتُهُ عَلَى الْبَابِ فَلَمَّا قَدِمَ - أي رسول الله ﷺ - فَرَأَى النَّمَطَ عَرَفْتُ الْكِرَاهِيَةَ فِي وَجْهِهِ فَجَذَبَهُ حَتَّى هَتَكَهُ أَوْ قَطَعَهُ وقال : « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْنَا أَنْ نَكْسُوَ الْحِجَارَةَ وَالطِّينَ قَالَتْ : فَقَطَعْنَا مِنْهُ وَسَادَتَيْنِ وَحَشَوْنَهُمَا لِيَفَا فَلَئِمَّا فَلَمْ يَعِبْ ذَلِكَ عَلَيَّ » (3) .

ويقول ابن حجر - رحمه الله معلقاً على الحديث : « وأما حكم ستر البيوت والجدران ففي جوازه اختلاف قديم وجزم جمهور الشافعية بالكراهة وصرح الشيخ

(1) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (المعروف بمصنف ابن أبي شيبة) . أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي . تحقيق : كمال يوسف الحوت . مكتبة الرشد - الرياض . ط 1 / 1409 هـ : كتاب العقيدة . في ستر الحيطان في الثياب . رقم الحديث : 25252 . 204 / 5 .

(2) النمط ضرب من البسط والجمع أنماط له خمل رقيق (انظر لسان العرب ، مادة (نمط) : 418 / 7) .

(3) جزء من حديث في صحيح مسلم : كِتَابُ اللَّبَاسِ وَالزَّيْتَةِ . بَابُ تَحْرِيمِ تَصْوِيرِ صُورَةِ الْحَيَوَانَ وَتَحْرِيمِ اتِّخَاذِ مَا فِيهِ صُورَةٌ غَيْرُ مُتَهَنَّةٍ بِالْفَرَسِ وَنَحْوِهِ وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَا يَدْخُلُونَ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ وَلَا كَلْبٌ . رقم الحديث : 2107 / 3 . 1666 .

أبو نصر المقدسي منهم بالتحريم واحتج بحديث عائشة « أي هذا الح ديث آنف الذكر .

(4) الحزم في حدود الله ﷺ :

لقد كان سيد الخلق رفيقاً رحيماً لا ينتقم لنفسه حتى وإن أسىء له وضيق عليه بل كان يعفو ويصفح إلا أن تنتهك محارم الله ﷻ وحدوده فينتقم الله حينها ممن انتهك محارمه . ففي الصحيحين عن عائشة - رضي الله عنها - قالت :
« ما خيّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها » (1) .

وذلك تطبيقاً منه ﷺ لأمر ربه ﷻ حينما حذر أن تخالط الرحمة القلوب أثناء تطبيق الحدود كما جاء في سورة (النور) في قوله ﷻ : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (2) .

وذلك لأن الإسلام لم يبعث رحمة وهداية لرجل واحد ، إنما جاء رحمة للمجتمع بأسره ، وهذه الرحمة تقتضي كف شر الواحد حماية لأمن الجماعة ، والشدة في هذا الموضع ليست رفقا بالجماعة فقط بل هي رفقا بمن سيقام عليه الحد

(1) صحيح البخاري : كتاب المناقب . باب صفة النبي ﷺ . 3367 . 3 / 1306 . صحيح

مسلم : كتاب الفضائل . باب مباحة دينه ﷺ للأتباع واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند

انتهاك حرمة . رقم الحديث : 2327 . 4 / 1813 .

(2) سورة النور : رقم الآية (2) .

كذلك لما سيناله من تطهير من هذه الكبيرة وإسقاط العذاب عنه يوم القيامة إن تاب توبة نصوحاً بإذنه ﷻ.

ولم يدخر النبي ﷺ جهداً في تطبيق حدود الله ﻋﻠﻴﻚ فهذا أسامة بن زيد رضي الله عنه تشفع في امرأة قد سرقت فغضب النبي ﷺ وشد في الخطاب مخبراً أن الناس سواسية في حدود الله ﻋﻠﻴﻚ التي تطبق على كل مستحق حتى لو كانت ابنته - وحاشاها - فعن عائشة رضي الله عنها أن قريناً أتهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ، فكلمه أسامة فقال رسول الله ﷺ: «أشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب فقال أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» قال يونس قال بن شهاب قال عروة قالت عائشة: فحسنت توبتها بعد وتزوجت وكانت تأتيني بعد ذلك فأر فع حاجتها إلى رسول الله ﷺ (1).

إلا أنه ﷺ لم يكن يترك هذا الرفق وهذه الرحمة حتى في تنفيذ الأحكام، فكان يفسح لهم المجال للتوبة عندما كانوا يأتونه طلباً للتطهير من الذنب، ويتحرى أحوالهم النفسية، قبل أن يوقع العقوبة عليهم فقد أتى معاذ رضي الله عنه فأخبر النبي ﷺ بما كان منه فأعرض عنه وهو يردد ذلك على رسول الله ﷺ فبعث إلى قومه

(1) صحيح البخاري . كتاب الأنبياء . باب ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّا قِيمِ ﴾ . رقم الحديث : 3288 / 3 . 1282 . صحيح مسلم : كتاب الخدود . باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الخدود . رقم الحديث : 1688 / 3 . 1315 .

فسألهم : « أبة جنون » قالوا : لا ، فسأل عنه : « أثيب أم بكر قالوا ثيب فأمر به فرجم » (1) .

ومما يظهر رفق النبي ﷺ رغم تطبيقه للحدود موقفه مع المرأة عندما جاءت له فقالت : إني قد فَجَرْتُ ، فقال : « اَرْجِعِي » فَرَجَعَتْ فلما كان الغدُ أَتَتْهُ فقالت : لَعَلَّكَ أَنْ تَرُدَّنِي كَمَا رَدَدْتَ مَاعِزَ بْنِ مَالِكٍ فَوَ اللهُ إني حَبْلِي . فقال لها : « اَرْجِعِي » فَرَجَعَتْ فلما كان الغدُ أَتَتْهُ فقالت لها : « اَرْجِعِي حَتَّى تَلِدِي » فَرَجَعَتْ فلما وَلَدَتْ أَتَتْهُ بِالصَّبِيِّ فقالت : هذا قد وَلَدْتُهُ فقال لها : « اَرْجِعِي فَأَرْضِعِيهِ حَتَّى تَفْطُمِيهِ » فَجَاءَتْ بِهِ وَقَدْ فَطَمَتْهُ وَفِي يَدِهِ شَيْءٌ يَأْكُلُهُ فَأَمَرَ بِالصَّبِيِّ فَدَفَعَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمَرَ بِهَا فَحَفِرَ لَهَا وَأَمَرَ بِهَا فَرَجِمَتْ وَكَانَ خَالِدٌ فِيمَنْ يَرْجُمُهَا فَرَجَمَهَا بِحَجَرٍ فَوَقَعَتْ فَطَرَةٌ مِنْ دَمِهَا عَلَى وَجْنَتِهِ فَسَبَّهَا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « مَهْلًا يَا خَالِدُ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ لَبِثَ صَاحِبٌ مَكْسٍ (2) لَغَفِرَ لَهُ وَأَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ » (3) .

ففرى أنه ﷺ لم يهدر الحدود إلا أنه كان رحيماً بأصحابها مليئاً بالعطف والمودة يتفادى أن يثبت عليهم شيئاً إلا ما أقروه على أنفسهم فقد قال لهزال الذي حث ماعزاً على الاعتراف : « يا هزال لو سترته كان خيراً لك » (4) .

(1) سنن النسائي الكبرى : رقم الحديث : 7278 . 4 / 306 .

(2) صاحب مكس : هو من يتولى الضرائب التي تؤخذ من الناس بغير حق (عون المعبود شرح سنن أبي داود . محمد شمس الحق العظيم آبادي . دار الكتب العلمية - بيروت . ط2 / 1995م : 81 / 12) .

(3) سنن أبي داود : كِتَابُ الْحُدُودِ . بَابُ رَجْمِ مَاعِزِ بْنِ مَالِكٍ . رقم الحديث : 4442 . 4 / 152 .

(4) سنن النسائي الكبرى : رقم الحديث : 7278 . 4 / 306 .

كما كان يقول ﷺ: « تَعَاَفُوا (1) الْحُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ » (2).

أما ما قد رُفِعَ إليه ﷺ فلا بد من تطبيقه فعن صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ أَنَّ رَجُلًا سَرَقَ بَرْدَهُ فَرَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَمَرَ بِقَطْعِهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْهُ، قَالَ: « فَلَوْلَا كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَأْتِنِي بِهِ يَا أَبَا وَهْبٍ فَقَطَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ » (3).

5 - الحزم عند ظهور المخالفات الشرعية لدى القذوات :

وذلك يظهر في موقفه مع عمر بن الخطاب ؓ عند مجيئه بنسخة من التوراة في يده خوفاً أن يُشغَلَ المسلمون بكتب أهل الكتاب ويجري عليهم ما جرى على من قبلهم من بعد عن الدين .

فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رضي الله عنهما - أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ؓ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ فَقَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَغَضِبَ فَقَالَ: « أُمَّتَهُوْكَوْنَ (4) فِيهَا يَا بْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّ فَتُكذِّبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتْبَعَنِي » (5).

(1) أي تجاوزوا عنها ولا ترفعوها إلى فإني متى علمتها أقمتها (النهاية: 3 / 265).

(2) سنن أبي داود: كِتَابُ الْحُدُودِ . بَابُ الْعَفْوِ عَنِ الْحُدُودِ مَا لَمْ تَبْلُغِ السُّلْطَانَ . رقم الحديث : 4376 / 4 . 133 .

(3) مسند الإمام أحمد بن حنبل: رقم الحديث: 15340 / 3 . 104 .

(4) من التهوك أي الوقوع في الأمر بدون روية ، وقيل هو التحير والتردد (انظر : النهاية :

5 / 281 . تاج العروس : 27 / 410)

(5) مسند الإمام أحمد: رقم الحديث: 15195 / 3 . 378 .

وموقفه أيضاً من تعجل خباب بن الأرت رضي الله عنه للنصر ، وتعلمه من الصبر ،
 فقد كان يُعذب رضي الله عنه من مولاته فتأتي بالحديدة المحماة فتجعلها على ظهره ليكفر فلا
 يزيده ذلك إلا إيماناً⁽¹⁾ إلا أنه جاء يوم وقد أرهقه التعذيب هو ومن معه فطلبوا
 من رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجيل النصر ، ففي صحيح البخاري - رحمه الله - عنه رضي الله عنه أنه
 قال : شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ قُلْنَا لَهُ أَلَا
 تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا قَالَ : « كَانَ الرَّجُلُ فِيْمَنْ قَبْلَكُمْ يُخْفِرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ
 فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِأَثْنَتَيْنِ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ
 وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ
 وَاللَّهُ لَيَتَمَنَّيَنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ
 أَوْ الذُّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ »⁽²⁾ .

وهناك مواقف للصحابة - رضوان الله عليهم - استخدموا فيها الحزم مع من
 لم يتوقعوا منهم أفعالاً مخالفة لفعل النبي صلى الله عليه وسلم أو لكمال سنته .

كفعل أبي بكر رضي الله عنه عندما استعمل النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد رضي الله عنه على جيش
 وأمره بالتوجه إلى الشام ، فتوفي النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسر الجيش وارتدت العرب إما عامة
 أو خاصة من كل قبيلة وظهر النفاق وشرأب اليهود والنصارى ، وحرار المسلمون
 لفقد نبيهم وقتلهم وكثرة عدوهم فقال الناس لأبي بكر : « إن هؤلاء يعنون جيش

(١) السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات . محمد عبد السلام خضر الشقيري . تحقيق :

محمد خليل هراس . دار الفكر / بيروت : 1 / 375 .

(٢) صحيح البخاري : كتاب المناقب . باب علامات النبوة في الإسلام . رقم الحديث : 3416 .

أسامة جند المسلمين والعرب على ما ترى قد انتقضت بك فلا ينبغي أن تفرق جماعة المسلمين عنك» فقال أبو بكر: «والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع تحتظفني لأنفذت جيش أسامة كما أمر النبي ﷺ» .

فخاطب الناس وأمرهم بالتجهز للغزو وأن يخرج كل من هو من جيش أسامة إلى معسكره بالجرف، فخرجوا كما أمرهم وحبس أبو بكر من بقي من تلك القبائل التي كانت لهم الهجرة في ديارهم فصاروا حول قبائلهم وهم قليل، فلما خرج الجيش إلى معسكرهم بالجرف وتكاملوا أرسل أسامة عمر بن الخطاب وكان معه في جيشه إلى أبي بكر يستأذنه أن يخرج بالناس وقال: «إن معي وجوه الناس وجلتهم ولا آمن على خليفة رسول الله وحرمة رسول الله والمسلمين أن يتخطفهم المشركون» وقال من مع أسامة من الأنصار لعمر بن الخطاب: «إن أبا بكر خليفة رسول الله ألا فامضي فأبلغه عنا واطلب إليه أن يولي أمرنا أقدم سنا من أسامة» فخرج عمر بأمر أسامة إلى أبي بكر فأخبره بما قال أسامة فقال: «لو خطفتني الكلاب والذئاب لأنفذته كما أمر به رسول الله ولا أرد قضاء قضى به رسول الله ولو لم يبق في القرى غيري لأنفذته» قال عمر: «فإن الأنصار تطلب رجلاً أقدم سناً من أسامة» فوثب أبو بكر ﷺ وكان جالساً وأخذ بلحية عمر ﷺ وقال: «ثكلتك أمك يا بن الخطاب استعمله رسول الله ﷺ أن أعزله» (1).

لقد شد أبو بكر ﷺ على عمر بن الخطاب ﷺ في القول لعلمه بمكانته وفضله، وعلمه بأهمية إنفاذ أمر رسول الله ﷺ وعاقبة من يجردون عن ذلك، لقول الله ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (2).

(1) الكامل في التاريخ . أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني . تحقيق : عبد الله

القاضي . دار الكتب العلمية - بيروت . ط 2 / 1415 هـ : 2 / 200 .

(2) سورة النور : رقم الآية (63) .

ويأتي موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه دالاً على وجوب استخدام الحزم مع أهل القدوة الذين لا يُتوقع منهم فعل ما لا يليق بمكانتهم وفضلهم ، فلما قدم رضي الله عنه إلى الشام عرضت له مخاضة (1) فنزل عن بعيره ونزع موقيه (2) فأمسكها بيده فخاض في الماء ومعه بعيره فقال له أبو عبيدة : « قد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض صنعت كذا وكذا » قال : فصك في صدره وقال : « آوه لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس وأقل الناس فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله » (3) ولقد كان السبب في نهره أن تعجب منه قوله : « قد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأرض » أي ما كان ينبغي لك وأنت أمير المؤمنين خلع خفك ، فلم يتوقع منه هذا القول مع ما يملك من شرف الصحبة ، ورؤية ما كان عليه المسلمين في فجر الإسلام ، وما أصبحوا عليه من عزة لا يكمن في ملبس أو مظهر ، بل في ما وهبهم إياه الله سبحانه من إيمان خالط بشاشة القلب ، فزادهم رفعة وعزة .

فالداعية الحكيم هو الذي يقدر الأسلوب المناسب قبل استخدامه في دعوته إلى الله عز وجل حتى تثمر هذه الدعوة ثمار النجاح فتحقق الغاية منها فقد قال صلى الله عليه وسلم : « لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى يَدَيْكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ بِمَا طَلَعَتْ عَلَيْهِ أَلْسُنُ لَشَمْسٍ وَغَرَبَتْ » (4) .

(1) مخاضة : وهي ما جاز الناس فيها مشاة وركبانا وجم عها المخاض (لسان العرب ، مادة

(خوض) : (7 / 147)

(2) الموق : حُفٌّ غليظٌ يُلبَسُ (تاج العروس ، مادة (موق) : (26 / 408) .

(3) شعب الإيمان : 6 / 291 . البداية والنهاية : 7 / 60 . الزهد لابن المبارك : 1 / 207 .

(4) المعجم الكبير : 1 / 315 .

المطلب الأول

الرفق بالمدعويين عند الدعوة

لا شك أن النفس التي تستقيم على أوامر بارئها وتلتزم بتعاليم دينها لن تقبل أي خطأ في شأن هذا الدين فستغار على محارم الله إذا ما انتهكت ، وتغضب لكل معصية أو عوج يقترفه مذنب في حق هذا الدين ، ولكن لهذه الغيرة ضوابط وأحكام يجب أن يتنبه لها الداعية قبل دعوته إلى الله ﷻ ، وأولها أن يتبين حال المدعو ويستمع لوجهة نظره في سبب اقترافه لهذه المعصية فإن المدعويين ينقسمون إلى قسمين ، باعتبار معرفتهم للحكم الشرعي :

1 - غير عالم بما وقع فيه من محذور شرعي .

2 - عالم بما وقع فيه من محذور شرعي .

فيتعامل مع كلا الصنفين بكل رفق ولطف مع مراعاة الحكمة في استخدام الرفق وغيره في المواقف مع الصنف الثاني .

فأما الصنف الأول وهو الجاهل بالحكم الشرعي ⁽¹⁾ المراد نصحه به فلا ينبغي على الداعية أبداً أن يستخدم أسلوب الشدة معه لأي سبب كان ، بل يستخدم معه أسلوب التربية والتوجيه موضحاً له الحكم الشرعي في الأمر بكل رفق ولين ،

(1) والجاهل هو : من جهل بجهل جهلاً و جهالة أي نقيض العلم والخبرة ، والجمع جهل و جهال

وجهلاء ، وقيل الجهل هو أن يتعلم الإنسان ما لا يحتاجه كالنجوم وعلوم الأوائل ويدع ما يحتاج إليه في دينه من علم القرآن والسنة (انظر : لسان العرب / مادة (جهل) : 11 / 130) ومن خلال التعريف اللغوي نستطيع أن نقول أن المقصود بالجاهل هو : من خفي عليه حكم شرعي من الأحكام التي يجب أن تعلم من الدين بالضرورة .

يفتح للمدعو أبواب الفقه والمعرفة ، ويبيعه إلى صالح العمل ويغلق عنه منافذ الجهل والخطأ .

وقد كان هذا دأب نبينا الكريم ﷺ في موقف من مواقفه ، وأبرز هذه المواقف :

أ- رفته بمن بال في المسجد :

فعن أبي هريرة قال قام أعرابيٌّ فَبَالَ في المَسْجِدِ فَتَنَاولَهُ الناس فقال لهم النبي ﷺ : « دَعُوهُ وَهَرِّيقُوا (1) على بَوْلِهِ سَجَلًا (2) من ماءٍ أو ذُنُوبًا (3) من ماءٍ فَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُسَيِّرِينَ ولم تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ » (4) .

وفي رواية مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : « بَيْنَمَا نَحْنُ في المَسْجِدِ مع رسول الله ﷺ إِذْ جاء أعرابيٌّ فقام يَبُولُ في المَسْجِدِ فقال أصحابُ رسول الله ﷺ : مَهْ مَهْ ، قال رسول الله ﷺ : « لا تُزِرُّمُوه (5) دَعُوهُ » فتركوه حتى بال ، ثُمَّ إِنَّ رَسولَ الله ﷺ دَعاهُ فقال له : « إِنَّ هذِهِ المَسَاجِدَ لا تُصَلِّحُ لِشَيْءٍ من هَذَا البَوْلِ ولا القَدَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ الله عز وجل وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ » أو كما قال رسول الله ﷺ قال :

(1) الأمر بالإراقة والهاء مبدلة من الهمزة (مقدمة فتح الباري . مرجع سابق : 1 / 201) .

(2) الدلو إذا كان فيه ماء قل أو كثر ولا يقال لها سجلاً وهي فارغة (مختار الصحاح ، مادة سجل :

1 / 121) .

(3) الدلو لعظيم ولا يسمى بذلك إلا إذا كان به ما لا ينظر : لسان العرب ، مادة ذنب / 392) .

(4) صحيح البخاري : كِتَاب الوُضوء . باب صَبَّ المَاءِ على البَوْلِ في المَسْجِدِ . رقم الحديث : 217

1 / 89 .

(5) أي لا تقطعوا عليه بوله (مختار الصحاح . مادة : (زرم) : 1 / 114) .

فَأَمَرَ رَجُلًا مِنْ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ (1) عَلَيْهِ « (2) .

- ما يستفاد من الحديث في الرفق بالمدعو :

وفي الحديث الكثير من الآثار العظيمة والفوائد الجليلة الدالة على رفقته ﷺ
المبينة لأسلوبه الحكيم في معالجة جهل الأعرابي ، تخفي الأمور التالية

1 - لطف الرسول ﷺ مع الأعرابي وعدم تسليمه لأصحابه الذين عزموا على
النيل منه جراء ما فعل في المسجد لأسباب كثيرة من أهمها :

أ - مراعاته لوضع الأعرابي ، وبيئته التي أتى منها وجهله بجرم ما ارتكبه في
المسجد .

ب - الخشية من تنجس باقي أجزاء المسجد وقد حصل في جزء منه فلو أقاموه
في أثناء بوله لتنجست ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة من المسجد (3) .

ج - خوفاً من الضرر الجسدي الذي سيصيبه إن قطع بولته ، فكان استمرار
بوله أولى من إيقاع الضرر به (4) .

2 - لم يترك الأعرابي بعد ذلك أسيراً لجهله وعدم معرفته بل أدناه برفق
ووضح له بتأن وتودد قدسية هذه المساجد وأنه لا يصلح فيها إلا الذكر والعبادة
لقوله ﷺ في الحديث الذي مر بنا : « إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ

(1) أي صبه على البول (انظر : لسان العرب ، مادة شنن : 13 / 242) .

(2) صحيح مسلم : كِتَابُ الطَّهَارَةِ . بَابُ وُجُوبِ غَسْلِ الْبَوْلِ وَغَيْرِهِ مِنَ النِّجَاسَاتِ إِذَا حَصَلَتْ فِي
الْمَسْجِدِ وَأَنَّ الْأَرْضَ تَطْهَرُ بِالْمَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى حَفْرِهَا . الحديث : 2885 / 1 . 236 .

(3) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم . مرجع سابق : 3 / 191 .

(4) انظر : المصدر السابق : نفس الجزء والصفحة .

ولا الْقَدْرَ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ .

3 - عندما رأى الأعرابي موقف الرسول ﷺ وقارنه بزجر الصحابة له « وما أرادوا - رضوان الله عليهم - إلا إنكار منكر » إذا برفق الرسول ﷺ يوقع في نفسه أبلغ الأثر فيهتف قائلاً « اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً »⁽¹⁾ ويقوم إلى الرسول ﷺ قائلاً : « بأبي أنت وأمي فلم يؤنب ولم يسب »⁽²⁾ .

4 - يقول ابن حجر ذاكراً بعض فوائد الحديث الجليلة : « وفيه الرفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عناداً ولا سيما إن كان ممن يحتاج إلى استئلافه وفيه رافة النبي ﷺ وحسن خلقه »⁽³⁾ .

5 - الرفق بالنشئ الذين يذهبون إلى المساجد ، فالأطفال في عصرنا الحاضر الذين يملؤون المساجد لغطاً وإزعاجاً وتشتيتاً للمصلين كحكم هذا الأعرابي الذي لم يعط المسجد حقه من التوقير ، ولقد وضح لنا الحديث بهذا الرفق العظيم الصادر من رسول الله ﷺ منهجاً متكاملاً في كيفية التعامل مع مرتادي المساجد ، حيث أنه ﷺ لم ينهره ولم يوبخه مع عظيم فعله ، فمن الأولى أن يتعامل الدعاة بهذا الرفق مع الأطفال في المساجد وغيرهم مما لا يعطون مساجد الله ﷻ حقها في التوقير والإجلال .

(1) سنن أبي داود . كِتَابُ الطَّهَّارَةِ . بَابُ الْأَرْضِ يُصِيبُهَا الْبَوْلُ . رقم الحديث : 380 / 1 / 103 .

(2) سنن ابن ماجه : كِتَابُ الطَّهَّارَةِ وَسُنَنِهَا . بَابُ الْأَرْضِ يُصِيبُهَا الْبَوْلُ كَيْفَ تُغْسَلُ . رقم

الحديث : 176 / 1 . 529 .

(3) فتح الباري . مرجع سابق : 1 / 325 .

ب - رفته بمن تحدث في الصلاة :

فمن معاوية بن الحکم السلمي رضي الله عنه أنه قال : بَيْنَمَا أَنَا أُصَلِّيُّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ : وَاتَّكَلْ أُمِّيَاهُ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَيَّ أَفْخَازٍ هُمْ فَلَمَّا رَأَيْتَهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لِكِنِّي سَكَتٌ ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي قَالَ : « إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةُ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي حَدِيثٌ عَهْدٌ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَإِنَّ مِنَّا رَجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ ، قَالَ : « فَلَا تَأْتِهِمْ » ، قَالَ : وَمِنَّا رَجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ قَالَ : « ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدُّهُمْ قَالَ بِنِ الصَّبَاحِ فَلَا يَصُدُّكُمْ » قُلْتُ : وَمِنَّا رَجَالٌ يُحْطُونَ . قَالَ : « كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يُحْطُ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَلِكَ » قَالَ : وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرَعَى غَنَمًا لِي قَبْلَ أُحُدٍ وَالْجَوَانِيَّةِ فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَإِذَا الذَّبِيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسِفُونَ لِكِنِّي صَكَّتُهَا صَكَّةً فَأَلَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أُعْتِقُهَا ؟ قَالَ : « ائْتِنِي بِهَا » فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَقَالَ لَهَا : « أَيْنَ اللَّهُ » قَالَتْ : فِي السَّمَاءِ ، قَالَ : « مِنْ أَنَا ؟ » قَالَتْ : أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، قَالَ : « أَعْتِقُهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ » (1) .

(1) صحيح مسلم : كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ . بَابُ تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ وَنَسْخِ مَا كَانَ

– ما يستفاد من الحديث في الرفق بالمدعو :

إن معاوية رضي الله عنه كان يجهل حكم الحديث أثناء الصلاة فشمت العاطس فاستنكر الصحابة عليه ذلك ، ويدل على عدم علمه بالحكم رضي الله عنه أنه واصل الحديث قائلاً : « واثكل أميأه ما شأنكم » فلما فهم أنهم أرادوا منه الصمت ، سكت عن الكلام ، ثم وضع الحديث أموراً من أهمها :

1 – ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به ورفقه بالجاهل ورأفته بأمتة وشفقته عليهم وفيه التخلق بخلقه صلى الله عليه وسلم في الرفق بالجاهل وحسن تعليمه واللفظ به وتقريب الصواب إلى فهمه (1) .

2 – أهمية « الشعور النفسي لدى المدعو عندما يواجه بتصحيح خطأ بالعنف ، وأنه كاد أن يفتن لولا أن ثبته الله صلى الله عليه وسلم بإدراك الرسول صلى الله عليه وسلم له بالرفق » (2) فما استقبله بوجه عابس ولا زجره على ما كان منه فيه أفضل العبادات ، التي بها يتم اتصال العبد بربه بل أفهمه بكل هدوء أن ذلك لا يجوز .

3 – كان لهذا اللطف وهذا الرفق مدى عميق في نفس معاوية رضي الله عنه فأصبح يستزيد منه ويسأله متفقهاً في أمور الدين وأقر للرسول صلى الله عليه وسلم أنه حديث عهد بجاهلية لذلك خفيت عليه أحكام كثيرة ، ثم سأله عن أمور متداولة في الجاهلية .

4 – لقد ختم اللقاء معاوية رضي الله عنه بإعتاقه لرقبة مؤمنة تأثراً برأفة الرسول صلى الله عليه وسلم ورفقه به .

(1) انظر : شرح النووي . مرجع سابق : 5 / 20

(2) المصطفى من صفات الدعاة . عبد الحميد البلالي . دار الدعوة - الكويت . ط 4 / 1408 هـ :

ج - رفقہ ﷺ بمن أصاب من حائط غيره بغير إذنه :

فعن عَبَّاد بن شَرْحِبِيلٍ رضي الله عنه قال : أَصَابَنَا عَامٌ مَحْمَصَةٌ فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَأَتَيْتُ حَائِطًا مِنْ حَيْطَانِهَا فَأَخَذْتُ سُنْبُلًا فَفَرَكَتُهُ وَأَكَلْتُهُ وَجَعَلْتُهُ فِي كِسَائِي فَجَاءَ صَاحِبُ الْحَائِطِ فَضَرَبَنِي وَأَخَذَ ثَوْبِي فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ لِلرَّجُلِ : « مَا أَطْعَمْتَهُ إِذْ كَانَ جَائِعًا أَوْ سَاقِبًا وَلَا عَلَّمْتَهُ إِذْ كَانَ جَاهِلًا » فَأَمَرَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَرَدَّ إِلَيْهِ ثَوْبَهُ وَأَمَرَ لَهُ بِوَسْقٍ ⁽¹⁾ مِنْ طَعَامٍ أَوْ نِصْفِ وَسْقٍ ⁽²⁾ .

- ما يستفاد من الحديث في الرفق بالمدعو :

1 - يتجلى في هذا الحديث مزيداً من مظاهر رفقہ ﷺ بأمتہ خصوصاً بمن

جهل منهم ، وزاد على عدم علمه بالحكم جوعه وحاجته الشديدين .

2 - لو كان عَبَّاد بن شَرْحِبِيلٍ رضي الله عنه عالماً بالحكم غير محتاج لطبق معه الرسول

صلى الله عليه وسلم الشدة في الجزاء فالسرقة إحدى الكبائر المستحقة لإقامة الحد كما ذكرها الذهبي في كتاب الكبائر ⁽³⁾ .

لكنه جاهل بالحكم والدليل قوله صلى الله عليه وسلم في ذات الحديث : « وَلَا عَلَّمْتَهُ إِذْ كَانَ

جَاهِلًا » .

(1) الوسق ستون صاعاً والصاع : مكيال يسع أربعة أمداد (مختار الصحاح ، مادة وسق) :

1 / 200 . أيضاً : لسان العرب ، مادة صوع : 8 / 215) .

(2) سنن ابن ماجه : كِتَابُ التَّجَارَاتِ . بَابُ مَنْ مَرَّ عَلَى مَا شِئِ قَوْمٍ أَوْ حَائِطٍ هَلْ يُصِيبُ مِنْهُ . رقم

الحديث : 2298 . 2 / 770 .

(3) انظر : الكبائر . الحافظ شمس الدين الذهبي . المكتبة العصرية - بيروت . ط 1 / 1423 هـ -

2003 م : ص / 82 .

3 - تظهر رحمة الرسول ﷺ ورفقه أيضاً في عتبه على صاحب الحائط عدم إطعام عبّاد بن شَرَحَيْلٍ ﷺ ولا تعليمه بوجوب عدم مس مال الغير ، ثم أمر برد ثوبه الذي أخذه منه عنوة ، ودفع له ما يتقوى به من طعام .

4 - لقد رسم نبينا الكريم ﷺ للأمة دعاة ومربين ورؤساء منهجاً واضحاً بيناً في رفقهم بمن هم أقل منهم حكمة وعلماً ورافتهم بهم مع المحافظة على حرّامات الله ﷻ من أن تنتهك أو تدنس .

ولقد استفاد من مدرسة الرسول ﷺ التعليمية ، القائمة على الرفق بالمدعوين والإحسان إليهم الصحابة رضوان الله عليهم ومن جاء بعدهم بإحسان فرحموا الجاهل في النصيحة كما فعل عمر بن الخطاب ﷺ فيمن رفعاً صوتها بمسجد رسول الله ﷺ فقد تأنى معها ، وسأل من أي البلاد هما حتى يرى أيعلمان فداحة ما اقترفاه ، فعن السائب بن يزيد أنه قال : كنت قائماً في المسجد فحَصَبَنِي (1) رَجُلٌ فَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ : « اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَدْيَيْنِ » فَجِئْتُهُ بِهِمَا قَالَ : « مِنْ أَنْتُمَا أَوْ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا » قَالَا : مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ ، قَالَ : « لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ » (2) .

فقد قال الحق تبارك وتعالى في وجوب خفض الصوت عند رسول الله ﷺ :

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ (3) .

(1) أي رماني بالحصب (لسان العرب ، مادة (حصب) : 1 / 321)

(2) صحيح البخاري : كتاب الصلاة . باب رَفَعِ الصَّوْتِ فِي الْمَسَاجِدِ . 1. 458 / 179 .

(3) سورة الحجرات : رقم الآية (2) .

ولكنه تركها ﷺ لما علم بجهلها ، يقول ابن حجر - رحمه الله - في ذلك :
« وفيه المعذرة لأهل الجهل بالحكم إذا كان مما يخفى مثله » (1) .

وفي سيرة الأئمة الأربعة - رحمهم الله ﷺ - الكثير من المواقف التي رحموا فيها ، وأعرضوا إعراضاً جميلاً لا كبر فيه ولا غلظة عند تناول الجهلاء لمكائهم ، فيحكى الصيمري عن سعة صدر الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - وعفوه عن أهل الجهل ممن استباح لحمه من خلف ظهره .

يقول في أخباره عن أبي حنيفة : « كان أكثر فقهاء الكوفة يصلون أكثر الصلوات في مسجد الجامع وكانوا يصلون صلاة السحر في مسجد الجامع ، وكان مسعر يظهر عداوة أبي حنيفة ويحث على الوقيعة فيه ، قال : فانصرف ليلة فمر بأبي حنيفة وهو ساجد فوضع على ثوبه حصريات من حيث لا يعلم وخرج وكان أبو حنيفة يقول : يجب على الفقيه أن يأخذ نفسه من عمله بشيء لا يراه الناس واجباً ، وكان يقول : إذا خالط القلوب النوم وجب الوضوء فخرج مسعر ثم رجع وقد أذن لصلاة الصبح فوجد أبا حنيفة على حاله يبكي ويدعو ثم قام فركع ركعتي الفجر وابتهل حتى أقيمت الصلاة فصلى الغداة على وضوء أول الليل فلما أصبح أخذ مسعر بيد جماعة من أصحابه وصار إليه وقال : إني تائب إلى الله من ذكري لك فاجعلني في حل فقال أبو حنيفة : كل من اغتابني من أهل الجهل فهو في حل ومن كان من أهل العلم فهو في حرج حتى يتوب فإن غيبة العلماء تبقى شيئاً في الخلق وأما أنا فقد جعلتك في حل فكيف بطلب الله إياك بما نهاك عنه في كتابه وسنة نبيه قال : فكانا بعد ذلك متآخيين حتى ماتا » (2) .

(1) فتح الباري . مرجع سابق : 1 / 561 .

(2) أخبار أبي حنيفة وأصحابه . القاضي أبي عبد الله حسين الصيمري . عالم الكتب - بيروت .

أما الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - فقد ضرب أروع الأمثلة في الرفق بالجاهل والتجاوز عنه ، جاء في كتاب (مناقب الإمام أحمد) ما حكاه بلال الآجري قائلاً : « صحبت أبا عبد الله ونحن راجعون من الجامع فذكرت أبا حنيفة ، فقال بيده هكذا ونفضها ، فقلت : كان بول أبي حنيفة أكبر من ملء الأرض مثلك . فنظر إليّ ثم قال : سلام عليكم - امتثالاً لقوله ﷺ : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (1) - فلما كان من السحر بكرت إليه فقلت : يا أبا عبد الله إن الذي كان مني كان على غير تعمد فأنا أحب أن تجعلني في حل . فقال : ما زالت قدماي من مكانيهما حتى جعلتك في حل » (2) .

فعلاً إنها أخلاق سفراء الإسلام في شتى بقاع الأرض ، ج اعلين قدوتهم في ذلك المصطفى ﷺ ، وهكذا يمكن أن تؤلف النفوس ، وتعلم الأمم والشعوب ، لأن العنف والشدة تنشئ أجيالاً جامحة ثائرة ، تعودت على الزجر والتوبيخ والقهر ، والرفق واللين ييطن الناس ، ويهدئ النفوس وتوجهها نحو الأصلاح ، ويشكلها كما يريد الدعاة لها أن تتشكل ، لما فيه من استصلاحها وكرامتها ، بل وقد تتنازل هذه النفوس عن حقوقها إكراماً واحتراماً لمن عاملها بالهدوء ، فيملك قلب المدعو ونفسه ، ويجعله يتقبل ما يصدر من الداعي إلى الله (3) .

(1) سورة الفرقان : رقم الآية (63) .

(2) مناقب الإمام أحمد بن حنبل . عبد الرحمن الجوزي . دار السعادة / مصر . دون طبعة . ص / 222 .

(3) انظر : مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين من منظور التربية الإسلامية . مرجع سابق : ص / 173 .

أما الصنف الثاني من المدعوين فهو مرتكب الذنب ، العالم بحكمه ، فلا أحد منزه أ عن ارتكاب الأخطاء ، ولا شك أنه واقع بها ، فمن أجل ذلك كان على الداعية الرحمة بالمخطئين والمذنبين ، وأن يأخذ بأيديهم إلى طريق الله بالموعظة الحسنة باللطف لا بالعنف ، فيرى أنهم كالغرقى يحتاجون لمن ينتشلهم من تلك الذنوب المحيطة بهم وأن ينظر إليهم بعين الرحمة والشفقة لما هم فيه لا بازدراء وتكبر فيما وقعوا فيه من زلل بل « فيهم من يميل بطبعه إلى الهوى ثم كلفه توقيه وعرفه التوبة بعد الابتلاء فإن وفى فأجره على الله وإن أخطأ فالتوبة بين يديه » (1) .

وليس هناك أحد أشد فرحاً بتوبة العبد المذنب من الله ﷻ إن تاب توبة نصوحاً ، لقوله ﷻ : « لَللّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ (2) مَهْلِكَةٍ مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ ثُمَّ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى مَكَانِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ » (3) .

والسبب في ذلك أنه « ولو لم يذنب العبد لاستكثر فعله واستحسن عمله فلحظ أفعاله المدخولة وطاعاته التي هي بالمعاصي أشبه وإلى النقص أقرب فيرجع

(1) فيض القدير . مرجع سابق : 5 / 342 .

(2) بفتح الدال وتشديد الواو والياء جميعاً ، وهي الأرض القفر والفلاة الخالية (شرح النووي . مرجع سابق : 17 / 61) .

(3) صحيح مسلم : كتاب التَّوْبَةِ . باب في الحُضِّ على التَّوْبَةِ وَالْفَرَحِ بها . رقم الحديث : 2744 .

من كنف الله وحفظه إلى استحسان فعله فيهلك» (1).

ولا يفهم من ذلك التساهل بالذنب والتمادي فيه ﷻ فيفرح بتوبة العبد المذنب إذا عزم على عدم العودة إلى ذنبه ﷻ ألبخلاً وبها اقترفه من ذنوب من أجل ذلك كان على الداعية الرفق بهم ، والعطف عليهم وتخير أفضل الأساليب وأيسرها حتى يردهم إلى ﷻ رداً جميلاً ، فيفرح ﷻ بتوبتهم ويتم إنقاذهم من النار ، وللداعية في ذلك عظيم الأجر وكامل الثواب بإذن ﷻ ولقد رسم إمام الهدى لأئمة وللدعاة من بعده كيفية الرفق بالمذنب وتذكيره وموعظته من غير تعنيف ولا إيذاء إتباعاً لقوله ﷺ : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (2).

فكان لذلك الأثر العظيم في إنجاح الدعوة وانتشارها في شتى بقاع الأرض ، ونستطيع أن نستنتج من سيرته ﷺ مظاهر وأساليب لكيفية الرفق بالمخالف شرعاً ، فمن أبرز تلك الأساليب التعريض بالنصح وعدم التصريح ، فكان ﷺ لا يصرح بالاسم إنما يشير إشارة إلى الذنب ، فيرجع المسيء عن ذنبه دون أن يقع في نفسه حرج من نشر ذنبه مقترناً باسمه وقد استخدم ذلك الرسول ﷺ في مواقف كثيرة فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما بال أقوام يلعبون بحدود الله طلقتك راجعتك طلقتك راجعتك » (3) وذلك قبل نزول آية ﴿ أَلْطَلْقُ

(1) فيض القدير . مرجع سابق : 5 / 342 .

(2) سورة الذاريات : رقم الآية (55) .

(3) سنن البيهقي الكبرى : باب ما جاء في كراهية الطلاق . رقم الحديث : 14675 . 7 / 322 .

مَرَّتَانٍ فَاِمْسَاكُ مِعْرُوفٍ اَوْ تَسْرِيحُ بِاِحْسَنِ ﴿١﴾ .

فكان الرجل قبل ذلك يطلق المرأة متى شاء ويراجعها متى ما أراد فنزلت الآية لتغليظ فعله (2) واذم ذلك الرسول ﷺ قبل نزول الآية لما رأى من البعض من تساهل بالطلاق .

وكقوله ﷺ : « ما بال أقوام يرفعون أبصارهم في صلاتهم » (3) .

فقد نهى ﷺ مرات متعددة عن رفع البصر أثناء الصلاة كقوله : « لا ترفعوا أبصاركم إلى السماء أن تلتمع يعني في الصلاة » (4) .

فلما رأى تكرر الأمر من البعض عرض بالنصح قائلاً « ما بال أقوام يرفعون أبصارهم » فاستمر بالرفق عند نصحه ، ولكنه لما رأى عدم التجاوب للنصيحة استخدم الشدة في دعوته لعلهم ينتهون فقال : « لِيَنْتَهَنَّ عَنْ ذَلِكَ اَوْ لَتُخْطَفَنَّ اَبْصَارُهُمْ » (5) .

فنستنتج من قوله ﷺ أن بإمكان الداعية العدول من الرفق إلى الشدة إن تكررت دعوته برفق ولم ير استجابة .

كذلك عرض ﷺ بالنصيحة مع جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - ففي

(١) سورة البقرة : جزء من الآية رقم : (229) .

(٢) انظر : شرح ابن ماجه : 1 / 145 .

(٣) سنن أبي داود : كتاب الطهارة . باب النظر في الصلاة . رقم الحديث : 913 . 1 / 240 .

(٤) سنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها . باب الخشوع في الصلاة . رقم الحديث :

. 1043

(٥) سنن أبي داود : كتاب الطهارة . باب النظر في الصلاة . رقم الحديث : 913 . 1 / 240 .

صحيح البخاري عنه أنه قال : أتيتُ النبي ﷺ في دينٍ كان على أبي فدَقْتُ البابَ فقال : « من ذا » فقلت : أنا فقال : « أنا أنا كأنه كَرِهَهَا » (1) .

فقد سأله الرسول ﷺ يريد اسمه ، فخالف جابر آداب الإجابة ولم يقدم بياناً شافياً لسؤاله ﷺ .

يقول ابن حجر - رحمه الله - معلقاً على الحديث : « قوله أنا لا يتضمن الجواب ولا يفيد العلم بما استعلمه وكان حق الجواب أن يقول أنا جابر ليقع تعريف الاسم » (2) .

كما أن من مظاهر رفقته ﷺ بالمذنب الإصلاح العملي دون تفرغ أو لوم بما يدفع الضرر ويصلح العوج ، ويُفهم المدعو ما اقترف من ذنب .

ومن تلك المواقف ما جرى في حجة الوداع عند إردافه الفضل بن عباسٍ
« وكان رجلاً حسنَ الشعرِ أبيضَ وسيماً فلما دفع رسول الله ﷺ مَرَّتْ بِهِ ظُنُّنٌ (3)
يَجْرِبْنَ فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِنَّ فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ فَحَوَّلَ
الْفَضْلُ وَجْهَهُ إِلَى الشَّقِّ الْآخِرِ يَنْظُرُ فَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخِرِ عَلَى
وَجْهِ الْفَضْلِ يَصْرِفُ وَجْهَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخِرِ يَنْظُرُ » (4) .

ولقد كان تصرف حكيم منه ﷺ فلم يوبخه ولم يقرعه بل أنكر ما فعله بيده

(1) صحيح البخاري : باب إذا قال من ذا فقال أنا . رقم الحديث : 5896 / 5 . 2306 .

(2) فتح الباري . مرجع سابق : 11 / 35 .

(3) تقدم بيان معنى الكلمة في الصفحة (132) .

(4) جزء من حديث طويل في صحيح مسلم : كتاب الحج . باب حجة النبي ﷺ . رقم الحديث :

فقط مع أنه ﷺ أطلق نظره لما لا يحل له في عبادة مهمة بل هي الركن الخامس من أركان الإسلام ، ويقترن مع شرف الزمان والمكان شرف الصحبة فقد كان رديف الرسول ﷺ ، إلا أنه ﷺ مع كل ذلك لم يوبخه أو يقرعه على ما بدا منه ف « من الحكمة في الإصلاح الاقتصار من الأسلوب على ما يكون كافياً في ردع المخطئ ، وإصلاح الخطأ ، دون زيادة على ذلك من التوبيخ والتجريح ، من مراعاة حال المخطئ ودرجة الخطأ فالفضل ﷺ شاب حديث السن ، قوي الشهوة ، فلم تغب هذه الأشياء عن تصور النبي ﷺ عند توجيهه للفضل بن عباس ﷺ » (1) .

وهذا الأسلوب لا يستخدم مع كل أحد ، فمن المدعوين من لا تؤثر فيهم الإشارة ، ومنهم من يحتد عند ذلك فوجب على الداعية بحكمته وسرعة بديته أن يقدر عند وقوع المنكر ما يناسب المدعو من أسلوب .

وخلاصة تلك المواقف أن من الحكمة على الداعية سلوك كل طريق يعلم أنه يستطيع به التأثير على المدعوين مع اختلاف شخصياتهم ، وتعدد بيئاتهم ، وتباين أفكارهم ، ومدار هذه الطرق جميعاً ومصبتها خلق الرفق ، فإن النصيحة التي تلقى في أدب ولطف تستسيغها القلوب وتنشرح لها الصدور ، وترتاح لها الأسماع ، ويعلم منها المدعو مدى شفقة الداعية وصدق أخوته ، وما أدل على ذلك من حديث المصطفى ﷺ عندما قال : « ذَهَبَ حُسْنُ الْخُلُقِ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » (2) .

(1) المنهاج النبوي في دعوة الشباب . سليمان بن قاسم العيد . دار العاصمة للنشر والتوزيع /

الرياض . ط 1 / 1415 هـ : 337 .

(2) المعجم الكبير . مرجع سابق . رقم الحديث : 411 . 23 / 222 .

المطلب الثاني

الرفق بالمخالف

تمهيد :

الاختلاف هو: «عدم الاتفاق وكل له يتساو فقد تخالف و اختلف⁽¹⁾ .

ونستنتج من التعريف اللغوي أن الاختلاف هو : « عدم الاتفاق شكلاً أو مضموناً في أمر من الأمور » .

فيشمل المضمون الأمور الشخصية كاختلاف الرأي أو الموقف ، أو الشكلية كالاختلاف في الهيئة وفي ذلك يقول الله ﷻ : ﴿ وَمَنْ آيَنِيهِ خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأُخْتَلَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَنُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (2) .

اختلاف في كل شيء ، في اللغات والهيئات حتى لا يجد المرء اثنان يتفق ان شكلاً ومضموناً تصديقاً لحديث الرسول ﷺ فيما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله عَجَّلَ خَلْقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةِ قَبْضِهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ جَاءَ مِنْهُمْ الْأَبْيَضُ وَالْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ وَبَيْنَ ذَلِكَ » (3) .

ومن حكمته الإلهية ﷻ أن جعل آراء الناس تختلف وتتشعب في أمور الدين

(1) انظر : لسان العرب ، مادة (خلف) : 9 / 91 .

(2) سورة الروم : رقم الآية (22) .

(3) مسند الإمام أحمد . رقم الحديث : 19597 . 4 / 400 .

والدنيا يرجع ذلك الاختلاف إلى اختلاف النشأة والتربية وعملية الفهم لقوله
 ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ
 وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١﴾ .

ويقول الشيخ السعدي - رحمه الله - في تفسير الآية : « يخبر تعالى أنه لو شاء
 لجعل الناس أمة واحدة على الدين الإسلامي فإن مشيئته غير قاصرة ولا يمتنع
 عليه شيء ولكنه اقتضت حكمته أن لا يزالوا مختلفين مخالفين للصراط المستقيم
 متبعين للسبل الموصلة إلى النار كل يرى الحق فيما قاله والضلال في قول غيره « إلا
 من رحم ربك » فهداهم إلى العلم بالحق والعمل به والاتفاق عليه فهو لاء سبقت
 لهم سابقة السعادة وتداركتهم العناية الربانية والتوفيق الإلهي وأما من عداهم فهم
 مخذولون موكولون إلى أنفسهم وقوله « ولذلك خلقهم » أي اقتضت حكمته أنه
 خلقهم ليكون منهم السعداء والأشقياء والمتفقون والمختلفون والفريق الذي هدى
 الله والفريق الذي حقت عليهم الضلالة ليتبين للعباد عدله وحكمته وليظهر ما
 كمن من الطباع البشرية من الخير والشر ولتقوم سوق الجاهاد والعبادات التي لا
 تتم ولا تستقيم إلا بالامتحان والابتلاء » (2) .

على أن الرفق المقصود في هذا الموضوع هو في الاختلاف المحمود الذي يكون
 في فروع العبادات والاجتهادات التي وقعت من بعض العلماء ، ولو كان الخلاف
 فيها مذموماً لحُجِّرَ علمٌ واسعٌ في هذا الدين ، لكن من رحمة الله ﷻ على عباده
 المسلمين أن سوغ لهم الخلاف في الفروع وحرم ذلك في الأمور الاعتقادية وأصول

(١) سورة هو : رقم الآية (118 - 119) .

(٢) تفسير السعدي . مرجع سابق : 1 / 392 .

العبادات ، فقد تركنا الله ﷻ في ذلك على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها زائغ ، لقوله : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (1) .

وللخلاف بين المسلمين أسباب أهمها:

1- اختلاف العلماء في حجية بعض المصادر الفقهية أو اختلافهم في رتبة الاحتجاج بها كما في خلاف الفقهاء في حجية القراءات الشاذة والحديث الم رسل والاستحسان وشرع من قبلنا وإجماع أهل المدينة.

2 - اختلافهم في فهم النصوص . كما في قوله : ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَحْدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ (2) ففسرها الجمهور بأنها الجماع، ولم يجعلوا لمس المرأة مما ينقض الوضوء، فيما أخذ الشافعي بظاهرها فجعل مجرد لمس المرأة ناقضاً للوضوء (3) .

2 - الاختلاف في فهم علة الحكم كما في الخلاف في مشروعية القيام للجنائز هل هو للمؤمن أم للكافر؟ وهل يقام تعظيماً للملائكة أم لهول الموت؟ أم أنه خاص بالكافر حتى لا تعلق جنازة الكافر رأس المسلم ؟ .

3 - الجهل بالدليل لعدم بلوغه ، ومثال ذلك فقد خفي على عمر ﷺ حكم دخول أرض الطاعون، بل وعلى كثير من الصحابة، فاختلّفوا حتى أخبرهم

(1) سورة المائدة : رقم الآية (3) .

(2) سورة المائدة : جزء من الآية رقم (6) .

(3) التفسير الكبير . مرجع سابق : 11 / 123 .

عبد الرحمن بن عوف بقول النبي ﷺ في ذلك .

4 - عدم الوثوق بصحة الدليل الذي عند الآخرين، فقد يضعف العالم المخالف الحديث في حين يصححه الآخرون، لاختلاف العلماء في تعديل أحد الرواة، أو لعلة يراها في السند أو المتن تجعل الرواية شاذة أو لغير ذلك من أسباب رد الرواية مما هو مسطر في كتب علم الحديث .

5 - الاختلاف في دلالات الألفاظ والنصوص لكون اللفظ مشتركاً أو مجملاً كقوله ﷺ: « لَا طَلَّاقَ وَلَا عَتَاقَ فِي غِلَاقٍ » (1) فقد اختلفوا في تفسير الإغلاق ففسره بعضهم بالإكراه، وآخرون بالغضب، وآخرون بغياب العقل بثورة الغضب. وتبعاً لذلك اختلف الفقهاء في بعض أحكام الطلاق (2) .

بعض مواقف الخلاف في عهد النبي ﷺ :

لقد وضع لنا النبي ﷺ قاعدة عظيمة في أهمية استيعاب هذه الخلافات الفرعية وتجاوزها فيما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: « نَادَى فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أَنْصَرَفَ عَنِ الْأَحْزَابِ : « أَنْ لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الظُّهْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ » فَتَخَوَّفَ نَاسٌ فَوَتَّ الْوَقْتَ فَصَلُّوا دُونَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَقَالَ آخَرُونَ لَا نُصَلِّي إِلَّا حَيْثُ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَإِنْ فَاتَنَا الْوَقْتُ قَالَ فَمَا عَنَّفَ وَاحِدًا مِنَ الْفَرِيقَيْنِ » (3) .

(1) سنن أبي داود: كِتَابُ الطَّلَاقِ . بَابُ فِي الطَّلَاقِ عَلَى غَلَطٍ . رقم الحديث: 2193 . 2 / 258 .

(2) انظر لأسباب الاخ تلاف : مقالة بعنوان : أدب الخلاف . منقذ بن محمود السقار . موقع صيد

الفوائد . www.saaaid.net

(3) صحيح مسلم : بَابُ الْمُبَادَرَةِ بِالْغَزْوِ وَتَقْدِيمِ أَهْمِ الْأَمْرَيْنِ الْمُتَعَارِضَيْنِ . رقم الحديث: 1770 . 3 .

فقد راعى ﷺ كونهم مجتهدين ف «لم يعنف واحداً من الفريقين لأنهم مجتهدون ففيه دلالة لمن يقول بالمفهوم والقياس ومراعاة المعنى ولمن يقول بالظاهر أيضاً وفيه أنه لا يعنف المجتهد فيما فعله باجتهاده إذا بذل وسعه في الاجتهاد وقد يستدل به على أن كل مجتهد مصيب وللقائل الآخر أن يقول لم يصرح بإصابة الطائفتين بل ترك تعنيفهم ولا خلاف في ترك تعنيف المجتهد وإن أخطأ إذا بذل وسعه في الاجتهاد والله أعلم» (1) .

بعض مواقف الخلاف في عهد الصحابة رضي الله عنهم :

لله در السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان حينما لم يفقدهم ما هم فيه من خلاف في فروع المسائل الأخوة والود الملتفة حباله فيما بينهم ، ولو نظرنا لعمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود - رضي الله عنهما - سنرى كثير من الاختلافات في مذهبهما الفقهي حتى قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - في إعلام الموقعين : « فِخْلَافُ ابْنِ مَسْعُودٍ لِعُمَرَ أَشْهُرٌ مِنْ أَنْ يُتَكَلَّفَ إِيْرَادُهُ وَإِنَّمَا كَانَ يُوَافِقُهُ كَمَا يُوَافِقُ الْعَالِمُ الْعَالِمَ وَحَتَّى لَوْ أَخَذَ بِقَوْلِهِ تَقْلِيدًا لِعُمَرَ فَإِنَّمَا ذَلِكَ فِي نَحْوِ أَرْبَعِ مَسَائِلٍ نَعُدُّهَا » (2) .

ومن هذه الاختلافات الكثيرة ما يراه ابن مسعود في مسألة لو أن الرجل زنى بامرأة ثم تزوجها فقال فيها أنها ما زالوا زانيين وإن تزوجا وخالفه عمر فقال لا بأس في ذلك (3) .

(1) شرح النووي . مرجع سابق : 12 / 98 .

(2) إعلام الموقعين عن رب العالمين . مرجع سابق : 2 / 237 .

(3) انظر : اختلاف العلماء . أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي . تحقيق : صبحي السامرائي . عالم

ولكن مع ذلك نرى ثناء الآخر على صاحبه فيقول ابن مسعود رضي الله عنه عن عمر :
 « كان عمر حصناً حصيناً يدخل الإسلام فيه ولا يخرج منه فلما أصيب عمر
 انثلم الحصن ، فالإسلام يخرج منه ولا يدخل فيه إذا ذكر الصالحون فحيَّ
 هلا بعمر » (1) .

أما عمر رضي الله عنه فقال عن ابن مسعود : « كَتَيْفٌ (2) ملئ علماً آثرتُ به أهل
 القادسية » (3) .

تعامل أئمة المذاهب الأربعة مع الخلافات المذهبية الواقعة بينهم :

إذا أمعنا النظر في سيرة أئمة المذاهب الفقهية الأربعة - نظراً لما يكثر في
 مذاهبهم من اختلافات - لرأينا سماحة تفوق الوصف والتصوير ، سماحة سفراء
 الإسلام ، الذين قيض الله بهم هذا الدين الإسلامي العظيم .

ولقد جرت مناقشة بين الإمام محمد الباقر وأبو حنيفة وكان أبو حنيفة قد
 اشتهر بكثرة القياس في الفقه حتى تناولته الألسن باللام .

فقال له محمد الباقر أنت الذي حولت دين جدي وأحاديثه إلى القياس

قال أبو حنيفةً جلس مكانك كما يحق لي ، فإن لك عندي جوف عطلس .

ثم جثا أبو حنيفة بين يديه ، ثم قال : إني أسألك عن ثلاث كلمات فأجبن ي ،
 الرجل أضعف أم المرأة ؟

(1) المستدرک علی الصحیحین : رقم الحدیث : 4522 / 3 . 100 .

(2) النيف : أي الشيء المرتفع ، كقولنا (جبل منيف) إذا ارتفع وأشرف على من حوله (أساس

البلاغة : مادة (نوف) : 1 / 658 .

(3) تاريخ مدينة دمشق . مرجع سابق : 33 / 146 .

قال الباقر: المرأة أضعف .

قال أبو حنيفة: كم سهم المرأة في الميراث ؟

قال الباقر: للرجل سهمان، وللمرأة سهم .

قال أبو حنيفة : هذا علم جدك، ولو حولت دين جدك لكان ينبغي القياس أن يكون للرجل سهم، وللمرأة سهمان ، لأن المرأة أضعف من الرجل، ثم الصلاة أفضل أم الصوم ؟ قال الباقر: الصلاة أفضل .

قال أبو حنيفة: هذا قول جدك، ولو حولت دين جدك، لكان أن المرأة إذا طهرت من الحيض أمرتها أن تقضي الصلاة، ولا تقضي الصوم ، ثم البول أنجس أم النطفة ؟

قال الإمام الباقر: البول أنجس .

قال أبو حنيفة لو كنت حولت دين جدك بالقياس، لكنت أمرت أن يغتسل من البول، ويتوضأ من النطفة، ولكن معاذ الله أن أحول دين جدك بالقياس فقام الإمام الباقر، وعانقه، وقبل وجهه (1) .

ويرصد لنا التاريخ مقولة الإمام أحمد بن حنبل في الشافعي - رحمهما الله - فيقول : « ما أعلم أحدا أعظم منه على الإسلام في زمن الشافعي من الشافعي وإني لأدعو الله له في أدبار صلواتي فأقول اللهم اغفر لي ولوالدي ولمحمد بن إدريس الشافعي » (2) .

(1) انظر: الإمامة وأهل البيت . محمد بيومي مهران . دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت . 1993 م . 3 / 42 - 43 .

(2) معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب . أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي . دار الكتب العلمية - بيروت . ط1 / 1411 هـ - 1991 م : 5 / 202 .

ويقول عن إسحاق بن راهويه وقد كان يخالفه في كثير من المسائل الفقهية : « لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق وان كان يخالف في أشياء فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً » (1).

ويقول العباس بن عبد العظيم العنبري : « كنت عند أحمد بن حنبل وجاءه علي بن المديني راكباً على دابة فتناظرا في الشهادة وارتفعت أصواتهما حتى خفت أن يقع بينهما جفاء وكان أحمد يرى الشهادة وعلي يأبى ويدفع فلما أراد علي الانصراف قام أحمد فأخذ بركابه » (2).

أما الشافعي - رحمه الله - فهو صاحب المقولة المعروفة : « مَذْهَبَنَا صَوَابٌ يَحْتَمِلُ الْخَطَأَ وَمَذْهَبٌ مُخَالَفِنَا خَطَأٌ يَحْتَمِلُ الصَّوَابَ » (3) فإنه لم يخطئ أو يسفه رأي غيره بل أوضح أنه وإن كان يرى في مذهبه الصحة فهو ولا شك يحتمل الخطأ، كذلك وإن رأى أن قول غيره خاطئ فلا ينفي هذا الأمر أن يكون ما ذهب إليه غيره هو الصحيح .

ويقول يونس الصديقي : « ما رأيت أعقل من الشافعي ناظرته يوماً في مسألة ثم افترقنا ولقيني فأخذ بيدي ثم قال يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة !! » (4).

(1) تهذيب الكمال . أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبدالرحمن المزي . تحقيق : د. بشار عواد

معروف . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط 1 / 1400 هـ - 1980 م : 3 / 381 .

(2) جامع بيان العلم وفضله . يوسف بن عبد البر النمري، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت

- 1398 : 2 / 107 .

(3) الفتاوى الفقهية الكبرى أحمد بن حجر الهيتمي . دار الفكر . بدون طبعة : 4 / 313 .

(4) سير أعلام النبلاء . مرجع سابق : 10 / 16 .

ويحتوي كتاب الأم للشافعي ملحقاً أخيراً سماه « خلاف مالك » خصصه لكل المسائل الفقهية التي اختلف فيها مع مالك - رحمهما الله - إلا أن ذلك لم يمنعه أن يقول في مالك - وقد كان أستاذه - : « إذا جاء الحديث عن مالك فاشدد يدك به » (1) .

تعامل العلماء المعاصرين مع مواقف الخلاف :

يذكر الشيخ صالح آل الشيخ مواقف عن سماحة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيروي أن أحد العلماء في الأحساء وهو محمد بن عبد اللطيف الأحسائي كان يخالفه في أمور كثيرة فكتب له الشيخ رسالة جاء فيها : « كنت زرتك ورأيتك علقت على أول كتاب الإيمان من البخاري تعليقاً حسناً يخالف ما عليه أهل بلدك فعلمت أنك تطلب الحق ، وكنت أرجو أن تكون فاروقاً لدين الله ﷻ في آخر هذا الزمان كما كان عمر بن الخطاب ؓ فاروقاً لدين الله ﷻ في أوله وإني لأدعوك في صلاتي » (2) .

هذه أخلاق أهل الإسلام الموجبة لهذا الرفق وتلك السماحة ، فالمفترض من الفقهاء والدعاة والعلماء عموماً أنهم طالبون للحق ، لكن قد يخفى الحق عليهما أو على أحدهما والخفاء قد يكون سببه خفاء دليل أو دلالة - كما أسلفنا - لكنهما مستصحبان للنية الأولى وهي طلب الحق .

(1) حلية الأولياء . مرجع سابق : 6 / 322 .

(2) مجموع دروس ورسائل في الدعوة إلى الله . عبد العزيز بن باز / محمد بن صالح العثيمين /

صالح بن عبد العزيز آل الشيخ . مرجع سابق : ص / 301 .

أثر العنف في التعامل مع الخلافات :

إن وجود الخلاف لا يقطع حبل المودة بين الدعاة ، ولا يعكر على القلوب صفاءها ، فضلاً عن التناز والتدابير ونحو ذلك (1) .

خلافاً لما نشب من قتال بين متبعي المذاهب الأربعة وكأنهم أغفلوا خطر ذلك على الأمة الإسلامية فلم يقتدوا لا برسولهم ولا بأئمتهم الذين ينافحون عنهم بعصية .

فقد ذكر ابن كثير - رحمه الله تعالى - : « أن فتنة وقعت ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروزي الحنبلي وبين طائفة من العامة اختلفوا في تفسير قوله ﷺ : ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ (2) فقالت الحنابلة يجلسه معه على العرش وقال الآخرون المراد بذلك الشفاعة العظمى فاقتتلوا بسبب ذلك وقتل بينهم قتلى فإنا لله وإنا إليه راجعون» (3) .

كذلك ما جرى في حقبة من الزمن من « تعدد المحاريب في المساجد وتسمية كل محراب منها باسم مذهب من المذاهب الأربعة ، أسوأ مظهر يتجسد فيه التحزب المقيت الذي لا معنى له ولا مسوغ وإن ما يفعله بعض العوام من الانزواء في طرف من المساجد وصلاته الجماعة قائمه تؤدى أمام عينيه ، لا يمنعه من

(1) فقه الخلاف وأثره في القضاء على الإرهاب . يوسف عبد الله الشيبلي . بحث مقدم لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب . 1425 هـ - 2004 م ص 32 .

(2) سورة الإسراء : رقم الآية (79) .

(3) البداية والنهاية . مرجع سابق : 11 / 162 .

القيام إليها إلا أن الإمام ينتمي إلى غير مذهبه ، فهو ينتظر إمامه الذي من حزبه ، لا يقتدي بغيره ولا يرى أن صلاته تصح إلا من ورائه نقول إن لهنلي اشاع عند كثير من العوام أو من يتسم بسمة العلشبيء لا يستند إلى أي أصل من أصول الديروما أجمع الأئمة والعلماء في كل عصر وزمن إلا على خلافة⁽¹⁾.

ومن هذه المساجد التي أصابها هذا الاختلاف المسجد الحرام فيصف ابن جبير في (رحلته) تقسيم الحرم المكي في ذلك الوقت (عام 578 هـ) فيقول : « للحرم أربعة أئمة سنية وإمام خامس لفرقة تسمى الزيدية ، فأول الأئمة السنية الشافعي رحمه الله وإنما قدمنا ذكره لأنه المقدم من الإمام العباسي وهو أول من يصلى وصلاته خلف مقام إبراهيم عليه السلام ، إلا صلاة المغرب فإن الأربعة الأئمة يصلونه في وقت واحد مجتمعين لضيق وقتها يبدأ مؤذن الشافعي بالإقامة ثم يقيم مؤذنا سائر الأئمة وربما دخل في هذه الصلاة على المصلين سهو وغفلة لاجتماع التكبير فيها من كل جهة فربما ركع المالكي بركوع الشافعي أو الحنفي أو سلم أحدهم بغير سلام إمامه فترى كل أذن مصيخة لصوت إمامها أو صوت مؤذنه مخافة السهو ومع هذا فيحدث السهو على كثير من الناس ، ثم المالكي رحمه الله وهو يصلى قبالة الركن اليماني وله محراب حجر يشبه محراب الطرق الموضوعة فيها ، ثم الحنفي رحمه الله وصلاته قبالة الميزاب تحت حطيم مصنوع له وهو أعظم الأئمة أبهة وأفخرهم آلة من الشمع وسواها بسبب أن الدولة الأعجمية كلها على مذهبه فالاحتفال له كثير وصلاته آخرا ، ثم الحنبي رحمه الله وصلاته مع صلاة المالكي في

(1) اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية . محمد سعيد رمضان البوطي . دار الفارابي

حين واحد وموضع صلاته يقابل ما بين الحجر الأسود والركن اليماني ويصلى الظهر والعصر قريباً من الحنفي في البلاط الآخذ من الغرب إلى الشمال والحنفي يصليهما في البلاط الآخذ من الغرب إلى الجنوب قبالة محرابه»⁽¹⁾.

وفي خطوة فعالة من المملكة العربية السعودية فقد أعيد في تشكيل هيئة كبار العلماء بتاريخ: 6 / 3 / 1430 هـ وأضيف لهم ممثلين م ذاهب السنة الأربعة وهي خطوة مباركة لإشراك جميع المذاهب في تقدير حاجة المجتمع عبر الفتيا القائمة على التوسيع على الناس⁽²⁾ مع مراعاة عدم تتبع الرخص في كل مذهب ، والأخذ بالأرجح ، والافتداء بما كان عليه السلف الصالح من تسامح ورفق في المعاملة فالجميع طالب حق .

(1) رحلة ابن جبير. أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبر الكناني الأندلسي . تحقيق : محمد مصطفى

زيادة . دار الكتاب اللبناني / دار الكتاب المصري - بيروت / القاهرة : 1 / 85 .

(2) تنوع المذاهب في هيئة كبار العلماء السعودية .. خطوة للاستفادة من سعة الفقهاء في التيسير .

هدى الصالح . صحيفة الشرق الأوسط . 21 / 3 / 1430 هـ - 17 مارس 2009 م .

المطلب الرابع

الرفق مع الكفار

تعريف اللُّفْر في اللغة :

كلمة الكافر في اللغة مشتقة من الفعل (كُفِر) ف « الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد وهو الستر والتغطية »⁽¹⁾.

وللكلمة معاني كثيرة في اللغة منها⁽²⁾ :

- 1 - الستر والتغطية .
- 2 - الرجل المتغطي بسلاحه .
- 3 - المزارع لأنه يغطي الحب بتراب الأرض .
- 4 - نقيض الإيمان لأن الكافر يغطي الإيمان بالجحود .
- 5 - الأرض البعيدة عن الناس .

والكافر اسم لمن لا إيمان له ، فإن أظهر الإيمان فهو المنافق وإن طرأ كفره بعد الإيمان فهو المرتد ، وإن قال بإلهين أو أكثر فهو المشرك ، وإن كان متديناً ببعض الأديان والكتب المنسوخة فهو الكتابي⁽³⁾ .

(1) مقاييس اللغة مادة (كفر) : (5 / 191) .

(2) انظر : المصدر السابق : نفس الجزء والصفحة . الكليات : 1 / 763 - 765 . إكمال الإعلام بتثليث الكلام : 2 / 546 - 547 .

(3) انظر الكليات . مرجع سابق : 1 / 763 - 765 .

وخلاصة الأقوال السابقة فإن الكفر لغة هو الستر والتغطية لما هو معلوم بالضرورة ، واستخدام الكلمة في الأمور الشرعية أشهر وأوضح .

أقوال المفسرين في تعريف (الكافر) :

قال السمرقندي إن الكافر هو : « الغافل عن الأمر والنهي والوعد والوعيد »⁽¹⁾ .

وجاء في تفسير الطبري بأن الكافر هو: « الظالم نفسه لإكسابها من معصية الله وخلاف أمره ما أوردها به نار جهنم وأصلها به سعي للسكر »⁽²⁾ .

تعريف الكفر شرعاً :

أرجح التعريفات ما ذكره الدكتور إبراهيم البريكاني - رحمه الله - في مدخله فقال : « ه و من جحد ما لا يتم الإسلام بدونه أو كماله »⁽³⁾ .

فيدخل في التعريف كل من جحد بالشهادتين ، كذلك كل من جحد بتحريم ما عُلم بالضرورة من دين الإسلام ، كجحد الصلاة ، وجحد تحريم الربا ونحو ذلك⁽⁴⁾ .

(1) تفسير السمرقندي . مرجع سابق : 1 / 581 .

(2) تفسير الطبري . مرجع سابق : 4 / 60 .

(3) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة جمع سابق : ص / 181 .

(4) المرجع السابق : نفس الصفحة .

حث الإسلام على الرفق في معاملة الكافر ونصحه :

من أهم الأمور التي يجب أن يدركها أبناء هذا الدين الإسلامي - خاصة الدعوة إلى الله ﷻ - القائم على السهاحة والمحبة والرفق أن الإسلام لم يأت أبداً سيفاً مُسلطاً على رقاب المخالفين له إن لم يعترضوا انتشاره .

فهذا الاختلاف حكمة من حكمه ﷻ حيث قال : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (1) .

وقال ﷻ : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (2) .

إنما جاء شديداً على من أضاف إلى خصلة الكفر خصلة الظلم والبغي بغير الحق ، يقول أحد الشعراء على لسان الإسلام :

أرد طعن العدى عن مهجتي⁽³⁾ بيد وتمسح الجرح من جهل الصديق يد⁽⁴⁾

فقد يظن بعض الدعاة أن الآيات التي نزلت في صد الكفار وجفاء المعاملة معهم إنما هي عامة وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (5) .

(1) سورة هود : رقم الآية (118) .

(2) سورة يونس : رقم الآية (99) .

(3) المهجة : دم القلب وخالص النفس (انظر : لسان العرب ، مادة [مهج] : 2 / 370) .

(4) تعامل المسلمين مع غيرهم في مجتمع الدعوة . يوسف محيي الدين أبو هلاله . دار الضيافة / عمان

- الأردن . ط 1 / 1422 هـ - 2002 م . ص / 176 .

(5) سورة المجادلة : جزء من الآية رقم (22) .

أن « المحاداة لا تعني الكفر المجرد ، وعدم الإيمان بالله فقط إنما تعني المحاربة والمجاهبة والمواجهة والإصرار على الخصومة وإلحاق الأذى

ويتجلى ذلك في هذه الآية الكريمة يقول ﷺ : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (2) فذكر الله ﷻ السبب في النهي عن إلقاء المودة لهم وذلك لمحاربتهم للمسلمين وإخراجهم من أرضهم .

والدليل على ذلك أيضاً ما جاء في سورة الممتحنة من قول الله ﷻ : ﴿لَا يَتَّخِذْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (3) .

وتأتي الآية في سورة التوبة موضحة لمدى أهمية الرفق بالكافر والإحسان إليه ، أملاً في إسلامه ، وتهيئة لسماحه آيات الله ﷻ ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْتَغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (4) .

(1) تعامل المسلمين مع غيرهم في مجتمع الدعوة . يوسف محيي الدين أبو هلاله . مرجع سابق :

ص / 51 - 52 .

(2) سورة الممتحنة : رقم الآية (1) .

(3) سورة الممتحنة : رقم الآية (8) .

(4) سورة التوبة : رقم الآية (6) .

يقول الطبري : « يقول تعالى ذاكراً لنبية وإن استأمنك يا محمد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم أحد لسمع كلام الله منك وهو القرآن الذي أنزله الله عليه ﴿ فَأَجِرْهُ ﴾ يقول : فأمنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه ، ﴿ ثُمَّ أَلْبَغْهُ مَا مَنَّهُ ﴾ يقول : ثم رده بعد سماعه كلام الله إن هو أبى أن يسلم ولم يتعظ لما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن إلى مأمنه يقول إلى حيث يأمن منك وممن في طاعتك حتى يلحق بداره وقومه من المشركين » (1) .

ولقد صان الإسلام دم المسالم صوناً مؤكداً على من انتهك دمه بغير وجه حق أشد أنواع العقوبات وهو الحرمان من الجنة فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « من قتل معاهداً لم يرحَ رائحة الجنة وإن ریحها تُوجد من مسيرة أربعين عاماً » (2) .

كما أنه ﷺ قد تبرأ ممن اعتدى على ذمي آمن بغير حق ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية ومن قتل تحت راية عمية يغضب للعصبة ويقاتل للعصبة فليس من أممي ومن خرج من أممي على أممي يضرب برها وفاجرها لا يتحاش من مؤمنها ولا يفي بذي عهدها فليس مني » (3) .

(1) تفسير الطبري . مرجع سابق : 10 / 79 .

(2) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير . باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم . رقم الحديث :

. 1155 / 3 . 2995

(3) صحيح مسلم : كتاب الإمارة . باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل

حالٍ وتحریم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة . رقم الحديث : 1848 / 3 . 1477 .

لذلك ذهب خلق كبير من العلماء إلى أن المسلم يُقتل بالذمي لعموم النصوص الموجبة للقصاص من الكتاب والسنة ولاستوائهم بحصمة الدم المؤبدة⁽¹⁾.

وفيما سبق من توجيهات ربانية ووصايا نبوية دلالة مؤكدة على رفق الإسلام بمخالفه من غير المسلمين خلافاً لما يصموه أعداؤه به جاعلين التطرف والغلو والعنف من أهم صفاته ، وهو براء منها ، دليل ذلك كل ما سبق من آيات قرآنية كريمة ، وأحاديث نبوية شريفة .

مواقف من رفق الرسول ﷺ وصحابته ؓ في معاملتهم للكفار ونصحهم :

لقد سطر الرسول ﷺ وصحابته أروع المواقف في معاملتهم للكفار من أهل الكتاب حيث إنهم جاوروهم في المدينة وبقدر ما وجدوا منهم من غدر وخبث لم يكفهم عن مقابلة السيئة بمثلهما إلا كل رفق وسماحة أمرهم بهما دينهم ، ورغبة عميقة في هدايتهم إلى طريق الرشاد .

فلم يكن لهذا الدين أن ينتشر في كل بقاع الأرض لولا فضل الله ﷻ ثم ما تحلى به ﷺ من سماحة القول والفعل في معاملته للكفار ، ولو أنه دعا على قومه ومن آذاه من أهل القرى المجاورة كما دعا الأنبياء على أقوامهم هلكوا منذ فجر الدعوة الإسلامية ، ولقد سألت عائشة - رضي الله عنها - النبي ﷺ هل : أتى عليك يومٌ

(1) انظر : المبسوط . شمس الدين السرخسي . دار المعرفة - بيروت . دون طبعة . باب القصاص :

26 / 133 . الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار . أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري

القرطبي . تحقيق : سالم محمد عطا - محمد علي معوض . دار الكتب العلمية - بيروت . ط 1 /

2000 م : 8 / 177 .

كان أشدَّ من يومٍ أُحِدٍ قال : « لقد لقيتُ من قومِك ما لقيتُ وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يوم العقبَةِ إذ عرَضتُ نفسي على بن عبدِ يا ليل بن عبدِ كُلالٍ فلم يُجِني إلى ما أردتُ فانطلقتُ وأنا مَهْمومٌ على وجهي فلم أستفقُ إلا وأنا بقرنِ الثعالبِ فرفعتُ رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلتني فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ فناداني فقال : إنَّ اللهَ قد سمع قولَ قومك لك وما ردُّوا عليك وقد بعثَ اللهُ إليك ملكَ الجبالِ لتأمره بما شئتَ فيهم ، فناداني ملكُ الجبالِ فسلمَ عليَّ ثم قال : يا محمد فقال ذلك فيما شئتَ إن شئتَ أن أطبقَ عليهم الأخشبين⁽¹⁾ فقال النبي ﷺ : « بل أرجو أن يخرجَ اللهُ من أصلابهم من يعبدُ اللهَ وحده لا يُشركُ به شيئاً »⁽²⁾ .

كما أنه في غزوة أحدٍ قد كُسرَت رِباعُ النبي ﷺ وشج رأسه فلم يزد على قوله : « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون »⁽³⁾ فما مضت إلا أعوام قليلة وأثمرت هلالشفقة وهذا الرفق في سادات الكفر فأصبحوا سيوفاً لله أسوداً في نشر دينه .

وحتى في معاملته ﷺ مع من جاوره من أهل الكتاب في المدينة نجده حريصاً على هداية صغيروهم قبل كبيرهم متحلياً بالصفح والإحسان ، داف عاً بالتي هي أحسن رجاء اعتناقهم لدين الله الحق فهاهو ذا غلامٌ يهوديٌّ قام بخدمة النبي ﷺ

(١) هما جبلا مكة أبو قبيس والذي يقابله وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما والمراد بإطباقهما أن يلتقيا على من بمكة .

(٢) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق . باب إذا قال أحدكم آمينَ والملائكةُ في السماء فوافقَت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدَّم من ذنبه . رقم الحديث : 3059 / 3 . 1180 . صحيح مسلم : كتاب الجهادِ والسَّير . باب ما لقيَ النبي ﷺ من أذى المشركينَ والمنافقينَ . رقم الحديث : 1795 / 3 . 1420 .

(٣) المعجم الكبير : 6 / 120 .

فَمَرَّصَ فَاتَاهُ ﷺ يُعَوِّدُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ : « أَسْلِمَ » فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ : أَطْعَ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ ، فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ » (1) .

كان مجرد غلام إلا أن الرحيم الرفيق بأمرته رسولنا ﷺ أبى أن يغادر هذا الغلام هذه الدنيا وهو على ضلال ، فسعى خلفه شفقة ورحمة ، جعلت والده وهو يهودي وعلى الكفر يدرك أبعاد هذا الخوف وهذه الشفقة ، فيأمر ابنه أن يقول كلمة تشفع له يوم القيامة .

ولا شك أن الرفق وحسن الخلق عند التعامل مع الكافرين - مع ضرورة مراعاة انتفاء الميل القلبي بالمودة والمحبة - أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الدين الإسلامي ، حتى يرى الكافر الأثر الحسن لتطبيق أبناء هذا الدين لتعاليمه القائمة على السماحة الحائثة على البشاشة وحسن الخلق والدفء التي هي أحسن

جاء في المستدرک عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يهوديا كان يقال له جريجة كان له على رسول الله ﷺ دنانير فتقاضى النبي ﷺ فقال له : « يا يهودي ما عندي ما أعطيك » قال : فإنني لا أفارقك يا محمد حتى تعطيني ، فقال ﷺ : « إذا أجلس معك » فجلس معه فصرى رسول الله ﷺ في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتهددونه ويتوعدونهم ففطن رسول الله ﷺ فقال : « ما الذي تصنعون به » فقالوا : يا رسول الله يهودي يجبسك ؟ ! فقال رسول الله ﷺ : « منعني ربي أن أظلم معاهدا

(1) البخاري : كِتَابُ الْجَنَائِزِ . بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ

ولا غيره « فلما ترحل النهار ، قال اليهودي : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وقال : شطر مالي في سبيل الله أما والله ما فعلت الذي فعلت بك إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق ولا متزي بالفحش ولا قول الخنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله هذا مالي فاحكم فيه بما أراك الله » (1) .

وكان ﷺ يقوم لجنازتهم فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال مرت بنا جنازة فقام لها النبي ﷺ وقمنا له فقلنا : يا رسول الله إنها جنازة يهودي ، قال : « إذا رأيتم الجنازة فقوموا » (2) .

وقد امثل لذلك الصحابة رضوان الله عليهم فاحترموا هذه النفس في موتها كما أمرهم ﷺ ففي صحيح البخاري أن سهلاً بن حنيف وقيس بن سعد قاعدتين بالقادسية فمروا عليهما بجنازة فقاما فقيل لهما إنها من أهل الأرض أي من أهل الذمة فقالا إن النبي ﷺ مررت به جنازة فقام فقيل له إنها جنازة يهودي فقال : « أليست نفساً » (3) .

بعض مواقف رفق الخلفاء الراشدين بغير المسلمين :

كذلك سار الخلفاء من بعده ﷺ على نهجه فهذا أبو بكر ﷺ يجدد مع نصارى

(1) المستدرک علی الصحیحین : رقم الحدیث : 4242 / 2 . 678 .

(2) صحیح البخاری : کتاب الجنائز . باب من قام لجنازة یهودی . رقم الحدیث : 1249 .

. 441 / 1

(3) المصدر السابق : نفس کتاب والباب و الجزء والصفحة . رقم الحدیث : 1250 .

نجران العهد والميثاق وهم يوم ذاك أربعين ألف مقاتل ، فكتب لهم كتاباً « أجارهم من جنده ونفسه وأجاز لهم ذمة محمد رسول الله ﷺ إلا ما رجع عنه رسول الله ﷺ بأمر الله ﷻ في أرضهم وأرض العرب ألا يسكن بها دينان أجارهم على أنفسهم بعد ذلك وملتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم وعاديتهم وغائبهم وشاهدتهم وأسقفهم ورهبانهم وبيعهم حيثما وقعت وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير عليهم ما عليهم فإذا أدوه فلا يحشرون ولا يعشرون ولا يغير أسقف من أسقفته ولا راهب من رهبانته ووفى لهم بكل ما كتب لهم رسول الله وعلى ما في هذا الكتاب من ذمة محمد رسول الله وجوار المسلمين وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق» (1) .

ولما توفي أبو بكر ﷺ واستخلف بعده عمر بن الخطاب ﷺ كان يسأل الذين يغدون عليه من الأقاليم عن أحوال أهل الكتاب في أراضي المسلمين خشية أن يكون أحدهم قد تعرض للأذى فيقولون له : « ما نعلم إلا وفاء » (2) أي بمقتضى العهد والعقد الذي بينهم وبين المسلمين .

وقد أوصى الفاروق ﷺ وحتى آخر لحظة من لحظات حياته بهم خيراً ، وذلك بعد طعنه فقد جاء في وصيته : « أوصيكم بذمة الله فإنه ذمة نبيكم ورزق عيالكم أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا إلا طاقتهم وأن لا يؤخذ من أهل الجزية إلا قدر ما يطيق المأخوذ منه » (3) .

(1) تاريخ الطبري . مرجع سابق : 2 / 295 .

(2) المصدر السابق : 2 / 503 .

(3) فتح الباري . مرجع سابق : 6 / 267 .

ويكفيينا من سيرته العطرة ﷺ أبرز مثالين على حسن معاملته حتى يجب لهم هذا الدين الإسلامي الحنيف ، فقد رأى شيخاً من أهل الذمة يسأل فقال : « ما أنصفناه أخذنا منه في حال قوته ولم نرد عليه عند ضعفه » وفرض له من بيت المال (1) .

ولا يخفى على طالب علم موقفه ﷺ مع القبطي الذي ضربه ابن عمرو بن العاص ﷺ عندما استبقا فسبقه القبطي فتظلم إلى عمر بن الخطاب ﷺ آتيا من مصر قائلاً : يا أمير المؤمنين عائد بك من الظلم . قال : عدت معاذاً ، قال : سأبقت ابن عمرو بن العاص فسبقتة فجعل يضربني بالسوط ويقول أنا ابن الأكرمين ، فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم عليه ويقدم بابنه معه فقدم فقال عمر : أين المصري خذ السوط فاضرب ، فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر : اضرب ابن الأليمين قال أنس : فضرب فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه ، ثم قال عمر للمصري : ضع على ضلعة عمرو ، فقال يا أمير المؤمنين : إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه فقال عمر لعمرو : مذكم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟! (2) .

ولما قبض عمر بن الخطاب ﷺ واستخلف بعده عثمان بن عفان ﷺ وجاء إليه أهل نجران في المدينة فكتب إلى عامله فيها وهو الوليد بن عقبة : « من عبد الله بن عثمان أمير المؤمنين إلى الوليد بن عقبة سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو

(1) المبسوط للسرخسي . مرجع سابق : 3 / 19 .

(2) فتوح مصر وأخبارها . أبو القاسم عبد الرحمن القرشي المصري . تحقيق : محمد الحجيري . دار

أما بعد ، فإن الأسقف والعاقب وسراة أهل نجران الذين بالعراق ، أتوني فشكوا إلي وأروني شرط عمر لهم ، وقد علمت ما أصابهم من الناس ، وإني قد خفت عنهم ثلاثين حلة من جزيتهم ، تركتها لوجه الله جل ثناؤه ، وإني وفيت لهم بكل أرضهم التي تصدق عليهم عمر . فاستوص بهم خيراً ، فإنهم أقوام لهم ذمة ، وكان بيني وبينهم معرفة ، وانظر صحيفة كان عمر كتبها لهم ، فأوفهم ما⁽¹⁾ فيها .

وبعد فهذا هو منهج الدعوة إلى الله ﷻ في معاملة غير المسلمين ، وهذه النماذج المشرقة التي يحدثنا عنها التاريخ على مرّ الأيام في المعاملة الرفيعة التي نالها غير المسلمين من أبناء هذا الدين الحنيف ، ومع ذلك تتعالى صيحات أعداء الإسلام بالصاق جميع التهم والأوصاف الشائنة بهذا الدين ، فوصفوه بالإرهاب ، وهو وبعيد كل البعد عن هذا المفهوم فإني أرد عليهم في هذه العجالة بإيجاز عن الإرهاب من حيث مفهومه وأسبابه وعلاجه في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مؤكدة فيها رفض الإسلام لمثل هذه الأفعال وبراءته منها :

مفهوم الإرهاب في العصر الحديث :

لقد أسلفنا أدلة مؤكد لحرمة دم الكافر المعاهد والمسلم ، ممن قال عنهم الله ﷻ : ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾⁽²⁾ .

ولكننا فجعنا - للأسف - بفتة ممن ينتمون للإسلام - وهو بريء من فعلهم - أضربوا عن سماع الأدلة الصريحة من اللكتاب والسنة الناهية عن إيذاء المستأمن

(١) تعامل المسلمين مع غيرهم في مجتمع الدعوة . مرجع سابق : ص / 99 .

(٢) سورة الممتحنة : رقم الآية (8) .

بغير وجه حق ، بل تهانوا في دماء إخوانهم المسلمين ، سعياً لتحقيق أهدافهم المرسومة ، فسفكوا الدماء ،، ودمروا المنشآت والممتلكات ، تحت ذرائع ، واحتجاجات وهمية ، ما أنزل الله بها من سلطان ، مدارها الجهل بمقاصد الدعوة الإسلامية ، والآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، فأفضوا إلى تشويه صورة الإسلام في عيون غير المنتسبين له .

وقد سُميت هذه الأعمال المتطرفة ، المخالفة لنهج الكتاب والسنة بمسمى (الإرهاب) .

تعريف الإرهاب لغة :

لفظ الإرهاب مشتق من الفعل الماضي (رَهَبَ) ف « الواء والهاء والباء أصلان أحدهما يدل على خوف والآخر على دقة وخفة » (1) .

ومنها والرَّهْبَانِيَّةُ فهي مصدر الراهب والترهُّبُ التَّعَبُّدُ في صَوْمَعَةٍ والجميع الرَّهْبَانُ ، وأصل الرَّهْبَانِيَّةُ من الرَّهْبَةِ صارت اسماً لما فَضَّلَ عن المقدار وأفرط فيه (2) ، قال الله ﷻ : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارَعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ (3) .

وتطلق على الريبة من الشيء ، كقولنا : لم أرهب بك ، أي لم استرب بك (4) .

(1) مقاييس اللغة مادة (رهب) : 2 / 447 .

(2) انظر : تهذيب اللغة مادة (رهب) : 6 / 155 - 156 .

(3) سورة الحديد : جزء من الآية رقم (27) .

(4) انظر : أساس البلاغة : 1 / 261 .

تعريف الإرهاب في الاصطلاح :

التعريف الأول : « هو استراتيجية عنف محرمة دولياً ، تحفزها بواعث عقائدية وتتوخى إحداث عنف مرعب داخل شريحة خاصة من مجتمع معين لتحقيق الوصول إلى السلطة أو المطالبة بشيء بغض النظر عما إذا كان مقترفا العنف يعملون من أجل أنفسهم أو عن دولة من الدول » (1) .

التعريف الثاني : « هو الترويع غير المشروع للأفراد أو الجماعات ، وهو يشمل القرويع بالتهديد والترويع بإيقاع المهدد به بالفعل ، كما يشمل الإرهاب الفردي والإرهاب الجماعي ، والإرهاب من الأفراد ، والإرهاب من الدول ، بغض النظر عن الوسيلة غير مشروعة » (2) .

وكلاهما متقاربان نستنج منهما أن الإرهاب هو سلوك العنف المحرم شرعاً ، سواء من أفراد أو جماعات ، تحكمهم مبادئ وتصورات ضلالية
ورود لفظ الرهبة في القرآن الكريم والسنة النبوية :

جاء لفظ الرهبة في القرآن بمعنى الخوف مع التحرز ، كما في قول الله ﷻ :
 ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُ أُولَ الَّذِينَ اتَّخَذْتُمْ آلِهَةً إِنَّمَا هُوَ إِلَهُكَ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارَهُبُونَ ﴾ (3) وقوله ﷻ :
 ﴿ يَبْنَئِ إِسْرَهُ بَلْ أذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَارَهُبُونَ ﴾ (4) أي

(1) الإرهاب الدولي ، دراسة قانونية ناقدة . محمد غزير شكري . ط 1 / 1992 م . دار العلم للملايين - بيروت . ص / 48 .

(2) الإرهاب ، روافده ، أسبابه الفكرية ، علاجه ، أقوال العلماء فيه . أحمد حسين بن عبد الله الموجان . سنا الفروق للنشر / جدة . ط 1 / 1425 هـ - 2004 م .

(3) سورة النحل : رقم الآية (51) .

(4) سورة البقرة : رقم الآية (40) .

فاخشون في أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آباءكم من النعمات التي قد عرفتم من المسخ وغيره (1) .

وقوله ﷺ: ﴿ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾ (2) أي أرهبوهم وأفزعوهم (3) وفرقوهم (4) .

وقوله ﷺ: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ ۚ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْمُونَ لَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تَنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (5) .

ولقد جاء لفظ الرهبة في السنة النبوية المطهرة بمعنى الخوف أيضاً كما في الدعاء الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ قبل النوم ففي الصحيحين عن البراء بن عازب قال: قال النبي ﷺ: « إِذَا آتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ثُمَّ قُلْ : اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَ أَوْ لَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ » (6) .

(1) انظر: تفسير ابن كثير. مرجع سابق: 1 / 83 .

(2) سورة الأعراف: رقم الآية (116) .

(3) تفسير البغوي. مرجع سابق: 2 / 187 .

(4) تفسير الطبري. مرجع سابق: 9 / 20 .

(5) سورة الأنفال: رقم الآية (60) .

(6) صحيح البخاري: كتاب الوضوء. باب فضل من بات على الوضوء. رقم الحديث: 244 .

1 / 97 . صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب ما يقول عند النوم

وَأَخَذَ الْمُصْجِعَ . رقم الحديث: 2710 / 4 . 2082 .

بعض أسباب الإرهاب ودوافعه⁽¹⁾ :

ذكر الأستاذ الدكتور عبد اللطيف فرج - تغمده الله بواسع رحمته - أسباباً للإرهاب كان من أبرزها :

1 - الجهل بمدلولات الآيات الواردة في معاملة أهل الكتاب ، وعدم استقاء معانيها من تفاسير القرآن المعتمدة .

2 - الفشل الاجتماعي واليأس المؤدي إلى الحقد على المجتمع وأفراده والرغبة في الانتقام منهم .

3 - التفكك الأسري وغياب الدور الرقابي للوالدين على الأبناء ، وسوء المعاملة ، أو التدليل الزائد ، واضمحلال لغة الحوار مع الأبناء .

4 - رفقة السوء من أهم العوامل التي تؤدي بالفرد إلى الانخراط في جماعات التطرف والإرهاب لما لها من دور في التأثير والتحريض .

5 - عدم الفهم لحقيقة مراتب تغيير المنكر ، وما للتغيير من ضوابط وطرق ، لا يسلكها كل أحد ، ولا في كل موقف .

هذه بعض أسباب الإرهاب ، وهي في مجملها أسباب مهلكة تدل على النمط الفكري والبيئي والاجتماعي للمتطرف حتى تعكس تلك التربية والمبادئ على أفكاره وتصرفاته .

(1) انظر : تربية الشباب للبعد عن التطرف والإرهاب . عبد اللطيف حسين فرج . على نفقة المؤلف . ط 1 / 1426 هـ - 2005 م . ص / 26 - 33 . باختصار وتصرف .

مرادفات الإرهاب :

للإرهاب مترادفات وألفاظ قريبة من معناه ، ومن تلك الألفاظ

1 - التطرف : وهو لغة : مشتق من الفعل (طرف) ف « الطاء والراء والفاء

أصلان فالأول يدل على حد الشيء وحرفه والثاني يدل على حركة في بعض

الأعضاء»⁽¹⁾ . وطرف الشيء - بفتح الراء - أي آخره⁽²⁾ .

أما اصطلاحاً : « هو الأخذ بظواهر النصوص الدينية على غير علم بمقاصدها

وسوء الفهم لها قد يصل بالمرء إلى درجة الغلو في الدين »⁽³⁾ .

2 - الغلو : الغُلو في اللغة من : « الارتفاع في الشيء ومجاوزة الحد فيه ومنه

قوله ﷻ : ﴿ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ﴾⁽⁴⁾ أي لا تجاوزوا المقدار ومنه الغلوة

بالسهم وهو أن يُرمى به حيث ما بلغ غلا يغلو غلواً وغلوةً وغلواً وجمع الغلوة غلاء وكل

ما ارتفع فقد تغالى ومنه اشتقاق الشيء الغالي لأنه قد ارتفع عن حدود⁽⁵⁾ الثمن

تعريف الغلو في الدين اصطلاحاً : « المبالغة في الأمر ومجاوزة الحد فيه إلى حيز

الإسراف »⁽⁶⁾ .

(1) مقاييس اللغة . مادة (طرف) : 3 / 447 .

(2) مشارق الأنوار . مادة (طرف) : 1 / 318 .

(3) تربية الشباب للبعد عن التطرف والإرهاب عبد اللطيف حسين فرج مرجع سابق: ص / 8 .

(4) سورة النساء : جزء من الآية رقم (171) .

(5) جهمرة اللغة . مادة (غلو) : 2 / 961 .

(6) الاعتصام . أبو إسحاق الشاطبي . المكتبة التجارية الكبرى - مصر . بدون طبعة أو تاريخ نشر .

وقيل الغلو في الدين هو : « مجاوزة الحد في مدح الشيء أو ذمه وضابطه تعدي ما أمر الله ﷻ به وهو الطغيان الذي نهى عنه » (1) .

علاج الإرهاب :

إن ما يحصل اليوم من بعض المسلمين من قتل ، وتفجير منشآت يتواجد بها الكفار المسلمين وإخوانهم من المسلمين بعيد كل البعد عن تعامل الرسول ﷺ وصحابته ومن تبعهم على منهجهم بإحسان ، فنجد من هؤلاء المسلمين من التبس عنده مفهوم الالتزام بأحكام الدين والسير على منهجه بالتطرف وهذا ولا شك مخالف للمنهج الإسلامي القائم السماحة والرفق الباعث على صون الدماء وعدم هتكها بدون وجه حق .

وإن من أهم ما يُرد به المسلم إلى منهج الوسطية والاعتدال الرجوع إلى ينابيع هذا الدين الصافي برئيه الأساسين كتاب الله وسنة نبيه لقول الرسول ﷺ : « تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ » (2) .

دور الأسرة والمدرسة في التصدي للإرهاب :

يأتي دور الأسرة في تنشئة الطفل تنشئة صحيحة خالية من العرف والغلظة في ظل أوامر الشريعة الربانية ، وتعد الأسرة للطفل اللبنة الاجتماعية الأولى في حياته ، فهي المصدر الأهم الذي يستقي منه الفرد كافة آرائه وأفكاره وطباعه ،

(1) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد . سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب .

تحقيق: محمد أيمن الشبراوي. عالم الكتب - بيروت . ط1 / 1999 م : 1 / 244 .

(2) موطأ مالك : : لكتاب القدر . باب النهي عن القول بالقدر . رقم الحديث : 1594 .

ويظل ذلك مؤثراً عليه طيلة حياته .

إن الأسرة التي يحتاجها الفرد لتأسيس عقيدة صحيحة لديه هي « الأسرة المتمسكة بعقيدتها الإسلامية السمحة قولاً وسلوكاً ، المعتزة بانتمائها لأمتها الإسلامية المستوعبة لأصول دينها ، والمحافظة على الالتزام به ، المبتعدة عن ضعيفه ، المنفتحة على العالم المعاصر بصدر رحب ، وعقل ناضج ، تفيد من تقدمه بما لا يتعارض مع عقيدتها وما تحمله من قيم نبيلة »⁽¹⁾ .

ثم يأتي بعد ذلك دور المدرسة - مع استمرار دور الأسرة دائماً - في تحصين الفرد - بإذن الله تعالى - من تطرف الفكر وغلو القول والفعل ، فهي البيئة الثانية بعد البيت والطفل ما زال على نقاء فطرته كالصفحة البيضاء ينقش عليها المعلمون ما أرادوا .

لذلك كان لزاماً على الهيئة التعليمية اختيار من صحت عقيدته وتوسط منهجه في تدريس الطلاب من المعلمين .

وخلاصة ما سبق تدل دلالة مؤكدة على أن المحرك الأساسي للإرهاب هو الجهل ، والعاطفة الجياشة التي حادت في توجهها عن الطريق الصواب

ولتصويب هذا الفكر المنحرف الضال ، وتصحيح مسار هذه العواطف التي ضلت طريقها وجب على الأمة الإسلامية أن تسلح أبناءها منذ نعومة أظافرهم « بالعلم الشرعي الصحيح المؤسس على الكتاب والسنة ، وفهم سلف الأمة

(1) تربية الشباب للبعد عن التطرف والإرهاب . عبد اللطيف حسين فرج . مرجع سابق :

وبتقوية الإيمان بالله ﷻ والدار الآخرة ، فإن العلم والإيمان هما صمام الأمان ، وقيد الإرهاب والعدوان ، والضمانة الحقيقية لتهديب النفوس ، وتزكية القلوب ، وردعها عن ارتكاب الموبقات ، وانتهاك الحرمات ، وحثها على تعظيم حقوق العباد ، وحفظ مصالحهم ، ومحبة الخير لهم .

كما أنهما يمنعان من الاعتداء ابتداءً فإنهما من أعظم الأسباب المعينة على علاج هذه الظاهرة الخطيرة ، وحمل من تلبس بشيء من ذلك على التوبة والإنابة وعدم التكرار والمعاودة»⁽¹⁾ .

كما أن على الدعاة واجب نشر هذا الدين الإسلامي ، وبيانه للناس وتوضيحه لإزالة أي التباس ، أو افتراء عن الإسلام القائم على السراحة والمحبة ، الداعي إلى اللطف والرفق .

(1) أثر العلم والإيمان في مكافحة الإرهاب والعدوان . عبد العزيز بن فوزان بن صالح الفوزان . دار طيبة للنشر والتوزيع / الرياض . ط 1 / 1428 هـ - 2007 م : ص / 8 .



المبحث الرابع

رفق الإنسان مع نفسه ومع غيره

وفيه ستة مطالب :

المطلب الأول : رفق الإنسان بنفسه .

المطلب الثاني : الرفق بالنساء والأطفال .

المطلب الثالث : الرفق بالأرحام .

المطلب الرابع : الرفق بالجار .

المطلب الخامس : الرفق بالأسير .

المطلب السادس : الرفق مع غير الإنسان .



المطلب الأول

رفق الإنسان بنفسه

لقد اهتم الإسلام بالنفس البشرية ، وكانت عناية القرآن بالنفس شاملة كاملة لكل دقائقها لقوله ﷺ : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (1) .

وقوله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (2) .

فمدار صلاح الإنسان عليها لأنه « هو المقصود بالهداية والإرشاد ... فإذا ما أُريد أن يصل إلى ماله وما عليه فلا بد أن يستكشف نفسه لتتضح له سائر جوانبها ونوازعها حتى يكون على بصيرة و على مقدرة من ضبط وتقويم سلوكها (3)

كما أن الله ﷻ قد أوجب العذاب الأليم لمن انتهك حرمة هذه النفس بدون وجه حق يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (4) .

وسبب نزولها أن قيس بن ضبابة الكناني أسلم هو وأخوه هشام فوجد هشاماً

(1) سورة غافر : رقم الآية (19) .

(2) سورة ق : رقم الآية (16) .

(3) مقالة : (أثر القرآن في الأمن النفسي) . ناهد عبد العال الخراشي . موسوعة الإعجاز العلمي في

القرآن والسنة . الموقع : www.55a.net .

(4) سورة النساء رقم الآية (93) .

قتيلاً في بني النجار فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فأرسل رسول الله ﷺ معه رجلاً من بني فهر إلى بني النجار أن رسول الله ﷺ أمركم إن علمتم قاتل هشام بن ضبابه أن تدفعوه إلى قيس فيقتص منه وإن لم تعلموه أن تدفعوا إليه ديته فأبلغهم الفهري ذلك فقالوا سمعاً وطاعة لله ورسوله ما نعلم له قاتلاً ولكننا نؤدي ديته فأعطوه مائة من الإبل ثم انصرفا راجعين إلى المدينة فأتى الشيطان قيساً يوسوس إليه فقال تقبل دية أخيك فتكون عليك مسبة اقتل الذي معك فتكون نفساً مكان نفس وتفضل الدية فقتل الفهري فرماه بصخرة فشدخه (1) ثم ركب بعيراً منها وساق بقيتها راجعاً إلى مكة كافراً فنزلت فيه الآية .

وهو الذي استثناه النبي ﷺ يوم فتح مكة ممن أمنه فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة (2) كما استحل دم أخيه المسلم بعد أخذ الدية وارتد على عقبه كافراً ولذلك جعل الرسول ﷺ قتل النفس من المهلكات فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « اجْتَنِبُوا السَّرِيعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ الشَّرْكَ بِاللَّهِ وَالسَّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ » (3) .

(1) أي هشام رأسه (انظر : لسان العرب ، مادة شدخ : 3 / 28) .

(2) انظر القصة : الزواجر عن اقتراف الكبائر . ابن حجر الهيتمي . تحقيق : تم التحقيق والاعداد بمركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز . المكتبة العصرية - بيروت ط 2 / 1420 هـ - 1999 م : 2 / 693 . أيضاً : تفسير الطبري : 5 / 215 . تفسير البيضاوي : 2 / 236 - 237 .

(3) صحيح البخاري : كتاب الوصايا . باب قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ ﴾ رقم الحديث : 2615 . 3 / 1017 .

وكان من تعظيم الإسلام لهذه النفس البشرية أن جعل أول ما يقضى بين الناس يوم
القيامة الدماء لقوله ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ بِالدِّمَاءِ» (1).

وقال الرسول ﷺ: « لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصَبْ دَمًا
حَرَامًا » (2).

وقوله ﷺ: « كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا الرَّجُلُ يَقْتُلُ الْمُؤْمِنَ مُتَعَمِّدًا أَوْ
الرَّجُلُ يَمُوتُ كَافِرًا » (3).

وتكفي الإعانة على القتل لاستحقاق الطرد من رحمة الله ﷻ لقوله ﷺ: « من
أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيسٌ مِنْ رَحْمَةِ
اللَّهِ » (4) ويحمل حكم الله ﷻ على بني إسرائيل في قوله: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا
عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ

(١) صحيح البخاري: كتاب الرقاق. باب القصاص يوم القيامة. رقم الحديث: 6168.
5 / 2394. صحيح مسلم. كتاب القسامة والمحارِبين والقصاص والديات. باب المجازاة
بالدماء في الآخرة وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة. رقم الحديث: 1678.
3 / 1304.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الديات. قول الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ
جَهَنَّمُ ﴾ رقم الحديث: 6469 / 6. 2517.

(٣) سنن النسائي (المجتبى): كتاب تحريم الدم. رقم الحديث: 3984 / 7. 81. مسند أحمد بن
حنبل: رقم الحديث: 16953 / 4. 99.

(٤) سنن ابن ماجه: كتاب الديات. باب التغليظ في قتل مسلم ظلمًا. رقم الحديث: 2620.
2 / 874.

النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا
بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّمَا كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿١﴾

من مفهوم الآية « قال الحسن البصري رحمه الله لما سأله سليمان بن علي : أهي لنا كما كانت لبني إسرائيل ؟ قال : والذي لا إله غيره ما كانت دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا . وقال قتادة : أعظم الله أجرها وأعظم وزرها أي من قتل مسلماً ظلماً قلنا قتل الناس جميعاً في الإثم لأنهم لا يسلمون منه ومن أحيائها وتورع عن قتلها فكأنها أحياء الناس جميعاً في الثواب لسلامتهم منه(2)

وتأتي عناية القرآن بهذه النفس الإنسانية متمثلة في ذكرها (320) مرة ، وقد تعددت معانيها بحسب سياقها في الآيات ، ومن تلك المعاني :

1- الذات (3) ، كما جاء معناها في قوله ﷻ : ﴿ تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمْتَ الْغُيُوبَ ﴾ (4) .

2- السر وما انطوى عليه الضمير (5) ، ومنه قول الله ﷻ : ﴿ وَأذْكُرَّتْكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً ﴾ (6) .

(١) سورة المائدة : رقم الآية (32) .

(٢) الزواجر : 2 / 692 - 693 .

(٣) تفسير البيضاوي . مرجع سابق : 2 / 382 .

(٤) سورة المائدة : جزء من الآية رقم (116) .

(٥) تفسير القرطبي . مرجع سابق : 6 / 374 . تفسير الجلالين . مرجع سابق : 1 / 226 .

(٦) سورة الأعراف : جزء من الآية رقم (205) .

3- الروح (1) : ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوٓآءِ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ﴾ (2) .

يقول الإمام القرطبي - رحمه الله - : « ﴿ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ﴾ أي خلصوها من العذاب إن أمكنكم وهو توبيخ ، وقيل : أخرجوها كرهاً ، لأن روح المؤمن تنشط للخروج للقاء ربه وروح الكافر تنتزع انتزاعاً شديداً » .

4- القلب (3) ، ومنه قول الله ﷻ : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ (4) .

5- قوى الخير والشر في الإنسان ، وهذه القوى لها خصائص كثيرة ، فهي تحب وتكره وتوسوس وتعزم ، كما أنها ترد صاحبها إلى طريق الخير وتلومه على فعل الشر ، ومعظم آيات القرآن الكريم التي ورد فيها ذكر (النفس) يقصد بها هذا المعنى (5) ، ومن ذلك قوله ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَا تُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ ۗ وَنَفْسُهُ ۗ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (6) .

(1) تفسير البيضاوي . مرجع سابق : 2 / 431 . تفسير القرطبي . مرجع سابق : 7 / 39 .

(2) سورة الأنعام : جزء من الآية رقم (93) .

(3) تفسير الطبري . مرجع سابق : 19 / 139 .

(4) سورة النمل : جزء من الآية رقم (14) .

(5) منهج الإسلام في تركية النفس وأثره في الدعوة الإسلامية . أنس أحمد كرزون . دار ابن حزم للطباعة والنشر / بيروت - لبنان . دار نور المكتبات / جدة - المملكة العربية السعودية .

ط 4 / 1428 هـ - 2007 م : ص / 17 - 18 .

(6) سورة ق : رقم الآية (16) .

وحتى نوضح مفهوم هذه النفس سنورد تعريفها :

فالنفس في اللغة :

جاءت كلمة النفس في اللغة مشتقة من الفعل (نفس) ف « النون والفاء والسين أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان من ريح أو غيرها وإليه يرجع فروعه منه التنفس خروج النسيم من الجوف »⁽¹⁾ .

كما جاءت بمعاني متفرقة منها :

- 1- النفس بمعنى الروح ، كقولنا خرجت نفس فلان أي روحه⁽²⁾ .
- 2- الروح، يقال في نفس فلان أن يفعل كذا وكذا أي في رُوعه⁽³⁾ .
- 3- العين التي تصيب الحسد⁽⁴⁾ ، ومن ذلك : أصابت فلاناً نفس ، أي عين ،
، ويُقال : نَفَسَتْهُ بِنَفْسٍ أَي أَصَبَتْهُ بِعَيْنٍ⁽⁵⁾ .
- 4- الماء ، وهذا على تسميته الشيء باسم غيره ولأن قوام النفس به⁽⁶⁾ .
- 5- خروج النسيم روحاً وراحة ، ومن ذلك قولنا نَفَسَ اللهُ كَرْبَتَهُ⁽⁷⁾ .
- 6- المتسع من الأمر ، يقال بين الفريقَيْنِ أَي مَسَّعَ⁽⁸⁾ .

(١) مقاييس اللغة مادة (نفس) : 5 / 460 .

(٢) المصدر السابق : نفس الجزء والصفحة . تهذيب اللغة : 13 / 8 . تاج العروس مادة (نفس)
560 / 16 .

(٣) المصدر السابق : نفس الجزء والصفحة .

(٤) تهذيب اللغة : 13 / 10 .

(٥) مقاييس اللغة مادة (نفس) : 5 / 460 . تاج العروس مادة (نفس) 560 / 16 .

(٦) مقاييس اللغة مادة (نفس) : 5 / 460 . تهذيب اللغة : 13 / 8 .

(٧) مقاييس اللغة مادة (نفس) : 5 / 460 . المصباح المنير : 2 / 617 .

(٨) تهذيب اللغة : 13 / 10 .

7 - عين الشيء وكنهه (1) .

8 - الذات ، يقال قتل فلان نفسه والمعنى أنه أوقع الهلاك بذاته كلها (2) .

ونستخلص مما سبق من معاني لغوية للنفس أنها كل ما يتعلق بالذات بحيث لا ينفك عنه أبداً إلا بمفارقة الإنسان للعالم .

تعريف النفس اصطلاحاً : جاء تعريف كرزون شاملاً لكل ما في الإنسان من قوى تتحكم فيه وتسيره بحسب توجهها فقد عرف النفس بأنها : « هي شيء داخلي في كيان الإنسان ، لا تدرك ماهيته ، قابل للتوجه إلى الخير أو الشر ، وجامع لكثير من الصفات والخصائص الإنسانية التي لها آثار ظاهرة في السلوك الإنساني (3) »

أولاً / مظاهر الفرق بالنفس باطنياً :

وللرفق بالنفس باطنياً صور كثيرة من أبرزها :

(أ) توفير الأمن لها وذلك لا يكون إلا بعقيدة صحيحة وإيمان جازم ، قال

ﷺ : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ (4)

ﷺ (4) وقال ﷺ : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ،

وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (5) .

(1) المصدر السابق : 13 / 9 .

(2) المصدر السابق : نفس الجزء والصفحة .

(3) منهج الإسلام في تركية النفس وأثره في الدعوة الإسلامية . مرجع سابق : ص / 19 .

(4) سورة الأنعام : رقم الآية (82) .

(5) سورة التغابن : جزء من الآية رقم (11) .

وعند تمكن الإيمان تصبح النفس مطمئنة وراضية بقضاء الله ﷻ صابرة على
البلاء شاكرة للنعم فيفوز الإنسان عند ذلك برضوان الله ﷻ لقوله ﷻ: ﴿يَتَأْتِيهَا
النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾ (1) .

(ب) إن من أهم مظاهر الرفق بالنفس تزكيتها لقوله ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ
زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (2) .

تعريف التزكية لغة :

مأخوذة من الفعل (زكا) أو (زكو) فزكا يزكو زكاء وزكوا أي : نما زاد
وطهر (3) ومنه قول الله ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (4) أي
تطهرهم (5) .

والزكاة هي صفوة الشيء (6) .

وزكى نفسه أيضا مدحها (7) .

(١) سورة الفجر : رقم الآية (27 - 28)

(٢) سورة الشمس : رقم الآية (9 - 10) .

(٣) انظر : القاموس المحيط : 1 / 1667 . المصباح المنير : 1 / 254 مختار الصحاح : 1 / 115 .

أساس البلاغة : 1 / 273 .

(٤) سورة التوبة : جزء من الآية رقم (103) .

(٥) مختار الصحاح : 1 / 115 .

(٦) القاموس المحيط : 1 / 1667 .

(٧) أساس البلاغة : 1 / 273 . مختار الصحاح : 1 / 115 .

وزكى الرجل ماله تزكية أدى زكاته لأنه ينميها بما يبارك الله له فيه⁽¹⁾

وضدها التدسية وهو : الإخفاء⁽²⁾ ، ومنه قول الله ﷻ : ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ

دَسَّهَا ﴾⁽³⁾ .

فنستخلص مما سبق أن معنى التزكية يدور حول الوضوح والمباركة ، والتطهر

من كل ما من شأنه تدنيس هذه النفس .

تعريف التزكية اصطلاحاً هي تطهير النفس من نزعات الشر والإثم ، وتنمية فطرة

الخير فيها مما يؤدي إلى استقامتها وبلوغها درجة الإحسان⁽⁴⁾ .

التزكية في القرآن الكريم :

ولقد جاء معنى التزكية في القرآن بمعاني متعددة أجملها الدكتور أنس كرزون

– حفظه الله – في أربعة نقاط⁽⁵⁾ :

1 – عند نسبتها إلى الله ﷻ يقصد بها : الهداية والتوفيق في الدنيا ، ومنه قول الله

ﷻ : ﴿ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ ﴾⁽⁶⁾ .

2 – عند نسبتها إلى الرسول ﷺ يقصد بها : الإرشاد إلى طريق الخير ، ومنه

(1) أساس البلاغة : 1 / 273 .

(2) انظر : القاموس المحيط : 1 / 1655 .

(3) سورة الشمس : رقم الآية (10) .

(4) منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة الإسلامية : ص / 16 .

(5) منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة الإسلامية : ص / 14 – 15 .

(6) سورة النساء : جزء من الآية رقم (49) .

قول الله ﷻ: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (1)

3 - عند نسبتها إلى العبد يقصد بها : الإيثار والمجاهدة ، ومنه قوله ﷻ :
﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ (2) .

4 - جاءت في القرآن الكريم بمعنى التفاخر أو التظاهر بالصلاح والتقوى وهو شيء مذموم ومنهي عنه ، ومنه قول الله ﷻ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ (3) وقوله ﷻ : ﴿ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ (4) .

وهذا منهج مختصر لكيفية تزكية النفس في ضوء الرفق بها :

1 - الخضوع لأحكام الشريعة الإسلامية والتسليم بها لقوله ﷻ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا فَضَّلْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا ﴾ (5) .

2 - حثها على الإنفاق في سبيل الله وتطهيرها من الشح ، قال ﷻ :
﴿ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ

(١) سورة البقرة : رقم الآية (151) .

(٢) سورة الشمس : رقم الآية (9) .

(٣) سورة النساء : رقم الآية (49) .

(٤) سورة النجم : جزء من الآية رقم (32) .

(٥) سورة النساء : رقم الآية (65) .

خَيْرًا ﴿ (1) .

3- ترويضها على الصدق وقول الحق لقوله ﷺ : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُوبًا

قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ﴾ (2)

4- تثبيتها على الحق رغم الفتن ، قال الله ﷻ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا

تَعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (3) .

5- البعد عن الصحبة الفاسدة التي تزرع أمان النفس ، قال الله ﷻ :

﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ

عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ

وَكَانَ أَمْرَهُ فُرْطًا ﴾ (4) .

6- الجهاد في سبيل الله ﷻ بكافة أنواعه لقوله ﷻ : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ

بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى

الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (5) .

7- توجيه النصيحة لها لقوله ﷻ : ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ

(1) سورة النساء : رقم الآية (128) .

(2) سورة النساء : رقم الآية (135) .

(3) سورة الأنفال : رقم الآية (53) .

(4) سورة الكهف : رقم الآية (28) .

(5) سورة النساء : رقم الآية (95) .

تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ .

8 - حب النبي ﷺ وتفضيله عليها لقوله ﷺ: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ

حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ
مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُنِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ
صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (2) .

وعن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب
فقال له عمر رضي الله عنه: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي . فقال
النبي ﷺ: « لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ » فقال
له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي ﷺ: « الآن
يا عمر » (3) .

وغير ذلك من الأسباب الموصلة لتزكية النفس والتي لا يتسع المقام لذكرها ،
وقد استنبطها من الآيات والأحاديث الحاثئة على تطهير النفس .

ثانياً / مظاهر الرفق بالنفس ظاهراً :

وبعد الحديث عن رفق الإنسان بنفسه باطنياً بترسيخ الإيمان والوسائل الموصلة

(١) سورة البقرة : رقم الآية (44) .

(٢) سورة التوبة : رقم الآية (120) .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأيمان والنذور . باب كيف كانت يمين النبي ﷺ . رقم الحدي ث :

إلى ذلك نأتي إلى صور رفق الإنسان بنفسه ظاهراً فالمتبع لنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يجد أنها قامت على أساس الرفق ورفع الحرج عن المكلف ، قال ﷺ: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ ﴾⁽¹⁾ وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَرِثَادَ الدِّينِ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا »⁽²⁾.

ويتجلى هذا الرفق بتسهيل فعل الفرائض فأباح التيمم للصلاة عند الضرورة من فقد الماء أو الضرر من استخدامه لبرد أو مرض ، قال ﷺ: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾⁽³⁾.

كما رخص بقصر الصلاة للمسافر وغير ذلك من الرخص المتعلقة بركن الصلاة .

أما في الزكاة فلم يوجبها على المكلف إلا إذا بلغ النصاب وانقضى الحول بقدر يسير جداً .

وأما الصيام فقد كان أياماً معدودات وأسقطه في وقته عن المسافر والمريض رفعا للحرج .

(١) سورة المائدة : جزء من الآية رقم (6) .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الإيمان . باب الدين يسر وقول النبي ﷺ . رقم الحديث : 39 .

(٣) سورة المائدة : جزء من الآية رقم : (6) .

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى

لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴿ (1) .

وقد جعل الله ﷻ مناط التكليف في الركن الأخير من أركان الإسلام (الحج) الاستطاعة المادية والجسدية مرة واحد في العمر ، وذلك لأن « الإسلام لم يهدف في تشريعه إلى إعنات الناس وتكليفهم ما يشق عليهم ولم يتخذ من وسا ئل وعلامات الخضوع و الانقياد له أن يحملهم فوق ما يطيقون ، ولكنه شرع من ذلك ما في حدود الطاقة البشرية ، متجنباً ما فيه كلفة ومشقة ، ولو كان ذلك في دائرة قدرتها » (2) .

فإن كان الإسلام قد رخص للإنسان في أركانه وفرائضه فما دون ذلك من واجبات ومستحبات أولى في ترفقه بنفسه وعدم تحميلها ما لا تطيق لئلا يؤدي ذلك في نهاية المطاف إلى السأم ومن ثم الترك فعن عائشة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا امْرَأَةٌ قَالَ : « مِنْ هَذِهِ ؟ » قَالَتْ : فُلَانَةٌ . تَذَكَّرُ مِنْ صَلَاتِهَا قَالَ : « مَهْ (3) عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ حَتَّى تَمَلُّوا وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ

(1) سورة البقرة : جزء من الآية رقم (185) .

(2) صور من سماحة الإسلام . عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة . مؤسسة الرسالة - بيروت .

1399 هـ . ص / 24 .

(3) كلمة يراد منها الكف والزجر والمنع (انظر : المعجم الوسيط : / 890) .

صَاحِبُهُ» (1) .

بل إن الرسول ﷺ ذم المغالين في أقوالهم وأفعالهم فقد قال : « أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ (2) ثَلَاثَ مَرَّاتٍ » (3) .

ولقد كانت قصة ذبح البقرة في القرآن الكريم خير شاهد لتشديد المرء على نفسه في مقابل سهولة و رفق التشريعات الإلهية والعواقب الناتجة من ذلك التشديد ، فبنو إسرائيل قد ضيقوا على أنفسهم بالسؤال عن شكلها ولونها وجميع مواصفاتها على الرغم من أن نبي الله موسى ﷺ قد أمرهم بذبح بقرة نكرة غير معرفة بوصف معين كما جاء في قوله ﷺ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ﴾ (4) .

يقول ابن كثير في تفسيره : « فلو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أي بقرة ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم » (5) .

وقد كان النبي ﷺ يترك بعض الأعمال كيلا يشق على أمتة فيفرضوها على أنفسهم ثم لا يطيقونها فعن عائشة رضي الله عنها قالت : « إن كان رسول الله ﷺ لِيَدْعُ الْعَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةً أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ

(1) صحيح البخاري : كتاب الإيمان . باب أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ أَدْوَى . رقم الحديث : 43 .

. 24 / 1

(2) المتعمقون المغالون (غريب الحديث : 2 / 416) .

(3) صحيح مسلم . كتب العلم . باب هلك المتنتعون . رقم الحديث : 2670 . 4 / 2055 .

(4) سورة البقرة : جزء من الآية رقم (67) .

(5) تفسير ابن كثير . مرجع سابق : 1 / 109 .

عليهم» (1) .

وتركه ﷺ الخروج لقيام الليل في الليلة الثالثة والرابعة خوفاً أن تفرض عليهم في رمضان فعن عائشة رضي الله عنها قالت : أن رسول الله ﷺ صلى في المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته ناس ثم صلى من القابلة فكثر الناس ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ فلما أصبح قال : « قد رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إليكم إلا أنني خشيت أن تفرض عليكم قال وذلك في رمضان » (2) .

ومن أجل هذا الحرص النبوي الكريم فقد حذر من أداء العبادات المستحبة أثناء تعب الجسم ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخل النبي ﷺ فإذا حبل ممدود بين السارين فقال : « ما هذا الحبل ؟ » قالوا : هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت . فقال النبي ﷺ : « لا حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليقعده » (3) .

ولقد نهى النبي ﷺ عن صيام الدهر كله فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

(1) صحيح البخاري : أبواب التهجد . باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب . رقم الحديث : 1076 / 1 . 379 .

(2) صحيح مسلم . كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح .

رقم الحديث : 1671 / 1 . 524 . صحيح البخاري : أبواب التهجد . باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب . رقم الحديث : 1077 / 1 . 380 .

(3) صحيح البخاري : أبواب التهجد . باب ما يكره من التشديد في العبادة . رقم الحديث :

قال : نهى رسول الله ﷺ عن الوصالِ . قالوا : إِنَّكَ تُوَصِّلُ . قال : « إني لستُ
مِثْلَكُمْ إني أُطعمُ وَأُسقي » (1) .

بل يُخشى على من كلف نفسه بصيام الدهر عدم القبول لمخالفته للسنة
فعن أبي قتادة قيل : يا رسول الله كيف بمن صام الدهر . قال : « لا صام
ولا أفطر » (2) .

وقد كان القصد من ذلك هو بيان مدى فداحة الغلو في التعبد والإفراط حتى
يطغى جانب على جانب ، ولربما فتر عن الفرائض في مقابل النوافل أو سأم وترك
العمل ، فيجب عليه أن يعي بوجوب إعطاء كل ذي حق حقه كما قال ﷺ لعبد الله
ابن عمرو بن العاص : « أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ » . فقلت : بلى يا
رَسُولَ اللَّهِ . قال : « فَلَ تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ فَإِنْ لَجِسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنْ
لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنْ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنْ لِرِزْوَرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنْ بِحَسْبِكَ أَنْ
تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ
كُلُّهُ » (3) .

كما أن من مظاهر الرفق بالنفس ظاهراً عناية الإنسان بجسده و الاهتمام
بمظهره ، وللعناية بالجسد صور كثيرة أولها وأهمها الحفاظ عليه وعدم جره إلى

(1) صحيح البخاري . كتاب الصوم . باب الوصالِ . رقم الحديث : 1861 . 2 / 693 . صحيح

مسلم . كتاب الصوم . باب النهي عن الوصالِ في الصَّومِ . رقم الحديث : 1102 . 2 / 774 .

(2) سنن الترمذي : كتاب الصَّومِ . باب ما جاء في صَوْمِ الدَّهْرِ . رقم الحديث : 767 . 3 / 138 .

(3) صحيح البخاري . كتاب الصوم . باب حَقِّ الجِسْمِ في الصَّومِ . رقم الحديث : 1874 .

التهلكة بانتحار⁽¹⁾ وما يوصل إليه ، واضعاً نصب عينيه العقوبة الشديدة التي أعدّها الله ﷻ للمتحرّ فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيثُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ⁽²⁾ بها في بطنِهِ في نارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فيها أَبَدًا وَمَنْ شَرِبَ سَمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَحَسَّاهُ⁽³⁾ في نارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فيها أَبَدًا وَمَنْ تَرَدَّى⁽⁴⁾ من جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ يَتَرَدَّى في نارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فيها أَبَدًا »⁽⁵⁾ .

وهو من أصحاب النار نتيجة لإزهاق روحه المجعل الله وديعة عنده

يقول سليمان ﷺ : « من هدم بنيان ربه فهو ملعون بين يدي عني من قتل النفس

(١) الانتحار لغة : نحر الرجل نفسه أي قتلها بوسيلة ما (المعجم الوسيط مادة نحر : 2 / 906)
 أما في الاصطلاح : إتلاف طوعي للجسد من قبل صاحبه بإزهاق الروح وكثير ما تحيط بالمتحرّ ظروف قاسية تجعله مع ضعف الإيمان يلجأ إلى هذا المنفذ المهلك (المسؤولية الجسدية في الإسلام . عبد الله إبراهيم موسى . دار ابن حزم - بيروت . ط 1 / 1416 هـ - 1995 م . ص / 41 - 42 .

(٢) يتوجأ : مشتقة من الفعل الماضي (وجأ) ووجأ عنقه بجأها وجئاً إذا دقها (انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم . محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن بن يصل الأزدي الحميدي . تحقيق : زبيدة محمد سعيد عبد العزيز . مكتبة السنّة / القاهرة - مصر . ط 1 / 1415 هـ - 1995 م : 1 / 223) .

(٣) أي يملأ فمه منه ، والكلمة مشتقة من الفعل الماضي (حسا) والشئ الذي يُحسَى اسمه الحسَاء ممدود والحسوة ملء الفم (انظر : تهذيب اللغة : 5 / 109) .

(٤) تردى : أي سقط يقال ردى كأنه تفعل من الردى الهلاك (النهاية : 2 / 216) .

(٥) صحيح مسلم : كتاب الإيمان . باب غَلَطِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَإِنْ مِنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُدَّ بِهِ فِي النَّارِ وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ . رقم الحديث : 109 . 1 / 103 .

لأن الجسم ببيان الله وتركييفاذا أبطله فقد هدم ببيان ربه⁽¹⁾.

وعن أبي هريرة قال شهدنا مع رسول الله ﷺ حنيناً فقال لِرَجُلٍ مِمَّنْ يُدْعَى بِالْإِسْلَامِ : « هذا من أهل النار » فلما حَضَرْنَا الْقِتَالَ قَاتَلَ الرَّجُلُ قِتَالًا شَدِيدًا فَأَصَابَتْهُ جِرَاحَةٌ فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ الَّذِي قُلْتَ لَهُ أَنْفًا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَإِنَّهُ قَاتَلَ الْيَوْمَ قِتَالًا شَدِيدًا وَقَدْ مَاتَ . فقال النبي ﷺ : إِلَى النَّارِ . فَكَادَ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَرْتَابَ فَبَيَّنَّا لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذْ قِيلَ إِنَّهُ لَمْ يَمُتْ وَلَكِنَّ بِهِ جِرَاحًا شَدِيدًا فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ يَضِرْ عَلَى الْجِرَاحِ فَقَتَلَ نَفْسَهُ . فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ : « اللَّهُ أَكْبَرُ أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ . ثُمَّ أَمَرَ بِأَلَّا فَتَادَى فِي النَّاسِ إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ »⁽²⁾ .

ومن صور العناية بالجسد أيضاً تعاهده له بالنظافة والإتيان بسنن الفطرة التي أخبر عنها الرسول ﷺ : « خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ الْخِتَانُ وَالِاسْتِحْدَادُ وَنَتْفُ الْإِبْطِ وَتَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ وَقَصُّ الشَّارِبِ »⁽³⁾ .

وعن نظافة الجسد قال ﷺ : « اغْتَسِلُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْسِلُوا رُؤُوسَكُمْ وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا جُنُبًا وَأَصِيبُوا مِنَ الطَّيِّبِ »⁽⁴⁾ .

وأمر بأخذ الزينة والأكل من الطيبات ، فقال ﷺ : ﴿ يَبْنِيءَ آدَمَ حُدُوءَ زَيْنَتِكُمْ

(١) غريب الحديث . عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . تحقيق: عبد الله الجبوري . مطبعة العاني

- بغداد . ط 1 . 1397 هـ . 3 / 764 .

(٢) صحيح مسلم : نفس الكتاب والباب . رقم الحديث : 111 . 1 / 105 .

(٣) صحيح البخاري : كتاب اللباس . باب قَصِّ الشَّارِبِ . رقم الحديث : 5550 . 5 / 2209 .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الْجُمُعَةِ . باب الدُّهْنِ لِلْجُمُعَةِ . رقم الحديث : 884 . 1 / 302 .

عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ (1) .

وجعل هذه الإباحة منضبطة بعدم المبالغة لقوله ﷺ: «كُلُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ» (2) .

واللباس الجميل من مظاهر شكر الله على نعمه فقد قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ» (3) .

ولقد أنكر الرسول ﷺ على رجل سوء هيئته فعن أبي الأَحْوَصِ عن أبيه قال : قلت : يَا رَسُولَ اللَّهِ الرَّجُلُ أَمْرٌ بِهِ فَلَا يَقْرِنِي وَلَا يُصَيِّفُنِي فَيَمُرُّ بِي أَفَاقِرِيهِ . قال : « لَا أَقْرَهُ » قال : وَرَأَيْتَ رَثَّ الثِّيَابِ فَقَالَ : « هَلْ لَكَ مِنْ مَالٍ » قلت : من كل المَالِ قَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْغَنَمِ . قال : « فَلْيُرْ عَلَيْكَ » (4) .

وفي ذلك دليل على إباحة الطيب من اللباس والزينة لمن يقدر عليه ما دام لم يخرج به إلى الإسراف والخيلاء فتصبح شغلًا شاغلًا وهمه الدائم (5) .

كما أن من مظاهر الرفق بالنفس عدم حرمانها من طيبات الطعام والشراب ، فبدون طعام لا تستقيم حياة الفرد ولا يصح جسده والنفس مجبولة على حب

(١) سورة الأعراف : رقم الآية (31) .

(٢) سنن النسائي المجتبى : كِتَابُ الزَّكَاةِ . باب الإِخْتِيَالِ فِي الصَّدَقَةِ . رقم الحديث : 2559 . 79 / 5 .

(٣) سنن الترمذي : كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ . باب ما جاء في أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ . رقم الحديث : 2819 . 123 / 5 .

(٤) سنن الترمذي : كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ . باب ما جاء في الإِحْسَانِ وَالْعَفْوِ . رقم الحديث : 2006 . 364 / 4 .

(٥) الإحسان في ضوء الكتاب والسنة دراسية موضوعية . أحمد بن سعيد الغامدي : 1 / 488 .

أطايب الطعام وليس من الرفق بالنفس تجويعها فإن للجسد حقاً .

ولا مانع من أن يتحرى المسلم من الطعام ما يجب ما لم يكن نجساً أو مستقذراً
أو ضاراً فعندما أفاق أصحاب الكهف من نومهم بعثوا أحدهم ليأتي بما لذ من
الطعام ، قال الله ﷻ : ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ
كَمْ لَيْتُمْ قَالُوا لِيْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمِ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُمْ فَابْعَثُوا
أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ
مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ (1) .

ولقد كان رسول الله ﷺ يخص بعض الأطعمة بالترديد كالشريد فعن أبي
موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النَّسَاءِ
كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ » (2) .

والخلاصة مما سبق أن لا يجعل الإنسان من الزهد حاجزاً بينه وبين ما يأكل
وأن يمنع طبيبات أحلها الله ﷻ له وليس المقصود من ذلك أن يطغى جانب حب
الطعام على حياته .

وكما على الإنسان الرفق في مطعمه كذلك وجب عليه الرفق في مشربه بأن لا
يرهق جسمه بما خبث من الشراب ، قال الله ﷻ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا وَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ

(1) سورة الكهف : رقم الآية (19) .

(2) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء . باب قول الله تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةٌ

فِرْعَوْنٌ ﴾ . رقم الحديث : 3230 / 3 . 1252 .

الْعَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١﴾ .

كما على الإنسان أن « يتخير من الأشربة أطيبها مذاقاً ورائحة وأنفعها للجسد ويتوسط في شربه فلا يشرب شرب النهم بل يأخذ حاجته باعتدال مع مراعاة الآداب الشرعية ويتجنب ما فيه ضرر عليه » (2) .

ومن مظاهر الرفق بالنفس أيضاً ترويحها بين حينٍ وآخر ، فالترويح من الأمور المهمة التي يحتاجها الإنسان في حياته بدون إفراط أو تفريط ، وتأتي أهمية الترويح لتحقيق التوازن بين جوانب الإنسان المختلفة ، كما أنه يبعد النفس عن الكبت المؤدي للوقوع في الجريمة ، وهو ينقذ النفس من تآكل الملل لها .

ولقد عرف علماء اللغة الترويح بأنه : الاستراحة من هم القلب والرحمة

والسرور (3) . فكلمة الترويح مشتقة من الفعل الماضي (روح) و « الراء والواو والحاء أصل كبير مطرد يدل على سعة وفسحة واطراد » (4)

أما تعريفه في الاصطلاح فهو : « أوجه النشاط غير ال ضارة التي يمكن أن يقوم بها الفرد أو الجماعة في أوقات الفراغ بغرض تحقيق التوازن، أو الاسترخاء وإدخال السرور والتنفيس عن النفس الإنسانية وتجديد همتها ونشاطها في ضوء القيم والمبادئ الإسلامية » (5) .

(١) سورة البقرة : رقم الآية (219) .

(٢) الإحسان في ضوء الكتاب والسنة دراسية موضوعية . أحمد بن سعيد الغامدي . ص / 486 .

(٣) تاج العروس : . مادة (روح) : 6 / 410 .

(٤) مقاييس اللغة مادة (الروح) : 2 / 454 .

(٥) الترويح عن النفس في الإسلام هيصل العبداني شبكة الدعوة الإسلامية www.aldawah.net

والأدلة على إباحته كثيرة منها ما جاء عن أنس النبي ﷺ قال : « روحوا القلوب ساعة بساعة » (1).

ومن أدلة إباحته أيضاً مسابقتها لأم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فعنها أنها كانت مع النبي ﷺ في سَفَرٍ قَالَتْ : فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رَجُلِي فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي فَقَالَ : « هَذِهِ بَيْتُكَ السَّبَقَةِ » (2).

وفي صحيح البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : « رأيت النبي ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحُبْشَةِ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَسَاءُ فَأَقْدُرُوا قَدْرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السَّنِّ الْحَرِيصَةِ عَلَى اللَّهِ » (3).

ضوابط الترويح في الإسلام :

وحتى هذه الضوابط من الرفق كي لا يقع الإنسان في المحذور إن ترك له الأمر بدون توجيه أو تحديد ، ومن أهم تلك الضوابط أن لا يكون فيه مخالفة شرعية كالغيبة والنميمة والكذب لمجرد الإضحاك وغيرها من المخالفت الكثير ،

(1) مسند الشهاب . محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي . تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط 2 / 1407 هـ - 1986 م : الباب الرابع . روحوا القلوب ساعة بساعة . رقم الحديث : 1 . 672 / 393 .

(2) سنن أبي داود : أول كتاب الجهاد . باب في السَّبَقِ عَلَى الرَّجُلِ . رقم الحديث : 2578 . 29 / 3 .

(3) صحيح البخاري : كتاب النكاح . باب نَظَرِ الْمَرْأَةِ إِلَى الْحَبْشِ وَنَحْوِهِمْ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ . رقم الحديث : 4938 / 5 . 2006 م .

قال الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (1).

ومن ضوابط الترويح أيضاً أن يتخذ وسيلة لا غاية بذاته وأن لا يطغى على سائر الأعمال فإن المقصود منه التنفيس عن النفس حتى تقبل على العمل الجاد بروح نشيطة ، وليس الهدف من إباحته استثثاره بجميع ساعات اليوم فيضيع حق الله من عبادة ، وحق الناس من أداء ما عليه من واجبات تجاههم .

دليل ذلك ما جاء في صحيح مسلم عن سَمَاكِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ : قُلْتُ لِحَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ : « أَكُنْتَ تُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : نَعَمْ كَثِيرًا كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَّاهُ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحَ أَوْ الْغَدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيَضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُونَ» (2).

فيخشى على من أفرط بذلك موت قلبه ، وتبلد حسه ففي سنن ابن ماجه عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تُكْثِرُوا الضَّحْكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحْكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ » (3).

وأخيراً فإن هذه النفس هبة وهبها الله للإنسان وكرمه عن غيره من الكائنات ، فتوجب عليه شكر الله دائماً ، ثم الرفق بها فما هو إلا مستأمنٌ عليها .

(1) سورة الحجرات : رقم الآية (11) .

(2) صحيح مسلم . كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ . بَابُ فَضْلِ الْجُلُوسِ فِي مُصَلَّاهُ بَعْدَ الصُّبْحِ وَفَضْلِ الْمَسَاجِدِ . رقم الحديث : 670 / 1 . 463 .

(3) سنن ابن ماجه : كِتَابُ الزُّهْدِ . بَابُ الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ . رقم الحديث : 4193 / 2 . 1403 .

المطلب الثاني

الرفق بالنساء والأطفال

أ - الرفق بالنساء :

في خضم الجدل الطويل حول المرأة من أصحاب المذاهب والفلسفات عن كنهها وتضاربهم حول حقيقة روحها هل هي إنسانية أم حيوانية جاء الإسلام ليكرمها ويجعلها شقيقة للرجل في الخطاب فقال ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (1) .

فأخبر الله ﷻ « أن الأصل التكويني للناس ذكوراً كانوا أو إناثاً هـ وأصل واحد ، وأن الإطار الذي يجمع الصنفين إطار يحوي نفساً واحدة ، وهي التي خلق منها زوجها ، ولا يؤثر في وحدة النفس أن أحد الصنفين يمتاز ببعض الخصائص التي تتلاءم ومهامه ووظائفه ليتكامل الشطران في تأدية وظائف النفس الإنسانية في هذه الحياة الدنيا » (2) .

وخصهن بسورة كاملة ، تحدث فيها عن حقوقهن ، وأوصى بهن خيراً نعم لقد نصرها الإسلام بعد أن كانت تورث مع المتاع وتوآد لحظة ولادتها في

(1) سورة النساء : جزء من الآية رقم (1) .

(2) أجنحة المكر الثلاث وخوافيها (التبشير - الاستشراق - الاستعمار) دراسة وتحليل وتوجيه . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . دار القلم - دمشق . ط 8 / 1420 هـ - 2000 م .

الجاهلية وساوى بينها وبين الرجل في أصول التكليف ، بل وحث الرسول ﷺ في كثير من المواقف عليها واستوصى بها خيراً فقَالَتْ تَوَصُّوا بِالنِّسَاءِ (1) .

وفي وصيته ﷺ المودعة في حجته الأخيرة خص المرأة بالرفق والرعاية فعن سليمان بن الأحوص قال : حدثنا أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ وَوَعظَ ثُمَّ قَالَ : « ... أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ (2) عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ فَإِنِ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ فَإِنِ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَهُنَّ سَبِيلًا إِلَّا إِنْ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ فَلَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ مِنْ تَكَرُّهُنَّ وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكَرَّهُونَ إِلَّا وَإِنْ حَقَّهِنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ » (3) .

مظاهر رفق الإسلام بالنساء والحث على الإحسان إليهن :

1 - لقد حث الإسلام على التغاضي عن هفواتها وتذكر حسن جميلها لقوله

ﷺ : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (4) .

(1) جزء من حديث في صحيح البخاري : كتاب الأنبياء . باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته .

رقم الحديث : 3153 / 3 . 1212 .

(2) أي أسيرات والعاني هو الأسير (مختار الصحاح : 1 / 192) .

(3) سنن النسائي الكبرى : إيجاب نفقة المرأة وكسوتها . رقم الحديث : 9179 . 5 / 375 .

(4) سورة النساء : جزء من الآية رقم (19) .

وجاءت السنة مؤكدة على ذلك ومرغبة له فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله

ﷺ : « لا يَفْرِكُ⁽¹⁾ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ⁽²⁾ .

2 - جعل الله ﷻ في مقابل ما فضل الرجل من أمر القوامة والاعتدال كانوا مندوبين

إلى أن يوفوا النساء حقوقهن أكثر من حسلعشرة وترك الإضرار⁽³⁾ قال ﷺ : ﴿ وَهُنَّ

مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾⁽⁴⁾ .

فكان ذكر ذلك تحذيراً في الإقدام على مضارتهن وإيذائهن .

3 - لقد دعا الرسول ﷺ بالتضييق على من يظلمهن في حق من حقوقهن فعن

أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم إني أخرج⁽⁵⁾ حَقَّ الضَّعِيفِينَ الْيَتِيمِ

وَالْمَرْأَةَ »⁽⁶⁾ .

(1) لا يفرك : لا يبغض (لسان العرب ، مادة : فرك : 10 / 474) .

(2) صحيح مسلم : كتاب الرِّضَاعِ .. بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ . رقم الحديث : 1469 . 2 / 1091 .

(3) انظر : تفسير الجلالين . مرجع سابق : 1 / 49 .

(4) سورة البقرة : جزء من الآية رقم (228) .

(5) أضيقه على من ظلمهما والخرج الحرام (غريب الحديث . أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق

الحري . تحقيق : سليمان إبراهيم محمد العايد . جامعة أم القرى - مكة المكرمة . ط 1 / 1405 هـ :

(239 / 1) .

(6) سنن ابن ماجه : كتاب الأَدَبِ . باب حَقِّ الْيَتِيمِ . رقم الحديث : 3678 . 2 / 1213 .

وكان الرفق بالمرأة أحد مظاهر كمال الإيمان في الرجل وخيريته لقوله ﷺ :
 « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلفاً وألطفهم بأهله » (1) وقوله ﷺ : « خَيْرُكُمْ
 خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي » (2) .

4 - نفى كمال الخيرية ممن يسيء إلى امرأته ، قال ﷺ : « لَقَدْ طَافَ (3) بِأَلِ مُحَمَّدٍ
 نِسَاءً كَثِيرًا يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ لَيْسَ أَوْلَيْكَ بِخَيْرٍ كُمْ » (4) « (5) .

5 - جعل من يقتل دفاعاً عن عرضه شهيداً ، فعن سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ
 قَالَ : « مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ أَوْ دُونَ دَمِهِ أَوْ دُونَ دِينِهِ
 فَهُوَ شَهِيدٌ » (6) .

6 - أنكر الرسول ﷺ على عبد الله بن عمرو بن العاص قضاء الوقت كله في
 العبادة دون تخصيص بعضاً منه لأهله عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ
 لِي النَّبِيُّ ﷺ : « أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ » قُلْتُ : إِنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ .
 قَالَ : « فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمَتْ عَيْنُكَ وَنَفِهَتْ (7) نَفْسُكَ وَإِنَّ لِنَفْسِكَ حَقًّا

(1) سنن النسائي : لطف الرجل أهله . رقم الحديث : 9154 . 5 / 364 .

(2) سنن الترمذي : كتاب المناقب . باب فضل أزواج النبي ﷺ . رقم الحديث : 3895 .
 5 / 709 .

(3) أي دار حوله (مشارق الأنوار : 1 / 323) .

(4) أي أحاسنكم أخلاقاً (غريب الحديث للحري : 1 / 22) .

(5) جزء من حديث في سنن أبي داود : كِتَابُ النِّكَاحِ . بَابُ فِي ضَرْبِ النِّسَاءِ . رقم الحديث :
 2146 . 2 / 245 .

(6) سنن أبي داود : كتاب الجنائيات . بَابُ فِي قِتَالِ اللَّصُوصِ . رقم الحديث : 4772 . 4 / 246 .

(7) نفهت نفسك بكسر الفاء أي أعيت وكلت (مشارق الأنوار : 2 / 22) .

وَلَا أَهْلِكَ حَقًّا فَصُمَّ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ» (1) .

7 - أمر أنجشة - سائس الإبل - بالرفق بهن « والأمر يقتضي العموم على كل رجل مسلم » عندما كان يسوق بالنساء في حجة الوداع وينشد في الطريق فكانت الإبل تزيد في الحركة بهذا الحداء ، فقال له الرسول ﷺ : « وَيُحْكُ يَا أَنْجَشَةَ رُؤْيِدَكَ (2) سَرُوقَكَ بِالْقَوَارِيرِ » (3) .

والمقصود بالقوارير في الحديث النساء ، شبههن بذلك لرقتهن وضعفهن وسرعة جرحهن (4) وإن من أعظم ما يجرحهن ويكسر بخاطرهن الطلاق فعن أبي هريرة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَلَنْ تَصْلَحَ لَكَ عَ لَى طَرِيقَةٍ وَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عَوْجٌ وَإِنْ تُرِدْ إِقَامَتَهَا تَكْسِرْهَا وَكَسْرُهَا طَلَّاقُهَا » (5) .

وقد جعل الله ﷻ الطلاق من أبغض ما أحل مراعاة لشعورها وتطيب لخاطرها فعن ابن عُمَرَ - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : « أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الطَّلَاقُ » (6) .

(1) صحيح البخاري : أبواب التهجد . باب ما يُكْرَهُ مِنْ تَرْكِ قِيَامِ اللَّيْلِ لِمَنْ كَانَ يُتِمُّهُ رَقْمُ الْحَدِيثِ : 1102 . 1 / 387 .

(2) أي أرفق تصغير رود بالضم وهو الرفق (مشارك الأنوار : 1 / 302) .

(3) صحيح البخاري : كِتَابُ الْأَدَبِ . باب ما يُجُوزُ مِنَ الشُّعْرِ وَالرَّجَزِ وَالْحُدَاءِ وَمَا يُكْرَهُ مِنْهُ . رَقْمُ الْحَدِيثِ : 5797 . 5 / 2278 .

(4) انظر : فتح الباري : ص / 545 .

(5) صحيح ابن حبان : ذكر الأخبار عما يجب على المرء من مداراة امرأته ليدوم دوام عيشه بها . باب معاشر الزوجين . رقم الحديث : 4179 . 9 / 486 .

(6) سنن أبي داود : كِتَابُ الطَّلَاقِ . باب فِي كَرَاهِيَةِ الطَّلَاقِ . رقم الحديث : 2177 . 2 / 254 .

وقال ﷺ: « ما أَحَلَّ اللهُ شيئاً أَبْغَضَ إليه من الطَّلَاقِ » (1).

- نماذج من رفق الرسول ﷺ بالنساء وإحسانه إليهن :

ولنا في رسول الله ﷺ في رفقه بالنساء وتطبيب مشاعرهن ، فقد راعى حداثة سن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وتركها على سجيتها تلعب بالعراس واللعب ولم يمنع صويجاتها الصغار من الدخول عليها لما يعلم من سرورها باللعب معه ، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « كُنتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ لِي صَوَاحِبٌ يَلْعَبْنَ مَعِي فَكَانَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعَنَّ مِنْهُ فَيُسْرِبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي » (2).

وكان يصبر عليهن وعلى علو أصواتهن عليه ، لا يجرهن ، ولا ينهرهن ففي سنن أبي داود عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ : اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ عَالِيًا فَلَمَّا دَخَلَ تَنَاوَلَهَا لِيَلْطِمَهَا وَقَالَ : أَلَا أَرَأَيْكَ تَرَفَعِينَ صَوْتَكُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْجِزُهُ ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُعْضَبًا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ « كَيْفَ رَأَيْتَ أَنْقَذْتُكَ مِنَ الرَّجُلِ » قَالَ : فَمَكَثَ أَبُو بَكْرٍ أَيَّامًا ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَجَدَهُمَا قَدْ اصْطَلَحَا فَقَالَ لَهُمَا : أَدْخِلَانِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَدْخَلْتَانِي فِي حَرْبِكُمَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « قَدْ فَعَلْنَا قَدْ فَعَلْنَا » (3).

(1) المصدر السابق . نفس الكتاب والباب . رقم الحديث : 2178 / 2 . 255 .

(2) صحيح البخاري : كِتَابُ الْأَدَبِ . بَابُ الْإِنْسِاطِ إِلَى النَّاسِ . رقم الحديث : 5779 .

5 / 2270 . صحيح مسلم : كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . بَابُ فِي فَضْلِ عَائِشَةَ

رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا . رقم الحديث : 2440 / 4 . 1890 .

(3) سنن أبي داود : كِتَابُ الْأَدَبِ . بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمِرَاحِ . رقم الحديث : 4999 / 4 . 300 .

وكان ﷺ يقدر حاجتهن إلى الترويح عن النفس ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : « رأيت النبي ﷺ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبْشَةِ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَسَامُ » (1) .

بل إن رفقه بهن لم يقف عند ملماتهن بل تخطى ذلك حباً وتكريماً لذكرهن وبراً بمعارفهن فعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما غرْتُ على أَحَدٍ من نِسَاءِ النبي ﷺ ما غرْتُ على خَدِيجَةَ وما رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ النبي ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَحْمَاءً ثُمَّ يَبْعُثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ فَرُبَّمَا قُلْتُ: لَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةٌ. فيقول: « إِمَّتْهَا كَانَتْ وَكَأَنَّتُ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ » (2) .

ب - الرفق بالأطفال (3) :

الطفل لغة : هو الصغير من كل شيء لما يعتره من من حداثة السن ورقة البشرة والجمع أطفال ويقال للأثني طفلة وللذكر طفل (4) .

وقد يستوي في لفظ الطفل المذكر والمؤنث والجمع وفي التنزيل ﴿ ثُمَّ ﴾ :

(1) صحيح البخاري : كتاب النكاح . باب نظر المرأة إلى الحبس ونحوهم من غير ريبه . رقم الحديث : 4938 / 5 . 2006 . صحيح مسلم : كتاب صلاة العيدين . باب الرخصة في اللعيب الذي لا معصية فيه في أيام العيد . رقم الحديث : 892 / 2 . 608 .

(2) صحيح البخاري : كتاب المناقب . باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها . رقم الحديث : 3607 / 3 . 1389 . وبنحوه في صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة . باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها . رقم الحديث : 2435 / 4 . 1888 .

(3) تم التطرق هنا إلى الرفق بالأطفال عامة ، أما الحديث عن رفق الوالدين بأولادهم فسيُفرد له مطلب مستقل .

(4) انظر : لسان العرب ، مادة (طفل) : 401 - 404 .

تُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴿١﴾ وقوله ﷺ: ﴿أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ ﴿٢﴾ .

والطفولة : هي المرحلة الأولى من الميلاد إلى البلوغ (3) .

لقد جاء الإسلام فاعتنى بشأن الأطفال وأوجب الرفق بهم ، ونفى على من
 جرد قلبه من الرحمة نحوهم أن يكون من خاصة المسلمين المتبعين لسنته ﷺ فقال :
 « من لم يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرَنَا فَلَيْسَ مِنَّا » (4) .

مظاهر رفق الرسول ﷺ بالأطفال :

1 - لقد كان النبي ﷺ دائم الرفق عظيم الرفق بهم ، يشعرهم دائماً بمكانتهم ،
 ويرفع همهم بالدعاء لهم والثناء عليهم والتبسم في وجوههم « وكل هذا الاهتمام
 منه ﷺ بالأطفال جاء لعلمه بأنهم في أشد الحاجة إلى الرعاية والعطف والحنو أكثر
 من غيرهم ، وذلك لتنمية ثقة الطفل بنفسه حتى ينشأ قوياً ثابت الشخصية ،
 عطوفاً على غيره ، عضواً فعالاً في مجتمعه » (5) .

2 - كان كثيراً ما يبدأ نصحه لهم بعبارات التحبب والتودد وينزلهم منزلة

(١) سورة الحج : جزء من الآية رقم (5) .

(٢) سورة النور : جزء من الآية رقم (31) .

(٣) المعجم الوسيط . مرجع سابق : 2 / 560 .

(٤) سنن أبي داود : كِتَاب الدِّيَاتِ . بَاب فِي الرَّحْمَةِ . رقم الحديث : 4943 / 4 . 286 .

(٥) مبدأ الرفق مع المتعلمين من منظور التربية الإسلامية . صالح بن سليمان البقعاوي . بحث مقدم

لنيل درجة الماجستير . جامعة أم القرى . كلية التربية . قسم التربية الإسلامية . 1420 هـ .

أولاده فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده أعلمكم إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها » (1) .

ولعلمه ﷺ بأهمية هذا البناء العاطفي للطفل وكيف أنه يشكل مساحة واسعة في تكوين نفسه وبناء شخصيته كان يتحجب إليهم بشتى الطرق فمرة بالثناء عليهم والدعاء لهم والإنكار على من يزرهم فعن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت : أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعلي قميص أصفر قال رسول الله ﷺ : « سنه سنه » قال عبد الله (2) وهي بالحبيبية حسنة . قالت : فذهبت ألبس بخاتم النبوة ، فزبرني أبي ، قال رسول الله ﷺ : « دعهما » ثم قال رسول الله ﷺ : « ألي واخلمي ثم ألي واخلمي ثم ألي واخلمي » قال عبد الله فبقيت حتى ذكر (3) .

وتوجيهه لعمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما لآداب الطعام ، يروي هذا المشهد عمر بن أبي سلمة فيقول : كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصخرة فقال لي رسول الله ﷺ : « يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك . فما زالت تلك طعمتي بعد » (4) فكان حسن نصح النبي ﷺ سبباً في امتثاله ﷺ ما

(1) سنن ابن ماجه : كتاب الطهارة وسننها . باب الاستنجاء بالحجارة والنهي عن الروث والرمة . رقم الحديث : 313 / 1 . 114 .

(2) وهو عبد الله بن المبارك التابعي الجليل وأحد رواة الحديث .

(3) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير . باب من تكلم بالفارسية والرطانة وقوله تعالى

﴿ وَأَخْلَفَ الَّذِينَ كُنْتُمْ وَأَلْوَانَكُمْ ﴾ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾ . رقم

الحديث : 2906 / 3 . 1117 .

(4) صحيح البخاري : كتاب الأطعمة . باب التسمية على الطعام والأكل باليمين . رقم الحديث :

. 2056 / 5 . 5061

تبقى من حياته لهذه الوصية : «فما زالت تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ» .

3 - كان ﷺ رحيماً بهم غير مؤاخذ لهم لعدم تكليفهم فعن عائشة رضي الله عنها قالت : « أتى النبي ﷺ بِصَبِيٍّ يُحَنِّكُهُ (1) فَبَالَ عَلَيْهِ فَأَتْبَعَهُ الْمَاءُ » (2) .

4 - ومن عظيم رفقه بهم أيضاً ابتدارهم بالسلام ترسيخاً للثقة في أنفسهم ، قال أنس :

« أتى رسول الله ﷺ على غُلَمَانٍ يَلْعَبُونَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ » (3) .

ولم ينس الصحابي جابر بن سمرة رفق الرسول ﷺ وهو غلام صغير برغم مرور الأيام فعنه أنه قال : « صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْأُولَى ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ فَاسْتَقْبَلَهُ وَلَدَانٌ فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدِّي أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا قَالَ وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي قَالَ : فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّهَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةٍ عَطَّارٍ » (5) .

(1) يحنكه تحنيكا فهو محنك ومحنوك وتحنيك الصبي أن يوضع تمر أو غيره ثم يدلك به حنك الصبي ويقال حنكه بالتخفيف والحنك الأعلى سقف أعلى الفم ويتصل إلى الملهة واللهاة هي اللحمية الحمراء المتدللية من الحنك الأعلى عند اخر الفم وأول الحلق (تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم : 1 / 525) .

(2) صحيح البخاري : كِتَابُ الْعَقِيْقَةِ . بَابُ تَسْمِيَةِ الْمُؤَلُوْدِ غَدَاةً يُوَلَّدُ لِمَنْ لَمْ يَعْقُ عَنْهُ وَتَحْنِيكِهِ . رقم الحديث : 5151 . 5 / 2081 .

(3) سنن أبي داود كتاب الأدب . بَابُ فِي السَّلَامِ عَلَى الصَّبِيَّانِ رقم الحديث : 5202 . 4 / 352 .

(4) الجؤنة : هي سلة مستديرة يضع فيها العطار بضاعته (لسان العرب ، مادة جون : 13 / 103)

(5) صحيح مسلم : كِتَابُ الْفَضَائِلِ . بَابُ طِيْبِ رَائِحَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَيْنِ مَسِّهِ وَالتَّبْرُكِ بِمَسْحِهِ . رقم الحديث : 2329 . 4 / 1814 .

5 - ويواسيهم ﷺ حتى في أحزانهم الصغيرة غير مسفه لهم ولا متكبر عليهم كما فعل مع أخ أنس رضي الله عنهما لما مات طائره ، فعن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يدخل علينا ولي أخ صغير يكني أبا عمير وكان له نغز يل عب به فمات فدخل عليه النبي ﷺ ذات يوم فرآه حزينا فقال : « ما شأنه ؟ » قالوا : مات نغزه ، فقال : « يا أبا عمير ما فعل النغز » (1) .

6 - ويتحبب لهم ﷺ تارة بإعطائهم الهدايا ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاؤوا به إلى رسول الله ﷺ فإذا أخذه رسول الله ﷺ قال : « اللهم بارك لنا في ثمارنا وبارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في صاعنا ومُدنا ... ثم يدعو أصغر وليد يراه فيعطيه ذلك الثمر » (2) .

7 - نفى كمال الإيثار على من لم يرحم الطفل الصغير ويتلطف معه فعن أنس بن مالك يقول جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له فقال النبي ﷺ : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا » (3) .

لذلك فالواجب على كل مسلم ومسلمة والدعاة على وجه الخصوص الاستفادة من هذه الدروس النبوية العظيمة واضعين نصب أعينهم أهمية مرحلة

(1) سنن أبي داود : كتاب الأدب . باب ما جاء في الرجل يتكنى وليس له ولد . رقم الحديث : 4969 / 4 . 293 .

(2) سنن الترمذي : كتاب الدعوات . باب ما يقول إذا رأى الباكورة من الثمر . رقم الحديث : 3454 / 5 . 506 .

(3) سنن الترمذي : كتاب البر والصلة . باب ما جاء في رحمة الصبيان . رقم الحديث : 1919 . 321 / 4 .

الطفولة في بناء شخصية الفرد لينشأ كل فرد نشأة إسلامية صحيحة ، فطفل اليوم هو رجل الغد ، وحتى يصبح هذا المجتمع مجتمع رحيم قائم على التسامح والرفق والمحبة كما أراد الله له ﷻ أن يكون ، وكما وجه إليه النبي ﷺ وقام بتطبيقه تطبيقاً عملياً حثاً لمن جاء بعده على التأسى بهديه .

المطلب الثالث

الرفق بذوي الأرحام

لما كانت هذه الدعوة إلى الله ﷻ شاملة لكل جوانب الحياة ، وتعني بالفرد والمجتمع ، فإنها اعتنت بكل هذه الجوانب ، وجعلت التآسي برسول الله ﷺ سبيلاً لنجاح هذه الدعوة ، فقال الله ﷻ : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾⁽¹⁾ فقدمت منهجاً متكاملًا يسير عليه الدعاة ليس فقط في معاملتهم للمدعوين ، إنما يشمل ذلك ويم تدل للقريب قبل البعيد فهم أولى الناس بالبر والرفق .

وتعريف الأرحام لغة هم : « ذوي القرابة »⁽²⁾ ويقع اللفظ على كل من بينه وبين الرجل نسب «⁽³⁾ .

وأما اصطلاحاً : « هم الأقارب الذين بينهم وبين الرجل نسب سواء كانوا يرثونه أم لا ، وسواء كانوا من المحارم أم لا ، فيدخل فيها أولاد الأعمام وأولاد الأخوال »⁽⁴⁾ .

(1) سورة يوسف : رقم الآية (108) .

(2) لسان العرب مادة (رحم) : 12 / 232 .

(3) النهاية مادة (رحم) : 2 / 210 .

(4) انظر : أخلاقنا . محمد ربيعه الجوهري . دار الفجر الإسلامية - المدينة المنورة . ط 8 /

أهمية الرفق بالأرحام وحث الدين الإسلامي عليه :

وإن كان الرفق مؤكداً في كثير من المجالات فإنه مع الأرحام أكد وألزم فأحوج الناس إلى بر الرجل وحسن معاشرته هم أهل بيته وكل من اتصل به نسباً لقربهم منه ، ويكفي شرفاً للرحم أنها اشتقت من اسم الله الرحمن إعلاء لشأنها وتحذيراً لمن يتساهل في أداء الواجب مع أرحامه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ (1) مِنَ الرَّحْمَنِ فَقَالَ اللَّهُ مِنْ وَصَلِكَ وَصَلَّتْهُ وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعَتْهُ » (2) .

وتتواتر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية مؤكدة هذه لمكانة الرحم العظيمة مرغبة في وصلها ، متوعدة قاطعها بأقسى أنواع العقوبات .

يقول الله ﷻ : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ (3) .

وقوله ﷻ : ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ﴾ (4) .

وسماه حق في هذه الآية حتى يبين للإنسان أنه حق واجب عليه فلا يستثقل منه أو يمنّ به على أرحامه ، وبرغم من أنه حق واجب إلا أن الله ﷻ قد رتب عليه

(1) أي الرحم مشتقة من الرحمن والمعنى أنها قرابة من الله ت على مشتبكة كاشتباك العروق (مختار الصحاح ، مادة (شجن) : 1 / 139) .

(2) صحيح البخاري : كتاب الأدب . باب من وصل وصله الله . رقم الحديث : 5642 . 2232 / 5 .

(3) سورة النساء : جزء من الآية رقم (36) .

(4) سورة الإسراء : جزء من الآية رقم (26) .

العظيم من الأجر والجزيل من المثوبة كما في قوله ﷺ: ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِۦٓ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ إلى قوله ﷺ: ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ . جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ . سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (1) .

وما أمر الله به أن يوصل على قول أكثر المفسرين هو صلة الرحم (2) فهي التي أمر الله ﷺ بوصلها وحذر من تركها ثم وضح بعد ذلك ﷺ الثواب العظيم لهم بدخول جنات عدن ومن صلح من أهلهم ، فلا يعرض بعد هذه الآية عن صلة الرحم إلا محروم من الخير والثواب .

ولقد كانت صلة الرحم أول ما حث عليه الرسول ﷺ منذ بدء بعثته كما جاء في حوار أبي سفيان رضي الله عنه مع هرقل - وكان ذلك قبل إسلامه - فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما - أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه فقال « فما يأمركم يعني النبي ﷺ يأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة » (3) .

وأكد ذلك الأمر العظيم عند هجرته إلى المدينة ﷺ ، عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : لما قدم رسول الله المديرة استشرفه الناس فقالوا : قدم رسول الله قدام رسول الله ، فخرجت فيمن خرج فلما رأيت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فكان أول ما سمعته يقول : « يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعم ام وصلوا

(1) سورة الرعد: رقم الآيات (21 - 24)

(2) تفسير القرطبي . مرجع سابق : 9 / 310 .

(3) صحيح البخاري : كتاب الأدب . باب صلة المرأة أمها ولها زوج . رقم الحديث : 5635 .

الأَرْحَامَ وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ» (1).

وقدم الله ﷺ ثواب واصل الرحم في الدنيا قبل الآخرة فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: « من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ (2) له في أثره فليصل رحمه » (3).

عقاب قاطع الرحم :

قطيعة الرحم من الذنوب العظيمة التي تعرض صاحبها للطرد من رحمة الله ﷻ ، يقول الله ﷻ : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾ (4).

يقول ابن كثير في هذه الآية: « وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموماً وعن قطع الأرحام خصوصاً ، ولقد أمر الله بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال » (5).

وقطيعة الرحم سبب في الحرمان من دخول الجنة لحديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ » (6).

(1) سنن الدارمي : كِتَابُ الصَّلَاةِ . بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ اللَّيْلِ . رقم الحديث : 1460 / 1 . 405 .

(2) أي يزداد في عمره (لسان العرب ، مادة (نسأ) : 1 / 169)

(3) صحيح البخاري: كِتَابُ الْبَيْعِ . بَابُ مَنْ أَحَبَّ الْبَسْطَ فِي الرِّزْقِ رقم الحديث: 1961 . 2 / 728 .

(4) سورة محمد : رقم الآية (22 - 23) .

(5) تفسير ابن كثير : 4 / 178 .

(6) صحيح مسلم : كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ . بَابُ صَلَاةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا . رقم

الحديث : 2556 / 4 . 1981 .

وكما أن ثواب الواصل يعجل في الدنيا مع ما يدخره الله ﷻ له من النعيم في الآخرة فكذلك عقاب القاطع في التعجيل فعن أبي بكرَةَ قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجَّلَ اللهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ » (1) .

الرفق بالوالدين :

ولقد اعتنى الإسلام بالوالدين عناية خاصة ، وأولاهم مزيداً من البر والرعاية ، وذلك لما لهما من حقوق ودور في النهوض بالأسرة خاصة والمجتمع عموماً وتكوينه .

إن كان الإسلام قد شدد على صلة الأرحام والإحسان إليهم إلا أن ذلك يتأكد فرضاً مع الوالدين فقد أفردهما القرآن والسنة النبوية بمزيد من العناية والاهتمام والتعظيم من حقهما مع أن أي عاقل يستطيع أن يعلم أن عقوقه ما محرم ، وبرهما فرض عين .

يقول السمرقندي : « إنه لو لم يذكر الله في كتابه حرمة الوالدين ، ولم يوص بهما لكان يُعرف بالعقل أن حرمتها واجبة ، وكان الواجب على العاقل أن يعرف حرمتها ويقضي حقهما ، فكيف وقد ذكر الله ﷻ في جميع كتبه التوراة والإنجيل والزبور والفيقان وأوحى إلى جميع الأنبياء ، وأوصاهم بحرمة الوالدين ، ومعرفة حقهما ، وجعل رضاه في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما(2) .

(1) سنن أبي داود : كتاب الأدب . باب في النهي عن البغي . رقم الحديث : 4902 . 4 / 276 .

(2) تنبيه الغافلين في الموعدة بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين . المكتبة العصرية - بيروت .

ولقد أمر الله ببرهما والرفق بهما في آيات كثيرة منها قوله ﷺ: ﴿ وَقَصَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (1) « وهذا القضاء ليس من باب الحكم إنما هو من باب الأمر والفرط (2) لا يقبل النسخ ولا التبديل

ولقد عد الرسول ﷺ البر بالوالدين من أفضل القربات إلى الله ﷻ فعن عبد الله بن مسعود قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ ، قال: « الصَّلَاةُ عَلَى وَفَّيْهَا » قال: ثُمَّ أَيُّ؟ ، قال: « ثُمَّ بِرُّ الْوَالِدَيْنِ » قال: ثُمَّ أَيُّ؟ قال: « الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » (3).

ويتأكد الرفق بالأم لتحملها لمشاق الحمل والولادة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قال: « أُمَّكَ » قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: « ثُمَّ أُمَّكَ » قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: « ثُمَّ أُمَّكَ » قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: « ثُمَّ أُمَّكَ » (4).

ولكن ذلك لا يكون أبداً على حساب الأب ، فلكل حق الرفق والبر ، فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي مَالًا وَوَلَدًا

(1) سورة الإسراء: رقم الآية (23) .

(2) زاد المسير في علم التفسير . عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي . المكتب الإسلامي - بيروت . ط 3 / 1404 هـ : 22 / 5 .

(3) صحيح البخاري: كِتَابُ مَوَاقِيَتِ الصَّلَاةِ . بَابُ فَضْلِ الصَّلَاةِ لَوْقَتِهَا . رقم الحديث : 504 . 197 / 1 .

(4) صحيح البخاري: كِتَابُ اللَّبَاسِ . بَابُ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ . رقم الحديث : 2227 / 5 . 5626 .

وإنَّ أبي يُريدُ أن يَجتاحَ مالي ، فقال : « أنت ومالك لأبيك » (1)

وليحذر من أن يكون عرضة لسخطها فيدعوان على ، فدعاء الوالدين مستجاب، فعن أبي هريرة قال قال النبي ﷺ: « ثلاث دعوات مستجابات لمن لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالدين على ولدهما (2) .

وفي قصة العابد جريج خير عظة لسرعة استجابة الله ﷻك للوالدين فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: « كان رجلٌ في بني إسرائيل يُقال له جريجٌ يصلي فجاأته أمه فدعته فأبى أن يجيبها فقال : أُجيبها أو أصلي ثم أتته فقالت : اللهم لا تُمتته حتى تُريه المومسات (3) ، وكان جريجٌ في صومعته فقالت امرأةٌ : لأفنين جريجاً فتعرّضت له فكلمته فأبى فأنت راعياً فأمكنته من نفسها فولدت غلاماً فقالت : هو من جريج فاتوه وكسروا صومعته فأنزلوه وسبوه فتوصل وصلي ثم أتى الغلام فقال : من أبوك يا غلام قال : الراعي قالوا : نبني صومعتك من ذهبٍ قال لا من طينٍ » (4) .

ويتأكد الرفق بهما حال كبرهما ، لشدة حاجتهما إلى المساعدة وضعف حالهما

لقول الله ﷻك : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ

(1) سنن ابن ماجه : كتاب التَّجَارَاتِ . باب ما لِلرَّجُلِ مِنْ مَالٍ وَلِدِهِ . رقم الحديث : 2291 .

. 769 / 2

(2) سنن الترمذي : كتاب البرِّ وَالصَّلَةِ . باب ما جاء في دَعْوَةِ الْوَالِدَيْنِ . رقم الحديث : 1905 .

. 314 / 4

(3) مفردها مومس وهي : المرأة الفاجرة جهاراً (لسان العرب ، مادة (ميس) : 6 / 224) .

(4) صحيح البخاري : كتاب المظالم . باب إذا هَدَمَ حَائِطًا فَلْيَبْنِ مثله . رقم الحديث : 2350 .

. 878 - 877 / 2

عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿١﴾ .

ولن يفيهما حقهما أبداً ، مهما بلغ من الرفق بهما ، ففي كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري عن سعيد بن أبي بردة ، قال : سمعت أبي يحدث : « أنه شهد ابن عمر - رضي الله عنهما - رجلا يمانياً يطوف بالبيت حمل أمه وراء ظهره يقول : إني لها بغيرها المذل إن أذعرت ركاها لم أذعر ، ثم قال : يا ابن عمر أتراني جزيتها قال : لا ولا بزفرة واحدة » (2) .

ولقد ضرب السلف الصالح أروع الأمثلة في الرفق والإحسان للوالدين خصوصاً حال كبرهما فعن أبي مرة مولى عقيل : « أن أبا هريرة كان يستخلفه مروان وكان يكون بذى الحليفة فكانت أمه في بيت وهو في آخر قال : فإذا أراد أن يخرج وقف على بابها فقال : السلام عليك يا أمتاه ورحمة الله وبركاته ، فتقول : وعليك يا بنى ورحمة الله وبركاته ، فيقول : رحمك الله كما رببتني صغيراً فتقول : رحمك الله كما بررتني كبيراً ثم إذا أراد أن يدخل صنع مثله » (3) .

ولا ينتهي الرفق بهما حين موتها بل إنه يتعداه إلى ما بعد ذلك بالدعاء لهما وزيارة أهل ودهم والتصدق عنهما ، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » (4) .

(١) سورة الإسراء : رقم الآية (23) .

(٢) الأدب المفرد : باب جزاء الوالدين . رقم الحديث : 11 . 1 / 18 .

(٣) المصدر السابق نفس الباب رقم الحديث : 12 . 1 / 18 .

(٤) صحيح مسلم : كتاب الوصية . باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته . رقم الحديث :

ولقي رجل من الأعراب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بطريق مكة فسلم عليه عبد الله وحمله على حمارٍ كان يركبه وأعطاه عمًا مةً كانت على رأسه فقال ابن دينارٍ فقلنا له : أصلحك الله إيتهم الأعراب وإيتهم يرضون باليسير فقال عبد الله : إنَّ أبا هذا كان وُدًّا لِعُمَرَ بنِ الحُطَّابِ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ أبا البرِّ صلةُ الولدِ أهلٌ وُدُّ أبيه » (1) .

من مظاهر الرفق بذوي الأرحام :

إن مظاهر الرفق بهم كثيرة جداً ، أهمها :

1 - وصلهم بالزيارة حتى وإن ظهر منهم قطيعة أو جفاء ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله ﷺ إن لي قرابةً أصلهم ويقطعوني وأحسن إليهم ويسئون إلي وأحلم عنهم ويجهلون علي فقال : « لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم (2) المل (3) ولا يزال معك من الله ظهير (4) عليهم ما دمت على ذلك » (5) .

(1) صحيح مسلم : كتاب البرِّ والصلة والآداب . باب فضل صلة أصدقاء الأب والأُمِّ ونحوهما . رقم الحديث : 2552 / 4 . 1979 .

(2) تسفهم : من السف وسف الدواء واستفه أيضا إذا أخذه غير ملتوت وكذا السويق وكل دواء يؤخذ غير معجون فهو سفوف (مختار الصحاح ، مادة (سفف) : 1 / 127)

(3) المل : الرماد الحار الذي يحمى ليذفن فيه الخبز لينضج (تاج العروس ، مادة (ملل) : 30 / 420) .

(4) أي نصير ومعين فالمظاهرة المعاونة (مشارق الأنوار : 1 / 331) .

(5) صحيح مسلم : كتاب البرِّ والصلة والآداب . باب صلة الرِّحمِ وتحرِيمِ قطيعتها . رقم الحديث : 2558 / 4 . 1982 .

فيكون وصله معهم ابتغاء مرضاة الله لا انتظار مقابلتهم له بالوصل لحديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : « ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمة وصلها » (1) .

2 - إن من أعظم صور الرفق بالأرحام دعوتهم إلى الله بنصحهم ،

وتذكيرهم ، وتعليمهم ، لقوله ﷺ : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (2) .

3 - التصدق على من يحتاج منهم فهي خير نفقة يخرجها الرجل لقوله ﷺ :

﴿ سَأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَآلِئِمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا نَفَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (3) .

وعن سلمان بن عامر عن النبي ﷺ قال : « إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ » (4) .

ويمنع قطعها بعد التفضل بها لأي سبب كان لقوله ﷺ : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا

الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (5) .

(1) صحيح البخاري : كتاب الأدب . باب ليس الواصل بالمكافئ . رقم الحديث : 5645 .

. 2233 / 5

(2) سورة الشعراء : رقم الآية (214) .

(3) سورة البقرة : رقم الآية (215) .

(4) سنن النسائي الكبرى : الصدقة على الأقارب . رقم الحديث : 2582 . 92 / 5 .

(5) سورة النور : رقم الآية (22) .

أي لا يُقسم أصحاب الإحسان والفضل أن يقطعوا ما كانوا يتفضلون به إلى أرحامهم ، نزلت هذه الآية عقب حادثة الإفك لما تكلم مُسَطَّح بن أُنَاثَةَ رضي الله عنه مع من تكلم عن السيدة عائشة رضي الله عنها وهو ابن خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فلما ظهرت براءة أم المؤمنين وتاب الله على من تكلم وكُفِر عنهم بإقامة الحد وكان الصقدي يتصدق على القريب والبعيد ومن بينهم مسطح ، أقسم أن لا ينفعه بنافعة أبداً فنزلت الآية إلى قوله ﷺ : ﴿ أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

فإن الجزء من جنس العمل فكما تغفر ذنب من أذنب إليك يغفر الله لك وكما تصفح يصفح عنك فعند ذلك قال الصديقي والله إنا نحبلن تغفر لنا يا ربنا ، ثم رجع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة وقال الله لا أنزعها منه أبداً .

والأحاديث في هذا المطلب الدالة على الرفق بالأرحام كثيرة جداً ، كلها تدل على عظيم حق الوالدين خاصة والأرحام عامة الموجبة على المسلمين الرعاية والرفق ، ومع الأسف فإن التقنية في عصرنا الحالي قد وفرت شتى السبل - بفضل الله ﷻ - من هاتف وانترنت وغير ذلك ، كلها تساعد على صلة الأرحام ولكننا لا نرى إلا ازدياداً في القطيعة مما سيحاسب عليه المرء يوم القيامة .

المطلب الرابع

الرفق بالجار

الجار في اللغة : يطلق على المجاورة في المسكن ⁽¹⁾ لقوله سبحانه وتعالى :
 ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ
 بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ⁽²⁾ .

ويطلق أيضاً على الشريك في العقار والتجارة وعلى الحليف ⁽³⁾ وعلى
 المستجير ⁽⁴⁾ أيضاً لقوله ﷺ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى
 يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ⁽⁵⁾ .
 والمجاورة بالمسجد أي الاعتكاف فيه ⁽⁶⁾ .

وأجار المتاع أي جعله في وعاء فمنعه من الضياع ⁽⁷⁾ .

والمقصود بالجار هنا المعنى الأول .

ولقد كان الرفق بالجار والإحسان إليه من أخلاق العرب وشيمهم ، حتى أن

(١) انظر : تهذيب التهذيب . باب الميم والراء . 11 / 122 . تاج العروس . مادة (جور) : 10 /

484 . المعجم الوسيط مادة (جار) : 1 / 146 . مختار الصحاح . مادة (جور) : 1 / 49 .

(٢) سورة الأحزاب : رقم الآية (6)

(٣) انظر : تهذيب التهذيب : 11 / 120 . المعجم الوسيط . مادة (جار) : 1 / 146 .

(٤) تاج العروس . مادة (جار) : 10 / 486 .

(٥) سورة التوبة : رقم الآية (6) .

(٦) انظر تاج العروس . مادة (جار) : 10 / 486 .

(٧) المصدر السابق : نفس الجزء والصفحة .

أحدهم يقول « والله لا يؤذى كلب جاري » (1) .

ثم جاء ديننا الإسلامي الحنيف مؤكداً على هذا الخلق مع الجار وداعياً إليه ،
يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي
الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ
وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُحْتَالًا فَخُورًا ﴾ (2) .

دلت الآية على أمور كثيرة منها عظم حق الجار حيث إن الله ﷻ أكد ذكره بعد
الوالدين والأقربين ، ومن الأمور التي دلت عليها الآية أن الجيران ثلاثة : فجار له
ثلاثة حقوق « حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام » وجار له حقان « حق
الجوار وحق الإسلام » وجار له حق واحد « حق الجوار » وهو المشرك من أهل
الكتاب (3) .

ولقد حث النبي ﷺ على ذلك في الكثير من الأحاديث وجعل الرحمة بالجار
والرفق به دليل إيمان المرء حيث قال ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا
يؤذي (4) جاره » (5) وإيذاء الجار أحد المعاصي التي تمنع صاحبها من دخول الجنة

(1) مكارم الأخلاق . الحافظ ابن أبي الدنيا الطبراني . تحقيق : أحمد شمس الدين / محمد عبد القادر
عطا . دار الكتب العلمية - بيروت . ط 1 / 2000 م : ص 331 .

(2) سورة النساء : رقم الآية (36)

(3) تفسير البيضاوي . مرجع سابق : 2 / 187 .

(4) قال رسول الله ﷺ فلا يؤذي جاره لنفي الإيذاء المطلق إذ لو أنه قال فليحسن إلى جاره لصدق
ذلك القول على من أحسن مرة وأساء أخرى .

(5) جزء من حديث في صحيح البخاري : كتاب النكاح . باب الوصاة بالنساء . رقم الحديث :

(4890) . 5 / 1987 .

الجنة فعن أبي شريح رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والله لا يؤمنُ والله لا يؤمنُ والله لا يؤمنُ قيلَ وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ » (1) « (2) .

ولنا في تلك المرأة التي أدت ما عليها في العبادة من صلاة وصيام إلا أنها آذت جيرانها عظة وعبرة فقد أخبر عنها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها « في النار » (3) .

وتأتي وصية جبريل عليه السلام المتكررة دلالة على عظيم هذا الحق ، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم « مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ » (4) .

فالرفق بالجار دليل الخيرية والصلاح حيث يقول صلى الله عليه وسلم « خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ » (5) .

و على عكس ذلك فإن المتعدي على جاره ببعض الكبائر يضاعف له في الذنب عشر أضعافه كما أخبر نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم : « مَا تَقُولُونَ فِي الزَّنا قَالَوا حَرَمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لِأَصْحَابِهِ لِأَن يَزِنِي

(١) البوائق بالموحدة والقاف جمع بائقة وهي الداهية والثيء المهلك والأمر الشديد الذي يوافي بغتة قوله يوبقهن يهلكهن موبقا مهلكا (فتح الباري . 10 / 443) .

(٢) صحيح البخاري . كِتَابُ الْأَدَبِ . بَابُ إِثْمٍ مِنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ . رقم الحديث : (5670) . 2240 / 5 .

(٣) جزء من حديث في مسند الإمام أحمد بن حنبل . مسند أبي هريرة رضي الله عنه رقم الحديث : (9673) . 440 / 2 .

(٤) صحيح البخاري . كِتَابُ الْأَدَبِ . بَابُ الوصاءِ بِالْجَارِ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) . رقم الحديث (5669) . 2239 / 5 .

(٥) سنن الترمذي . كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ . بَابُ مَا جَاءَ فِي حَقِّ الْجَوَارِ . رقم الحديث (1944) . 333 / 4 .

الرَّجُلُ بَعَشْرٍ نِسْوَةٌ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزِنِي بِامْرَأَةِ جَارِهِ قَالَ فَقَالَ مَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَةِ
 قَالُوا حَرَّمَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَهِيَ حَرَامٌ قَالَ لِأَنَّ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ آيَاتٍ أَيْسَرُ
 عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ « (1) .

والرفق يقتضي بالمسلم أن يصبر على أذية جاره ولا يقابله بمثلها فعن ابن
 الأحمس قال : لَقِيتُ أَبَا ذَرٍّ رضي الله عنه فَقُلْتُ لَهُ بَلَّغْنِي عَنْكَ أَنَّكَ تُحَدِّثُ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ
 اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ أَمَا إِنَّهُ لَا تَخَالِنِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بَعْدَمَا سَمِعْتَهُ مِنْهُ فَمَا الَّذِي
 بَلَغَكَ عَنِّي قُلْتَ بَلَّغْنِي أَنَّكَ تَقُولُ ثَلَاثَةً يُحِبُّهُمُ اللَّهُ وَثَلَاثَةً يَسْتَوْهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ
 قُلْتَ وَسَمِعْتَهُ قُلْتَ فَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُحِبُّ اللَّهُ قَالَ الرَّجُلُ يَلْقَى الْعَدُوَّ فِي الْفِتْنَةِ
 فَيَنْصِبُ لَهُمْ نَحْرَهُ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُفْتَحَ لِأَصْحَابِهِ وَالْقَوْمُ يُسَافِرُونَ فَيَطُولُ سَرَاهُمُ
 حَتَّى يُجِبُّوا أَنْ يَمْسُوا الْأَرْضَ فَيَنْزِلُونَ فَيَتَنَحَّى أَحَدُهُمْ فَيَصَلِّي حَتَّى يُوقِظَهُمْ
 لِرَحِيلِهِمْ وَالرَّجُلُ يَكُونُ لَهُ الْجَارُ يُؤْذِيهِ جَوَارُهُ فَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا
 مَوْتٌ أَوْ ظَعْنٌ قُلْتَ وَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْتَوْهُمُ اللَّهُ قَالَ التَّاجِرُ الْحَلَّافُ أَوْ قَالَ الْبَائِعُ
 الْحَلَّافُ وَالْبَخِيلُ الْمَثَانُ وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ « (2) .

ومن الرفق بالجار والإحسان إليه أن يجب له ما يحبه لنفسه فعن أبي هريرة رضي الله عنه
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : « لَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ جَارُهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشْبَةً فِي جِدَارِهِ » قَالَ ثُمَّ يَقُولُ
 أَبُو هُرَيْرَةَ مَالِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَاللَّهِ لَا زَمِينَ بَهَا بَيْنَ أَكْتَانِكُمْ « (3) .

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل . مسند المقداد بن الأسود رضي الله عنه . رقم الحديث : (23905) / 6 / 8 .

(2) المصدر السابق . مسند أبي ذر الغفاري رضي الله عنه . رقم الحديث : (21378) . / 5 / 151 .

(3) صحيح البخاري : كتاب المظالم . باب لا يمنع جار جا ره أن يغرس خشبة في جداره . رقم

الحديث : (2331) . / 2 / 869 . صحيح مسلم : كتاب المساقاة . باب غرز الخشب في جدار

الجار . رقم الحديث : (1609) . / 3 / 1230 .

ومن صور الرفق بالجار أن لا ينسأهم من طعام فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : « يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ فَأَكْثِرِ الْمُرْقَةَ وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ أَوْ اقْسِمَ بَيْنَ جِيرَانِكَ » (1) .

وكانت عقوبة الإعراض عن ذلك مع العلم بحاجة الجار عظيمة لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وَجَارَهُ جَائِعٌ » (2) .

وإن من أعظم الرفق مع الجار الترفق معه في دعوته إلى الله عَلَيْكُمْ وَعَلَى وعدم توبيخه وتأنيبه بل الصبر في دعوته والدفء بالتي هي أحسن معه .
وفي قصة أبي حنيفة مع جاره الإسكافي دلالة على مدى تطبيق السلف الصالح لأوامر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتوجيهاته ، جاء في ثمرات الأوراق :

« كَانَ لِأَبِي حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ جَارٌ إِسْكَافٌ بِالْكُوفَةِ يَعْمَلُ نَهَارَهُ أَجْمَعُ فَإِذَا جَنَّهُ (3) اللَّيْلُ رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ بِلَحْمٍ وَسَمَكٍ وَإِذَا دَبَّ فِيهِ السُّكْرُ أَنْشَدَ :

أَضَاعُونِي وَأَيُّ فِتْيَ أَضَاعُوا
لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسَدَادِ ثَغْرِ

ولا يزال يشرب ويردد البيت حتى يغلبه السكر وينام ، وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله ، ويسمع حديثه وإنشاده ففقد صوته بعض الليالي ، فسأل عنه فقيل :
أَخَذَهُ الْعَسَسُ (4) مِنْذُ ثَلَاثَةِ وَهُوَ مَجْبُوسٌ فَصَلَّى الْإِمَامُ الْفَجْرَ وَرَكِبَ بَغْلَتَهُ وَمَشَى

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل : رقم الحديث : (21364) / 5 / 149 .

(2) سنن البيهقي الكبرى . رقم الحديث : (19452) . 10 / 3 . المعجم الكبير للطبراني : رقم الحديث : (12741) . 12 / 154 .

(3) جنه الليل : أي ستره بظلامه (تاج العروس ، مادة (جنن) : 34 / 364 .

(4) العسس : الحراس الذين يطوفون بالليل (انظر : لسان العرب مادة (عسس) : 6 / 139) .

واستأذن على الأمير . فقال : ائذنوا له ، واقبلوا به راكباً حتى يطأ البساط فلما دخل على الأمير أجلسه مكانه وقال ما حاجة الإمام ، فقال : لي جار أخذ العسس منذ ثلاثة أيام فتأمر بتخليته ؟ قال : نعم وكل من أخذ في تلك الليلة إلى يومنا هذا ثم أمر بتخليته وتخليتهم أجمعين فركب الإمام وتبعه جاره الإسكاف فلما وصل إلى داره قال له الإمام أبو حنيفة : أترانا أضعنك ؟ قال : لا بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن صحبة الجوار ورعايته والله علي أن لا أشرب بعدها خمرا فتاب من يومه ولم يعد إلى ما كان عليه « (1) .

وهكذا يكون الإحسان إلى الجار والرفق به ليتحقق المطلوب كما كانت النتيجة مع جار أبي حنيفة رحمه الله .

أما اليوم فنرى أن الوسائل المساعدة للرفق بالجار والإحسان إليه ميسرة مع تقدم وسائل التكنولوجيا ، وكثرة البنیان وتقاربها فيما بين الناس ، ولكننا نشاهد قطيعة وجفاء ، ولربما وصل الأمر إلى عدم معرفة الجار لاسم جاره ، على الرغم من المواقف المبينة لأهمية الرفق بالجار والحث على ذلك من تاريخ رسولنا الكريم وسلفنا الصالح كثيرة جداً وهي تعطي للمسلم عامة وللداعية خاصة صورة نقية واضحة لحث الإسلام على التعامل مع هذا الخلق الكريم مع الجار في المعاملات اليومية كما أنها تؤيد ذلك بالتطبيق العملي الذي صاحب حياة الرسول ﷺ ومن خلفه من الصحابة والسلف من بعده ، فمن واجب الدعاة بعد هذا العرض

(1) ثمرات الأوراق في المحاضرات . تقي الدين أبو بكر علي بن محمد الحموي الحنفي . شرحه

وضبطه : مفيد محمد قميحة . دار الكتب العلمية - بيروت . ط 1 / 1403 هـ - 1983 م .

السابق نشر خلق الرفق بالجار ، بالإقتداء بما كان عليه الرسول ﷺ والسلف
الصالح من بعده ، ثم بالنصح لكل مسلم وبيان عظيم الأجر المترتب على
الإحسان للجار ، وشر الجزاء لمن آذاه وشق عليه .

المطلب الخامس

الرفق بالأسير

الأسير في اللغة هو : الأخيد وكل محبوس في قد أو سجن أسير من الأسر أي
القد (1) الذي يؤسر به القتب (2) .

أما في الاصطلاح : فقد عرف الماوردي الأسرى بأنهم : « الرجال المقاتلون من
الكفار إذا ظفر المسلمون بهم أحياء » (3) .

وكان التعريف السابق مقتطراً على الأسرى الكفار ولو أردناه عاماً لمصطلح الأسير
لقلنا أن الأسرى هم « الرجال المقاتلون إذا ظفر بهم العدو وهم أحياء

ولقد أباح الله ﷻ أخذ الأسرى لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَأَقْتُلُوا
الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخَذُوهُمْ وَخَصَرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ ﴾ (4) .

إلا أنه أحاط هذه الإباحة بضابط من الرحمة والرفق بهم ، ووصف المتصف بهذه الصفة
بالبر بل أنعمك نسبهم إليه تشرifaً وتكريماً حيث قال : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ
كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا . عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ (5) .

(1) وهو جبل الكتان ونحوه الذي يربط فيه الأسير . (أنظر : لسان العرب مادة : أسر : 4 / 19) .

(2) انظر : مختار الصحاح . مادة (أسر) : 1 / 7 . لسان العرب مادة (أسر) : 4 / 19 .

(3) الأحكام السلطانية والولايات الدينية . أبو الحسن علي بن محمد البغدادي الماوردي . دار الكتب

العلمية / بيروت . 1405 هـ - 1985 م . ص / 114 .

(4) سورة التوبة : جزء من الآية (5) .

(5) سورة الإنسان : رقم الآية (5-6) .

ثم عدد ﷺ صفات هؤلاء الأبرار فكان من بينها ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴾ (1) .

ولقد طبق الرسول ﷺ هذا الأمر الرباني الكريم أتم التطبيق ، كيف لا وقد وصفه ربه جل في علاه بأنه رؤوف رحيم ، وقد شملت هذه الرحمة جميع شؤونهم من مأكّل ومشرب وملبس ومعاملة ، ومن هذه المواقف ما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول : « بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْلًا قَبْلَ نَجْدِ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ تُهَامَةُ بْنُ آثَالِ سَيِّدِ أَهْلِ الْيَمَامَةِ فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « مَاذَا عِنْدَكَ يَا تُهَامَةُ » فَقَالَ : عِنْدِي يَا مُحَمَّدُ خَيْرٌ إِنْ تَقْتُلَ تَقْتُلُ ذَا دَمٍ وَإِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمُ عَلَى شَاكِرٍ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ . فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْعَدِ فَقَالَ : « مَا عِنْدَكَ يَا تُهَامَةُ ؟ » قَالَ : مَا قَلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمُ عَلَى شَاكِرٍ وَإِنْ تَقْتُلَ تَقْتُلُ ذَا دَمٍ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ . فَتَرَكَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى كَانَ مِنَ الْعَدِ فَقَالَ : « مَاذَا عِنْدَكَ يَا تُهَامَةُ ؟ » فَقَالَ : عِنْدِي مَا قَلْتُ لَكَ إِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمُ عَلَى شَاكِرٍ وَإِنْ تَقْتُلَ تَقْتُلُ ذَا دَمٍ وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ فَسَلْ تُعْطَ مِنْهُ مَا شِئْتَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَطْلِقُوا تُهَامَةَ » فَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ يَا مُحَمَّدُ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى الْأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ كُلِّهَا إِلَيَّ وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ فَأَصْبَحَ دِينِكَ أَحَبَّ الدِّينِ كُلِّهِ إِلَيَّ وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ كُلِّهَا إِلَيَّ وَإِنَّ خَيْلَكَ

أَخَذْتَنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ : أَصَبَوْتَ . فَقَالَ : لَا وَلَكِنِّي أَسَلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا وَاللَّهِ لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ » (1) .

وفي هذا الموقف من الفوائد والعظات الكثيرة ، التي تدل على أن أساس الدعوة إلى الله ﷻ إنما يكون برفق ولين حتى يتحقق المرجو منها ، فإذا نظرنا إلى حال ثمامة بن أثال ﷺ وكيف أسلم وهو سيد في قومه نتيجة ما لقيه من رفق النبي ﷺ ورحمته به فانقلبت مشاعره من كره وعداوة نحو الرسول ﷺ إلى ولاء ومحبة .

وكان الرسول ﷺ يطعم جائعهم ويستمع إلى حديثهم غير مدبر عنهم ولا متكبر عليهم بالرغم ما أصاب المسلمون من أذى على أيديهم ، ففي صحيح مسلم من حديث عمران بن الحصين ﷺ قال : « كَانَتْ ثَقِيفٌ حُلَفَاءُ لِبَنِي عُقَيْلٍ فَأَسْرَتْ ثَقِيفٌ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَسْرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعُضْبَاءَ » (2) فَآتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الْوَثَاقِ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ فَاتَاهُ فَقَالَ : « مَا شَأْنُكَ ؟ » فَقَالَ : بِمِ أَخَذْتَنِي وَبِمِ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ ؟ فَقَالَ : « إِعْظَامًا لِذَلِكَ أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ » ثُمَّ أَنْصَرَفَ عَنْهُ فَتَدَاهُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ : « مَا شَأْنُكَ ؟ » قَالَ : إِنْ مَسْرَمٌ . قَالَ : « لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ أَفْلَحْتَ كُلَّ

(1) صحيح مسلم . كتاب الجهاد والسير . باب رُبِطِ الْأَسِيرِ وَحَبْسِهِ وَجَوَازِ الْمُنِّ عَلَيْهِ . رقم الحديث :

. 1386 / 3 (1764)

(2) اسم ناقته التي أخذت (صحيح مسلم بشح النووي : 11 / 100)

الْفَلَّاحِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَادَاهُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ فَاتَّاهُ فَقَالَ : « مَا شَأْنُكَ ؟ » .
 قَالَ : إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي وَظَمَانٌ فَأَسْقِنِي ، قَالَ : « هَذِهِ حَاجَتُكَ » . فَقُدِيَ
 بِالرَّجُلَيْنِ « (1) .

وكان من رفق الرسول ﷺ بهم شدة حرصه على رجوعهم إلى بلادهم سالمين
 بعد أن يمنن عليهم بفك الأسر فلما جيء بسفانة ابنة حاتم الطائي أسيرة قالت
 لرسول الله ﷺ : « يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله
 عليك . قال ﷺ : « من وافدك » قالت : عدي بن حاتم ، قال : « الفار من الله
 ورسوله » قالت : ثم مضى رسول الله ﷺ وتركها حتى إذا كان من الغد مر به
 فقلت له مثل ذلك وقال لها مثل ما قال بالأمس . قالت : حتى إذا كان بعد الغد مر
 بي وقد يئست منه فأشار إلي رجل من خلفه أن قومي فكلميه قال فقمتم إليه فقلت
 يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك فقال ﷺ : « قد
 فعلت فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى
 بلادك ثم آذنيني » (2) .

ولقد فهم ذلك الصحابة الكرام رضوان الله عليهم جميعاً فأثروا الأسرى على

(1) صحيح مسلم . كِتَابُ النَّذْرِ . بَابُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرِ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا فِيهَا لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ . رقم
 الحديث : (1641) . 3 / 1262 .

(2) انظر : السيرة النبوية لابن هشام . أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري المعافري . تحقيق : طه
 عبد الرؤوف سعد . دار الجليل - بيروت . ط 1 / 1411 هـ : 5 / 276 . الإصابة في تمييز
 الصحابة . أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . تحقيق : علي محمد البجاوي . دار الجليل - بيروت .
 ط 1 . 1412 هـ - 1992 م : 7 / 701 . المنتظم في تاريخ الملوك والأمم . أبو الفرج
 عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي . دار صادر - بيروت . ط 1 . 1358 : 3 / 361 .

أنفسهم وأهليهم وخصوصهم بما عندهم من طعام وشراب يروي ذلك أسير من أسرى بدر أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير رضي الله عنه فيقول : « كنت في الأسارى يوم بدرٍ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اسْتَوْصُوا بِالْأَسَارَى خَيْرًا » وَكُنْتُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَكَانُوا إِذَا قَدَّمُوا وَعَدَاءَهُمْ وَعَشَاءَهُمْ أَكَلُوا التَّمْرَ وَأَطْعَمُونِي الْخُبْزَ بِوَصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِيَّاهُمْ » (1) .

وفي المقابل يشهد التاريخ على ما يلاقه الأسرى على يد غير المسلمين منذ فجر الإسلام وحتى الآن من تعذيب وتنكيل لا يتحمله بشر (2) على الرغم من الأنظمة الوضعية والمؤتمرات الدولية التي حاولت الحد من ذلك فهذه اتفاقية جنيف الموقعة في 12 أغسطس سنة 1949 م والتي تعد من أهم الإنجازات الدولية لتدعيم حقوق الأسرى والمحافظة على كرامتهم الإنسانية قد وضحت في ثناياها أن « الأسر الحربي ليس انتقاماً، إنما هو مجرد اعتقال تحفظي غرضه الوحيد منع الأسير من العودة إلى المساهمة في القتال » (3) .

(1) المعجم الكبير : من يُكْنَى أَبَا عَزِيزٍ . رقم الحديث : (977) / 22 / 393 .

(2) مثال : في بداية عهد الدولة السومرية كان الأسرى يُدبَحون في ساحة المعركة عند كثرة عددهم وقلة من يرغب في شرائهم وذلك للتخلص من خطورتهم أو عند عدم إمكانية تقديم الخدمات لهم أو من أجل الانتقام منهم ففي مسلة العقبان في سلالة لكش من عصر السلالات ، وجد ما يدل على تناثر أشلاء الأسرى في المعركة . ويقدم عدد من الأسرى الأحياء قرباناً ونذور للآلهة ففي عهد أور الثالثة أُهدي عدد من الأسرى إلى معبد شارا في مدينة أوما بمناسبة انتصارهم على أعدائهم . (انظر : نظام أسرى الحرب في القانون الدولي وتطبيقاته في الحرب العراقية - الإيرانية . سهيل حسين الفتلاوي . دار القادسية للطباعة / بغداد . بدون رقم طبعة . 1983 م . ص / 15 - 16) .

(3) أسرى الحرب . عبد الواحد محمد الفار . عالم الكتب / القاهرة . ط 1 . 1975 م . ص / 205 .

ويضمن لهم جميع الحقوق من أماكن مناسبة للإيواء وتقديم الغذاء وتوفير الكساء والخدمات الصحية كما أوجبت لهم مباشرة أنشطتهم الدينية والذهنية والبدنية ، وقام بتوقيع الإتفاقية عدد كبير من الدول ومن ضمنها الحكومة الإسرائيلية التي كانت وما زالت تخالف كل النظم والقوانين المحافظة على حق الأسرى لتثبيت لأبناء جنسها فشل القوانين الوضعية ونجاح الأوامر الشرعية الربانية فأية واحدة منه سبحانه وتعالى في إعلاء شأن من يشفقون على الأسرى ويرفقون بهم كانت كافية لجعل المسلم يمثّل بالرحمة في معاملته للأسير .

المطلب السادس

الرفق مع غير الإنسان

إن الله ﷻ قد كتب الإحسان على كل شيء ، وحث على ذلك ليس فقط بين الإنسان وأخيه الإنسان ، بل حتى بينه وبين الكائنات الأخرى التي تشاطره هذا الكون ، ومما أمر بالرفق به من غير بني جنسه :

(1) الرفق بالحيوان :

اعتنى الإسلام بشأن الحيوان ، لما يصيبه من ضعف وحاجة ، وقد خصص الله ﷻ بعض سور القرآن الكريم تحمل أسماءً لأصناف من الحيوانات كالبقرة والأنعام والنحل والفيل والنمل إلى غير ذلك .

وجاء القرآن الكريم موضعاً لمكانة الحيوان المهمتي حياة الإنسان ، لقوله ﷻ :

﴿ وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (1) وقوله ﷻ :

﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (2) .

لقد وسعت الآيات السابقة مدارك الإنسان ، فبعد أن كان لا يرى منها إلا فائدة مادية قاصرة على الأكل واللباس والتنقل ، إذا بالقرآن يشير إلى الفوائد المعنوية والصفات الجمالية التي تقتضي الرفق به في المعاملة والإحسان إليه في المصاحبة .

(1) سورة النحل : رقم الآية (5) .

(2) سورة النحل : رقم الآية (8) .

كما أثنى الرسول ﷺ على بعض أصناف الحيوانات وخصهم بالذكر ، كالخيل
ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله
ﷺ : « الخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا ⁽¹⁾ الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » ⁽²⁾ .

كما أثنى على الديك في قوله ﷺ : « لَا تَسْبُوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ ⁽³⁾ .

مظاهر الرفق بالحيوان :

(1) الحرص على كفايتها من طعام أو شراب والتحنن بتجويعها:

لقوله ﷺ : « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوَّاتَهُ ⁽⁴⁾ .

(1) الناصية : قصاص الشعر في مقدم الرأس (لسان العرب ، مادة (ن ص ا) : 15 / 327) .

(2) صحيح البخاري : كتاب الجهاد والسير . باب الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .
رقم الحديث : 2694 . 3 / 1047 . صحيح مسلم : كتاب الإمارة . باب الخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا
الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . رقم الحديث : 1873 .

(3) سنن أبي داود : كتاب الأدب . باب ما جاء في الدِّيكِ وَالبَهَائِمِ . رقم الحديث : 5101 .
327 / 4 .

(4) صحيح مسلم : كتاب الزكاة . باب فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الْعِيَالِ وَالمَمْلُوكِ وَإِثْمِ مَنْ ضَيَّعَهُمْ أَوْ حَبَسَ
نَفَقَتَهُمْ عَنْهُمْ . رقم الحديث : 996 . 2 / 692 .

ولقد شكر الله لرجل وبغي سقياهما لكلبان قد بلغ بهما من العطش ما بلغ فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: « أَنْ امْرَأَةً بَغِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ حَارٍّ يُطِيبُ بَيْتَهُ قَدَاذِلَعٌ (2) لِسَانَهُ مِنْ الْعَطَشِ فَنَزَعَتْ لَهُ بِمُؤْتَفِقِهَا فَغَفِرَ لَهَا (3) » (4).

وعنه أيضاً رضي الله عنه في شأن الرجل الذي سقى كلب فغفر الله صلى الله عليه وسلم له عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ بِئْرًا فَشَرِبَ مِنْهَا ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ بِي فَمَلَأْتُ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكْتُهُ بِيَمِينِي ثُمَّ رَقِيْتُ الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ » قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا قَالَ: « فِي كُلِّ لَبِيدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ » (5).

وفي المقابل فقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من تجويعهم وحبسهم ليهلكوا جوعاً وعطشاً ففي الصحيحين عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « عَذَّبْتُ امْرَأَةً فِي هِرَّةٍ حَبَسْتَهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا فَدَخَلْتُ فِيهَا النَّارَ لَا

(1) أي يدور (المصباح المنير، مادة (طاف): 2 / 380).

(2) أي أخرجها (انظر: لسان العرب مادة (دلغ): 8 / 90).

(3) الموق: الخف وهي كلمة فارسية معربة (غريب الحديث . أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي . تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي . دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان . ط 1 / 1405 هـ - 1985 م : 2 / 378).

(4) صحيح مسلم: كتاب السلام . باب فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها . رقم الحديث: 1761 / 4 . 2245 .

(5) صحيح البخاري: كتاب المساقاة الشرب . باب فضل سقي الماء . رقم الحديث: 2234 .
2 / 833 . صحيح مسلم: كتاب السلام . باب فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها . رقم الحديث: 1761 / 4 . 2244 .

أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلَا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتَهَا وَلَا أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشٍ (1)
الأرض» (2).

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهم قال : « أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسر إلي حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس قال : وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفاً أو حايش نخل فدخل حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جمل فلما رأى النبي ﷺ حن إليه وزرقت عيناه فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفرته فسكن فقال : من رب هذا الجمل لمن هذا الجمل قال فجاء فتى من الأنصار فقال : هو لي يا رسول الله ، فقال : « ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكائي إنك تجيعه وتدئبه (3) » (4).

(2) عدم إرهاقها في العمل فوق طاقتها :

للحديث السابق فقد قال الرسول ﷺ : « ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكائي إنك تجيعه وتدئبه » (5).

وعن سهل بن الحنظلية قال مرَّ رسول الله ﷺ ببعيرٍ قد لحق ظهره ببطنه فقال :

(1) وخشاش الأرض هو أمها وقيل نباتها (مشارك الأنوار : 1 / 214).

(2) صحيح البخاري : كتاب المساقاة الشرب . باب فضل سقي الماء . رقم الحديث : 2236 .

834 / 2 . صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب . باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها من

الحيوان الذي لا يؤذى . رقم الحديث : 2619 . 4 / 2110 .

(3) أي تكده وتتعبه (لسان العرب ، مادة : (دأب) : 1 / 369).

(4) سنن أبي داود : كتاب الجهاد . باب ما يؤمر به من القيام على الدوابِّ والبهائم . رقم الحديث :

23 / 3 . 2549 .

(5) تقدم تخريج الحديث في ذات الصفحة .

« اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً وَكُلُّوهَا صَالِحَةً⁽¹⁾ .

ومن ذلك أيضاً تسخيرها لما خلقت له من عمل لا لغير ذلك ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح ثم أقبل على الناس فقال : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقْرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا ، فَقَالَتْ : إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لَهُذَا إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ فَقَالَ النَّاسُ : سُبْحَانَ اللَّهِ بَقْرَةٌ تَكَلِّمُ ، فَقَالَ : فَإِنِّي أُوْمِنُ بِهِذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَمَا هُمَا » (2) .

ومن إرهابها أيضاً في عمل لم تخلق له الوقوف عليها ، واتخاذها منابر فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ فَإِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتَبْلُغَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ وَجَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَعَلَيْهَا فَاقْضُوا حَاجَتَكُمْ » (3) .

وامثالاً لأمره ﷺ في عدم إرهابها فوق طاقتها فقد كتب عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - إلى صاحب السكك : « أَنْ لَا يَحْمِلُوا أَحَدًا بِلِجَامٍ⁽⁴⁾ ثَقِيلٍ مِنْ هَذِهِ

(1) سنن أبي داود : كتاب الجهاد . باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم . رقم الحديث : 23 / 3 . 2548 .

(2) جزء من حديث في صحيح البخاري : كتاب المزارعة . باب استعمال البقر للحراثة . رقم الحديث : 818 / 2 . 2199 .

(3) سنن أبي داود : أول كتاب الجهاد . باب في الوقوف على الدابة . رقم الحديث : 2567 . 27 / 3 .

(4) كلمة فارسية معربة وهي ضرب من سمات الإبل يكون من الخدين إلى صفقي العنق يُربط به الإبل (انظر : لسان العرب : مادة (لجم) : 534 / 12) .

الرستنية ولا ينخس (1) بمقرعة (2) في أسفلها حديدة « (3) .

كما كتب عمر إلى عامله بمصر : « أنه بلغني أن بمصر إبلاً نقالات يحمل على البعير منها ألف رطل (4) ، فإذا أتاك كتابي هذا فلا أعرفن أنه يحمل على البعير أكثر من ستائة رطل « (5) .

(3) كف الأذى عنها وعدم الاعتداء عليها بالضرب لغير ضرورة أو الوشم

لما رواه جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ عليه بِجَمَارٍ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ : « أَمَا بَلَّغَكُمْ أَنِّي قَدْ لَعَنْتُ مَنْ وُسِمَ الْبَهِيمَةَ فِي وَجْهِهَا أَوْ ضَرَبَهَا فِي وَجْهِهَا فَتَنَّى عَنْ ذَلِكَ » (6) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا » (7) .

(1) أصل النخس الدفع والحركة أي غرز جنب الدابة أو مؤخرها بعود أو نحوه (لسان العرب ، مادة : (نخس) : 6 / 228) .

(2) القرعة سمة خفية على وسط أنف البعير والشاة (لسان العرب ، مادة (قرع) : 8 / 268) .

(3) سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه . أبي محمد عبد الله بن عبد الحكم . تحقيق : أحمد عبيد . عالم الكتب - بيروت / لبنان . ط 6 / 1404 هـ - 1984 م : 141 / 1 .

(4) الرطل ثنتا عشرة أوقية بأواقي العرب والأوقية أربعون درهماً فذلك أر بعائة وثمانون درهماً وجمعه أرطال (لسان العرب ، مادة (رطل) : 11 / 286) .

(5) سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه سابق 141 / 1 .

(6) سنن أبي داود : كِتَابُ الْجِهَادِ . بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْوَسْمِ فِي الْوَجْهِ وَالضَّرْبِ فِي الْوَجْهِ . رقم الحديث : 2564 . 3 / 26 .

(7) صحيح مسلم : كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وَمَا يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانَ . بَابُ النَّهْيِ عَنِ صَبْرِ الْبَهَائِمِ . رقم الحديث : 1957 . 3 / 1549 .

ولا يجوز ترويع الحيوان في نفسه أو ولده ، كما لا يجوز تعذيبه بالنار ، فإنه لا يعذب بالنار إلا رهبا وخالقها ﷺ ، ففي سنن أبي داود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ فَأَنْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمْرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَحْذَنَا فَرْخَيْهَا فَجَاءَتْ الْحُمْرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : « مِنْ فَجَعِ هَذِهِ بَوْلِدَهَا رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا » وَرَأَى قَرْيَةً نَمَلٍ قَدْ حَرَّقَتْهَا فَقَالَ : « مِنْ حَرَقِ هَذِهِ قُلْنَا نَحْنُ قَالَ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ » (1) .

كما لا ينبغي سبها خصوصاً النافعة منها ، لقوله رضي الله عنه : « لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ » (2) .

ومن اللطائف للسلف الصالح في التحذير من سب البهائم ما جاء عن العلامة تاج الدين السبكي ، يقول : « كنت جالساً بدهليز دارنا فأقبل كلب فقلت له : اخساً كلب ابن كلب فزجرني والدي - العلامة تقي الدين السبكي - فقلت له : أليس هو كلب ابن كلب قال : شرط الجواز عدم قصد التحقير ، فقلت : هذه فائدة » (3) .

وهي فعلاً فائدة عظيمة ، فقد نهاه - رحمه الله - عن قول صادق في الحيوان لأنه أراد منه السب والتحقير ، فما بال كثير من الناس في عصرنا الحاضر يجرون هذه الألفاظ على ألسنتهم قاصدين لهم إخوة في الإسلام من بني جنسهم؟

(1) سنن أبي داود : أول كتاب الجهاد . باب في كراهية حرق العدو بالنار . رقم الحديث : 2675 .

. 55 / 3

(2) تقدم تحريج الحديث في الصفحة (325) .

(3) فيض القدير . مرجع سابق : 1 / 116 .

(4) عدم قتلها بغير حق :

فعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال : « من قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا عَجَّ (1) إلى الله عز وجل يوم القيامة يقول يا رَبِّ إِنَّ فُلَانًا قَتَلَنِي عَبَثًا ولم يَقْتُلْنِي لِمَنْفَعَةٍ » (2) .

(5) سوقها للموت سوقاً رقيقاً :

وفي ذلك آداب وتوجيهات نبوية كريمة فقد قال ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ وَلِيُحَدِّدَ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَهُ (3) فَلْيُرِّخْ ذَبِيحَتَهُ » (4) .

أكد الحديث على الإحسان للحيوان حتى ساعة ذبحه بأن لا يغلظ عليه أثناء جره ، وأن يجد سكينه حتى لا يتألم الحيوان فتزهق روحه بطيئاً .

قال البغدادي - رحمه الله - معلقاً على هذا الحديث : « في الحديث الإحسان في قتل ما يجوز قتله من الناس والدواب إزهاق نفسه على أسرع الوجوه وأسهلها وأرجاها من غير زيادة في التعذيب فإنه إيلام لا حاجة إليه » (5) .

(1) من العجج أي رفع الصوت مرة بعد مرة (مختار الصحاح ، مادة (عجج) : 1 / 174) .

(2) سنن النسائي (المجتبى) : كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ . من قَتَلَ عُصْفُورًا بِغَيْرِ حَقِّهَا . رقم الحديث : 239 / 7 . 4445 .

(3) الشفرة : السكين العريضة (لسان العرب ، مادة (شفر) : 4 / 420) .

(4) صحيح مسلم : كِتَابُ الصَّيْدِ وَالذَّبَائِحِ وما يُؤْكَلُ مِنَ الْحَيَوَانِ . باب الأَمْرِ بِالْإِحْسَانِ الذَّبْحِ وَالْقَتْلِ وَتَحْدِيدِ الشَّفْرَةِ . رقم الحديث : 1955 . 3 / 1548 .

(5) انظر : جامع العلوم والحكم . مرجع سابق : 1 / 152 .

وعن ابن سيرين قال : رأى عمر بن الخطاب رجلاً يسحب شاة برجلها ليذبها فقال له : « ويلك قدها إلى الموت قوداً جميلاً » (1) .

- مسألة : في استحباب قتل الحيوانات الضارة في الحل والحرم :

كالفأرة والغراب الأبقع والكلب العقور والعقرب ففي صحيح البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - عن النبي ﷺ قال : « خَمْسٌ فَوَاسِقٌ (2) يُقْتَلْنَ فِي الْحَرَمِ الْفَأْرَةُ وَالْعُقْرُبُ وَالْحُدَيْيَّةُ (3) وَالْغُرَابُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ (4) » (5) .

وفي رواية مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال : « خَمْسٌ فَوَاسِقٌ يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ الْحِيَّةُ وَالْغُرَابُ الْأَبْقَعُ (6) وَالْفَأْرَةُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ وَالْحُدَيْيَّةُ (7) » .

(1) مصنف عبد الرزاق : رقم الحديث : 8605 / 4 . 493 .

(2) أصل الفسق الخروج عن الشيء ومنه سمي هؤلاء فواسق لخروجهم عن الانتفاع بهم أو السلامة منهم إلى الإضرار والأذى (مشارق الأنوار : 2 / 163) .

(3) طائر من الجوارح يطير ويصيد الجرذان (لسان العرب ، مادة (حدأ) : 1 / 54) .

(4) أي الجراح (مختار الصحاح ، مادة (عقر) : 1 / 187) .

(5) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق . باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم . رقم الحديث : 3136 / 3 . 1204 .

(6) نوع من الغربان مؤذي وهو الذي في بطنه وظهره بياض (شرح الزركشي على مختصر الخرقى . شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي . قدم له ووضع حواشيه : عبد المنعم خليل إبراهيم . دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت . 1423 هـ - 2002 م . ط / 1 : 1 / 501) .

(7) صحيح مسلم : كتاب الحج . باب ما يندب للمحرم وغيره قتله من الدواب في الحل والحرم . رقم الحديث : 1198 / 2 . 856 .

والعلة في استحباب قتلها ما يتمخض عنها من أذى عند اقترابها من الإنسان ،
لذلك كان ردع الأذى بالقتل أفضل حل للحماية من خطرها .

وهناك من الحيوانات ما يجب على الإنسان قتله ، لضرره الذي يتجاوز الإيذاء
إلى القتل مما يتلف حياة الإنسان كالحیوانات المفترسة والحیات السامة ففي صحيح
البخاري عن بن عمر - رضي الله عنهما - أنه سمع النبي ﷺ يَحْطُبُ عَلَى الْمَنْبَرِ
يقول : « اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ وَأَقْتُلُوا ذَا الطُّفَيْتَيْنِ (1) وَالْأَبْتَرَ (2) فَإِنَّهُمَا يَطْمَسَانِ الْبَصَرَ
وَيَسْتَسْقِطَانِ الْحَجَلَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَبَيْنَمَا أَنَا أُطَارِدُ حَيَّةً لِأَقْتُلَهَا ، فَنَادَانِي أَبُو لُبَابَةَ : لَا
تَقْتُلْهَا فَقُلْتُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَمَرَ بِقَتْلِ الْحَيَّاتِ قَالَ : إِنَّهُ نَهَى بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ
ذَوَاتِ الْبُيُوتِ وَهِيَ الْعَوَامِرُ » (3) .

ويتأكد قتلها لشدة خطرهما على الإنسان حتى ولو كان في أفضل العبادات
مع الله ﷻ كالصلاة ، جاء في سنن أبي داود ومسنند الإمام أحمد عن أبي هريرة قال قال
رسول الله ﷺ : « اقْتُلُوا الْأَسْوَدَيْنِ فِي الصَّلَاةِ الْحَيَّةَ وَالْعَقْرَبَ » (4) .

(1) بضم الطاء المهملة وسكون الفاء وهي حية خبيثة على ظهرها خطان أسودان (تحفة الأحوزي .
مرجع سابق : 5 / 49) .

(2) الأبتَر : هو مقطوع الذنب وهو أزرق اللون لا تنظر إليه حامل إلا ألتقت ، وقيل الأبتَر الحية
القصيرة الذنب وقيل : هو الأفعى التي تكون قدر شبر أو أكبر قليلاً (فتح الباري :
6 / 348) .

(3) صحيح البخاري : كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ . بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ . رقم
الحديث : 3123 / 3 . 1201 .

(4) سنن أبي داود : كِتَابُ الطَّهْرَةِ . بَابُ الْعَمَلِ فِي الصَّلَاةِ . رقم الحديث : 921 / 1 . 242 .
مسند الإمام أحمد . مسند أبي هريرة : 7373 / 2 . 248 .

الرفق بالحيوان بين الدين الإسلامي وجمعيات الرفق بالحيوان المعاصرة :

لقد تأسست في انجلترا أول جمعية للرفق بالحيوان في عام 1824 م ، ثم انتشر هذا التقليد بعد ذلك في كثير من أقطار الأرض ، فقامت هنا وهناك جمعيات تهدف إلى الرفق بالحيوان عند المصاحبة ، والإحسان إليه في المعاملة ، والتلطف معه في السلوك .

غير أن هذه الجمعيات جميعاً إنما تقوم على أسس أخلاقية صرفة ، وقواعد إنسانية عامة ليس لها أساس من القواعد التشريعية ، أو القوانين الملزمة ، وليس لها خلفية فقهية تنظم مسائلها ، وتوضح حدودها المتعلقة بحفظ حقوق الحيوان المتعاون مع الإنسان في هذه الحياة ، ومن هنا بقيت هذه الجمعيات ذات صفة طوعية اختيارية ، وهي لذلك لا ترتب ثواباً لممثل ، ولا توجب عقاباً على مخالف⁽¹⁾ ، بل إن الدول التي نشأت بها هذه الجمعيات هي أول من تقتل هذه الحيوانات بالصعق الكهربائي ، والضرب حتى الموت ، كما أنهت قيم التجارب عليها بالمواد الكيميائية ، فأين هذه الرحمة التي يتشدقون بها من تلك الرحمة التي سبق وورد ذكرها من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة .

(1) انظر : مقالة : (حقوق الحيوان والرفق به في الشريعة الإسلامية) . أحمد عبيد الكبيسي .

ثانياً / الرفق بالنبات :

النبات لغة : مشتقة الكلمة من الفعل (نبت) ف « النون والباء والتاء أصل واحد يدل على نهاء في مزروع ثم يستعار ، فالنبت معروف يقال نبت ، وأنبت الأرض ونبت الشجر غرسته » (1) .

وجاء في القاموس المحيط : التنبيت التريية والغرس واسم لما ينبت من دق الشجر وكباره (2) .

النبات اصطلاحاً : « كل نام ينبت من الأرض مما يأكله الإنسان و الحيوان ويشمل الزرع والغرس والشجر والنخيل وغير ذلك » (3) .

لقد اهتم الإسلام بالنبات وأتى مؤيداً ومؤكداً على أهميته في حياة الناس منذ فجر التاريخ وحتى قيام الساعة .

فأكد على أهمية غرس النبات وزرعه ، والاستفادة منه أكلاً وغير ذلك

وحث على الرفق به والحفاظ عليه بأمور كثيرة منها أنه جعل أطيب الكسب والطعام الحلال ما كان من صنع يد الإنسان فقال ﷺ : « مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » (4) .

(1) مقاييس اللغة ، مادة (نبت) : 5 / 378 .

(2) انظر : القاموس المحيط ، مادة (نبت) : 1 / 206 .

(3) النبات في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة . جواهر محمد سرور باسلوم . بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه تخصص كتاب وسنة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى . 1408 هـ : 1 / 35 .

(4) صحيح البخاري : كتاب البيوع . باب كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ . رقم الحديث : 1966 .

وجعل غرسها ، صدقة جارية على المرء يدرك آثارها حتى بعد موته ، فقال
 ﷺ : « ما من مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أو يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أو إِنْسَانٌ أو بِهِمَةٌ
 إلا كان له بِهِ صَدَقَةٌ » (1) .

وقال ﷺ : « سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته : من علم علماً ،
 أو أجرى نهراً ، أو حفر بئراً ، أو غرس نخلاً ، أو بنى مسجداً ، أو ورث مصحفاً ،
 أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته » (2) .

كما جعل الحفاظ على النبات والصبر على سقيه والرفق به ورعايته صدقة له
 أيضاً ، فقال ﷺ : « من نَصَبَ شَجَرَةً فَصَبَرَ عَلَى حِفْظِهَا وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا حَتَّى تُثْمَرَ
 كان له في كل شيء يُصَابُ مِنْ ثَمَرَتِهَا صَدَقَةٌ عِنْدَ اللَّهِ ﷻ » (3) .

ومن مظاهر الرفق بالنبات الذي حث عليها الإسلام أيضاً إيتاء حقه يوم
 حصاده وإخراج زكاة الثمار ، لقوله ﷺ : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ
 وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا
 وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا
 إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (4) .

وحتى يأمن العاقبة التي حصدها أصحاب اللجنة عندما منعوا زكاة محصولهم ،

(1) صحيح البخاري : كِتَابُ الْوَكَالَةِ . بَابُ فَضْلِ الزَّرْعِ وَالْغَرْسِ إِذَا أُكِلَ مِنْهُ . رقم الحديث : 817 / 2.2195 .

(2) كنز العمال : الفصل في الباقيات الصالحات . رقم الحديث : 43662 . 15 / 401 .

(3) مسند الإمام أحمد بن حنبل : رقم الحديث : 16636 . 4 / 61 .

(4) سورة الأنعام : رقم الآية (141) .

يقول الله ﷻ: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ . وَلَا يَسْتَنُونَ . فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ . فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ . فَنَادُوا مُصْبِحِينَ . أَنِ اغْدُوا عَلَيَّ حَرِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ . أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ . وَغَدُوا عَلَيَّ حَرِدٍ قَدْرِينَ . فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ . بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ . قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلرَّأْفَل لَكُمْ لَوْلَا تَسْتَحُونَ . قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَمَّظُونَ . قَالُوا يَا بُولَاقْنَا إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ . عَسَى رَبُّنَا أَن يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ . كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿ (1) .

ثالثاً / الرفق بالجماد :

والجماد مشتق من الفعل (جمد) ف « الجيم والميم والبدال أصل واحد وهو جموس الشيء المائع من برد أو غيره » (2) .

وهو كل ما ليس له روح من ممتلكات الإنسان وحاجاته .

ولقد وجه الإسلام أتباعه ليلبغوا مستوى الرفق السامي الذي فاق حدود من امتلك روحاً بين جوانبه إلى الجوامد من الأشياء فعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ يُصَلِّي إلى جذعٍ وَيُحْطَبُ إليه إذا كان المُسْحِدُ عَرِيشًا فقال له رَجُلٌ من أصحابه : أَلَا نَجْعَلُ لك عَرِيشًا تَقُومُ عليه يَرَاكُ الناسُ يومَ الجُمُعَةِ وتُسْمَعُ من حُطْبَتِكَ قال : نعم فَصَنَعَ له الثَّلَاثَ دَرَجَاتٍ هُنَّ اللُّوَاتِي على المِنْبَرِ ، فلما صُنِعَ المِنْبَرُ وَوُضِعَ في مَوْضِعِهِ الذي وَضَعَهُ فيه رسول الله ﷺ قال : فلما جاء رسول الله ﷺ

(١) سورة القلم : رقم الآية (16 - 33) .

(٢) مقاييس اللغة ، مادة (جمد) : 1 / 477 .

يُرِيدُ الْمُنْبَرِ مَرَّ عَلَيْهِ فَلَمَّا جَاوَزَهُ خَارَ الْجِدْعُ حَتَّى تَصَدَّعَ وَانْشَقَّ فَرَجَعَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَسَحَهُ بِيَدِهِ حَتَّى سَكَنَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمُنْبَرِ ، قَالَ : فَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلَّى إِلَيْهِ فَلَمَّا هَدِمَ الْمَسْجِدَ أَخَذَ ذَلِكَ الْجِدْعُ أَبِي بَن كَعْبٍ فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ حَتَّى يَلِيَ فَأَكَلَتْهُ الْأَرْضُ وَعَادَ رُقَاتًا « (1) .

وإن من أرفق الرفق بالجهد الحفاظ على الممتلكات الخاصة مما يمتلكه الإنسان ، والعامه مما تمتلكها الدولة وعدم العبث بها أو إفسادها .

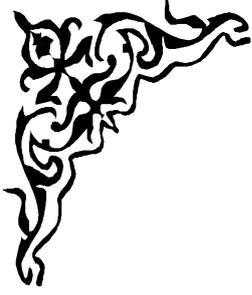
ومن مظاهر الرفق بالجهد أيضاً عدم تشويهه بالكتابة عليه من مقاعد أو جدران أو نحو ذلك ، فهذا من الإفساد الذي نهانا الإسلام عنه .

كما وأن الإسراف في استهلاكها لغير الحاجة بترك الأنوار مضاءة ونحو ذلك

ينافي الرفق فهو من الإسراف الذي حذر الله منه و ذم صاحبه لقوله ﷺ : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (2) وهكذا يربي الدين الإسلامي أبناءه على الرفق في كل جوانب الحياة فيرتقي بهم إلى آفاق سامية .

(1) سنن الدارمي : باب ما أكرم الله النبي ﷺ . رقم الحديث : 36 / 1 . 30 .

(2) سورة الأنعام : جزء من الآية رقم (141) .



المبحث الخامس الرفق بالضعفاء

وفيه مطلبين :

المطلب الأول : الرفق بالأيتام والأرامل .

المطلب الثاني : الرفق بالفقراء والمساكين .



المطلب الأول

الرفق بالأيتام والأرامل

أ - الرفق بالأيتام :

اليتيم لغة : جمعه أيتام و يتامى و اليتيم في الناس من قبل الأب وفي البهائم من قبل الأم وكل شيء مفرد يعز نظيره فهو يتيم يقال درة يتيمة (1) .

فنستنتج من التعريف اللغوي : هو الطفل الذي قد فقد أباه ولم يصل حد البلوغ .

وهم أولى الناس بالرعاية والرفق لما أصابهم من فقد لعائلتهم فهم بحاجة أن يعوضوا هذا الضعف بالإحسان إليهم والقيام بشأنهم ، وكان من عظم شأن الإحسان إليهم والرفق بهم أن قرنه الله ﷻ مع البر بالوالدين بعبادته ﷻ إكباراً من شأن البر بهم وبيانا لعظيم مكانتهم حيث قال : ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَأَيُّبٌ مِّن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (2) .

وقد حذر من ظلمهم ورتب العذاب الأليم عقوبة لمن أخذ أموالهم فقال ﷻ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴾ (3) .

(1) انظر : مختار الصحاح . مادة (طفل) : 1 / 309 .

(2) سورة النساء : رقم الآية (36) .

(3) سورة النساء : رقم الآية (10) .

ومن أبرز مظاهر اهتمام الله ﷻ بحفظ حق اليتيم وصونه ما جاء في قصة الخضر وموسى الكليم ﷺ لما أمره الله ﷻ ببناء جدار فوق الكنز الذي خلفه الأب لابنيه اليتيمين من بعده ، يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (1) .

مظاهر الرفق باليتام :

1 - الإحسان إليهم بكل ما فيه من ضروب الرعاية والحنان حتى يشب

صحيح النفس يألف المحسن ويشعر بصدق مودته وفي ذلك يقول الله ﷻ : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ (2) بشتى الطرق والوسائل وقد كان ابن مسعود رضي الله عنه يقرأ « فأما اليتيم فلا تكهر » يعني لا تعبس في وجهه (3) .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من مسح رأس يتيماً لم يمسه إلا الله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنة ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيماً عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين وفرق بين إصبعيه السبابة والوسطى (4) .

وقد دل الحديث أن أقل شيء - وهو المسح على رأس اليتيم - يترتب عليه ثواب عظيم فبكل شعرة يمررها على رأسه حسنة فمن باب أولى وأعظم ما ترتب على العطف بهم من ثواب عظيم باستحقاقه درجة الأنبياء في الفردوس الأعلى من الجنة .

(1) سورة الكهف : رقم الآية (82) .

(2) سورة الضحى : رقم الآية (9) .

(3) تفسير السمرقندي . مرجع سابق : 3 / 568 .

(4) مسند أحمد بن حنبل . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : رقم الحديث : 7566 . 5 / 250 .

وكان الإحسان إليه م مما يلين القلب ويرق من قسوته ، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو قسوة قلبه فقال له : « إن أردت أن يلين قلبك فأطعم المساكين وامسح رأس اليتيم » (1) .

فبين ﷺ أن الثواب المتعلق بالإحسان إليهم لا يقتصر في الآخرة بل يقدم لهم في الدنيا بتسهيل الأمور وقضاء الحوائج .

وقد وضع الرسول ﷺ قاعدة وهدى فاصلاً في مقياس صلاح البيوت وخيريتها فقال : « خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ » (2) فخير البيوت هو البيت الذي فيه يتيم يُرفق به وشر البيوت التي أساءت ليتيم وكسرت بخاطره .

2 - كفالتهم ورعايتهم :

وهو أفضل الرفق بهم على الإطلاق لأنه بذلك ينتشلهم من ضياع وتشرد كما أنه سيحفظ أموالهم من الانتهاك والسرقة ويرعاها لهم حتى يأنس منهم رشداً واضعاً نصب عينيه الثواب الجزيل لمن كفل يتيماً واهتم لأمره ، ﷺ «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى وَخَرَّبْنَاهَا شَيْئاً» (3) .

وتشمل الكفالة التي أخبر بها الرسول ﷺ جميع ما يخص اليتيم من تربية وتعليم ونفقة مما يساهم على تنشئته تنشئةً صالحة بإذن الله .

(1) مسند أحمد بن حنبل رقم الحديث : 7566 / 2 : 263 .

(2) سنن ابن ماجه : كِتَابِ الْأَدَبِ . بَابِ حَقِّ الْيَتِيمِ . رقم الحديث : 3679 / 2 : 1213 .

(3) صحيح البخاري : كِتَابِ الْأَدَبِ . بَابِ فَضْلِ مَنْ يَعُولُ يَتِيمًا . رقم الحديث : 5659 .

يقول ابن بطال معقباً على حديث النبي ﷺ: «حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك» (1).

وفي مقابل الثواب العظيم لكفالتهم حذر من ضيع حقهم فقال ﷺ: «اللهم إني أخرجُ حقَّ الضَّعِيفِينَ الْيَتِيمِ وَالْمُرَاةِ» (2) وهو زجر عظيم لمن ضيع حقه وعامله بجفاء وغلظة وذلك لأنهم لا يقدرّون على الدفع عن أنفسهم م فتولى الله الدفاع عنهم وإصلاح أحوالهم بمثل هذا التشريع العظيم .

كما أن الله ﷻ حذر من التصرف في ماله إلا بغرض تنميته وتزكيته لقوله :

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّانِكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (3).

وذلك حتى لا يفنى ماله مع الأيام ، وقد تعطف الله أولياء الأيتام مبيناً لهم أنهم لو ماتوا عن أولادهم الذين لا يملكون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً لأحبوا أن يُعاملوا بإحسان وعدل لذلك فليعاملوا من تحت أيديهم بمثل ما يجبون أن يُعامل به أولادهم بعد موتهم ، يقو ل الله ﷻ: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (4) ثم ليدفعوا لهم

(1) فتح الباري . مرجع سابق : 10 / 436 .

(2) سبق تخريجه في الصفحة (290) .

(3) سورة الأنعام : رقم الآية (152) .

(4) سورة النساء : رقم الآية (9) .

أموالهم عند بلوغهم سن الرشد لقوله ﷺ: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (1).

و خص اليتيم بهذا الشرط لغفلة الناس عنه وافتقاد الأبناء للآباء فكان الاهتبال (2) بفقيد الأب أولى وليس بلوغ الأشد مما يبيح قرب ماله بغير الأحسن لأن الحرمة في حق البالغ ثابتة وخص اليتيم بالذكر لأن خصمه الله والمعنى ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن على الأبد حتى يبلغ أشده وفي الكلام حذف فإذا بلغ أشده وأونس منه الرشد فادفعوا إليه ماله واختلف العلماء في أشد اليتيم فقال ابن زيد بلوغه وقال أهل المدينة بلوغه وإيناس رشده وعند أبي حنيفة خمس وعشرون سنة (3).

وخلاصة ذلك أن على الولي تسليم مال اليتيم له إذا جمع بين القوة الجسدية والقوة العقلية والإحساس بالمسؤولية وليس قبل ذلك والله ﷻ أعلم .

وكان من العدل معه م والعناية بهم إزاء اليتيمات مهورهن كاملة إن أرادوا نكاحهن وعدم الاستهتار بحقهن ، يقول الله ﷻ: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَىٰ النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَن تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ

(1) سورة النساء : رقم الآية (6) .

(2) الاهتبال : اغتنام الفرصة واقتناصها (انظر : لسان العرب ، مادة (هبل) : 11 / 687) .

(3) انظر : الجامع لأحكام القرآن لقرطبي . مرجع سابق : 7 / 135 .

بِالْقِسْطِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنًا وَتِلْكَ وَرُبْعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (2) .

دل على ذلك قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في هذه الآية لابن أختها عروة بن الزبير حين سأها عن الآية السابقة : « هِيَ الْيَتِيمَةُ فِي حَجْرٍ وَلِيَّهَا فَيْرَغَبُ فِي جَمَاهَا وَمَالِهَا وَيُرِيدُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا بِأَدْنَىٰ مِنْ سُنَّةِ نِسَائِهَا فَنُهِوا عَنْ نِكَاحِهِنَّ إِلَّا سَلَطُوا لهنَّ فِي إِكْمَالِ الصَّدَاقِ وَأَمْرُوا بِنِكَاحٍ مِنْ سِوَاهُنَّ مِنَ النِّسَاءِ (3) .

ولقد امتثل الرسول ﷺ لهذه الأوامر الربانية كأفضل ما يكون الامتثال فأحسن إليهم ورحمهم كما أجزل لهم العطاء فقد تكفل ﷺ بأولاد أبي سلمة بعد وفاته فتزوج من أم سلمة وعال أيتامها ، فلما علم بانقضاء عدتها أرسل إليها يخطبها وقال لها لما اعتذرت له بسبب غيرتها وكثرة صبيانها : « أَمَّا قَوْلُكَ إِنِّي امْرَأَةٌ غَيْرِي فَسَادَعُو اللَّهَ لَكَ فَيُذْهِبُ غَيْرَتَكَ وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنِّي امْرَأَةٌ مُصِيبَةٌ فَسَتُكْفَيْنَ صَبِيَانِكَ » (4) .

(١) سورة النساء : رقم الآية (127) .

(٢) سورة النساء : رقم الآية (3) .

(٣) صحيح البخاري : باب قول الله تعالى : ﴿ وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ . رقم الحديث : 2612 / 3 . 1016 .

(٤) جزء من الحديث في سنن النسائي الكبرى : كتاب النكاح . انكاح الابن أمه . رقم الآية :

كما قام بكفالة أولاد جعفر بن أبي طالب عليه السلام لما استشهد في غزوة مؤتة ففي مسند الإمام أحمد عندما جاءت زوجة جعفر فذكرت له يتمهم فقال : « الْعَيْلَةُ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيَّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » (1) .

بل كان من عظيم رفقته وإحسانه أن تكفل بأطفال المسلمين جميعهم فعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ (2) .

فَأَيُّ مُؤْمِنٍ مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا فَلْيَرْتَهُ عَصَبَتُهُ مِنْ كَانُوا وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلَاهُ » (3) .

ولقد سهلت المؤسسات الخيرية المعاصرة بفضل من الله وَعَلَّمَ الْكَثِيرَ فِي كِفَالَةِ الْيَتَامِ فَأَصْبَحَ فِي الْإِمْكَانِيَةِ كِفَالَتِهِمْ بِمَبَالِغِ بَسِيطَةٍ وَمَتَابَعَتِهِمْ عَنْ بَعْدِ حَتَّى وَإِنْ كَانُوا فِي أَقْصَى الْأَرْضِ .

ب - الرفق بالأرامل :

الأرامل لغة : جمع أرمل وأرملة ورجل أرمل وامرأة أرملة أي محتاجة وكل جماعة من رجال دون نساء أو نساء دون رجال أرملة بعد أن يكونوا محتاجين وقد أرملت المرأة مات عنها زوجها ويقال للفقير الذي لا يقدر على شيء من

(1) جزء في حديث من مسند الإمام أحمد بن حنبل : رقم الحديث : 1750 . 1 / 204 .

(2) سورة الأحزاب : جزء من الآية رقم (6) .

(3) صحيح البخاري : كتاب الاستقراضِ وَأَدَاءِ الدُّيُونِ وَالْحُجْرِ وَالتَّفْلِيسِ . باب الصَّلَاةِ عَلَى مَنْ

تَرَكَ دِينًا . رقم الحديث : 2269 . 2 / 845 .

رجل أو امرأة أرملة ولا يقال للمرأة التي لا زوج لها وهي موسرة أرملة و الأرامل
المساكين (1).

ونستتج من التعريف اللغوي أن الأرملة هي : « المرأة التي مات زوجها ولم
تجد عائلاً ينفق عليها » .

ولقد خُصت المرأة التي تأيمت عن أطفال لها بهذا القدر الكبير من الرفق
لكونها لا عائل لها بعد الله ولا رجل يرعى مصالحها ويدبر شؤونها ويعالج ما
استشكل عليها ، فجعل الله صبرها على مشاق أمور الحياة وتربية أطفالها مسببات
لنيل أعلى الدرجات في الجنة مع الرسول ﷺ فعن عَوْفِ بْنِ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ :
قال رسول الله ﷺ : « أَنَا وَأَمْرَأَةٌ سَفَعَاءُ الْخُدَيْنِ كَهَاتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوْمًا يَزِيدُ
بِالْوُسْطَى وَالسَّبَابَةِ امْرَأَةٌ أُمَّتٍ مِنْ زَوْجِهَا ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ حَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى
أَيْتَامِهَا حَتَّى بَانُوا أَوْ مَاتُوا » (2) .

أما الساعي على إنجاز مصالحها ، الرفيق بحاها فقد أعد الله له أيضاً الثواب
العظيم ، يكفيه في ذلك بلوغ فعله مبلغ الصائم أطراف النهار ، والقائم آناء الليل ،
بل إنه ﷺ قد قرنه بأفضل عند الله ﷻ وهو الجهاد في سبيله فعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ :
قال النبي ﷺ : « السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمُسْكِينِ كَأَلْمِ جَاهِدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْقَائِمِ
اللَّيْلِ الصَّائِمِ النَّهَارَ » (3) .

(1) انظر : لسان العرب : مادة (رمل) 11 / 296 . مختار الصحاح ، مادرة (رمل) : 1 / 108 .

(2) سنن أبي داود كتاب الأدب . باب في فضل من عال يتيأرقم الحديث : 5149 / 4 . 338 .

(3) صحيح البخاري : كتاب النفقات . باب فضل النفقة على الأهل . رقم الحديث : 5038 .

2047 / 5 . مسلم بنحوه . كتاب الزهد والرفائق . باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين

واليتيم . رقم الحديث : 2982 / 4 . 2286 .

ولنا في رسول الله ﷺ خير قدوة في ذلك فقد كان لا يأنف عن المشي مع الأرامل لقضاء حوائجهن ، ولقد كانت المرأة تأخذ بيديه الشريفتين فتنتقل به حيث شاءت لا يوقفها ولا ينهرها فعن عبد الله بن أبي أوفى أنه قال : « كان رسول الله ﷺ يكثر الذكر ويقل اللغو ويطول الصلاة ويقتصر الخطبة ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة » (1) .

ومن عنايته ﷺ بهم أيضاً أن معظم زوجاته كن من الأرامل حتى يكفينهن تدبير شؤونهن ، ويكفل من كان لديهن من أطفال صغار كما قال لأم سلمة لما توفي زوجها أبي سلمة رضي الله عنهما وعلم بانقضاء عدتها فأرسل يخطبها : « وأما قولك إني امرأة مضبية فسكفين صبيانك » (2) .

وقد تزوج ﷺ أيضاً بسودة بنت زمعة وقد تأيمت من السكران بن عمرو العامري وقد كانا أوائل من أسلم رضي الله عنهما (3) ، وتزوج من زينب بنت خزيمة رضي الله عنها المعروفة بأُم المساكين لكثرة معروفها وإحسانها لهم فقد تأيمت عن الطفيل بن الحارث وقيل بل كانت زوجة عبد الله بن جحش رضي الله عنه وقد استشهد في غزوة أحد (4) ، وغيرهما كثير من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن وأرضاهن .

(1) سنن النسائي (المجتبى) : كتاب الجمعة . باب ما يستحب من تقصير الخطبة . رقم الحديث : 1414 / 3 . 108 .

(2) المصدر السابق : كتاب النكاح . باب إذا استشارت المرأة رجلاً فيمن يخطبها هل يجبره أم لا يعلم . رقم الحديث : 3254 . 6 / 81 .

(3) نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث . أحمد خليل جمعة . دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع / دمشق - بيروت . ط 1 / 1414 هـ : ص / 77 .

(4) المرجع السابق : ص / 212 .

فيتأكد مما تقدم من الأحاديث والتطبيقات النبوية وجوب السير على طريقته
هو وصحابته الكرام رضوان الله عليهم في الرفق بالضعفاء حتى يتحقق للفرد
خاصة وللمجتمع بصفة عامة ما يصبو إليه من رزق وعزة ونصرة إيماناً بقوله ﷺ:
« وَهَلْ تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ إِلَّا بِضَعْفَائِكُمْ » (1).

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل: رقم الحديث: 1493 / 1 / 173 .

المطلب الثاني

الرفق بالفقراء والمساكين

أولى الله ﷻ هاتين الفئتين المستضعفتين شتى أنواع الرعاية والحماية مبيناً ضعفها وموضحاً لشديد حاجتها شاملاً لهما بصنوف الإحسان والشفقة ، عالماً أنهما إن حُرما من هذا الرفق وتلك الرعاية فَسَيُعَرِّضَا أَنفُسَهُمْ وَمَجْتَمَعَهُمْ لِشَتَى أَنْوَاعِ الْأَخْطَارِ مِنْ قَتْلِ وَسَلْبِ وَذَلِكَ لِسَدَادِ حَاجَتِهِمَا بِطَرَقٍ غَيْرِ مَشْرُوعَةٍ وَالْفَقِيرُ هُوَ ضِدُّ الْغَنِيِّ وَالْجَمْعُ فَقَرَاءُ وَالْأُنْثَى فَقِيرَاتُ الْفَقْرِ يَأْتِي بِمَعْنَى الْحَاجَةِ مِنْ قَوْلِهِ

تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (1) .

وسمي فقيراً لزمانة تصيبه مع حاجة شديدة تمنعه الزمانة من التقلب في الكسب على نفسه (2) .

أما المسكين : يقال تسكن و تمسكن بمعنى استضعف وتذلل والمرأة مسكينة ومسكين أيضاً والجمع مساكين ومسكينون كذلك .

والمسكين هو الذي لا شيء له وقيل هو الذي له بعض الشيء والثاني أرجح (3) .

ومن المؤكد أن الفقير والمسكين يختلفان في المعنى مع اجتماعهما في الحاجة ،

(1) سورة فاطر : رقم الآية (15) .

(2) لسان العرب : مادة (فقر) : 5 / 65 .

(3) المصدر السابق : مادة (سكن) : 13 / 214 . .

ولقد قال بعض اللغويين أن الفقير أحسن حالاً من المسكين لإجابة أعرابي عندما سئل : أفقر أنت أم مسكين ؟ فقال : لا والله بل مسكين .

أما قول باقي اللغويين ومنهم الأصمعي وهو الأرجح أن المسكين أحسن حالاً من الفقير وذلك لأن الله ﷻ يقول : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ (1) .

فأخبر أنهم مساكين رغم أنهم يملكون سفينة كانت مطمعاً لملكهم ، ويدل على شدة فاقة الفقير وصف الله لهم في سورة البقرة بقوله : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْكَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (2) .

ويدل على ذلك أيضاً قوله ﷻ : ﴿ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبٍ ﴾ (3) فأكد ﷻ سوء حاله بصفة الفقير لأن المتربة الفقر ولا يؤكد الشيء إلا بما هو أكد منه فثبت بهذا أن المسكين أصلح حالاً من الفقير ، ولذلك بدأ الله ﷻ بالفقير في الفئات المستحقة للصدقة ، في قوله ﷻ : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً

(1) سورة الكهف : رقم الآية (79) .

(2) سورة البقرة : رقم الآية (273) .

(3) سورة البلد : رقم الآية (16) .

مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿١﴾ .

فقد رتبهم ﷺ فجعل الثاني أصحح حالاً من الأول والثالث أصحح حالاً من الثاني وكذلك الرابع والخامس والسادس والسابع والثامن (2) .

- عناية الإسلام بالفقراء والمساكين :

لقد أوجب الله ﷻ على أغنياء المجتمع بادئ ذي بدء زكاة مفروضة للفقراء ، ليست منة ولا مكرمة بل فوضها وجعلها أحد أركانه ودعائه فقال ﷺ : ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ، وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (3) .

سماه الله ﷻ حقاً واجباً يجب إتيانه لهم ، وقال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن : « فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ رَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فُتَرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ » (4) .

ولم يكتفِ الإسلام بفرض هذا المال من الأغنياء لهم بل حث أيضاً على ضروب أخرى من العطاء لهم تسد عوزهم فلهم حقاً ثابتاً في أموال الغنيمة (5)

(١) سورة التوبة : رقم الآية (60) .

(٢) للاستزادة انظر : لسان العرب ، مادة (سكن) : 13 / 214 - 217 .

(٣) سورة الروم : رقم الآية (38) .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الزكاة . باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا . رقم الحديث : 1425 . 2 / 544 .

(٥) الغنيمة : ما نيل من أهل الشرك عنوة وقسراً والحرب قائمة ثم تخمس ويكون سائرهما لأهلها خاصة دون الناس (الأموال . أبو عبيد القاسم بن سلام . تحقيق : خليل محمد هراس . دار الفكر - بيروت . 1408 هـ - 1988 م : 1 / 323) .

والفيء (1) منذ فجر الإسلام لقوله ﷺ: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ، وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (2).

وقوله ﷺ: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (3).

ولشموله ﷺ كل شيء رحمة وعلماً ومعرفته المسبقة بأنه سيأتي أيام ستترك فيها هذه الفريضة ولا يبقى لهم مصدراً لسد حاجاتهم إلا الزكاة فقط فقد كفاهم ذلك بواجبات مخصوصة تدفع لهم كحقوقهم في كفارة اليمين وكفارة الجماع في نهار رمضان والظهار والفدية عمن لم يطق صيام رمضان بعضه أو كله ، ثم إنه ﷺ أضاف إلى ذلك صدقات مستحبة ورتب لها عظيم الأجر والثواب يكفي المرء في ذلك أنه أسماها قرضاً يوفيه إياه أضعافاً مضاعفة بأفضل ما يكون الجزاء يوم لا ينفع مال ولا بنون ، فقال ﷺ: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

(1) الفيء : ما نيل من المشركين بعدما توضع الحرب أوزارها وتصير الدار دار إسلام فهو فيء يكون للناس عامة ولا خمس فيه ، وكذلك يكون مثله ما نيل من أهل الحرب ما كان قبل لقاءهم وذلك كجيش خرجوا يؤمنون العدو فلما بلغهم خبرهم اتقوهم بهال بعثوا به إليهم على أن يرجعوا عنهم فقبل المسلمون المال ورجعوا عنهم قبل أن يجلوا بساحتهم (المصدر السابق : نفس الجزء والصفحة).

(2) سورة الأنفال : رقم الآية (41) .

(3) سورة الحشر : جزء من الآية رقم (7) .

وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَأَسْتَعْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ وقال ﷺ: ﴿إِنْ تَقَرَّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعِفَهُ لَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ (2).

بل إن ثواب التصدق عليهم لا يقتصر في الآخرة فقط فإن آثارها مقدمة لهم في الدنيا أيضاً ، ومن هذه الآثار المباركة للصدقة تنمية المال وتطهيره ومباركته ، قال الله ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (3) وقوله ﷺ: « مَا نَقَصْتُ صَدَقَةً مِنْ مَالٍ » (4).

وتبقى آثار الصدقة الطيبة إلى آخر لحظة في حياة المتصدق فيخ به الله له بخير ويدفع عنه ميتة السوء بسببها لقوله ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتَدْفَعُ عَنِ مَيِّتَةِ السُّوءِ» (5).

ولقد ذم الله ﷻ من منع الفقراء من حقهم الذي لهم كما جرى مع أصحاب اللجنة الذين أقسموا أن يمنعوا الفقراء من زكاة محصولهم فكان عاقبة أمرهم أن أبادها الله عليهم ، كما أخبر ﷺ: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ (6) حتى

(١) سورة المزمل : جزء من الآية رقم (20) .

(٢) سورة التغابن : رقم الآية (17) .

(٣) سورة التوبة : جزء من الآية رقم (103) .

(٤) جزء من حديث في صحيح مسلم : كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ . بَابُ إِسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُّعِ . رقم الحديث : 2588 . 4 / 2001 .

(٥) سنن الترمذي : كِتَابُ الزَّكَاةِ . بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الصَّدَقَةِ رقم الحديث : 664 . 3 / 52 .

(٦) سورة القلم : رقم الآية (19 - 20) .

أنهم لم يعرفوها وهي لهم من شدة احتراقها ، ويأتي ما يدخره الله ﷻ لمانعي الزكاة عن هذه الفئة المستضعفة من العذاب الأليم في الآخرة مما ترجف له القلوب ، قال الله ﷻ في مصيرهم : ﴿ خذوه فغلوه ۝ ٣٠ ۝ ثم الجحيم صلوه ۝ ٣١ ۝ ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فأسكوه ۝ ٣٢ ۝ إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ۝ ٣٣ ۝ ولا يحض على طعام المسكين ۝ ٣٤ ۝ فليس له اليوم ههنا حميم ۝ ٣٥ ۝ ولا طعام إلا من غسلين ۝ ٣٦ ۝ لا يأكله إلا الخاطئون ﴾ (١) .

ولا يقتصر العذاب في هذه الآيات على الكافرين فإن الله ﷻ وصف المستحقين بعدم الحث على إطعام المساكين ، وقد فهم ذلك الصحابة رضوان الله عليهم فهذا أبو الدرداء ؓ يقول لزوجته « إن لله سلسلة لم تنزل تغلي فيها مراحل النار منذ خلق الله جهنم إلى يوم القيامة تلقى في أعناق الناس وقد نجانا الله من نصفها بإيماننا بالله العظيم فحضي على طعام المسكين أم الدرداء» (٢) .

ويكفي في مجال عناية الإسلام بهم أمر الله ﷻ لرسوله الكريم بأن يلزمهم ويحسن معاملتهم ولا يترفع عنهم أملاً في إسلام أكابر القوم فهم أول من اتبعه ، حيث قال ﷻ : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٣) .

وكان سبب نزول هذه الآيات أن أناساً من قريش قالوا للنبي ﷺ إن أردت أن

(١) سورة الحاقة : رقم الآية (30 - 37) .

(٢) فتح القدير . مرجع سابق : 5 / 287 . الدر المنثور . عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين

السيوطي . دار الفكر - بيروت - 1993 م : 8 / 274 .

(٣) سورة الأنعام : رقم الآية (52) .

نؤمن لك ونتبعك فاطر د فلاناً وفلاناً أناساً من فقراء الصحابة فإننا نستحي أن ترانا العرب جالسين مع هؤلاء الفقراء فحمله حبه لإسلامهم واتباعهم له فحدثته نفسه بذلك فعاتبه الله بهذه الآية ونحوها ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (1) .

وقد امتثل ﷺ هذا الأمر أشد امتثال فكان إذا جلس الفقراء من المؤمنين وصبر نفسه معهم وأحسن معاملتهم وألان لهم جانبه وحسن خلقه وقربهم منه بل كانوا هم أكثر أهل مجلسه رضي الله عنهم (2) .

وقد أمره الله ﷻ بالصبر معهم على الطاعة وعدم الالتفات لغيرهم ممن يريد زحزحة الدين الإسلامي وعدم انتشاره بطلبهم من الرسول ﷺ عدم الجلوس مع الفقراء ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (3) .

- نهاج من رفق الرسول ﷺ بالفقراء والمساكين وإحسانه إليهم :

لقد كانت الأوامر الربانية السابقة محل عناية وتطبيق من رسول الله ﷺ في مواقف كثيرة نذكر أهمها :

1 - كان يدعو ربه ﷻ أن يكون منهم في حياته بل وحتى عند حشر الناس في

(1) سورة الأنعام : رقم الآية (53) .

(2) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . السعدي . مرجع سابق : 1 / 258 .

(3) سورة الكهف : رقم الآية (28) .

عرصات يوم القيامة فعن أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَسْكِينًا وَأَمْتِنِي مَسْكِينًا وَأَحْشُرْ نِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (1) . وكان صلى الله عليه وسلم يدعو الله تعالى أيضاً أن يرزقه حبهم دائماً وأبداً فكان يقول « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ » (2) .

2- إيثاره لهم صلى الله عليه وسلم على نفسه في كل هدية تأتيه أو طعام يقدم إليه ، وقد وصف هذا الإيثار أبو هريرة رضي الله عنه في صحيح البخاري يقول رضي الله عنه : « اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ كُنْتُ لِأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ وَإِنْ كُنْتُ لِأَشُدُّ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمْ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيشْبِعَنِي فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيشْبِعَنِي فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو الْقَاسِمِ صلى الله عليه وسلم فَتَبَسَّمَ حِينَ رَأَى وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ : « يَا أَبَا هُرَيْرٍ » قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : إْحَقُّ وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لِي فَدَخَلَ فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ فَقَالَ : « مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ » قَالُوا : أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ أَوْ فُلَانَةٌ قَالَ : « أَبَا هُرَيْرٍ » قُلْتُ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : « الْحَقُّ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي » قَالَ : وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الْإِسْلَامِ لَا يَأْوُونَ عَلَى أَهْلِ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا فَسَاءَ نِي ذَلِكَ فَقُلْتُ : وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ

(1) جزء من حديث سنن الترمذي : كِتَابُ الزُّهْدِ . بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ

قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ . رَقْمُ الْحَدِيثِ : 2352 . 4 / 577 .

(2) موطأ الإمام مالك : كِتَابُ الْقُرْآنِ . بَابُ الْعَمَلِ فِي الدُّعَاءِ . رَقْمُ الْحَدِيثِ : 508 . 1 : 218 .

فَالْتَفُّوا عَلَيْهَا فَلَمَّا كَثُرُوا جَنَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ مَا هَذِهِ الْجُلُوسَةُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كُلُّوا مِنْ حَوَالِيهَا وَدَعُوا ذُرْوَتَهَا يُبَارِكُ فِيهَا » (1) .

5- حثه ﷺ عائشة - رضي الله عنه - بحب المساكين والإحسان إليهم حتى يقربهم الله ﷻ منه يوم القيامة ففي سنن الترمذي عنه ﷺ أنه قال : « إِيْتَهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا يَا عَائِشَةُ لَا تَرُدِّي الْمُسْكِينَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ يَا عَائِشَةُ أَحَبُّ إِلَيَّ الْمَسَاكِينِ وَقَرِّبِيهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ يُقَرِّبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (2) .

6- تمعر وجهه ﷺ لما رأى ما ببعض الفقراء من شدة الحاجة فأصبح يحث الناس ويرغبهم على الصدقة حتى اجتمع له الكثير من المال والطعام فوزعه عليهم فعن جرير بن عبد الله ﷺ قال : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِ النَّهَارِ فَجَاءَ قَوْمٌ عُرَاءٌ حُفَاءٌ مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلَّ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ فَأَمَرَ بِبِلَالٍ فَأَذَنَ فَأَقَامَ الصَّلَاةَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ فَقَالَ : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (3) وَ ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

(1) سنن الترمذي : كتاب الأطعمة . باب ما جاء في الأكل من أعلى الصَّحْفَةِ . رقم الحديث :

. 348 / 3 . 3773

(2) سنن الترمذي : كتاب الزُّهْدِ . باب ما جاء أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ .

رقم الحديث : 577 / 4 . 2352 .

(3) سورة النساء : رقم الآية (1) .

خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١﴾ تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثُوبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ « فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِبَصْرَةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا بَلٌّ قَدْ عَجَزَتْ ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مِنْ سَنِّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةٌ حَسَنَةٌ فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وَزُرُّهَا وَوَزُرُّ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا » (2) .

7 - عيادة مرضاهم وتفقد أحوالهم والسؤال عن أمرهم كما جاء في حديث سهل بن حنيف قال : « كان رسول الله ﷺ يعودُ فقراءَ أهلِ المدينةِ ويشهدُ جنازَتَهُمْ إِذَا مَاتُوا » (3) .

8 - تحفيزه ﷺ لهم على الكسب الحلال الذي يغنيهم عن مذلة السؤال لقوله ﷺ : « لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبَلًا فَيَأْخُذَ حُرْمَةً مِنْ حَطَبٍ فَيَبِيعَ فَيَكْفِيَ اللَّهُ بِهِ وَجْهَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أُعْطِيَ أَمْ مُنِعَ » (4) .

9 - تفقد أمورهم والسؤال عن أحوالهم فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : كنت مع النبي ﷺ في غزاة فابطأ بي جملي وأعيا (5) فأتى عليّ النبي ﷺ فقال :

(١) سورة الحشر : رقم الآية (18) .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الزكاة . باب التَّخْرِيطِ عَلَى الصَّدَقَةِ . رقم الحديث : 2554 . 5 / 75 .

(٣) المعجم الكبير : رقم الحديث : 5586 . 6 / 84 .

(٤) صحيح البخاري : كتاب المساقاة الشرب . باب بَيْعِ الحَطَبِ وَالْكَلَاءِ . رقم الحديث : 2244 .

836 / 2 .

(٥) أعيا : الإعياء الكلال والتعب (لسان العرب ، مادة (عيا) : (15 / 114) .

« جَابِرٌ » فقلت : نعم ، قال : « مَا شَأْنُكَ » قلت : أَبْطَأَ عَلَيَّ جَبَلِي وَأَعْيَا فَتَ خَلَفْتُ
فَنَزَلَ يَحْجُنُهُ بِمَحْجَنِهِ ثُمَّ قَالَ : « اِرْكَبْ » فَارْكَبْتُ فَلَقَدَ رَأَيْتُهُ أَكْفُهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
قَالَ : « تَزَوَّجْتَ ؟ » قلت : نعم ، قال : « بَكَرًا أَمْ ثَيِّبًا ؟ » قلت : بَلْ ثَيِّبًا قَالَ : « أَفَلَا
جَارِيَةٌ تَلَاعِبُهَا وَتَلَاعِبُكَ » قلت : إِنَّ لِي أَخَوَاتٍ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً تَجْمَعُهُنَّ
وَتَمْسُطُهُنَّ وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ ، قَالَ : « أَمَّا إِنَّكَ قَادِمٌ فَإِذَا قَدِمْتَ فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ » ثُمَّ
قَالَ : « أَتَبِيعُ جَمَلَكَ » قلت : نعم . فَاشْتَرَاهُ مِنِّي بِأُوقِيَّةٍ ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلِي
وَقَدِمْتُ بِالْغَدَاةِ فَحِجْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ فَوَجَدْتُهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ قَالَ : « آلَانَ قَدِمْتَ » .
قلت : نعم . قَالَ : « فَدَعْ جَمَلَكَ فَادْخُلْ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ » فَدَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ فَأَمَرَ
بِلَالًا أَنْ يَزِنَ لِي أُوقِيَّةً فَوَزَنَ لِي بِلَالٌ فَارْجَحَ فِي الْمِيزَانِ فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى وَلَّيْتُ فَقَالَ :
« ادْعُ لِي جَابِرًا » قلت : الْآنَ يَرُدُّ عَلَيَّ الْجَمَلَ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْهُ . قَالَ :
« خُذْ جَمَلَكَ وَلكَ ثَمَنُهُ » (1) .

إلى غير ذلك من مواقفهِ ﷺ الدالة على رفقه بهذه الفئة المستضعفة والتي تحث
المسلمين بالسير على منهجه ﷺ في كيفية الرفق بهم والإحسان إليهم .

نماذج من رفق الصحابة ﷺ بالفقراء والمساكين :

لقد فهم جيل الصحابة رضوان الله عليهم ومن تبعهم بإحسان هذه
التوجيهات النبوية الكريمة ، وما ترتب عليها من ثواب عظيم سواء في فريضة
الزكاة أو في الصدقات العامة فأثروهم على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، شهد
لهم بذلك الله ﷻ في قرآن يتلى إلى يوم الدين فقال : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ

(1) صحيح البخاري : كتاب البيوع . باب شراء الدواب والحمر وإذا اشترى دابة أو جملاً وهو

عليه هل يكون ذلك قبضاً قبل أن ينزل . رقم الحديث : 1991 / 2 . 739 .

قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ
وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١﴾ .

وسبب نزولها « أن رجلا أتى النبي ﷺ فاستضافه فبعث إلى نسائه « هل عندكن من شيء » فقلن ما معنا إلا الماء فقال رسول الله ﷺ : « من يضم أو يضيف هذا » فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله فانطلق به إلى امرأته فقال : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ . فقالت : ما عندنا إلا قوت الصبيان . فقال : جهزي طعامك وأصبحي سراجك ونومي صبيانك إذا أردوا عشاء فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته فجعلها يريانه أنهما يأكلان فباتا طاويين فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال « ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما » (2) فأنزل الله عز وجل الآية السابقة .

ولقد مرض عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فاشتهدى عنباً أول ما جاء العنب فأرسلت زوجته فاشتريت عنقوداً بدرهم فاتبع الرسول سائل فطلبه ، فقال ابن عمر : أعطوه إياه ، فأعطوه إياه ثم أرسلت بجرهم آخر فاشتريت عنقوداً فاتبع الرسول السائل نفسه فلما دخل به طلبه فقال ابن عمر : أعطوه إياه ، فأعطوه إياه ، فأرسلت صفيية إلى السائل فقالت : والله إن عدت لا تصيب منه خيراً أبداً ، ثم أرسلت بدرهم آخر فاشتريت به (3) .

(١) سورة الحشر : رقم الآية (٩) .

(٢) صحيح البخاري : باب قولِ الله ﷻ ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ . رقم

الحديث : 3587 / 3 . 1382 .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير . مرجع سابق : 4 / 455 .

كذلك كان جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : « كان أخير الناس للمسكين جعفر بن أبي طالب كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى إن كان ليخرج إلينا العكة ⁽¹⁾ التي ليس فيها شيء فنشقها فنلغق ما فيها » ⁽²⁾ .

أما طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقد باع أرضاً له من عثمان بن عفان رضي الله عنه بسبعائة ألف فحملها إليه فلما جاء بها قال : إن رجلاً تبيت هذه عنده في بيته لا يدري ما يطرقه من أمر الله العزيز فبات بها في سكك المدينة حتى أسحر وما عنده منها درهم ، ودخلت زوجته سعدى بنت عوف المرية عليه في يوم ما وقالت له : مالي أراك أرابك شيء من أهلك فنعتب ؟ قال : نعم حليلة المرء أنت ولكن عندي مال قد أهمني . قالت : اقسمه فدعا جاريته فقال : ادخلي على قومي فأخذ يقسمه ، فسألتهما كم كان المال فقالت أربعائة ألف ⁽³⁾ .

فيتأكد لنا مما سبق من مواقف رفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ورحمته في التعامل مع هاتين الفئتين المستضعفتين وكذلك رفق الصحابة رضي الله عنهم من بعده ، والعناية المشددة التي أولاهها الإسلام للفقراء والمساكين ترغيباً في الإحسان إليهم والرفق بهم ، وتحذيراً من ظلمهم وإهمال حقوقهم المفروضة لهم من زكاة وكفارات تدفع لهم تحقيقاً للعدالة والتوازن في المجتمع الإسلامي الحنيف .

(١) العكة : آنية السمن وهي أصغر من القر (ينظر: تاج العروس ، مادة عكك) : (27 / 278) .

(٢) جزء من حديث في صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة . باب مناقب جعفر بن أبي طالب الهاشمي رضي الله عنه . رقم الحديث : 3505 / 3 . 1359 .

(٣) انظر : الطبقات الكبرى . أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري . دار صادر - بيروت .



المبحث السابع

رفق الراعي بالرعية

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : رفق الحاكم برعيته .

المطلب الثاني : رفق الوالدين بأولادهم .

المطلب الثالث : رفق المعلم بتلامذته .

المطلب الرابع : الرفق بالخدم .



المطلب الأول

رفق الحاكم برعيته

تعريف الحاكم لغة :

« الحكم بالضم القضاء ، وقد حكم عليه بالأمر حكماً وحكومة ، وبينهم كذلك والحاكم منفذ الحكم كالحكم محرّكة وجمعه حكام ، وحاكمه إلى الحاكم دعاه وخاصمه وحكمه في الأمر تحكياً »⁽¹⁾ .

تعريف الحاكم اصطلاحاً : « من ولي الخلافة بإجماع الناس عليه ، ورضاهم به »⁽²⁾ .

لا يستقيم أمر الدين والدنيا إلا بوجود سلطان يأخذ بزمام أمرهما فيطبق ما شرعه الله ويصلح أحوال المسلمين ف « الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في أمر الدين وسياسة الدنيا وعقدتها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع »⁽³⁾ .
وذلك لأن « الدين إذا لم يحرسه السلطان ويعضده الأئمة لم يؤمن على أحكامه التحريف والتبديل وخيف على شرائعه التغيير والتحويل »⁽⁴⁾ .

(1) القاموس المحيط ، مادة (حكم) : 1 / 1415 .

(2) معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة . عبد السلام برجس عبد الكريم . مكتبة الرشد / الرياض . ط 7 / 1427 هـ - 2006 م : ص / 19 .

(3) الأحكام السلطانية والولايات الدينية . مرجع سابق : 1 / 5 .

(4) الشهب اللامعة في السياسة النافعة . المالقي . مرجع سابق : ص / 57 .

وقد كان الالتفاف حول خليفة أحد مظاهر رفق الله ﷺ ورحمته ، يقول ابن

المبارك :

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا منه بعروته الوثقى لمن دانا
 كم يدفع الله بالسلطان مظلمة في ديننا رحمة منه ودينانا
 لولا الخليفة لم تأمن لنا سبل وكان أضعفنا نهياً لأقوانا⁽¹⁾

ومع هذا فإن الإمامة مسؤولية عظيمة وأمانة ثقيلة لا تصلح لكل أحد ، فلها ضوابط وللحاكم صفات لزم عليه الامتثال بها ، فعن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من رجلٍ يلي أمرَ عشرةٍ فما فوقَ ذلك إلا أتى الله عز وجل مغلولاً ⁽²⁾ يوم القيامة يده إلى عنقه فكهُ برُّه أو أوبقهُ ⁽³⁾ إنمهُ أو لها ملامة ⁽⁴⁾ وأوسطها ندامة وأخرها خزي يوم القيامة ⁽⁵⁾ » .

ومن أهم الصفات التي يجب للحاكم الاتصاف بها صفة الرفق ⁽⁶⁾ ، وقد سأل سأل يوماً أنوشروان ابن زجمهر : « من يصلح من ولدي للملك فأظهر ترشيحه

(1) بدائع السلك . ابن الأزرق . تحقيق : علي سامي النشار . وزارة الإعلام - العراق . ط 1 :

. 108 / 1

(2) أي مقيداً (لسان العرب ، مادة (سجر) : 4 / 347) .

(3) أي حبسه ، ومنه قول الله عز وجل : ﴿ أَوْ يُؤَيِّقَهُنَّ بِمَا كَسَبْنَ وَأُوبِقَهُنَّ ﴾ سورة الشورى : رقم الآية (34) .

(4) أي مستحق للوم (لسان العرب ، مادة (لوم) : 12 / 557)

(5) مسند أحمد بن حنبل . رقم الحديث : 22354 . 5 / 567 .

(6) الشهب اللامعة في السياسة النافعة . المالقي . مرجع سابق : ص / 432 .

والإيحاء إليه ؟ ، فقال : لا أعرف ولدك ولكني أصف لك من يصلح للملك ،
أسماهم للمعالي ، وأطلبهم للأدب ، وأجزعهم من العامة ، وأرأفهم بالرعية ، وأوصلهم
للرحم ، وأبعدهم من الظلم ، فمن كانت هذه صفته فهو حقيق بالملك

فقد كان الإمام الرحيم الرفيق محل رضا النبي ﷺ ودعوته له ، يقول المصطفى
ﷺ : « اللهم من ولي من أمر أممي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولي من أمر
أممي شيئا فرفق بهم فارفق به » (1) .

و قرر النبي ﷺ في الحديث قاعدة هامة وهي أن حصول الحاكم على الخير
والفلاح في الدارين يكون مساوياً لمقدار ما يبذله في هذه الحياة من رفق ولين
ف « الواجب على العاقل لزوم الرفق في الأمور كلها وترك العجلة والخفة فيها إذ
أن الله تعالى يحب الرفق في الأمور كلها ومن منع الرفق منع الخير كما أن من أعطى
الرفق أعطى الخير ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على
حسب الذي يجب إلا بمقاولة للرفق ومفارقة العجلة (2) .

وحول هذه القاعدة يقول أحد ملوك العجم « قلوب الرعية خزائن ملوكها ،
فما أودعوها فليعلموا أنه فيها » (3) .

فإن الحاكم الأريب من قاد رعيته إلى الطاعة بالرفق لا بالسوط وإلا لتفرق
الناس من حوله وانفضوا ، يقول الله ﷻ في محكم تنزيله : ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ

(1) صحيح مسلم : كتاب الإمارة . باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق
بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم . رقم الحديث : 1828 . 3 / 1458 .

(2) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء . البستي . مرجع سابق : 1 / 219 .

(3) الشهب اللامعة . مرجع سابق : ص / 262 .

لَئِن لَّهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١﴾ .

ففي هذه الآية خاطب الله ﷺ نبيه الكريم ﷺ مبيناً له أن الفضل في التفاف
الناس من حوله هو برحمة الله ﷺ ثم لما وهبه الله إياه من أرق الخصال ، وسمح
الأفعال ، ولولا ذلك لما تمكن من استقطاب المسلمين من حوله .

فمن المؤكد أن الحاكم يبلغ بالرفق والرحمة ما لا يبلغه بالخرق والغلظ الرعية
تعامل بالرفق فتزول أحقادها وتعامل بالخرق فتكاشف بما أضمرت وتقدم على ما نهيت ثم
إن غلبت كان غلبها دماراً وإن غلبت يحصل بغلبها افتخار^(٢) .

ولقد وجه الله ﷺ - في الآية السابقة - إلى وجوب الرفق بالرعية في حالتي
القول والفعل ، ففي حالة القول بأمره ﷺ : ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أي تودد إليهم
بالدعاء لهم .

ثم أمر قال ﷺ : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ فبالمشاورة يتم اللين و الرفق الفعلي
في حركة التغيير والإصلاح حيث يؤدي إلى النهوض بالأمة الإسلامية وتطبيق
مبدأ المشورة كما أراد له الشارع ﷺ أن يكون .

وتعد هذه الآية دستوراً لمنهج الحكم عموماً فقد نزلت الآية بعد تلك الآيات

(١) سورة آل عمران : رقم الآية (159) .

(٢) المنهج السلوك في سياسة الملوك . عبد الرحمن بن نصر الشيزري . تحقيق : محمد أحمد دمج . دار

المنال - بيروت . بدون طبعة . ص / 111 .

التي تحدث فيها الله ﷻ عن عصيان الرماة لأمر قائدهم ﷺ في معركة يوم أحد (1) فتسببوا في هزيمة المسلمين وكسر رباعية الرسول ﷺ وإثخانه بالجراح ولا تغني صفة العدل في الحاكم عن الرفق بل يجب أن يتصاحبا حتى تستطيع الرعية أن تتقبل الحكم برحابة صدر وسعة نفس فيعم العدل ويتجلى الحق ، وفي ذلك يقول الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ﷺ : « والله لأريدن أن أخرج لهم المرة من الحق فأخاف أن ينفروا عنها فأصبر حتى تجيء الحلوة من الدنيا فأخرجها معها فإذا نفروا لهذه سكنوا لهذه وهكذا كان النبي ﷺ إذا أتاه طالب حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول » (2) .

« ولقد شكت الرعية أحد العمال فرضي العامل بحكم « سهل بن عاصم » فيه ، فسأله الأمير عنه فقال : ما عاملك ما يُشتكى إلا أن الله ﷻ أمر بأمرين ،

(1) والآيات التي سبقتها هي : ﴿ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتْبِكُمْ غَمًّا بَعْمًا لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٥٣) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ سورة آل عمران : رقم الآية (153 - 155) .

(2) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية . أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني . دار

امثل فينا أحدهما وترك الآخر قال الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾⁽¹⁾ فعدل فينا ولم يحسن إلينا وفي العدل بغير الإحسان عطب الرعية ، فقال له : صدقت ، وقد وليتك مكانه »⁽²⁾ .

ولقد سجل لنا التاريخ مواقف منيرة وقصص عظيمة لرسولنا الكريم ﷺ في رفقه بالمسلمين ﷺ⁽³⁾ .

و فهم أهمية ذلك من جاء من بعد الرسول ﷺ من الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ، فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينادي في أول خطبة له : « أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن رأيتُموني على حق فأعينوني وإن رأيتُموني على باطل فسدّدوني أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم ، ألا إن أقوامك عندي الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم »⁽⁴⁾ ثم ترجم رفقه في قوله بمواقف عملية عديدة فنراه يجلب للحبي قبل الخلافة فلما بويع قالت جارية من الحبي الآن لا يجلب لنا منائح⁽⁵⁾ دارنا فسمعها فقال لأحلبنها لكم وأرجو أن لا يغيرني ما

(1) سورة النحل : رقم الآية (90) .

(2) انظر : الشهب اللامعة . مرجع سابق : ص / 313 .

(3) وسنذكر تلك المواقف بالتفصيل في المبحث الخامس من الفصل الثاني (بإذن الله تعالى) .

(4) جمهرة خطب العرب . أحمد زكي صفوت . المكتبة العلمية - بيروت . 1 / 180 . العقد الفريد . مرجع سابق : 4 / 56 .

(5) منائح والمنيحة والمنحة عند العرب على وجهين : أحدهما العطية كالهبة والصلة والأخرى تختص بذوات الألبان وبأرض الزراعة بمنحة الناقة أو الشاة والبقرة ينتفع بلبنها ووبرها وصوفها مدة ثم يصرفها إليه أو يعطيه أرضه يزرعها لنفسه ثم يصرفها عليه . وهي المنيحة أيضا فعيلة بمعنى مفعولة وأصلها كل عطية للمنافع (مشارق الأنوار . مرجع السابق : مادة (منح) : 1 / 384) .

دخلت فيه عن خلق كنت فيه فكان يجلب لهم ﷺ (1) .

وأرسل ﷺ إلى قائد حين بعثه لقتال المرتدين كتاباً يأمره بالرفق
بمن معه في الجيش ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم ولا يعجل
بعضهم عن بعض ويستوصي بالمسلمين خيراً في حسن الصحبة
ولين الفعل (2) .

ويأتي عمر بن الخطاب ﷺ من بعده فيسجل تلك المواقف المباركة في رفقته
برعيته فقد قال معاوية ﷺ لصعصعة بن صوحان : « صف لي عمر بن
الخطاب ؟ فقال : كان عالماً برعيته ، عادلاً في قضيته ، عارياً عن الكبر ، قبولاً
للعذر ، سهل الحجاب ، مصون الباب ، متحريراً للصواب ، رفيقاً بالضعيف ، غير
محارب للقوي ، ولا جاف للغريب » (3) .

-
- (1) الرياض النضرة في مناقب العشرة . أبو جعفر أحمد بن عبد الله الطبري .
تحقيق : عيسى عبد الله محمد مانع الحميري . دار الغرب الإسلامي - بيروت .
ط 1 / 1996 م . 2 / 148 . صفة الصفوة . أبو الفرج عبد الرحمن بن علي . تحقيق : محمود
فاخوري - محمد رواس قلعه جي . دار المعرفة - بيروت . ط 2 / 1399 هـ - 1979 م :
1 / 258 .
- (2) انظر : مآثر الإنافة في معالم الخلافة . أحمد بن عبد الله القلقشندي . تحقيق :
عبد الستار أحمد فراج . مطبعة حكومة الكويت - الكويت . ط 2 / 1985 م :
3 / 139 - 140 .
- (3) الشهب اللامعة . مرجع سابق : ص / 427 .

وهو رضي الله عنه المشهور بتلك المقولة : « لو مات شاه على شط الفرات ضائعة
لظننت أن الله تعالى سائلي عنها يوم القيامة » (1) .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه :
« خَرَجْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ حَائِطًا فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ وَبَيْنَهُ جِدَارٌ
وَهُوَ فِي جَوْفِ الْحَائِطِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَخٍ (2) وَاللَّهُ لَتَتَّقِيَنَّ اللَّهُ أَوْ
لَيُعَذِّبَنَّكَ » (3) .

فكان دائماً ما يعاتب نفسه في شأن أمته رافة بهم وشفقة على نفسه من سؤال
الله تعالى يوم القيامة عنهم .

وفي عام الرمادة كان يشرف على إيصال الطعام إلى كل بيت من بيوت المدينة
ولا يأكل إلا الخبز والزيت حتى أسود وجهه رضي الله عنه وكأن يقول : « بئس الوالي إن
شبعت والناس جياع » (4) .

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : 1 / 53 . الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار . أبو
عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي . تحقيق : سالم محمد عطا - محمد علي معوض . دار
الكتب العلمية - بيروت . 2000 م . ط 1 .

(2) بخ : بسكون الخاء أو كسرهما مع التنوين وبتشديدها مع التنوين أو عدمه وهي كلمة معناها
التعجب وقد تستعمل للإنكار .

(3) الزهد . أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني . تحقيق : عبد العلي عبد الحميد حامد .
دار الريان للتراث - القاهرة - 1408 هـ . ط 2 . 1 / 115 .

(4) البداية والنهاية . أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي . مكتبة المعارف - بيروت .

ولقد كانت هذه نماذج مشرقة لبعض خلفاء رسول الله ﷺ الذين تتلمذوا على يديه الشريفتين مسطرين أسمى آيات الشفقة والإحسان على ما استرعاهم إياه الله ﷻ من رعية .

كما يحكي لنا التاريخ أيضاً نماذج من رفق من جاؤوا من بعدهم من الخلفاء ، ومن ذلك ما جاء في رفق عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - وتأنيه في حكمه ، أوردها صاحب الشهب اللامعة في الحوار الذي دار بين عبد الملك وأبوه عمر بن عبد العزيز عندما قال له يوماً : « يا أبت مالك لا تنفذ الأمور فوالله ما أبالي في الحق شيئاً لو غلت بي وبك القدر . فقال عمر : لا تعجل يا بني ، فإن الله ﷻ ذم الخمر مرتين ، وحرمها في الثالثة ، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة واحدة ، فيدفعونه ، وتكون فتنة » (1) .

ولا يفهم من ذلك أنه يجب على الحاكم التزام الرفق في كل الأمور بل يجب عليه أن يضع الرفق في المواقف التي تقتضيه ، ويستخدم الشدة في المواضع التي يستلزم فيها ذلك .

جاء في المنهج السلوك : « واعلم أنه لا ينبغي للملك أن يستعمل الرفق واللين في جميع المواطن ، بل يجعل الرعية ثلاث طبقات ويسوسهم بثلاث سياسات طبقة هم الخواص من الأبرار في سوسه بالرفق واللين وطبقة هم خواص الأشرار فيسوسهم بالعنف والشدة وطبقة هم العامة فيسوسهم باللين تارة وبالشدة تارة أخرى » (2) .

(1) الشهب اللامعة . مرجع سابق : ص / 317 .

(2) المنهج السلوك . الشيزري . مرجع سابق : ص / 115 .

وقد كانت خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوضح دليل وخير شاهد على ذلك فعندما خاف الناس منه عند توليه الخلافة لما عرفوه من شدته ، قام فيهم خطيباً فقال : « أيها الناس إني قد علمت أنكم كنتم تؤنسون مني شدة وغلظة وذلك أني كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنيت عبده وخادمه وجلوازه ⁽¹⁾ ، وكان كما قال الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ⁽²⁾ وكنيت بين يديه كالسيف المسلول إلا أن يبعدي أو ينهاني عن أمر فأكف عنه وإلا أقدمت على الناس لمكان أمره ، فلم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفاه الله وهو عني راض والحمد لله على ذلك كثيراً ، وأنا به أسعد ثم قمت ذلك المقام مع أبي بكر الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من قد علمتم في كرمه ورغبة في لينه فكنيت خادمه وجلوازه وكنيت كالسيف المسلول بين يديه على الناس أخلط شدتي بليته إلا أن يقدم إلي فأكف وما أقدمت ، فلم أزل على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راض والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به أسعد ثم صار أمركم اليوم إلي وأنا أعلم أنه يقول قائل كان متشدداً علينا والأمر إلى غيره فكيف به لما صار الأمر إليه فاعلموا أنكم لا تستنبئون عني أحداً قد عرفتموني وخبرتموني وقد عرفت بحمد الله من محمد نبيكم صلى الله عليه وسلم ما قد عرفت وما أصبحت نادماً على شيء كنت أحب أن أسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وقد سألته واعلموا أن شدتي التي كنتم ترونها ازدادت أضعفاً إذ كان الأمر إلي على الظالم والمعتدي والأخذ للمسلمين لضعيفهم من قويمهم وإن بعد شدتي تلك واضع خدي إلى الأرض لأهل العفاف

(١) أي عَصَبِهِ (أساس البلاغة : 1 / 97) .

(٢) سورة التوبة : رقم الآية (128) .

وأهل الكفاف إن كان بيني وبين نفر منكم شيء في أحكامكم أن أمشي معه إلى من أحب منكم فينظر فيما بيني وبينه فاتقوا الله عباد الله وأعينوني على أنفسكم بكفها عني وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة فيما ولاني الله من أمركم» (1).

فبين ﷺ أن الرفق لا بد وأن يعتريه شدة حتى تستتب الأمور ، قال سعيد بن المسيب معقباً على هذه الخطبة فوالله لقد وفي بما قال وزاد في موضع الشدة على أهل الريب والظم والرفق بأهل الحق (2) ، وكان أبا للعيال حتى أنه يمشي إلى المغيبات (3) ويقول: ألكن حاجة حتى أشتريها فإني أكره أن تخدعن في البيع والشراء فيرسلن معه بجواريهن ومن كان ليس لها شيء اشترى لها من عنده (4).

ويقول معاوية ﷺ مقولته المعروفة « لا أضع سيفي حيث يلفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولأن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت قيل : وكيف ذلك ؟ قال: كنت إذا مدوها خليتها وإذا خلوها مدتها» (5).

(1) تاريخ مدينة دمشق . مرجع سابق : 44 / 264 - 266

(2) المصدر السابق : نفس الجزء والصفحة .

(3) المغيبات : هن النساء اللاتي خرج أزواجهن إلى الغزو (الفائق في غريب الحديث . محمود بن عمر الزمخشري . تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعرفة - لبنان . ط2 . حرف الفاء : 3 / 107)

(4) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي . عبد الملك بن حسين الشافعي العاصمي المكي . تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض . دار الكتب العلمية - بيروت . 1419 هـ - 1998 م . 2 / 469 .

(5) الشهب اللامعة . مرجع سابق : ص / 317 .

ولكن لا يمنع أن الرفق هو الأصل وهو خير صفة لتأليف قلوب الرعية ،
فالكلمة الطيبة تذلل كل أمر ، وتسهل كل صعب ، ولذلك كتب ارسطاطاليس
إلى الاسكندر حين ظفر بما ظفر به وافتتح عامة البلاد : « املك الرعية بالإحسان
إليها ، تظفر بالمحبة منها فإن طلبك ذلك بالإحسان إليها أدوم بقاء منه باعتسافك
عليها ، واعلم أنك لا تملك الأبدان فتحطها إلى القلوب ، إلا بالمعروف ، واعلم أن
الرعية إذا قدرت أن تقول قدرت أن تفعل ، فاجهد أن لا تقول تسلم من
أن تفعل » (1) .

المطلب الثاني

رفق الوالدين بأولادهم (1)

اعتنى الإسلام بشأن الأولاد في مواضع ومواقف كثيرة من الكتاب والسنة والسيرة النبوية المطهرة حيث قال ﷺ: ﴿أَمَالُ وَالْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَقِيَّةُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ (2).

وهم نعمة عظيمة منه ﷻ حيث يقول معدداً نعمه على بني إسرائيل ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ (3).

والولد الصالح قرّة عين لأبيه حيث يقول الله ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (4).

كما أن الله ﷻ قد وصى بهم في كتابه العزيز بقوله: ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾ (5).

وقد امتد هذا الاهتمام ليشمل الرفق بهم لما بعد حياة الوالدين ، فعن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : مَرَضْتُ بِمَكَّةَ مَرَضًا فَأَشْفَيْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَوْتِ

(1) الولد في الإسلام يشمل الذكر والأنثى (انظر : تبين الحقائق شرح كنز الدقائق . فخر الدين

عثمان الزيلعي الحنفي . دار الكتب الإسلامي - القاهرة . 1313 هـ : 6 / 237) .

(2) سورة الكهف : رقم الآية (46) .

(3) سورة الإسراء : رقم الآية (6) .

(4) سورة الفرقان : رقم الآية (74) .

(5) سورة النساء : رقم الآية (11) .

فَاتَانِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي مَالًا كَثِيرًا وَلَيْسَ يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَتِي
 أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلثِي مَالِي؟ قَالَ : « لا » قُلْتُ : فَالْشُّطْرُ؟ قَالَ : « لا » قُلْتُ : الثُّلُثُ؟
 قَالَ : « الثُّلُثُ كَبِيرٌ إِنَّكَ إِنْ تَرَكْتَ وَلَدَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُتَوَكَّهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ
 النَّاسَ وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى اللَّقْمَةَ تَرْفَعُهَا إِلَى فِي
 أَمْرَاتِكَ » (1) .

وعند استعراض النصوص الأمرة برفق الأولاد بالآباء نراها كثيرة مقارنة
 بالنصوص التي حثت برفق الوالدين بأولادهم وذلك لما في الأبوين من حنان
 فطري ورحمة غريزية ومن شد عن ذلك منهم فهذا دليل على انتكاس فطرته وذميم
 طبعه « ثم إن أي كائن حي آخر من حيوان أو طير لا يخلو من مشاعر الرحمة
 لصغيره فضلاً أن يكنه الإنسان لولده » (2) . دليل ذلك أن أبا هريرة قال سمعت
 رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول : « جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ
 وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ تَتَرَاخَمُ الْخَلَائِقُ حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ
 حَافِرَهَا عَن وَلَدِهَا خَشِيَةً أَنْ تُصِيبَهُ » (3) .

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري : كِتَابُ الْفَرَائِضِ . بَابُ مِيرَاثِ الْوَالِدِ مِنْ أَبِيهِ وَأُمِّهِ . رَقْمُ
 الْحَدِيثِ : 6352 / 6 . 2476 . صحيح مسلم : كِتَابُ الْوَصِيَّةِ . بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالْثُلُثِ . رَقْمُ
 الْحَدِيثِ : 1628 / 3 . 1253 .

(٢) منهج القرآن الكريم في عرض الأخلاق الأسرية . علي عبد الله الشهري . رسالة مقدمة لنيل
 درجة الماجستير . جامعة أم القرى . كلية الشريعة والدراسات الإسلامية . فرع الكتاب والسنة .
 1406 هـ - 1986 م .

(٣) صحيح البخاري : كِتَابُ الْأَدَبِ . بَابُ جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ فِي مِائَةِ جُزْءٍ . رَقْمُ الْحَدِيثِ : 5654 .
 5 / 2236 . صحيح مسلم : كِتَابُ التَّوْبَةِ . بَابُ فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ .
 رَقْمُ الْحَدِيثِ : 2752 / 4 . 2108 .

وفي الحديث بشارة عظيمة فنحن نرى عظيم رافة الآباء بأبنائهم وحبهم لهم وقد وسعت الرحمة هذه وغيرها جميع البشر فكيف بتسع وتسعين رحمة ادخرها لدار الجزاء والدوام .

وتكمن أهمية المطلب في عظم مرحلة الطفولة في بناء شخصية الفرد وتشكيل أسلوبه وتأطير شخصيته ولقد « أكدت الدراسات على أن كثيراً من الانحرافات التي تظهر في الكبر ترجع إلى ما تعرض له الفرد في مواقف الحياة أثناء فترة الطفولة »⁽¹⁾ .

وذلك لأن الأولاد - في سن صغيرة - يملكون قلوباً كالصفحة البيضاء ينقش عليها الوالدان ما يريدان ويتطبعون بما يطبعها عليه « فإن عوداً على الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبوهم ووالدهم وأهمل شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالد⁽²⁾ له

مظاهر الرفق بالأولاد والعناية بهم :

ويبدأ رفق الوالدين بأولادهم وإحسانهم إليهم من قبل أن يُخْلَقُوا وعند اختيارهم لبعضهم « فيضمن بذلك سلامة البناء بسلامة أسانته⁽³⁾ .

(1) تربية الطفل في ضوء الكتاب والسنة . أسماء عبد الله السلطان . رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير . كلية التربية للبنات بالرياض . قسم التربية الإسلامية . 1409 هـ - 1989 م . ص / 51 .

(2) إحياء علوم الدين . مرجع سابق : 3 / 72 .

(3) تربية الأطفال في رحاب الإسلام في البيت والروضة . محمد حامد الناصر - خولة عبد القادر درويش . مكتبة السوادى للتوزيع - جدة . ط 1 - 1411 هـ / 1991 م : ص / 47 .

وذلك لأن الأساس الذي يُبنى عليه الفرد ويتقوى به هو تقوى الله ﷻ ، ولا تأت إلا بأب وأم يملكونها فيستطيعون غرسها في أولادهم ، ولذلك حذر الرسول ﷺ الرجل من أن يكون المال والجمال هو المقياس الوحيد في اختيار المرأة لأنها أمور زائلة قد تصبح وبالأعلى على الإنسان لا سعادة له فعن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ (1) ولا تزوجوهنَّ لِأَمْوَالِهِنَّ فعسى أَمْوَالُهُنَّ أَنْ تُطْغِيَهُنَّ وَلَكِنْ تَزَوَّجُوهُنَّ عَلَى الدِّينِ وَالْأَمَّةِ حَرَمَاءُ (2) سَوْدَاءُ ذَاتُ دِينٍ أَفْضَلُ » (3) .

وفي المقابل وضح النبي ﷺ أن اختيار الزوج الصالح يهيئ للطفل بيئة صالحة وحصناً آمناً - بإذنه تعالى - وقد حذر من تركه لقول ه ﷺ : « إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مِنْ تَرَضُّونَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَرُوجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ » (4) .

وبذلك يضمن المجتمع الإسلامي للطفل الرعاية والحنان والمودة في ظل أم صالحة تقيه لا تفرط بواجب الأمومة المستنيرة بهدي الله ، وأب صالح موقن تمام اليقين أنه سوف يُسأل عما استرعاه الله ﷻ من رعيه فلا يسعه إلا القيام بواجب

(1) أي يهلكهن من الردى وهو الهلاك (تاج العروس : 38 / 143) .

(2) الأخرم : الذي قطعت وترة أنفه أو طرف أنفه قطعاً لا يبلغ الجذع (مختار الصحاح :

1 / 73) .

(3) صحيح ابن ماجه كتاب النكاح باب تزويج ذات الدين رقم الحديث 1859 / 1 . 597 .

(4) سنن الترمذي . كتاب النكاح . باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فرؤوه . رقم الحديث :

1084 / 3 . 394 . سنن ابن ماجه : كتاب النكاح . باب الأكماء . رقم الحديث : 1967 .

1 / 632 .

الأبوة وقوامة الأسرة خير قيام⁽¹⁾ .

كما أن مظاهر الرفق بالأولاد قبل ولادتهم بالالتزام بالتوجيه النبوي الكريم في أدب الجماع من الذكر والدعاء قبله حتى يجنب ذريته الشيطان وشره ففي الصحيحين عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال النبي ﷺ : « أَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ حِينَ يَأْتِي أَهْلَهُ بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبِي الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا ثُمَّ قُدِّرَ بَيْنَهُمَا فِي ذَلِكَ أَوْ قُضِيَ وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا »⁽²⁾ .

ومن مظاهر الرفق بالأولاد أيضاً الدعاء لهم فعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ الْوَالِدِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ »⁽³⁾ .

لذلك وجب على الوالدين أن يحذروا من الدعاء على أولادهم على أي أمر فدعوتهم مستجابة كما في قصة العابد جريج⁽⁴⁾ .

(1) انظر : تربية الأطفال في رحاب الإسلام في البيت والروضة . مرجع سابق : ص / 48 .

(2) صحيح البخاري : كتاب النكاح . باب ما يقول الرجل إذا أتى أهله . رقم الحديث : 4870 .

5 / 1982 . صحيح مسلم : : كتاب النكاح . باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع . رقم

الحديث : 1434 . 2 / 1058 .

(3) سنن أبي داود : كتاب الصلاة . باب الدعاء بظهر الغيب . رقم الحديث : 1536 . 2 / 89 .

سنن ابن ماجه : كتاب الدعاء . دعوة الوالد ودعوة المظلوم . رقم الحديث : 3862 .

2 / 1270 . سنن الترمذي : كتاب البر والصلة . باب ما جاء في بر الحالة . رقم الحديث :

1905 . 4 / 314 .

(4) نقدم ذكر القصة في الصفحة (306) .

وقد كان الدعاء للذرية من هدي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، كما جاء في قوله ﷺ على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ (1) .

ودعائه لهم ﷺ رافة وشفقة على حالهم عندما تركهم بأمر الله ﷻ في مكة وهي صحراء قاحلة ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْعِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (2) .

وقد كان من صفات عباد الرحمن الصالحين المتقين - الذين أضافهم الله لنفسه تشریفاً لهم وتكريماً - دعاءهم لذريتهم لقوله ﷻ : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (3) .

ودائماً ما كان النبي ﷺ وهو الأب الرحيم يتودد إلى أولاده وأولاد المسلمين بالدعاء فعن أسامة بن زيد رضي الله عنها حدث عن النبي ﷺ أنه كان يأخذهُ وَالْحَسَنَ فيقول : « اللَّهُمَّ أَحِبَّهُمَا فَإِنِّي أَحِبُّهُمَا » (4) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كُنْتُ فِي بَيْتٍ مَيْمُونَةٍ بِنْتِ الْحَارِثِ

(١) سورة إبراهيم : رقم الآية (40) .

(٢) سورة إبراهيم : رقم الآية (37) .

(٣) سورة الفرقان : رقم الآية (74) .

(٤) صحيح البخاري . كتاب فضائل الصحابة . باب ذكر أسامة بن زيد ﷺ . رقم الحديث :

فَوَضَعْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَهُورًا فَقَالَ : « مَنْ وَضَعَ هَذَا ؟ » قَالَتْ مَيْمُونَةُ :
عَبْدُ اللَّهِ . فَقَالَ ﷺ : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّوْبِيلَ » (1) ويمر ﷺ على عبد
الله بن جعفر وهو يلعب بشيء يبيعه وهو غلام فقال : « اللهم بارك لعبد الله في
تجارته » (2) .

كما أن التبسم في وجوههم وإظهار البشر برؤيتهم والتودد لهم والرفق بهم
بالكلمة الطيبة أوقع في النفس ، وأبلغ في التأثير وأرجى للصالح بإذن الله ، فعن أبي ذر قال
: قال رسول الله ﷺ : « تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَحِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ » (3) .

فإن كان التبسم في وجه الأخ صدقة فمن باب أولى رفق الولدين وتبسمهما
لأبنائهما .

كما يقول رونه أوبير في أهمية البشاشة وأثرها في نفس الطفل : « إذا كانت
التربية مهمة على هذا القدر من الجمال والحياة فأنى لها أن تقوم وسط الأذى ، وإذا
كان - الوالد - متعلقاً برسالته مؤمناً بالقيم الروحية ، محباً للأطفال فبهيات أن
يمضي إليهم عابس الوجه متكلف المحيا ، إن الذين يجنحون إلى مثل هذا السلوك ،
هم أولئك الذين يجعلون السلطة التربوية انتقاماً من الحياة ... إنهم ضعفاء يعذبون

(١) صحيح ابن حبان : ذكر وصف الفقه والحكمة اللذين دعا المصطفى ﷺ لابن عباس بهما رقم

الحديث : 7055 . 15 / 531

(٢) الآحاد والمثاني . أبو بكر أحمد بن عمرو الشيباني . تحقيق : باسم فيصل أحمد الجوابرة . دار الراجعية
- الرياض . ط 1 / 1411 هـ - 1991 م : رقم الحديث : 714 . ص 2 / 37 .

(٣) سنن الترمذي : كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ . باب ما جاء في صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ . رقم الحديث : 1956 .

من هم أضعف منهم» (1).

ومن صور الرفق بهم أيضاً التعمق في فهم نفسياتهم وتحفيزهم حتى يشعرون بأهميتهم كما فعل الرسول ﷺ مع أسامة بن زيد حين سلمه قيادة الجيش وفيه أكابر الصحابة ولم يكن قد تجاوز ثمان عشرة سنة (2).

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحضرون أبناءهم إلى مجلس الرسول ﷺ كما كان يفعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ففي صحيح البخاري ومسلم أن عبد الله بن عمر قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «أخبروني بشجرة تُشبهه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقتها وتؤتي أكلها كل حين» قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله ﷺ: «هي النخلة» فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة. فقال: ما منعك أن تكلم. قال: لم أركم تكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئاً قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا (3).

وكان رسول الله ﷺ يرسل أنس رضي الله عنه لقضاء حاجاته ويأتمنه على ذلك وهو غلام صغير «وهذا عامل مه م في نشوء الطفل اجتماعياً إذ إن قضاء الحاجات للمنزل أو لأحد

(1) التربية العامة. رونه أوبر. ترجمة: عبد الله عبد الدائم. دار العلم للملايين / بيروت / لبنان. بدون طبعة. 1982 م.

(2) انظر: سير أعلام النبلاء. مرجع سابق: 2 / 497 - 500.

(3) صحيح البخاري. كتاب التفسير. باب قوله: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (٢٤)

تؤتي أكلها ﴿. رقم الحديث: 4421 / 4 / 1735. صحيح مسلم. كتاب صفة القيامة والجنة والنار. باب مثل المؤمن مثل النخلة. رقم الحديث: 2811 / 4 / 2166.

الوالدين ذو أثر فعال وإيجابي في حياة الطفل ، فعال في طفولته ، إذ هو يتعرف على مجاهل الحياة ، فيشعر بفرح ونشوة المعرفة ، وثقة في مواجهة الأمور ، وفعال في مستقبله إذ يكون قد اكتسب مهارة وخبرة في طفولته التي تمكنه من متابعة حياته بخطة ثابتة مركزة بدون خلل أو اضطراب» (1) .

فمن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا حَتَّى إِذَا رَأَيْتُ أَنِي قَدْ فَرَعْتُ مِنْ خِدْمَتِي قُلْتُ : يَقِيلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجْتُ إِلَى صَبِيَّانٍ يَلْعَبُونَ فَحِجْتُ أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ قَالَ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَى الصَّبِيَّانِ وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَبَعَثَنِي إِلَى حَاجَةٍ لَهُ فَذَهَبْتُ فِيهَا وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي فِيءٍ حَتَّى أَتَيْتُهُ وَاحْتَبَسْتُ عَنْ أُمِّي عَنِ الْإِثْيَانِ الَّذِي كُنْتُ آتِيهَا فِيهِ فَلَمَّا أَتَيْتَهَا قَالَتْ : مَا حَبَسَكَ قُلْتُ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَاجَةٍ لَهُ قَالَتْ : وَمَا هِيَ ؟ قُلْتُ : هُوَ سِرٌّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ . قَالَتْ فَاحْفَظْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِرَّهُ . قَالَ ثَابِتٌ : قَالَ لِي أَنَسٌ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَوْ لَوْ كُنْتُ مُحَدِّثًا بِهِ لَحَدَّثْتُكَ بِهِ يَا ثَابِتُ (2) »

كما يعد الإنفاق على الأولاد ومكافأته من غير إفراط ولا تفريط من صور الرفق بهم فعن أبي مسعود البدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً » (3) .

(1) منهج التربية النبوية للطفل . محمد نور سويد . طبع على نفقة المؤلف . ط 2 . 1408 هـ -

1988 م . ص / 145 .

(2) مسند أحمد بن حنبل : رقم الحديث : 13045 . 3 / 195 .

(3) صحيح مسلم . كتاب الزكاة . باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوجة والأولاد

والوالدين ولو كانوا مشركين . رقم الحديث : 1002 . 2 / 695 .

وقوله ﷺ في صحيح مسلم : « أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارًا يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ » (1) .

بل إن من أولى وأشد مظاهر الرفق بهم في الإنفاق أن يكون من كسب حلال خالص من كل ما يشوبه لأن اللحم الذي ينبت من مال حرام تكون النار أولى به ، كما جاء عند الحاكم في مستدركه من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : « يا عبد الرحمن إن الله أبى أن يدخل الجنة لجمابت من سحت فالنار أولى به » (2) .

ويجب على الوالدين أن يتنباها إلى أمر مهم ألا وهو العدل بين الأولاد وعدم التفرقة بينهم ذكوراً كانوا أو إناثاً ، فعن حُصَيْنٍ عن عَامِرٍ قال : سمعت النُّعْمَانَ بن بَشِيرٍ - رضي الله عنهما - وهو على المنبر يقول : أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً فَقَالَتْ عَمْرَةٌ بِنْتُ رَوَاحَةَ : لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً فَأَمَرْتَنِي أَنْ أُشْهَدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : « أَعْطَيْتَ سَائِيَّ وَلَدَكَ مِثْلَ هَذَا » قَالَ : لَا . قَالَ : « فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ » قَالَ : فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ (3) .

وفي سيرة المصطفى ﷺ الكثير من المواقف الدالة على رفقته بالأولاد وإشعاره

(1) صحيح مسلم : كِتَابُ الزَّكَاةِ . بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الْعِيَالِ وَالْمَمْلُوكِ وَإِثْمٌ مِنْ ضَيَعِهِمْ أَوْ حَبْسِ نَفَقَتِهِمْ عَنْهُمْ . رقم الحديث : 2 . 994 / 691 .

(2) جزء من حديث في المستدرک على الصحيحين : كِتَابُ الْأَطْعَمَةِ . رقم الحديث : 7162 . 141 / 4 .

(3) صحيح البخاري : كِتَابُ الْهَبِيَّةِ وَفَضْلِهَا . بَابُ الْإِشْهَادِ فِي الْهَبِيَّةِ . رقم الحديث : 2447 . 914 / 2 .

لهم بالعطف والحنان وتقبيله لهم حيث يقول ﷺ طارداً من ترك الرفق بالصغير من خواص المسلمين وأهل سنته المتبعين لهديه : « من لم يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرَنَا فَلَيْسَ مِنَّا » (1) .

وقد أنكر الرسول ﷺ غلظة الأقرع بن حابس وقسوته على أولاده فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَبَلَ رسول الله ﷺ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بنَ حَابِسِ التَّمِيمِيِّ جَالِسًا فقال الأَقْرَعُ : إِنَّ لِي عَشْرَةَ من الولدِ ما قَبَلْتُ منهم أَحَدًا ، فنَظَرَ إليه رسول الله ﷺ ثم قال : « من لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمُ » (2) .

ويحمل قوله ﷺ على وجهين : إما على النهي أي لا ترحموا من لا يرحم الناس ، وإما على النفي وتقدير ذلك : من لا يكن من أهل الرحمة فإنه لن يُرحم (3) وكلا الوجهين وبال على من لم يرحم فسيخسر بذلك رحمة الله عز وجل .

ومن تلك الصور الرائعة لرفق النبي ﷺ بأولاده ما جاء في المعجم الكبير عن عبد الله بن شداد بن الهاد عن أبيه قال : خَرَجَ عَلَيْنَا رسول الله ﷺ في إِحْدَى صَلَاتِي النَّهَارِ الظُّهْرِ أَوْ العَصْرِ وهو حَامِلٌ الحَسَنَ أَوْ الحُسَيْنَ فَتَقَدَّمَ فَوَضَعَهُ عِنْدَ قَدَمِهِ اليُمْنَى فَسَجَدَ رسول الله ﷺ سَجْدَةً فَأَطَاها فَرَفَعَتْ رَأْسِي من بَيْنِ الناسِ فإذا رسول الله ﷺ ساجدٌ وإذا العُلامُ رَاكِبٌ ظَهْرَهُ فَعُدْتُ فَسَجَدْتُ فلما انصَرَفَ رسول الله ﷺ قال ناسٌ : يا رَسولَ الله ﷺ لقد سَجَدتَ في صَلَاتِكَ هذه سَجْدَةً ما

(1) سنن أبي داود : كِتَاب الدِّيَاتِ . باب في الرَّحْمَةِ . رقم الحديث : 4943 / 4 . 286 .

(2) صحيح البخاري : كِتَاب الأَدَبِ . باب رَحْمَةِ الوَلدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ . رقم الحديث : 5651 .

(3) انظر : فتح الباري . مرجع سابق : 429 / 10 .

كُنْتَ تَسْجُدُهَا ، أَشْيَاءَ أُمِرْتَ بِهِ أَوْ كَانَ يُوحَى إِلَيْكَ ؟ قَالَ : « كُلاًّ لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي أَرْتَحِلْنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعْجِلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ » (1) .

وقد كان ﷺ يُصَلِّي وهو حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتِ زَيْنَبَ ابْنَتِهِ وَزَوْجَةَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا (2) .

وتأتي وفاة إبراهيم ابن الرسول ﷺ مبينة مبلغ شفقتة فنراه يعاني من آلام فقده ، فتذرف دموعه ويحزن عليه حزناً شديداً ، فعن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال : دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفِ الْقَيْنِ وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ فَقَبَّلَهُ وَشَمَّهُ ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يُجُودُ بِنَفْسِهِ فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رضي الله عنه وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : « يَا بَنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحِمٌ ؕ » ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى فَقَالَ ﷺ : « إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ » (3) .

(1) المعجم الكبير : رقم الحديث : 710 / 7 . 270 . وبنحوه في صحيح ابن حبان : ذكر قول

المصطفى ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما أنه ريجانته من الدنيا . 6964 . 15 / 419 .

(2) صحيح البخاري : كتاب الصلاة . باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلوة . رقم الحديث : 193 / 1 . 494 .

(3) صحيح البخاري : كتاب الجنائز . باب قول النبي ﷺ (إنا بك لمحزونون) . رقم الحديث :

1241 / 1 . 349 . صحيح مسلم . كتاب الفضائل . باب رحمته ﷺ بالصبيان . رقم

الحديث : 2315 / 4 . 1807 .

الرفق بالبنات :

لقد خص الإسلام البنات بمزيد من الرعاية والحث على الرفق بهن ، وإن كان الحديث السابق يشمل الأولاد جميعاً « أبناء وبنات » فقد آثرت تخصيص الحديث عن الرفق بالبنات ، فبعد أن كانت الفتاة تتعرض للوآد في الجاهلية خشية العار والإملاق جاء الإسلام فرفع من شأنها وأجزل المثوبة للمحسن إليها الرفيق بها ، ودم من خجل من مجيئها حيث يقول ﷺ : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (1) .

بل إن الله ﷻ قد قدمهن في كتابه العزيز عن الذكور عند ذكره لأحوال الزوجين في الإنجاب في قوله ﷻ : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ۚ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ (2) .

يقول ابن القيم الجوزية رحمه الله : « قسم الله ﷻ حال الزوجين إلى أربعة أقسام اشتمل عليها الوجود وأخبر أن ما قدره بينهما من الولد فقد وهبها إياه .

وبدأ سبحانه وتعالى بذكر الإناث : فقيل جبراً لهن لأجل استئثار الوالدين لمكانهن ، وقيل إنما قدمهن لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء لا ما يشاء الأبوين ، فإن الأبوين لا يريدان إلا الذكور غالباً وهو سبحانه قد أخبر أنه يخلق ما يشاء ، وهناك وجه آخر وهو أنه سبحانه وتعالى قدم ما كانت تؤخر الجاهلية من أمر

(١) سورة النحل : رقم الآية (58) .

(٢) سورة الشورى : رقم الآية (49 - 50) .

البنات حتى كانوا يئدونهن» (1).

ولقد تواترت الأحاديث النبوية المباركة التي حثت على الإحسان إليهن والتلطف بهن فقد جعله ن الرسول ﷺ حجاباً لأبويها من النار فعن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته قالت جاءني امرأة معها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرٍ واحدة فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت فدخل النبي ﷺ فحدثته فقال: «من يلي من هذه البنات شيئاً فأحسن إليهن كُن له سترًا من النار».

وفي الحديث تأكيد صريح على حق البنات ووجوب تخصيصهن بالرعاية والمحبة لسبق عاطفتهن، ولما فيهن من الضعف غالباً (3).

قال رسول الله ﷺ في حديث آخر: «من كان له ثلاث بناتٍ فصبرَ على لأوائهنَّ (4) وضررائهنَّ وسررائهنَّ أدخله الله الجنة بفضلِ رحمتهِ إياهنَّ» فقال رجلٌ: أو ثنتان يا رسول الله؟ قال: «أو ثنتان» فقال رجلٌ: أو واحدة يا رسول الله؟ قال: «أو واحدة» (5).

وقد كان رسول الله ﷺ خير أسوه في رفق الآباء ببناتهن وحبهن لهن، فعن

(1) تحفة المودود في أحكام المولود . محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله . تحقيق : عبد القادر الأرئووط . مكتبة درا البيان - دمشق / سوريا . ط 1 / 1390 هـ - 1971 م . : ص / 20 .
(2) صحيح البخاري . كتاب الأدب . باب رَحْمَةِ الْوَالِدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ . رقم الحديث : 5649 .
2234 / 5 .

(3) فتح الباري : 10 / 429 .

(4) اللأواء : الشدة وضيق العيش (لسان العرب ، مادة لأى : 15 / 238 . تاج العروس مادة لأى : 39 / 428) .

(5) مسند أحمد بن حنبل : رقم الحديث : 8406 . 2 / 335 .

عائشة رضي الله عنها قالت أَقْبَلْتُ فَاطِمَةَ تَمْشِي كَأَنَّ مَشِيَّتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ ﷺ فقال النبي ﷺ: « مَرْحَبًا بِابْنَتِي » ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ (1).

الرفق بالأولاد لا يتعارض مع التأديب :

لا يفهم مما سبق أن الرفق هو الصورة الوحيدة للمعاملة فلا تستقيم تربية بالرفق وحده بل إن من أرفق الرفق الشدة مع الأولاد في المواقف المقتضية ذلك « ولا تقف رحمة الولد دون ضربه إذا صدر منه خلق سيء أو تصرف مخل بالأدب لأن تأديب الوالد إياه من الرحمة حتى لا ينشأ على خلق فاسد وسلوك معوج ، بل من الحزم ردعه وتعويده الاستقامة ، والخلق الحسن » (2).

يقول أبو تمام :

فقسا ليزدجروا ومن يك راحماً فليقس أحياناً وحيناً يرحم (3)

وتختلف أنواع التأديب فعلى الوالدين التدرج في ذلك فيكون بداية بالنظرة الزاجرة ثم بالكلمة المعنفة المصححة للخطأ ، المبينة للسبب و ليس من الضروري إحداث الألم - في التأديب - فالتوبيخ العادي الخفيف ولهجة الصوت القاسية يحدثان في النفس الحس الذي قلما يحدثه العقاب الجسمي على الطفل (4).

(1) جزء من حديث في صحيح البخاري : كِتَابُ الْمُنَاقِبِ . بَابُ عَلَامَاتِ النَّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ . رقم الحديث : 3426 / 3 . 1326 .

(2) منهج القرآن الكريم في عرض الأخلاق الأسرية . علي الشهري . مرجع سابق : ص / 127 .

(3) ديوان أبو تمام بشرح الخطيب التبريزي . أبو زكريا يحيى بن علي . تحقيق : محمد عبده عزام . دار المعارف - مصر . ط 4 . 3 / 200 .

(4) انظر : تعليم الأطفال والصفوف الأولية . عبد اللطيف حسين فرج . دار المسيرة - الأردن . ط 1 . 1426 هـ - 2005 م . ص / 33 .

وقد جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أَخَذَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « كِنْحُ كِنْحُ » (1) لِيَطْرَحَهَا ثُمَّ قَالَ أَمَا شَعَرْتُ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ » (2) .

ولا يجوز للوالدين استخدام الضرب كوسيلة للتأديب قبل بلوغ أولادهم سن العاشرة دليل ذلك حديث النبي ﷺ : « مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ » (3) .

فدل الحديث على فوائد كثيرة أهمها أن ابتداء الضرب يكون في سن العاشرة وذلك لأن الولد قد قصر في عامود الدين وركنه المتين والصلاة أول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة ، فإن النبي ﷺ لم يأذن بضرب الطفل على التقصير في الصلاة قبل العاشرة فمن باب أولى في باقي الأمور الدنيوية التي لا تساوي مكانة الصلاة أهمية ومنزلة عند الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ (4) .

ولقد حدد النبي ﷺ عدد هذه الضربات فجعلها لا تتجاوز العشر أبداً لقوله: « لَا يُجْلَدُ فَوْقَ عَشْرِ جَلْدَاتٍ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ » (5) .

(1) كِنْحُ كِنْحُ : وهي كلمة تقال عند زجر الصبي عن تناول شيء وعند التقدير من شيء (تاج العروس : 7 / 328) .

(2) صحيح البخاري : كتاب الزكاة . باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ . رقم الحديث : 1420 . 542 / 2 .

(3) سنن أبي داود : كتاب الصلاة . باب متى يؤمر الغلام بالصلاة . رقم الحديث : 495 . 133 / 1 .

(4) انظر : منهج التربية النبوية للطفل . محمد سويد . مرجع سابق : ص / 366 .

(5) صحيح البخاري . كتاب المحارِبِينَ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالرَّدَّةِ . باب كَمَّ التَّعْزِيزُ وَالْأَدَبُ . رقم الحديث : 6456 . 2512 / 6 .

وعليه أن يتقي الوجه لقوله ﷺ: «إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلَيتَّقِ الْوَجْهَ» (1).

وليحذر الوالدان من جعل التأديب وسيلة دائمة ف « كلما ازداد العقاب كلما قلّ تأثيره على الطفل بل إنه يؤدي إلى العصيان وعدم الاستقرار أكثر فأكثر» (2).

وليضعوا في ذهنهما أن التأديب ليس عملية انتقامية بقدر ما هو وسيلة تربوية يرتجى منه الإصلاح والتقويم « وذلك إذا لم تجد أي وسيلة مع الطفل فهذا يعني أن الطفل بحاجة إلى علاج التأديب ، لكي يحس أن الأمر جدُّ لا هزل فيه ، فيذوق ألم التأديب ويشعر بضرورة الانقياد والطاعة وحسن السيرة والسلوك» (3).

(1) سنن أبي داود : كتاب الحُدُودِ . باب في ضَرْبِ الْوَجْهِ فِي الْحَدِّ . رقم الحديث : 4493 .

. 167 / 4

(2) تعليم الأطفال والصفوف الأولية . عبد اللطيف حسين فرج . ص / 33 .

(3) منهج التربية النبوية للطفل . مرجع سابق : ص / 359 .

المطلب الثالث

رفق المعلم بتلاميذه

أ - تعريف المعلم :

المعلم لغة : مشتق من مادة (علم) وعلم الشيء بالكسر يعلمه علماً أي عرفه ورجل علامة أي عالم والعلم نقيض الجهل (1) .

أما في اصطلاح التربويين فالمعلم هو : القائد التربوي الذي يتصدر لعملية توصيل الخبرات والمعلومات التربوية وتوجيه السلوك لدى المتعلمين الذي يقوم بتعليمهم (2) .

ب - مكانة العلم والعلماء في الدين الإسلامي :

تعظم مكانة المعلم في الدين الإسلامي لعظم ما يحمل من العلم ، وقد تواترت الآيات والأحاديث المبينة لفضله والموضحة لمكانته لقول الله ﷻ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (3) وقوله : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (4) .

نفى الله ﷻ في الآية الأولى استواء الذين يعملون الطاعات بموجب ما لديهم من العلم مع من لم يسع في طلب العلم ولم يعمل بمقتضاه ، وجاء الاستفهام على

(1) انظر : مختار الصحاح ، مادة (علم) : 1 / 189 . لسان العرب ، مادة (علم) : 12 / 417 .

(2) التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة . سيد قاضي . الشركة العربية المتحدة - القاهرة .

2003 م . ص / 11 .

(3) سورة الزمر : جزء من الآية رقم (9) .

(4) سورة العنكبوت : رقم الآية (43) .

وجه أبلغ بياناً لفضل العلم وأهله⁽¹⁾ .

ثم إنه جعل فهم الأمثال القرآنية وتدبرها في الآية الثانية حكراً على العالمين
بآياته ﷻ تشریفاً لهم وتكريماً .

و « السبب في ذلك أن الأمثال التي يضر بها الله في القرآن إنما هي للأموه
الكبار والمطالب العالية والمسائل الجليلة فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها
لاعتناء الله بها وحثه عباده على تعقلها وتدبرها فيبدلون جهدهم في معرفتها وأما
من لم يعقلها مع أهميتها فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم لأنه إذا لم يعرف
المسائل المهمة فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأحرى ولهذا أكثر ما يضر ب الله
الأمثال في أصول الدين ونحوها »⁽²⁾ .

وجعل الله ﷻ المرجع في بيان الأمر والتثبت من الحقائق للعلماء من ذوي
الرأي الذين تعلموا العلم من منابعه الأصلية بعد رسول الله ﷺ⁽³⁾ لقوله ﷻ :
﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ
مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴾⁽⁴⁾ .

وتأتي الأحاديث النبوية الشريفة مؤكدة على فضلهم ، مبينة لمكانتهم فقد جاء

(١) انظر : تفسير أبي السعود . مرجع سابق : 7 / 245 . تفسير البيضاوي . مرجع سابق :

60 / 5 .

(٢) تفسير السعدي . مرجع سابق : 1 / 631 .

(٣) انظر : تفسير البغوي . مرجع سابق : 1 / 456 . تفسير السعدي . مرجع سابق : 1 / 190 .

(٤) سورة النساء : رقم الآية (83) .

في سنن الترمذي عن أبي أمامة الباهلي قال ذكّر لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالْآخَرُ عَالِمٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى النَّمْلَةِ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتِ لِيُصَلُّوا عَلَيَّ مُعَلِّمِ النَّاسِ الْحَجَرَ » (1).

ولا شرف أكبر من ذلك فقد فضل الرسول ﷺ المتبحر بالعلوم الشرعية مع إتيانه بالفرائض على المتجرد للعبادة بعد تحصيل قدر الفرض من العلوم، وقوله ﷺ: « كفضلي على أدناكم » أي « نسبة شرف العالم إلى شرف العابد كنسبة شرف الرسول إلى شرف أدنى الصحابة » (2).

وكان علم العالم مثار غبطة (3) الناس وغايتهم لقوله ﷺ: « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا » (4).

وأخبر ﷺ بأن جميع ما في هذه الحياة مبعوض مما يشغل عن طاعة الله ﷻ إلا ذكر له ﷺ ورجل اشتغل في تعليم العلم أو تعلمه (5) فقد جاء في سنن الترمذي عن

(1) سنن الترمذي: كتاب العلم عن رسول الله ﷺ. باب ما جاء في فضل الفقيه على العبادة. رقم الحديث: 50 / 5. 2685.

(2) انظر: تحفة الأحوذى. مرجع سابق: 379 / 7.

(3) الغبطة: حسد خاص يقال غبطت الرجل أغبطه غبطاً إذا اشتهيت أن يكون لك مثل ماله وأن يدوم عليه ما هو فيه أما الحسد إذا اشتهيت أن يكون لك ماله وأن يزول عنه (النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة (غبط): 3 / 339 - 340.

(4) صحيح البخاري. كتاب العلم. باب الإغنياء في العلم والحكمة وقال عمرُ تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا. رقم الحديث: 1. 73 / 39.

(5) انظر: تحفة الأحوذى. مرجع سابق: 504 / 6.

أبي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ » (1) .

والعالم لا ينقطع عمله بموته بل إن العلم الذي خلفه كي ينتفع به الناس مستمر طال الحياة أم قصرت بإذن الله ﷻ ففي صحيح مسلم عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مَنْ صَدَقَ جَارِيَةٌ أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ » (2) وكان له من الأجر نظير من اتبع علمه النافع إلى يوم القيامة لقوله ﷺ : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مِنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا » (3) .

وجاء في الأثر عن علي بن أبي طالب ﷺ : « إِذَا مَاتَ الْعَالِمُ انْتَلَمَ (4) فِي الْإِسْلَامِ ثَلْمَةٌ لَا يَسُدُّهَا إِلَّا خَلْفٌ مِثْلُهُ » وعن أبي الأسود قال : « الْمَلُوكُ حُكَّامٌ عَلَى النَّاسِ وَالْعُلَمَاءُ حُكَّامٌ عَلَى الْمَلُوكِ » (5) .

ويقول ابن سيرين رحمه الله في أهمية المعلم والأثر المترتب على اختي اره : « إن

(1) سنن الترمذي : كِتَابُ الزُّهْدِ . بَابُ مَا جَاءَ فِي هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . رَقْمُ الْحَدِيثِ : 561 / 4 . 2322 .

(2) صحيح مسلم : كِتَابُ الْوَصِيَّةِ . بَابُ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ . رَقْمُ الْحَدِيثِ : 1255 / 3 . 1631 .

(3) المصدر السابق : كِتَابُ الْعِلْمِ . بَابُ مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى أَوْ ضَلَالَةٍ . رَقْمُ الْحَدِيثِ : 2060 / 4 . 2674 .

(4) الخلل في الشيء (مختار الصحاح مادة (ثلم) : (36 / 1) .

(5) التذكرة في الوعظ . أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي . تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح . دار المعرفة - بيروت . ط 1 / 1406 هـ : 56 / 1 .

هذا العلم دين فانظروا عن من تأخذونه فيكون قد رسم نفسه بآداب العلم من استعمال الصبر والحلم والتواضع للطالبين والرفق بالمتعلمين ولين الجانب ومداراة الصاحب وقول الحق والنصيحة للخلق وغير ذلك من الأوصاف الحميدة والنعوت الجميلة» (1).

وكل إنسان بحاجة إلى معلم يعلمه ، فينبغي عليه أن لا يستنكف عن ذلك إن وجد من هو أعلم منه ، امثل لذلك الأنبياء عليهم السلام وقصة موسى والخضر عليهما السلام لأكبر شاهد على ذلك ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : هَلْ تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ قَالَ مُوسَى : لَا . فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى بَلَى عَبْدُنَا خَضِرٌ فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إِلَيْهِ فَجَعَلَ اللَّهُ لَهُ الْحُوتَ آيَةً وَقِيلَ لَهُ إِذَا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ مُسْتَلْقًا وَكَانَ يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ فِي الْبَحْرِ فَقَالَ لِمُوسَى صلى الله عليه وسلم إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٢﴾ فَوَجَدَا خَضِرًا فَكَانَ مِنْ شَأْنِهِمَا الَّذِي قَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ » (3).

وقد حث أبو إسحاق الأليوي ابنه أبي بكر بالتسلح بالعلم مع بيان فوائده في منظومة رائعة يقول فيها :

(١) الفقيه والمتفقه . أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي . . تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن

يوسف الغرازي . دار ابن الجوزي - السعودية . ط 2 / 1421 هـ : 2 / 192 .

(٢) سورة الكهف : رقم الآية (63) .

(٣) صحيح البخاري . كتاب العلم . باب ما ذكر في ذهاب موسى صلى الله عليه وسلم في البحر إلى الخضر . رقم

الحديث : 40 / 1 . 74 .

أبا بكر دعوتك لو أجبتنا
إلى علم تكون به إماماً
ويجلو ما بعينك ما غشاها
وتحمل منه في ناديك تاجا
ينالك نفعه ما دمت حياً
هو العضب⁽¹⁾ المهند ليس ينبو⁽²⁾
وكنز لا تخاف عليه لصاً
يزيد بكثرة الإنفاق منه
من مظاهر رفق المعلم بتلاميذه :

إلى ما فيه حظك لو عقلنا
مطاعاً إن نهيت وإن أمرتا
ويهديك الطريق إذا ضللتنا
ويكسوك الجمال إذا عريتنا
ويبقى ذكره لك إن ذهبنا
تصيب به مقاتل من أردنا
خفيف الحمل يوجد حيث كن
وينق ص إن به كفاً شدتنا⁽³⁾

1 - السلام على المتعلمين واستقبالهم بوجه حسن :

فإن ذلك أدمى للألفة والمحبة والترغيب في المادة العلمية فبشاشة الوجه
« إدام العلماء وسجية الحكماء ، لأن البشر يطفئ نار المعاندة ويحق هيجان
المباغضة ، وفيه تحصين من الباغي ومنجاة من الساعي ، ومن بش للناس وجهاً لم
يكن عندهم بدون الباذل ما يملك »⁽⁴⁾ .

(١) العضب : السيف القاطع (لسان العرب ، مادة عضب : 1 / 609) .

(٢) ينبو : نبا السيف إذا لم يقطع (لسان العرب ، مادة : نبا : 15 / 302) وهنا إشارة إلى أن العلم سيف لا يثلم بإذن الله .

(٣) التقريرات السننية في شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث ويليها منظومة أبي إسحاق الألبيري في الحث على طلب العلم والتحلي بالأخلاق الفاضلة . حسن محمد المشاط . مكتبة السوادى للتوزيع / جدة . بدون رقم الطبعة أو تاريخها . ص / 67 - 68 .

(٤) مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة . الموفق بن أحمد المكي . دار الكتاب العربي / بيروت .

وذلك تأسياً بوصية رسول الله ﷺ بهم فقد كان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يحسن استقبال طلبة العلم ويظهر البشاشة لهم قائلاً : « مرحباً بوصية رسول الله ﷺ إن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : إِنَّ النَّاسَ لَكُمْ تَبَعٌ وَإِنَّ رِجَالًا يَأْتُونَكُمْ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ يَنْفَقَهُونَ فِي الدِّينِ فَإِذَا أَتَوْكُمْ فَاسْتَوْصُوا بِهِمْ خَيْرًا » (1) .

فالمعلم لا يخسر شيئاً إن هس في وجه طلابه أو أدخل طرفه إلى درسه فإن النفس ملولة بطبعها ، وما البشاشة والبشر في الوجه والكلمة الطيبة إلا علاج لهذا الملل الذي يكتنفها من حين لآخر .

إذ إن الطالب يمكث في المدرسة أو الجامعة بقدر ما يمكث في المنزل وهي تأخذ منه أولى ساعات يومه فيكون أكثر تقبلاً لما يتلقى .

ويكون المعلم عند ذلك في مقام الأب المربي لذلك وجب عليه أن يكون « رقيقاً بطلبته وأن يظهر اهتمامه بهم وأن يرحب بهم إذا لقيهم وعند إقبالهم عليه ويكرمهم إذا جلسوا إليه ويؤنسهم بسؤاله عن أحوالهم وأحوال من يتعلق بهم بعد رد سلامهم وليعاملهم بطلاقة الوجه وظهور البشر وحسن المودة(2) .

ولقد سار على وصية الرسول ﷺ علماء الأمة في البشاشة بالتلميذ وحسن استقباله فهذا الإمام أبو حنيفة النعمان رحمه الله يقول لطلابه : « أنتم مسار قلبي وجلاء حزني » (3) .

(1) سنن الترمذي : كِتَابُ الْعِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . بَابُ مَا جَاءَ فِي الْإِسْتِیْصَاءِ بِمَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ . رقم الحديث : 2650 . 5 / 30 .

(2) تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم . بدر الدين بن جماعة . دار الكتب العلمية / بيروت . دون رقم الطبعة أو تاريخها . ص / 65 .

(3) الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية . أبو محمد عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي . دار مير محمد كتب خانة / كراتشي : 1 / 412 .

أي ساحة وأي رفق تحلى بها الإمام يجعله يتودد لطلابه بهذه الكلمات المتواضعة المحفزة على طلب العلم .

وهذا الإمام الشافعي رحمه الله يستوصي بالطلاب خيراً ويأمر تلميذه يوسف بن يحيى البويطي بالبشاشة وحسن الخلق ، فتمثل تلميذه ذلك وكان آخر ما وصى به من بعده قائلاً : « فإذا قرأت كتابي هذا فأحسن خلقك مع أهل حلقك واستوص بالغرباء خاصة خيراً » (1) .

ويضرب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - أروع الأمثلة في حسن استقباله لطلابه ، فيقدر اغتراب من جاء من مكان بعيد لطلب العلم ويدفع له ما يريد من العلم ، كما فعل مع تلميذه له عندما جاءه من الأندلس إلى بغداد لطلب الحديث فقال للإمام : « يا أبا عبد الله رجل غريب نائي الدار هذا أول دخولي هذا البلد وأنا طالب حديث ومقيد سنة ولم تكن رحلتي إلا إليفئد عليه » إن موضعك لبعيد وما كان شيء أحب إليّ من أن أحسن عون مثلك على مظلومة أصبح يحدثه فما غادر إلا وقد جمع ما يقارب من ثلاثمائة حديث من الإمام أحمد رحمه الله (2)

2 - خفض الجناح للمتعلم :

وذلك من أهم مظاهر الرفق بالمتعلمين لتأليف قلوبهم وحملهم على فهم المادة العلمية فله آثاره التربوية العظيمة ، « فه وينبت جذور المحبة بين العلماء والمتعلمين، وينيل الوحشة بينهم وبين الناس ، ويشجع المتعلمين على إلقاء

(1) تاريخ بغداد . أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي . دار الكتب العلمية - بيروت . بدون

رقم الطبعة وتاريخ النشر : 14 / 302 .

(2) سير أعلام النبلاء . مرجع سابق : 13 / 292 - 293 .

الأسئلة التي تدور في نفوسهم ، كما يُكسب المعلم إجلالاً واحتراماً من تلامذته ومن عامة الخلق ، ويعلمه تقدير أعمال المتعلمين وإن قلت» (1) .

وفي آثار التواضع العظيمة يقول الله ﷻ : ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (2) .

ولا يخطأ فيظن أن ذلك ضعفاً ولكن ليتيقن أن تواضعه لا يزيده إلا رفعة وقوة لقوله ﷻ : « مَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ » (3) .

وليحذر من التكبر بهذا العلم على أقرانه أو تلاميذه خوفاً من عقاب الله ﷻ المترتب على ذلك في الدنيا بذهاب هذا العلم ، لقوله ﷻ : ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴾ (4) .

وفي الآخرة بجعل هذا العلم وبالاً عليه لانتفاء الإخلاص والسعي وراء الشهرة بالتكبر به ، قال ﷻ : « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ

(١) من أسس التربية الإسلامية . عمر محمد الشيباني . المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان /

ليبيا . ط 2 / 1982 م . ص / 136 .

(٢) سورة آل عمران : جزء من الآية رقم (159) .

(٣) جزء من حديث في صحيح مسلم : كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ . باب إستحباب العفو

والتواضع . رقم الحديث : 4.2588 / 2001 .

(٤) سورة الإسراء : رقم الآية (86) .

عَالِمٌ وَقُرَأَتِ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ» (1).

وقد تكلم المربون قديماً وحديثاً في هذه الصفة ، وكانت من أهم الصفات التي أوجبوها على من امتن الله ﷻ عليه بتعليم العلم صفة التواضع كما أخبر الآجري بذلك فقال : « على العالم أن لا يثني على نفسه بما ليس فيها فهو واضع لنفسه حدوداً يعرف بها مقامه ، ملتزماً بعلمه ، لا يتكلم إلا بما يعلم ، إضافة إلى قبول النصيحة من الكبير والصغير لمعرفة أن الحق يعرف بالحق ولا يعرف الحق بالرجال أو بالصغير والكبير بل يتواضع لهما قاصداً بذلك وجه الله ﷻ دون الالتفات إلى الثواب من الخلق ، لأنه يخاف على نفسه أشد الخوف ، يخاف أن يتكبر على الناس بعلمه فيقع في التهلكة » (2).

وقال الماوردي موضحاً صفات العلماء « فأما ما يجب أن يكون عليه العلماء من الأخلاق التي بهم أليق ولهم ألزم التواضع ومجانبة العجب » (3).

وهكذا نرى حرص علماء المسلمين - رحمهم الله تعالى - على التحلي بهذا الخلق العظيم المتلازم مع خلق الرفق والمتمثل في جميع تعاملاتهم مع طلبة العلم

(1) جزء من حديث في صحيح مسلم : كِتَابُ الْإِمَارَةِ . بَابُ مِنْ قَاتَلَ لِلرِّبَاءِ وَالسُّمْعَةَ اسْتَحَقَّ النَّارَ رقم الحديث : 1905 . 3 / 1513 .

(2) أخلاق العالم والمتعلم عند أبي بكر الآجري . عبد الرؤوف يوسف عبد الرحمن . رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية . كلية التربية . جامعة أم القرى . 1408 هـ : ص / 90 - 91 .

(3) أدب الدنيا والدين . علي بن محمد الماوردي . دار الكتب العلمية . بدون رقم الطبعة أو تاريخها . 1407 هـ : ص / 57 .

فتواضعوا لهم ، كما وصفوا الإمام مالك رحمه الله عند جلوسه مع طلابه بأنه إذا جلس معهم كان كواحد منهم يتبسط في الحديث وهو أشد تواضعاً⁽¹⁾ منهم

أما الإمام أحمد بن حنبل فقد وصفه يحيى بن معين - رحمهما الله - بقوله : « ما رأيت مثل أحمد بن حنبل صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الصلاح والخير »⁽²⁾ .

3 - مراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين :

يمر على المعلم آلاف من الطلبة يتباينون في قدراتهم وحدود فهمهم وما ذللك . والاختلاف سنة الله⁽³⁾ في الكون ، يقول⁽⁴⁾ : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾⁽³⁾ .

فالمعلم الرفيق المتفهم هو الذي يعطي كل طالب ما يلائمه ويتنفع به وقد فهم ذلك الأوائل من السلف الصالح ومن بعدهم فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ »⁽⁴⁾ « فلو لا تلك الفروق لما اختلف الناس في فهم العلوم ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالتفهم إلا بعد تعب طويل من المعلم وإلى ذكي يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم »⁽⁵⁾ .

(1) انظر : سير أعلام النبلاء . مرجع سابق : 10 / 55 .

(2) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . مرجع سابق : 9 / 181 .

(3) سورة هود : جزء من الآية رقم (118) .

(4) صحيح البخاري : كتاب العلم . باب من خصَّ بالعلم قومًا دون قومٍ كراهية أن لا يفهموا . رقم الحديث : 127 . 1 / 59 .

(5) إحياء علوم الدين . مرجع سابق : 1 / 88 .

كما قال ﷺ: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ

لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾⁽¹⁾ وفي ذلك يقول الأستاذ الدكتور عبد اللطيف فرج - تغمده الله

بواسع رحمته ÷ «إن الأفراد ليسوا قوالب جامدة تصب فيهم العملية التعليمية بمعيار واحد وبقدر واحد فهناك المتفوق والمتأخر وهناك أيضاً المتوسط⁽²⁾

ولكل نوعية تختلف عن الأخرى وإن كانت بنفس الصف ، فتراعى عند ذلك

الفوارق في أحوال كثيرة منها على سبيل المثال :

-عند التعامل : فمن أخطر الأمور النفسية التي تقابل الطالب خصوصاً في

مراحله التعليمية الأولية مقارنة بأقرانه المتفوقين ولومه على عدم تفوقه مثلهم يمكن

المادة العلمية ويحاول التهرب منها ومن معلمه بشتى الطرق

-عند وضع الأسئلة : فلا تكون بأكملها ميسرة جداً حتى تناسب الطالب

المتأخر برأيه ، فيُضَيِّعُ اجتهاد المتفوق ، ولا تكون صعبة في مجملها مراعاة للطالب

المتفوق فلا تتناسب مع عقلية المتأخر ، بل يخلط بين المستويين .

فالمعلم القدير هو الذي يستطيع أن يستوعب شخصية الطالب ومدى تقبله

لتحصيل هذا العلم فيبسط المادة العلمية وينزل إلى المستوى الفهمي لكل طالب

حتى يحقق الهدف المرجو من العملية التربوية .

(١) سورة النور : جزء من الآية (35) .

(٢) تحفيز التعلم . عبد اللطيف حسين فرج . دار الحامد للنشر والتوزيع - عمّان / الأردن . ط 1 /

4 - العدل في التعامل بين المتعلمين :

إن العدل بين الطلاب والمساواة بينهم من ألزم وأهم صفات المعلم .
وذلك لأن ظلم المعلم للطالب وتفضيل بعض طلابه على الآخرين من أكثر
الأمر التي تعيق العملية التربوية كما أنه يورث الحقد والحسد في نفوس طلابه
عليه .

وتطبيق العدل مطلب شرعي أمرنا به ديننا الحنيف ، يقول الله ﷻ في محكم
تنزيله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (1) .

وعن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى : « إني
حرمتُ على نفسي الظلمَ وعلى عبادي فلا تظالموا » (2) .

وإن كان الله ﷻ قد حرم الظلم على الناس بصفة عامة فالأمر يتأكد ويعظم
على من ولاه الله أمر رعية يُسأل عنها يوم القيامة ، فعن عبد الله بن عمر - رضي
الله عنهما - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ
رَعِيَّتِهِ » (3) .

(1) سورة النحل : رقم الآية (90) .

(2) صحيح مسلم : كتاب البرِّ والصَّلةِ والأَدَابِ . باب تحريم الظُّلم . رقم الحديث : 2577 .
. 1995 / 4

(3) صحيح البخاري : كتاب الجُمُعَةِ . باب الجُمُعَةِ فِي الْقُرَى وَالْمُدُنِ . رقم الحديث : 853 .
1 / 304 . صحيح مسلم : كتاب الإِمَارَةِ . باب فَضِيلَةِ الإِمَامِ الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ وَالْحَثُّ
عَلَى الرَّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ وَالنَّهْيُ عَنِ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ . رقم الحديث : 1829 . 3 / 1459 .

وقد أورد الدكتور محمد جان - حفظه الله - في كتابه (المرشد النفيس إلى أسلمة طرق التدريس » بعض المواطن المؤكد فيها العدل بين الطلاب فذكر منها : « إن العدل سمة أساسية لا بد أن يتحلى بها المعلم ، سواء في التعليم ، أو التوجيه ، أو التربية ، أو النصح ، أو الأمر ، أو النهي ، أو طبعش أو العقاب ، وتقدير الدرجات ، وتصحيح الاختبارات ، وتوزيع الجوائز والمكافآت الخ .

بل يجب أن يكون العدل حتى في أصغر الأمور التي لا يحسب لها المعلم حساباً ، كالنظرة ، والكلمة والنبرة في الصوت ، والابتسامة ، والإشارة باليد ... والتكشير بالوجه ، والإيماءة بالرأس ، والتصفيق ، وتوزيع الأسئلة .. حتى لا يثير الغيرة والحقد والعداوة والبغضاء بين الطلبة ، وحتى لا يتهم في نزاهته وأمانته وأخلاقه وديانته « (1) .

5 - تشجيع المتعلم على طلب العلم وتحفيزه :

فبعد أن يدرك المعلم الفوارق الفردية لكل تلميذ ومدى قدراته التحصيلية يأتي واجبه في تشجيعه لما يميل إليه من فروع العلم المختلفة وتحفيزه في التبحر فيه ، ولعل ذلك يرد على المتعلم بأحسن الأثر فيصبح عالماً متمكناً في طلب العلم ، كما جرى مع عبد الله بن العباس - رضي الله عنهما - فقد كان حريصاً على طلب العلم شغوفاً به ، رغم وجود عدده ائله من كبار الصحابة الذين يذهب الناس إليهم ويقصدونه بالسؤال في أمور دينهم ودنياهم ، وكان يختلف عليهم ويتعلم منهم ويسألهم حتى أصبح الناس يقصدونه من شتى بقاع الأرض فعنه ﷺ أنه قال : « لَمَّا

(1) المرشد النفيس إلى أسلمة طرق التدريس . محمد صالح علي جان . دار الطرفين / الطائف .

تُوِّفِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَلْتَ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَا فَلَانُ هَلُمَّ فَلَنْسَأَلَ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَإِنَّهُمْ الْيَوْمَ كَثِيرٌ فَقَالَ : وَاعْجَباً لَكَ يَا ابْنَ عَبَّاسٍ أَتَرَى النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَيْكَ وَفِي النَّاسِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ تَرَى فَتَرَكَ ذَلِكَ وَأَقْبَلْتُ عَلَى الْمَسْأَلَةِ فَإِنْ كَانَ لَيُلْغِنِي الْحَدِيثُ عَنِ الرَّجُلِ فَآتِيهِ وَهُوَ قَائِلٌ فَاتَوَسَّدُ (1) رِدَائِي عَلَى بَابِهِ فَتَسْفِي (2) الرِّيحُ عَلَى وَجْهِهِ التُّرَابَ فَيُخْرِجُ فَيَرَانِي فَيَقُولُ يَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ مَا جَاءَ بِكَ إِلَّا أَرْسَلْتُ إِلِي فَآتَيْكَ ، فَأَقُولُ أَنَا أَحَقُّ أَنْ آتِيَفَسْأَلَهُ عَنِ الْحَدِيثِ قَالَ فَبَقِيَ الرَّجُلُ حَتَّى رَأَى وَقَدْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيَّ فَقَالَ كَانَ هَذَا الْفَتَى أَعْقَلَ مِنِّي (3).

6 - كظم الغيظ عن خطأ الطالب ونصحه بالتي هي أحسن :

كثيرة هي المثيرات السلبية التي يتعرض لها المعلم من طلابه باختلاف طبائعهم وتباين سجاياهم فوجب عليه عند الخطأ الترفع من أن يجاريهم تأسيماً بمعلم البشرية رسولنا ﷺ عند حلمه في كثير من المواقف وقد قال : « من كظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ » (4).

وهو خلق نادى به القرآن الكريم مادحاً أصحابه مثنياً عليهم لقوله ﷺ :

(1) الوساد والوسادة المخدة والجمع وسائد وقد وسدته الشيء فتوسده إذا جعلته تحت رأسه

(النهاية في غريب الحديث والأثر . مادة (وسد) : 5 / 181 .

(2) أي ما تحمله الرياح من تراب تهجم به على الناس (العين . مادة (سفي) : 7 / 310) .

(3) سنن الدارمي : باب الرِّحْلَةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَاحْتِمَالِ الْعَنَاءِ فِيهِ . رقم الحديث : 570 .

. 150 / 1

(4) سنن الترمذي : كِتَابُ السُّنَّةِ . باب من كظَمَ غَيْظًا . رقم الحديث : 4777 . 4 / 248 .

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (1).

فكان جزاءهم من الله ﷻ : ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمَلِينَ﴾ (2).

فلو قام المعلم بتعنيف طلابه على كل الأمور دقها وجلها وأكثر المعاتبة عليهم لانكسر حاجز المهابة رويداً رويداً ، ولما عاد وقع التقويم والزجر يصلح معهم ، فعليه أن يستخدم في نصحتهم ونهيهم عن الخطأ أسلوب التعريض لا التصريح فإن ذلك أوقع في جوف الطالب وأدعى إلى بقاء الهيبة في نفسه .

يقول الإمام الغزالي - رحمه الله تعالى - في إحيائه : « أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيئة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الإصرار » (3).

لذلك لا يفهم مما سبق أن على المعلم ترك الحبل على الغارب للتلاميذ يفعلون ما يريدون دون عتاب أو نصيحة ، ولكن عليه أن يجعل مدارهما الرفق ومنبعها اللين فذلك أدعى لحب المادة الدراسية « لأن التعنيف والقسوة الزائدة في التعامل مع المتعلمين مدعاة لكراهية المعلم والمقررات الدراسية التي يُعلِّمها وتجعل المعلم يشقي نفسه ويتعبها ولا يحصل المطلوب وتكون صورته في أذهان تلاميذه صورة

(1) سورة آل عمران : جزء من الآية رقم (134) .

(2) نفس السورة : رقم الآية (136) .

(3) إحياء علوم الدين . مرجع سابق : 1 / 57 .

الجلاد القاسي الفظ الغليظ الذي يتحرى أي فرصة لكي ينقض عليهم لينتقم منهم»⁽¹⁾ .

7 - إعطاء المتعلم حرية التعبير والمناقشة :

فطريقة المناقشة هي السبيل إلى تحسين عقول ومدارك التلاميذ بعد أن كانت الطريقة القديمة التقليدية القائمة على إلقاء المعلم وحده واستماع الطالب هي السائدة .

وهذه الطريقة لا تساعد وحدها أبداً على تنمية الروح الإبداعية للطالب فليس هنالك أي مجال للتنوع ، كما أنها لا تساعد على تنمية روح التعاون بين الطلاب لأن علاقة الطالب الوحيدة عند ذلك ستكون مع المعلم الذي يقف أمامه ويستمع إليه .

ولا يقصد من ذلك تركها كلياً ، ولكن التنوع بإدخال طرق جديدة كالمناقشة والتدريس الجمعي⁽²⁾ مما يساهم بإذن الله على توسيع مدارك الطلاب ودب روح الحماسة في الحلقات الدراسية⁽³⁾ .

(1) مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين من منظور التربية الإسلامية . صالح البقعاوي . مرجع سابق : ص / 280 - 281 .

(2) نشاط جماعي يعمل على استثارة المعرفة في الفرد والجماعة وطريقته : تقسيم التلاميذ إلى مجموعات ثم إعدادهم لسماع محاضرة عامة ، أو تحضير الدرس الجديد المراد شرحه ، ثم تقسيم الدرس إلى مطالب تتحمل كل مجموعة شرح إحداها ثم مناقشتها مع المجموعات الأخرى مما يزيد من فعالية التنظيم وينمي من مهارة الحوار (انظر : طرق التدريس في الق رن الواحد والعشرين . عبد اللطيف حسين فرج . دار المسيرة للنشر والتوزيع / عمان - الأردن . ط 1 / 1425 هـ : ص / 98 - 99) .

(3) المرجع السابق : ص / 87 .

وتتأكد دأهمي ة المناقشة والتدريس الجمعي مع طلاب المرحلة الج امعية والدراسات العليا لأنهم قد وصلوا إلى مرحلة تلزمهم بالبحث عن المعلومة ومناقشتها مع المعلم أو المشرف فيبتعدون بذلك عن أسلوب التلقين السائد

ولقد فهم أهمية ذلك العلماء الأوائل ف « طريقة أبو حنيفة في درسه تشبه أن تكون دراسة لا إلقاء للدروس على التلاميذ ، فالمسألة من المسائل تعرض له ، فيلقيها على تلاميذه ويتجادل معهم ، وكلٌ يدلي برأيه وقد ينتصفون منه في المقاييس ، ويعارضونه في اجتهاده حتى تصفوا المسألة ، ويدلي هو بالرأي ، فيقر الجميع به ويرضونه »⁽¹⁾ .

8 - مراعاة ظروف المتعلمين وتفقد أحوالهم ما أمكن :

حتى يتفرغ الطالب لطلب العلم ، وحتى لا يكره تحصيله بسبب ذل الحاجة وكثرة المشاكل وصعوبات الحياة ، فيساعده بقدر ما يستطيع إن علم عند حاجته ، ويسعى إلى تلم بعض مشاكله بالنصح والتوجيه إن رأى ما أهمه ، كما جاء في قناطير الخيرات بعضاً من واجبات المعلم نحو التلاميذ : « وعلى المعلم أن يخلص النصيحة للمتعلمين منه ويرفق بهم ويسهل سبيل طلب العلم عليهم ويبدل جهده في رفدهم ومعونتهم »⁽²⁾ .

ويضرب العلماء أروع الأمثلة في الإحسان إلى الطلاب وسد حاجاتهم فهذا

(1) أبو حنيفة ، حياته وعصره ، آراؤه الفقهية . محمد أبو زهرة . دار الفكر العربي / القاهرة . بدون رقم الطبعة أو تاريخ نشرها . ص / 87 .

(2) قناطير الخيرات . إسماعيل بن موسى الجيطالي . تحقيق : عمرو خليفة النامي . مكتبة وهبة / القاهرة . 1965 م : ص / 154 .

أبو يوسف القاضي يحكي عن فاقته وحاجته للاشتغال وترك طلب العلم ثم موقف أبو حنيفة لما علم بذلك ، يقول : « كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث الحال فجاء أبي يوماً وأنا عند الإمام أبي حنيفة فانصرفت معه فقال : يا بني لا تمدن رجلك مع الإمام أبي حنيفة فإن أبا حنيفة خبزه مشوي وأنت تحتاج إلى المعاش فقصرت عن كثير من الطلب آثرت طاعة أبي فتفقدني الإمام أبو حنيفة وسأل عني فجعلت أتعاهد مجلسه فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه قال لي : ما شغلك عنا قلت الشغل بالمعاش وطاعة والدي جلست فلما انصرف الناس دفع إلي صرة وقال استمتع بهذه فنظرت فإذا فيها مائة درهم فقال لي ألزم الحلقة وإذا نفذت هذه فأعلمني فلزمت الحلقة فلما مضت مدة يسيرة دفع إلي مائة أخرى ثم كان يتعاهدني وما أعلمته نحلة قط ولا أخبرته بنفاذ شيء وكان كأنه يخبر بنفاذها حتى استغنيت وتمولت ثم لزمته فنفعني الله بالعلم ورفعني حتى تقلدت القضاة وكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته فقال لي هارون عندما أخبرته بقصتي مع الإمام أبي حنيفة : يا يعقوب ... لعمرى إن العلم ليرفع وينفع ديناً ودنيا ، وترحم على الإمام أبي حنيفة وقال : كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه » (1) .

فلولا فعل الإمام أبي حنيفة بعد الله ﷺ مع تلميذه لما وصل إلى ما وصل إليه ، وقد لازم الإمام صاحباً له في كل فتاوى يسأله رأيه ويستشيره رفيقاً لا تلميذاً حتى نقل لنا تراث الإمام أبو حنيفة بأكمله .

وهذا ابن المبارك - رحمه الله - كان « كثير الاختلاف إلى طرسوس (2) وكان

(1) تاريخ بغداد . مرجع سابق : 14 / 244 - 245 . باختصار .

(2) وهي مدينة بغير الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم (معجم البلدان . ياقوت بن عبد الله

الحموي أبو عبد الله . دار الفكر - بيروت . بدون طبعة وتاريخ نشر . باب الطاء والراء وما

يليهما : 4 / 28) .

ينزل الرقة في خان⁽¹⁾ فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه ويسمع منه الحديث فقدم عبد الله الرقة مرة فلم ير ذلك الشاب وكان مستعجلاً فخرج في النفير فلما قفل من غزوته ورجع الرقة⁽²⁾ سأل عن الشاب فقالوا : إنه محبوس لدين ركه فقال عبد الله : وكم مبلغ دينه فقالوا عشرة آلاف درهم فلم يزل يستقصي حتى دل على صاحب المال فدعا به ليلاً ووزن له عشرة آلاف درهم وحلفه أن لا يخبر أحداً ما دام عبد الله حياً ، وقال : إذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس وأدليج عبد الله فأخرج الفتى من الحبس وقيل : له عبد الله بن المبارك كان ها هنا وكان يذكره وقد خرج فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة فقال : يا فتى أين كنت لم أرك في الخان قال : نعم يا أبا عبد الرحمن كنت محبوساً بدين ، قال : فكيف كان سبب خلاصك قال : جاء رجل فقضى ديني ولم أعلم له حتى أخرجت من الحبس فقال له عبد الله : يا فتى احمد الله على ما اوفق لك من قضاء دينك⁽³⁾ .

ولم يخبر الرجل الذي قضى ابن المبارك ما عليه من الدين عن هذه القصة إلا بعد موته رحمه الله إبراء لقسمه .

(١) الدار المشتركة (فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب . زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا

الأنصاري أبو يحيى . دار الكتب العلمية - بيروت . ط 1 / 1418 هـ : 2 / 282)

(٢) الرقة البستان المقابل للتاج من دار الخلافة ببغداد وهي بالجانب الغربي وهو عظيم جدا جليل

القدر (معجم البلدان . ياقوت الحموي . مرجع سابق : 3 / 60) .

(٣) المصدر السابق : 10 / 159 .

مسألة : في تأديب المعلم لتلاميذه :

مما لا شك فيه أن الصرح التعليمي هو بيت ثاني لطالب العلم يقضي فيه جل وقته - كما أسلفنا سابقاً - كما أن المعلم يُعد أباً آخرأ له ، يقوم بعملية التوجيه والتأديب . ولقد تكلم في عملية التأديب وشروطه وضوابطه كثير من المربين في مؤلفاتهم ، وأجمعوا أن التأديب يكون للطالب في سن صغيرة « لأن الصغير أسلس قيادة وأحسن موآاة وقبولاً » (1) .

ويختلف ذلك من ص بي إلى آخر فالبعض تغني النظرة الشديدة له - إذا شاغب أو أخطأ - عن التوبيخ والتقريع والبعض الآخر لا يردعه إلا التوبيخ والعتاب .

ولقد جاء في كتاب سياسة الصبيان وتديبرهم عن تأديب المعلم للتلاميذ : « إن الصواب أن يؤدب الصبي ، فإن كانت طبيعته طبيعة من ليس بأدي ب ولا لبيب فهذا يبين للمعترض طريق الصواب ، فأما إن كان الصبي طبيعته جيدة ، أعني أن يكون مطبوعاً على الحياء وحب الكرامة والألفة محباً للصدق ، فإن تأديبه يكون سهلاً وذلك أن المدح والذم يبلغان منه عند الإحسان أو الإساءة ما لا تبلغه العقوبة من غيره ، فإن كان الصبي قليل الحياء مستخفاً للكرامة قليل الألفة محباً للكذب ، عسر تأديباً ولا بد لمن كان كذلك من إرغابٍ وتخويف عند الإساءة ثم يحقق ذلك بالضرب إذا لم ينجع التخويف » (2) .

(1) سياسة الصبيان وتديبره م . أبو جعفر أحمد بن الجزار القيرواني . تحقيق : محمد الحبيب الهيلة .
الدار التونسية للنشر . 1968 م : ص / 134 .

(2) المصدر السابق : 137 - 138 .

ونرى - والله أعلم - أن مبدأ ضرب المعلم للتلاميذ مرفوض كلياً ، فيكفي قيام الوالدين بالتربية الجسدية ، فذلك أدعى لقبول الصبي وأولى كيلاً يقابل ضرب المعلم بالعناد والتمرد ، أما الوعظ برفيق الكلام والتسامح والمحبة فإنها تزيد من اجتهاد الطالب وسعيه في طلب العلم .

ولقد اعترض على ضرب المعلم كثير من المربين ومنهم ابن خلدون حيث يقول : « إن إرهاب الجسد بالتعليم مضر بالمتعلم سيما في أصغر الولد ، لأنه من سوء الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر ، وضيق عن النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه إلى الكسل ، وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره خوفاً من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلمه المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقاً وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله وصار عيالاً على غيره في ذلك ، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عن غابتها ومدى إنسانيتها فارتكس وعاد في أسفل السافلين ، وهكذا وقع لكل أمة حصلت في قبضة القهر ونال منها العسف واعتبره في كل من يملك أمره عليه ، ولا تكون الملكة الكافلة له رفيفتبعي للمعلم في متعلمه والوالفي ولده أن لا يستبدا عليهما في التأديب⁽¹⁾ .

بينما أجاز أبو الحسن القاسبي ضرب الصبيان على منافعهم فقال معتبراً
الضرب بمقدار خفيف حافر على التعلم : « وإذا استأهل الصبي الضرب فأعلم أن

(1) مقدمة ابن خلدون . عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي . دار القلم - بيروت .

الضرب واحدة إلى ثلاث ، فليستعمل اجتهاده لئلا يزيد في رتبة فوق استئهاها ، هذا هو أدبه إذا فرط ، فتثاقل عن الإقبال على المعلم ، فتباطأ في حفظه ، أو أكثر الخطأ في حزبه أو في كتابة لوحه من نقص حروفه ، وسوء تهجيه وقبح شكّله ، وغلظه في نقطه ، فنبه مرة بعد مرة فأكثر التغافل ولم يغن فيه العذل والتقريع»⁽¹⁾ .

وهذا مما يُعجب منه إذ كيف يساء بالضرب إلى صبي صغير أمام أقرانه لتركه النقط أو تشكيل الحروف ، مما يصيب الصبي بالمقت للمادة الدراسية ، فمن البديهي أن العقاب لا يصلح أبداً كعملية تربوية في المدارس وحلقات العلم عموماً ، بل إنه يورث المعاقب تمرداً كما أسلفنا و « حتى لو سلمنا بأن العقاب يردع المخطئ ويصلحه فإن من مخلفاته زرع الخوف في النفس والمباعدة بين المربي والمربى ، فينقطع بذلك الحوار البناء بينهما ويفقد المأخوذ بالشدة شيئاً فشيئاً ثقته بنفسه وشعوره بكرامته»⁽²⁾ .

(١) الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين . أبو الحسن علي القاسبي . تحقيق : أحمد خالد . الشركة التونسية للتوزيع . 1986 م : ص / 32 .
(٢) علم النفس العقابي . كمال دسوقي . دار المعارف - مصر . ط 1 / 1960 م : ص / 136 -

المطلب الرابع

الرفق بالخدم

لقد اهتم الإسلام بهذه الفئة المستضعفة وأولاهها الكثير من الرعاية والعطف ،
وأمرنا أن لا نحملهم ما لا يطيقون استغلالاً لضعفهم وحاجتهم إلى العمل فعن
أبي ذر الغفاري قال : قال النبي ﷺ : « إِخْوَانُكُمْ حَوْلُكُمْ ⁽¹⁾ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ
أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ
مَا يَغْلِبُهُمْ فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ » ⁽²⁾ .

والخادم لغة هو : الخادم - ذكراً كان أو أنثى - مأخوذ من الخدمة أي
المهنة ⁽³⁾ .

والخدمة قد تطلق على الجماعة أيضاً ومن ذلك فض الله خدمتكم أي فرق
جماعتكم ⁽⁴⁾ .

أما اصطلاحاً فيعد الخادم أجيراً خاصاً لا اختصاص رب عمله بنفعه تلك المدة
والأجير الخاص هو: « من استؤجر مدة معلومة يستحق المستأجر فيها نفعه في جميعها سوى
فعل الخمس بسننها في أوقاتها وصلاة جمعة ومعيلاً ⁽⁵⁾ .

(١) الخَوْلُ : « هم الخدم سمووا بذلك لأنهم يتخولون الأمور أي يصلحونها ومنه الخولى لمن يقوم
بإصلاح البستان (فتح الباري : 5 / 174) .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الإيمان . باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يُكْفَرُ صَاحِبُهَا بِأَرْتِكَابِهَا إِلَّا
بِالشُّرْكِ . رقم الحديث : 30 . 1 / 20 .

(٣) انظر : لسان العرب ، مادة (خدم) : 12 / 167 .

(٤) انظر : مختار الصحاح ، مادة (خدم) : 1 / 72 .

(٥) هداية الراغب لشرح عمدة الطالب عثمان أحمد النجيب الحنبلي تحقيق : حسنين محمد مخلوص . دار
محمد - الطائف . ط 1 / 1417 هـ - 1996 م . كتاب البيع . باب الإجارة . 2 / 560 .

وإن من أول الرفق إعلامه بأجره منذ البداية والاتفاق معه على سعر محدد حتى لا يشعر أنه ظلم في حقه .

فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: « لا يساوم الرجل على سوم⁽¹⁾ أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه ولا تناجشوا. ومن استأجر أجيرا فليعلمه أجره كذا⁽²⁾ .

وعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ « نهى عَنِ اسْتِئْجَارِ الْأَجِيرِ حَتَّى يُبَيَّنَ لَهُ أَجْرُهُ »⁽³⁾ وأن يصدقه النصيحة إن عصى أو قصر في حق الله ﷻ أو حق العباد ، كما يجب عليه أن يفي بالعقود المبرمة بينه وبين خادمه في غير الأجرة كساعات العمل ونوعه ومن ذلك أيضاً « أن لا يكلفه من العمل ما لم ينص عليه في العقد إلا بحقه ، وأن يدفع إليه أجرته ساعة إنهاء العمل دون ممانعة أو بخس وأن يحيط عنه من العمل إن كان فوق قدرته أو غبنه في قيمته ، أو يزيده في قيمة الأجرة المتفق عليها وأن لا يقول له إلا حسنى »⁽⁴⁾ .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « قال الله ثلاثاً أنا خصمهم يوم القيامة رجل أعطى بي ثم غدر ورجل باع حراً فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعط أجره »⁽⁵⁾ .

(١) المفاصلة في الثمن (النهاية ، مادة (سوم) : 2 / 425) .

(٢) جزء من حديث في سنن البيهقي : كتاب الإقرار . باب لا تجوز الإجارة حتى تكون معلومة وتكون الأجرة معلومة . رقم الحديث : 11431 . 6 / 120 .

(٣) المصدر السابق . نفس الكتاب والباب والجزء والصفحة . رقم الحديث : 11432 .

(٤) الإحسان في ضوء الكتاب والسنة . أحمد بن سعد الغامدي . مرجع سابق : 2 / 579 .

(٥) صحيح البخاري : كتاب البيوع . باب إثم من باع حراً . رقم الحديث : 2114 . 2 / 776 .

وإن كان استيفاء الحق مما يثاب عليه المرء يوم القيامة فإن الإحسان في مال الخادم وتنميته ابتغاء وجه الله ﷺ سبب في تفريج الكربات ونيل أعلى الدرجات لحديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « ... وقال الآخر اللهم إني كنت استأجرتُ أجيرًا بفرقٍ أُرزُّ فلما قضى عمله قال أعطني ح قِّي فعرضتُ عليه حقه فتركه ورغب عنه فلم أزل أزرعه حتى جمعتُ منه بقراً وراعيها فجاءني فقال اتق الله ولا تظلمني وأعطني حقي فقلت اذهب إلى تلك البقر وراعيها فقال اتق الله ولا تهزأ بي فقلت إني لا أهزأ بك فخذ تلك البقر وراعيها فأخذه فانطلق بها فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج ما بقى ففرج الله عنهم » (1) .

وقد بادر الصحابة في مساعدة الخدم وإعانتهم ممثلين أمر الرسول ﷺ : « إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فأطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم » (2) .

فقد جاء رجل إلى سلمان الفارسي عليه السلام فوجده يعجن فقال : أين الخادم ؟ فقال : أرسلته في حاجة ولم يكن ليجمع عليه شيئا أن نرسله ولا نكفيه عمله (3)

ومن الرفق بهم أيضاً عدم معاتبتهم وتوبيخهم في كل أمر ، فهم بشر معرضون للخطأ والنسيان وقد كان قدوتنا في ذلك المصطفى ﷺ فعن أنس رضي الله عنه قال : « قَدِمَ

(1) صحيح البخاري : كتاب الأدب . باب إجابة دعاء من برَّ والدَّيِّه . رقم الحديث : 5629 .

. 2228 / 5

(2) سنن ابن ماجه كتاب الأدب . باب الإحسان إلى المأليئرقم الحديث 3690 . 1216 / 2 .

(3) انظر : شعب الإيمان . البيهقي . مرجع سابق : 6 / 465 .

رسول الله ﷺ المدينة ليس له خادِمٌ فأخذ أبو طلحة بيدي فأطلق بي إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن أنسا غلامٌ كَيْسٌ فليخدمك ، قال : فخدمته في السفر والحضر ما قال لي لشيءٍ صنعته لم صنعته هكذا ولا لشيءٍ لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا» (1).

ومن المعلوم أن عصر الرق انتهى في هذا الزمن وحل محل الرقيق الخدم ، فتحمل أحاديث الإحسان إلى المملوك والرفق به على الخدم لما يتشاركوا فيه من الخدمة والضعف .

وإن كان الإسلام قد أنكر توبيخهم وتعنيفهم فضر بهم من باب أولى وأعظم فعن أبي مسعود الأنصاري قال : كنت أضربُ مملوكًا لي فسمعتُ قائلاً من خلفي يقول : « اعلم أبا مسعودٍ » فالتفتُ فإذا أنا برسولِ الله ﷺ فقال : « الله أقدرُ عليك منك عليه » فقلت يا رسول الله : هو حرٌّ لوجهِ الله فقال : « أما لو لم تفعلْ لكفحتك النارُ أو لمستك النارُ » (2) .

وتعد النفقة عليهم من الرفق الواجب بهم ويؤثم صاحبه إن أمسكه ، قال رسول الله ﷺ : « كفى بالمرءٍ إثمًا أن يحبسَ عمن يملك قوته » (3) .

(1) صحيح البخاري : كتاب الوصايا . باب استخدا الميتم في السفر والحضر إذا كان صلاحًا له ونظر الأم وزوجها للميتم . رقم الحديث : 2616 / 3 . 1018 .

(2) صحيح مسلم : كتاب الأيمان . باب صخبية المالك وكفارة من لطم عبده . رقم الحديث : 1281 / 3 . 1659 .

(3) جزء من حديث في صحيح مسلم : كتاب الزكاة . باب فضل النفقة على العيال والمملوك وإثم من ضيعهم أو حبس نفقتهم عنهم . رقم الحديث : 996 / 2 . 692 .

وفي مقابل ذلك الوعيد لمن آذاهم واستغل ضعفهم يأتي ثواب الله ﷻ لمن عفا عنهم فقد جاء رَجُلٌ إلى النبي ﷺ فقال : يا رَسُولَ الله كَمْ نَعْفُو عن الخَادِمِ ، فَصَمَتَتْ ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ الكَلَامَ فَصَمَتَتْ فلما كان في الثَّالِثَةِ قال : « اغْفُوا عنه في كل يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً » (1) .

وفي صفحات التاريخ مواقف كثيرة تؤكد مدى التزام السلف الصالح بهذه الأوامر الربانية والتوجيهات النبوية فلم يمت ابن عمر - رضي الله عنهما - حتى أعتق ألف إنسان أو زاد عن ذلك (2) .

فقد كان ﷺ إذا رأى من رقيقه أمراً يعجبه أعتقه ، وكان رقيقه قد عرف ذلك منه ، يقول نافع : « فلقد رأيت بعض غلمانه ربما شمر ولزم المسجد فإذا رآه على تلك الحالة الحسنة أعتقه فيقول له أصحابوا الله يا أبا عبد الرحمن ما هم إلا يخدعونك ، قال : فيقول عبد الله من خدعنا بالله ﷻ انخدعنا له » (3) .

وفي يوم من الأيام كانت جارية لعلي بن الحسين رحمه الله تسكب عليه الماء حتى يتهيأ للصلاة فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجه فرفع علي بن الحسين رأسه إليها ، فقالت الجارية : إن الله عز وجل يقول ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ ﴾ فقال لها : قد كظمت غيظي .

قالت : ﴿ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ﴾ .

(1) سنن أبي داود : كتاب الأدب . باب في حقِّ المملوك . رقم الحديث : 5164 . 4 / 341 .

(2) سير أعلام النبلاء . مرجع سابق : 3 / 218 .

(3) الطبقات الكبرى لابن سعد . مرجع سابق : 4 / 166 .

قال : قد عفا الله عنك . قالت : ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (1) .

قال : فاذهبي فأنت حرة (2) .

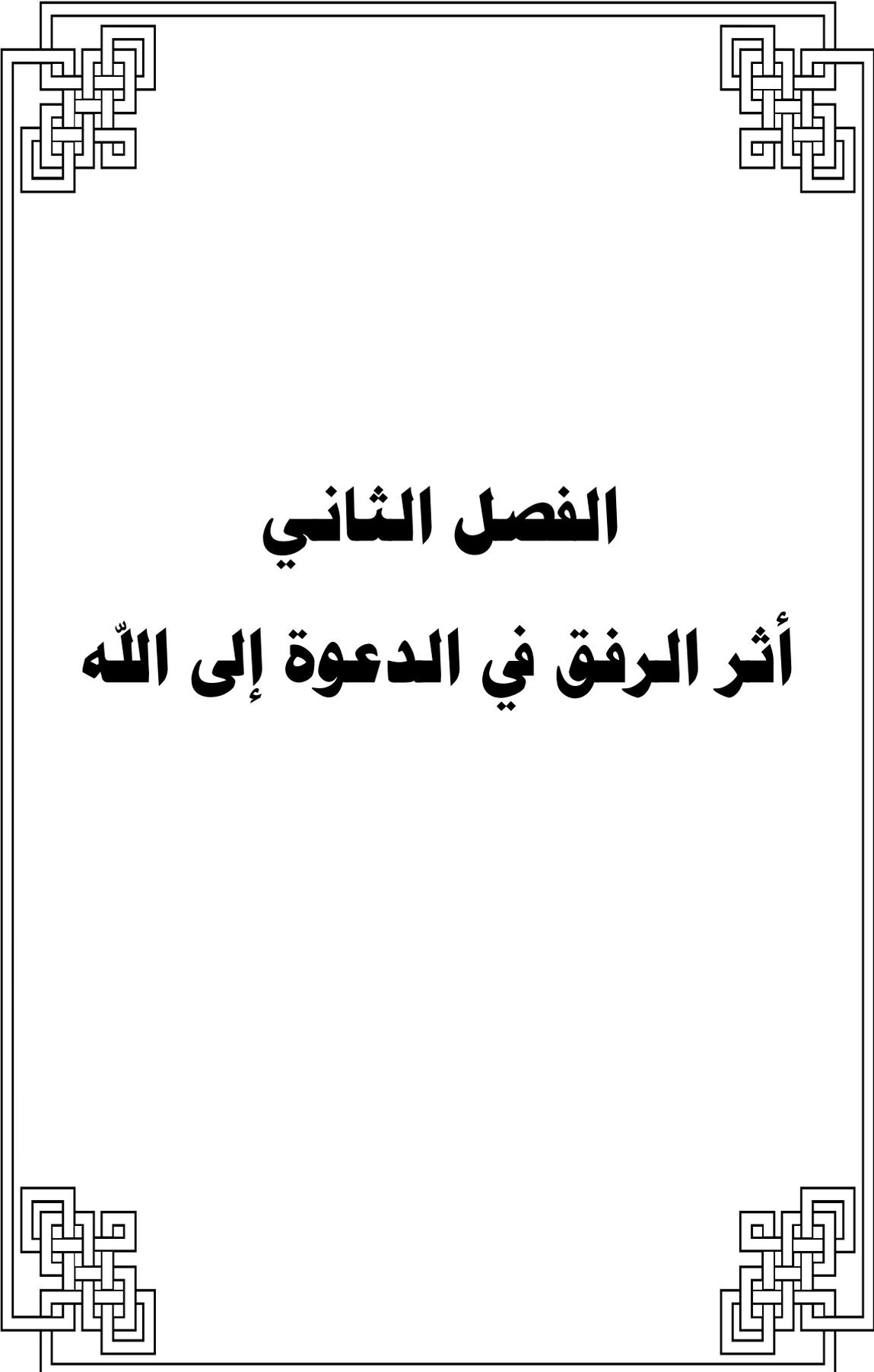
لذلك كان لزاماً على كل مسلم ومسلمة أن يراعي حق الله في هؤلاء المستضعفين حتى تناله رحمة الله في الدنيا والآخرة فمن لا يرحم لا يرحم .



(1) والآية كاملة : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ

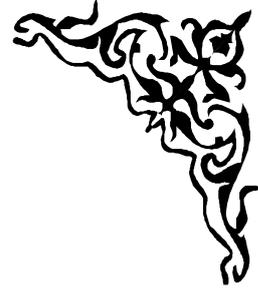
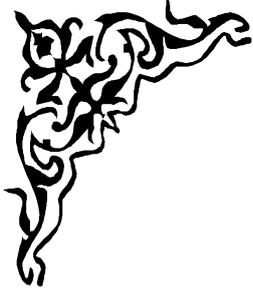
النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ سورة آل عمران : رقم الآية (134) .

(2) تاريخ مدينة دمشق . مرجع سابق : 41 / 387 .



الفصل الثاني

أثر الرفق في الدعوة إلى الله



تمهيد

ويشتمل على :

- 1- تعريف الدعوة .
- 2- حكم الدعوة .
- 3- أهمية الدعوة .



1 - تعريف الدعوة :

تعريف الدعوة في اللغة :

يطلق لفظ الدعوة في اللغة على عدة معان كما جاءت في القرآن الكريم ومن

هذه المعاني :

1 - النداء⁽¹⁾ : ومنه قولنا «دعوت فلاناً» أي ناديته وطلبت حضوره.

2 - الندب⁽²⁾ : ومنه دعت الثاكلة إذا نذبت .

3 - السروق⁽³⁾ : ومنه دعاه إلى الأمير أي ساقه إليه .

4 - الحلف⁽⁴⁾ : يقال دعوة بني فلان في بني فلان أي تحالفهم فيما بينهم

5 - السؤال⁽⁵⁾ : ومنه أدع لنا الرجل أي أسأله .

6 - الدعاء⁽⁶⁾ .

7 - الاستغاثة⁽⁷⁾ .

(1) إكمال الأعلام بتثليث الكلام : 1 / 216 . المصباح المنير : 1 / 194 . المحكم والمحيط

الأعظم : 2 / 325 . الأفعال : 1 / 373 .

(2) تاج العروس : 38 / 51 . إكمال الأعلام بتثليث الكلام : 1 / 216 . المحكم والمحيط

الأعظم : 2 / 326 .

(3) تاج العروس : 38 / 47 . القاموس المحيط : 1 / 1655 .

(4) المحكم والمحيط الأعظم : 2 / 327 . القاموس المحيط : 1 / 1655 .

(5) إكمال الأعلام بتثليث الكلام : 1 / 216 .

(6) تاج العروس : 38 / 46 .

(7) المصدر السابق : 38 / 51 .

8 - شهادة الحق (1) .

9 - العبادة (2) .

تعريف الدعوة في الاصطلاح :

وللدعوة في اصطلاح الدعاة تعريفات عدة من أهمها :

التعريف الأول : « هي الدعوة إلى الإيمان بالله ﷻ وبما جاءت به رسله - عليه م السلام - بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه » (3) .

التعريف الثاني : « المحاولة القولية والفعلية لنداء الناس وإمالتهم إلى الداعي وما يقصده من قول أو عمل » (4) .

التعريف الثالث : قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعاً في كل زمان ومكان لاقتفاء أثر الرسول ﷺ والتأسي به قولاً وعملاً وسلوكاً » (5) .

(1) المحكم والمحيط الأعظم : 2 / 325 .

(2) الأفعال : 1 / 373 .

(3) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير . مرجع سابق : 15 / 157 - 158 .

(4) الدعوة إلى الله : الرسالة الوسيلة الغاية . مكتبة الفلاح / الكويت . بدون طبعة . 1406 هـ - 1986 م .

(5) الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل . محمد بن سيدي بن الحبيب . دار الوفاء للنشر والتوزيع / جدة . ط1 - 1406 هـ 1985 . ص / 27 .

التعريف الرابع : « حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل »⁽¹⁾ .

التعريف الخامس : « تبليغ الإسلام للناس ، وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة »⁽²⁾ .

التعريف السادس : « هداية الناس إلى طريق الله وجمعهم على النجى وإخراجهم من ظلمات الشرك والجهالة وفوضى النظم والتشريعات إلى نور العقيدة الصحيحة والإيمان الحق »⁽³⁾ .

التعريف السابع : « حسن الدعاية إلى الله ﷻ ولنظامه لإدارة الحياة وهو الإسلام »⁽⁴⁾ .

التعريف الثامن : « دعوة الناس وإبلاغهم دين الله وحثهم على الالتزام به والانقياد لأحكامه والتحاكم إليه تطبيقاً وتنفيذاً من قبل دولة يقودها إمام راشد من أجل استئناف حياة إسلامية تحمل كلمة التوحيد للعالم تخلصه من الشقاء

(1) هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة . علي محفوظ . دار الاعتصام . ط4 - بدون سنة طبع . ص / 17 .

(2) الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية . صالح بن غانم السدلان . دار بلنسية - الرياض . ط1 . 1417 هـ - 1997 م .

(3) فقه الدعوة والداعية . إبراهيم النعمة . دار الفرقان / الأردن . بدون طبعة وتاريخها . ص / 13 .

(4) الدعوة الفردية وسائل ومفاهيم . محمد منصور . دار التوزيع والنشر / القاهرة . ط1 - 1424 هـ - 2003 م . ص / 5 .

وتخرجه من الظلمات إلى نور الحق» (1) .

ومن مجموع ما تقدم من تعريفات الدعوة إلى الله ﷻ يتبين أنها : « تعريف الناس بحقيقة الدين وتبصيرهم بها على الوجه الصحيح الذي أراده الله قولاً وفعلاً وسلوكاً بين البشر لتحقيق الغاية التي من أجلها خلقوا » .

ورود لفظ الدعوة في القرآن الكريم :

1 - السؤال : ومنه قوله ﷻ : ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمُرُونَ ﴾ (2) أي استفسر منه عن حقيقة صفات البقرة .

2 - الدعاء والطلب : ومنه قوله ﷻ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ .

3 - الاستغاثة : ومنه قوله ﷻ : ﴿ وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (3) أي استغيثوا بهم إن كانوا يستطيعون نفعكم .

4 - شهادة الحق : ومنه قوله ﷻ : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾ (4) ، وقوله تعالى :

(1) مفاهيم في فقه وأساليبها . عبد الحميد الرمحي . دار الحامد للنشر والتوزيع / الأردن . ط1 -

2002 م . ص / 22 .

(2) سورة البقرة : رقم الآية (68) .

(3) سورة البقرة : جزء من الآية (23) .

(4) سورة الرعد : جزء من الآية (14) .

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾⁽¹⁾ أي إلى كلمة التوحيد وما يقرب منها .

5- العباداة : ومنه قوله ﷺ : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾⁽²⁾ أي لن نعبد من دونه ما لا يضر ولا ينفع .

وهي كلمة عامة قد يراد بها الدعوة إلى هدى أو الدعوة إلى ضلالة بحسب الإضافة فالنبي ﷺ داعي إلى الله ﷻ كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾⁽³⁾ أي إلى توحيدِهِ وما يُقَرَّبُ منه ، أما الشيطان ومن سار في طريقه فهم دعاة إلى النار لقوله ﷻ : ﴿ وَيَنْقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾⁽⁴⁾ .

ويُطْلَقُ الدَّاعِي أَيْضًا عَلَى الْمُؤَدِّنِ لِأَنَّهُ يَدْعُو إِلَى مَا يُقَرَّبُ مِنَ اللَّهِ وَقَدْ دَعَا فَهُوَ دَاعٍ وَالْجَمْعُ دُعَاةٌ وَدَاعُونَ كَقَضَاةٍ وَقَاضُونَ⁽⁵⁾ .

فما تقدم يتبين لنا أن الدعوة تأتي بمعاني عديدة تدل دلالة مؤكدة على محاولة

(١) سورة الأحزاب : رقم الآية (46) .

(٢) سورة الكهف : رقم الآية (14) .

(٣) سبق تخريجها : في نفس الصفحة .

(٤) سورة غافر : رقم الآية (41)

(٥) انظر : تاج العروس : 38 / 47 . المصباح المنير : 1 / 194 . المحكم والمحيط الأعظم :

2 / 326 . القاموس المحيط : 1 / 1655 . الأفعال : 1 / 373 .

إمالة المدعو وترغيبه للأمر المراد منه فيكون معناها اللغوي مقارب للمعنى الذي اصطلاحه الدعاة .

2 - حكم تبليغ الدعوة :

مما لا شك فيه أن حكم تبليغ الدعوة إلى الله ﷻ واجب على كل مسلم ومسلمة لتوارد الأدلة على ذلك ، ي قول الله ﷻ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (1) ويقول ﷻ : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (2) .

وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (3) .

ومن المؤكد أن كل أمر للرسول ﷺ هو تكليف لأُمَّته ، فقد أمر الرسول ﷺ معاشر المسلمين بالتبليغ حيث قال : « لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّهُ رَبٌّ مُبَلِّغٌ يُبَلِّغُهُ أَوْعَى لَهُ مِنْ سَامِعٍ » (4) .

ولكن انقسم العلماء في تخصيص حكم الفرض على فريقين :

(١) سورة آل عمران : رقم الآية (110)

(٢) سورة النحل : رقم الآية (125)

(٣) سورة المائدة : رقم الآية (67)

(٤) سنن ابن ماجه : باب من بَلَّغَ عِلْمًا . رقم الحديث : 233 . 1 / 85 .

الفريق الأول :

يرون أن الدعوة فرض عين واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (1) .

وقالوا أن المراد بحرف الجر (من) في الآية البيان لا التبعض فهي فرض عين كالصيام والزكاة والحج لتضافر الأدلة على ذلك .

الفريق الثاني :

قالوا إن الدعوة إلى الله ﷻ فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين ، وإن تركوه جميعاً أثموا واستدلوا بالآية التي استدل بها الفريق الأول وكان تفسيرهم لحرف الجر (من) أنها للتبعض

الترجيح :

وللترجيح في هذه المسألة نرجح - والله أعلم - ما أخذ به ثلثة من العلماء بقولهم أن الدعوة إلى الله ﷻ فرض عين بقدر استطاعة المرء لحديث أشرف الخلق نبينا الكريم ﷺ حيث قال : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » (2) .

(1) سورة آل عمران : رقم الآية (104) .

(2) صحيح مسلم : كتاب الإيمان . باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان . رقم الحديث : 49 / 1 . 69 .

و في ذلك يقول ابن كثير رحمه الله :- « أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن ، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه⁽¹⁾ »

ويدل على ترجيح القول الأول ما تضافرت عليه النصوص من الأمر القطعي بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولما في تركه من استحقاق العقوبة كما جرى لزمرة من بني اسرائيل ، قال ﷺ :

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾⁽²⁾ وقد قال ﷺ : « إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكْبَلَهُ وَشَرِيْبَهُ وَقَعِيدَهُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ثُمَّ قَالَ : « لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ » إِلَى قَوْلِهِ « فَاسْتَقُونَ » ثُمَّ قَالَ : كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدَيْ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرْنَهُ عَلَى الْحَقِّ وَأَطْرًا وَلَتَقْضُرْنَهُ عَلَى الْحَقِّ قَضْرًا »⁽³⁾ .

وعلى ضوء تلك النصوص السابقة ولحاجة الناس الملحة للدعوة في هذا العصر يقول الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - : « فالدعوة مطلوبة في كل مكان أينما كنت والحاجة ماسة إليها أينما كنت ، فالناس في الطائرة محتاجون ، وفي السيارة محتاجون ، وفي القطار محتاجون ، وفي السفينة محتاجون إلى غير ذلك ،

(١) تفسير ابن كثير . مرجع سابق : 1 / 390 .

(٢) سورة المائدة : رقم الآية (78) .

(٣) سنن أبي داود : باب الأمر والنهي . رقم الحديث : 4336 . 4 / 121 .

وأهلك كذلك ينبغي أن تعني بهم أولاً كما قال ﷺ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوًّا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (1) «(2) .

ويقول في موضع آخر: « ونظراً إلى انتشار الدعوة إلى المبادئ الهدامة وإلى الإلحاد فإن الدعوة إلى الله ﷻ اليوم أصبحت فرضاً عاماً وواجباً على جميع العلماء وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالإسلام فرض عليهم أن يبلغوا دين الله حسب الطاقة والإمكان بالكتابة والخطابة وأن لا يتقاعسوا عن ذلك أو يتكلموا على زيد أو عمرو بل الضرورة ماسة إلى التعاون والتشارك لأن أعداء الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسيلة للصد عن سبيل الله فوجب على أهل الإسلام أن يقابلوا هذا النشاط المضل بنشاط إسلامي ودعوة إسلامية» (3).

فتأكد لنا مما سبق أن قول الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، كل بحسب استطاعته وترك ذلك مع الاستطاعة إنما هو من باب كتمان العلم ويخشى على التارك من اللعن عند ذلك لقوله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكُتُبِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ (4) .

(1) سورة التحريم : رقم الآية (6) .

(2) مجموع دروس ورسائل في الدعوة إلى الله تعالى . عبد العزيز بن باز / محمد بن عثيمين / صالح

آل الشيخ . مرجع سابق : ص / 31 .

(3) المرجع السابق . ص / 14 . باختصار .

(4) سورة البقرة : رقم الآية (159) .

والمراد باللاعنين « الملائكة والمؤمنون وقيل كل من يتأتى منه اللعن فدخل في ذلك الجن وفي هذه الآية من الوعيد ما لا يقدر قدره » (1) .

3 - أهمية الدعوة إلى الله :

لما كانت الدعوة إلى دين الإسلام أمراً عظيماً فهي الغاية التي من أجلها خلقنا ، لقوله ﷻ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (2) .

كانت أهميته اشديدة والحاجة إليها لا تغني عن أي أمر آخر ، فإن النفس مجبولة على حب التعبد والالتجاء إلى خالقها كما قال ﷻ : ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا نَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (3) .

إلا أن العقل البشري قاصر على أن يعلم الكيفية التي أراد الله ﷻ لعباده أن يسلكوها ولأجل هذا السبب أرسل الله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فأرشدوا الناس إلى عبادة الله وحده بالطريقة التي شرعها ، ولكن الخلود صفة لله ﷻ لا ينازعه فيها أحد ، قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ (4) .

(1) زبدة التفسير من فتح القدير . محمد سليمان عبد الله الأشقر . دار النفائس للنشر والتوزيع -

عمّان . ط 1 / 2002 م : ص / 31 .

(2) سورة الذاريات : رقم الآية (56) .

(3) سورة الروم : رقم الآية (30) .

(4) سورة الأنبياء : رقم الآية (34) .

اختار الله ﷻ لأنبيائه أن يكونوا إلى جواره بعد أن بلغوا الدين فأصبحت مهمة الدعوة على عاتق كل من حمل هذا الدين بعد الأنبياء من الثقلين .

ولقد فهم الصحابة ومن جاء من بعدهم هذا الأمر فقاموا يجوبون أقطار العالم ينشرون الدين الإسلامي ، فعن جعفر بن سليمان قال : « سمعت مالك بن دينار يقول : لو استطعت ألا أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم ، ولو وجدت أعواناً لفرقتهم ينادون في سائر الدنيا : النار النار » (1) .

كما فهم ذلك الجن وفور انتهائهم من سماع آيات الحق المبين ولو إلى قومهم منذرين ، وهكذا تكون شخصية المسلم الحقيقي الذي لا يعرف للخمول عن واجبه تجاه دينه طريقاً ، فالتحرك لرفعة هذا الدين وبذل المجهود لنشره وتمكينه في الأرض وظيفته كل مسلم ومسلمة بحسب المقدرة والاستطاعة فتحقق بذلك لنا الخيرية كما قال ﷻ : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (2) .

(1) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء . مرجع سابق : 2 / 369 . تاريخ مدينة دمشق . مرجع

سابق : 56 / 413 .

(2) سورة آل عمران : رقم الآية (110)

المبحث الأول

أثر الرفق في الدعوة إلى الله

تمهيد :

الأثر في اللغة هو : « ما بقي من رسم الشيء والجمع آثار » (1) .

ونقصد هنا في آثار الرفق أنها : « الثمار المحمودة المترتبة من خلق الرفق في

الدعوة إلى الله ﷻ » .

وكما أن كلمة الدعوة) عامة قد يُراد بها الدعوة إلى هدى أو الدعوة إلى ضلالة ، كذلك

إطلاق لفظ الأثر ، فمن الآثار ما هو محمود ومنها ما هو مذموم

فمن آثار اللين المذمومة ما استخدم فيه هذا الخلق في غير موضعه كالرأفة في

حدود الله ﷻ التي نهى عنه ا في هذه المواضع (2) ، قال الله ﷻ : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي

فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ ﴾ (3) .

وقد امتثل لهذا الأمر الرباني العظيم الرسول ﷺ ، فعن عائشة رضي الله عنها

أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمُخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا : مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ

ﷺ ؟ فَقَالُوا : وَمَنْ يَجْتَرِي عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ فَقَالَ

(1) انظر : مختار الصحاح ، مادة (أثر) : 1 / 2 . لسان العرب ، مادة (أثر) : 4 / 5 .

(2) وكل موضع أشرنا فيه سابقاً عن وجوب استخدام الشدة فيه كان للين أثر سلبي في ذلك

الموضع .

(3) سورة النور : رقم الآية (2) .

رسول الله ﷺ: « أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَأَيُّمَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » قال يونس قال بن شهاب قال عروة قالت عائشة : فَحَسُنْتَ تَوْبَتُهَا بَعْدُ وَتَزَوَّجَتْ وَكَانَتْ تَأْتِينِي بَعْدَ ذَلِكَ فَأَرْفَعُ حَاجَتَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (1) .

ولقد أسلفنا في تمهيد الفصل أن الدعوة إلى الله ﷻ - وبناء على التعريفات الاصطلاحية - هي : « تعريف الناس بحقيقة الدين وتبصيرهم بها على الوجه الصحيح الذي أَرَادَهُ اللَّهُ قَوْلًا وَفِعْلًا وَسُلُوكًا بَيْنَ الْبَشَرِ لِتَحْقِيقِ الْغَايَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا خَلَقُوا » .

ونقصد بآثار الرفق في الدعوة إلى الله ﷻ أي الشار المحمودة التي ستعود على الدعوة الإسلامية ، وهي دين الله ﷻ لقوله ﷻ : ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾ (2) عند تمسك الداعية بالرفق أثله نصحه .

ومن الآثار المحمودة للرفق في الدعوة إلى الله ﷻ :

(١) تقدم تخريج الحديث في صفحة (210) .

(٢) سورة الرعد : جزء من الآية رقم (14) .

أولاً / جذب الناس إلى الدين الإسلامي الحنيف :

لا شك أن النفس البشرية تميل إلى السباحة والرفق ، وتضيق ذرعاً بالغلظة والقسوة ، ومن منطلق ذلك نجد أن من أهم عوامل نجاح الدعوة الإسلامية وجذب الناس إليها انتهاج الدعاة للرفق واللين في تبليغهم ، وعدم تحميل الناس فوق طاقتهم مع الأخذ بمبدأ التدرج الذي نادى به الإسلام في كثير من الأمور ، وتأسياً برسول الله ﷺ فـ « ما خَيْرٌ بين أمرينِ إلا أخذَ أيسَرَهُما ما لم يكنِ إثماً فإنِ كانِ إثماً كانَ أبعدَ الناسِ منه » (1) كما قال ﷺ : « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلا غَلَبَهُ » (2) .

ولقد كان لرفق الرسول ﷺ أكبر أثر على نجاح الدعوة الإسلامية ، شهد بذلك أعداء الإسلام ، وصدحوا بتلك الحقيقة لما اقتدوا بسيرته العطرة ومن تلك الأقوال :

- قول اللورد (هيدلي) : « تلك الأخلاق الربانية التي أظهرها النبي ﷺ أقنعت العرب بأن حائزها يجب أن لا يكون إلا من عند الله ﷻ ، وأن يكون رجلاً على الصراط المستقيم حقاً ، وكراهيتهم المتأصلة في نفوسهم حولتها تلك الأخلاق الشريفة إلى محبة صادقة مثبتة ، نحن نعتبر أن نبي بلاد العرب الكريم ذو أخلاق متينة، وشخصية حقيقية وزنت واختبرت في كل خطوة من خطوات حياته ، ولم يرَ فيها أي نقص قط ، وبما أننا في احتياج إلى نموذج كامل يفني بحاجاتنا في خطوات الحياة ، فحياة النبي المقدس تسد تلك الحاجة وحياة محمد ﷺ كمرآة أمامنا تعكس

(1) تقدم تخريج الحديث في الصفحة (209) .

(2) تقدم تخريج الحديث في الصفحة (276) .

علينا التعقل الراقي والسخاء والكرم والحلم والوداعة والعمو وباقي الأخلاق
الجوهريّة التي تكوّن الإنسان» (1) .

- وقول الدكتور (ليك) : « كان محمد ﷺ رحمة حقيقية لليتامى وأبناء السبيل
و المنكوبين والمديونين وجميع الفقراء والمساكين والعمال ذوي الكد والعناء ، ولقد
بعث محمد ﷺ رحمة لجنس النساء الذي كان يعامل كالأمتعة لا أكثر وذلك في جميع
الدنيا ومن أفراد كل دين من الأديان ، وكل نظام اجتماعي » (2)

- وقول (غوستاف لوبون) : « كان محمد ﷺ شديد الضبط لنفسه كثير التفكير ،
صموتاً ، حازماً سليم الطوية ، وديعاً ، أفلقاتلاً ماهراً » (3) .

- وقول الشاعر (جوته) : « إذا كان ذلك هو الإسلام ، فكلنا إذاً مسلمون ،
كل من كان شريفاً فاضل الخلق هو مسلم » (4) .

**ثانياً / تحقيق الغاية من الدعوة إلى الله ﷻ وهي عبادته وحده
لا شريك له :**

وهي الغاية الكبرى من الدعوة الإسلامية لقول الله ﷻ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ
وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (5) .

(1) الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين . نذير حم دان . دار المنارة للنشر والتوزيع . ط2 /

1406 هـ - 1986 م : ص / 64 .

(2) الإسلام والمستشرقون . نخبة من العلماء . عالم المعرفة / جدة . 1405 هـ : ص / 332 .

(3) الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين . نذير حمدان . مرجع سابق : ص / 49 .

(4) الإسلام والرسول في نظر منصفى الشرق والغرب . أحمد بن حجر آل بوطامي آل بن علي .

مكتبة الثقافة . 1403 هـ : ص / 176 .

(5) سورة الذاريات : رقم الآية (56) .

وقوله ﷺ: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (1).

وكما قال الله ﷻ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ

وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴾ (2)

ولا تتحقق هذه الغاية إلا بأساليب مناسبة يستخدمها ا لداعية في دعوته

ويكون ارتكازها على الرفق واللين في المعاملة .

ولقد حقق رسول الله برفقه هذه الغاية العظمى ، فدخل الناس في دين الله ﷻ

أفواجاً . ولعل من تلك المواقف الدالة على ذلك ما أورده الحاكم في مستدركه عن

علي بن أبي طالب ؓ: أن يهوديا كان يقال له جريجرة كان له على رسول الله ﷺ

دنانير فتقاضى النبي ﷺ فقال له : « يا يهودي ما عندي ما أعطيك » قال : فإني لا

أفارقك يا محمد حتى تعطيني ، فقال ﷺ : « إذا أجلس معك » فجلس معه فصلى

رسول الله ﷺ في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتهددونه ويتوعدونه ففطن رسول الله ﷺ فقال :

« ما الذي تصنعون به » فقالوا : يا رسول الله يهودي يجبسك ؟ ! فقال رسول الله

ﷺ : « منعني ربي أن أظلم معاهدا ولا غيره » فلما ترحل النهار ، قال اليهودي :

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وقال : شطر مالي في سبيل

الله أما والله ما فعلت الذي فعلت بك إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة محمد بن

(١) سورة المائدة : جزء من الآية رقم (15) .

(٢) سورة الشورى : رقم الآية (52) .

عبد الله مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام ليس بفظ ولا غليظ ولا
صخّاب في الأسواق ولا متزي بالفحش ولا قول الخنا أشهد أن لا إله إلا الله
وأنت رسول الله هذا مالي فاحكم فيه بما أراك الله « (1) .

كما أن رفقته منعه ﷺ أن يترك غلاماً يموت دون تلقين الشهادة فهاهو غلامٌ
يهوديٌّ قام بخدمة النبي ﷺ فمَرَضَ فَاتَاهُ ﷺ يَعُودُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ :
« أَسْلِمٌ » فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدُهُ فَقَالَ لَهُ : أَطِيعَ أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ ، فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ
النبي ﷺ وهو يقول : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ » (2) .

ثالثاً / تحقيق عالمية الدعوة وصلاحيتها :

إن عالمية الدعوة مستمدة من عالمية الدين الإسلامي الحنيف ، فهو دين صالح
للكل زمان ومكان إلى قيام الساعة .

وليس بإمكان أي دعوة الانتشار وبلوغها أقاصي الأرض كدعوة
الإسلام ، وذلك للأوامر الربانية الكريمة من لدن الحكيم الخبير الذي أمر بانتهاج
الرفق في الدعوة إليه ﷺ فقال : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَدِّدْ لَهُمُ بِلَاتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (3) .

(1) تقدم تخريج الحديث في صفحة (250 - 251) وذكره في هذا الوطن لدلالته المهمة في

الاستشهاد على تحقيق الرسول ﷺ للغاية الرئيسية من الدعوة إلى الله ﷻ .

(2) تقدم تخريج الحديث في صفحة (249 - 250) .

(3) سورة النحل : رقم الآية (125) .

وبين لرسوله ﷺ أن هذه الدعوة العالمية التي أرسل بها لتبليغها ولإرشاد الناس إلى عبادة ربهم ﷻ إنما هي رحمة خلقه فقال ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (1).

وأمره بالأخذ بالتي هي أحسن والإعراض عن الجاهلين أثناء دعوته إليه ﷺ طمعاً في انتشار الدين الإسلامي، وتعبيد الناس جميعاً إلى عبادته ﷻ، يقول الله في محكم تنزيله: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (2).

ويقول الرسول ﷺ في حثه للدعاة والناس جميعاً بانتهاج الرفق في حياتهم كاملة، تحبيراً لمن لم يدخله له: « اللهم من رَفَقَ بِأُمَّتِي فَأَرْفُقْ بِهِ وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِم فَشُقِّ عَلَيْهِ » (3).

وحرَم النار على جسد كل من تَلَطَّف ورفق في نشر هذا الدين لبلوغ العالمية المرجوة له فقال: « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ » (4).

لذلك فمما ينبغي تأكيده في هذا المقام بعد التنبيه إلى أن الدعوة إلى الله ﷻ عامة لكل الناس، وأن المدعوين هم الناس كافة، وأن موضوعها دين الإسلام الخاتم الذي فيه سعادة البشر جميعاً، أن يعلم مما يثبت عالمية الدعوة إلى الإسلام ذلك الرفق في الدعوة إلى شريعته، والتي تؤكد رفع الحرج ونفسي الجناح، وجلب

(1) سورة الأنبياء: رقم الآية (107).

(2) سورة الأعراف: رقم الآية (199).

(3) تقدم تخريج الحديث في الصفحة (173).

(4) تقدم تخريج الحديث في الصفحة (174).

التيسير عند المشقة ، وتغير الفتوى ، بتغير معطياتها زماناً ومكاناً ، وهذا الذي على مثله يؤمن الناس بالإسلام فتتحقق مصالحهم في العاجل والآجل (1) .

رابعاً / تحقيق الائتلاف بين أفراد المجتمع :

من مقاصد الدعوة إلى الله ﷻ الوحدة والائتلاف حول كتاب الله وسنة نبيه ونبذ الفرقة والاختلاف بين المسلمين ، يقول الله ﷻ في الحث على الاعتصام وعدم التفرق : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (2) .

وهذا الاتفاق والائتلاف هو ثمرة الرفق في دعوة الداعية إلى الله ﷻ فبدونه لن تلتف القلوب حول الداعية وفيما بينها ، لقوله ﷻ : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (3) .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : « جماع الدين : تأليف القلوب واجتماع الكلمة وصلاح ذات البين ، وأهل هذا الأصل هم أهل الجماعة ، كما أن الخارجين عنه هم أهل الفرقة » (4) .

(1) انظر : معالم في أصول الدعوة . محمد يسري . طبع على نفقة المؤلف - الرياض . ط 1 /

1424 هـ - 2003 م : ص / 86 . بتصرف .

(2) سورة آل عمران : رقم الآية (103) .

(3) السورة السابقة : رقم الآية (159) .

(4) مجموع الفتاوى . مرجع سابق : 28 / 51 .

خامساً / تحقيق الأمن النفسي والدولي للمجتمع وحمايته من

الإرهاب :

لا يخفى على الإنسان أهمية الأمن في كل مجتمع « فإذا فقد الأمن اضطربت النفوس ، وسيطر عليها الخوف والقلق وتعطلت مصالح الناس ، وانقبضوا عن السعي والكسب ، وانحصرت همهم بتأمين أنفسهم ومن تحت يديهم ، ودفع الظلم والعدوان الواقع أو المتوقع عليهم .

فهل يمكن للإنسان أن يعبد ربه ويقوم بواجبات دينه كما أمره الله والخوف يحاصره ، والقلق يساوره ، وتوقع المكروه يخنق صوته كتهنئة أنفاسه.

فلا يمكن للحياة أن تستقر وتزدهر إلا بالأمن ، ولا يمكن أن تستقيم أحوال الناس ، وتتنظم أمورهم ، وتهتدأ نفوسهم إلا بتوفره فهو حاجة إنسانية ، وضرورة بشرية وغريزة فطرية ملحة ، ولا يكاد الناس يجمعون على طلب شيء والسعي لتحصيله ، كما يجمعون على طلب الألف والحرص عليه⁽¹⁾ .

والضرورة إلى انتشار الأمن والاطمئنان بين الناس توازي حاجتهم إلى الطعام ، فقد وجه الله ﷻ الخطاب لقريش يأمرهم بالإيمان به وتوحيده معدداً لهم العظيمة قائلاً :

﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾⁽²⁾ .

ونظير هذه الآية قوله ﷻ في معرض تذكير قريش بما امتن الله به عليها مقدماً

(1) أثر العلم والإيمان في مكافحة الإرهاب والعدوان . عبد العزيز بن فوزان الفوزان . مرجع

سابق : ص / 15 - 16 .

(2) سورة قريش : رقم الآية (4) .

فيها نعمة الأمن على تحصيل الثمار والرزق ، فقال ﷺ : ﴿ وَقَالُوا إِن تَبِيعَ أَهْدَىٰ مَعَكَ نُخْطَفَ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (1) .

ولا أدل على ذلك أيضاً من دعاء خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام لهذا البلد المبارك أن يكون آمناً من إفساد المفسدين وهتك المغرضين ، يقول الله ﷻ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (2) .

كما نوه النبي ﷺ إلى أهمية هذا الأمن وقيمته في حياة الفرد والمجتمع بقوله : « من أصبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ (3) مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا » (4) .

ومما سبق من أهمية الأمن يتبين حتمية ووجوب الدعوة إلى الله ﷻ ببصيرة وعلم ورفق مع المدعوين حتى يُبرى جيل عالم بأحكام دينه، رحيم بأمته ، يسعى إلى بناء مجتمعه ، لا هدمه وتدمير منشآته .

(١) سورة القصص : رقم الآية (57) .

(٢) سورة البقرة : رقم الآية (126) .

(٣) أي في نفسه وطريقه أو في طائفته ومذهبه (انظر : لسان العرب ، مادة : (سرب) : 1 / 463 .

النهاية ، مادة (سرب) : 2 / 356)

(٤) سنن الترمذي : كِتَابُ الزُّهْدِ . بَابُ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ . رقم الحديث : 2346 . 4 / 574 .

المبحث الثاني

أثر الرفق في الداعي إلى الله

الداعي إلى الله ﷻ هو « المبلغ للإسلام والمعلم له والساعي إلى تطبيقه⁽¹⁾ .

وقد ذكرنا سابقاً في حكم الدعوة أنها فرض عين على كل مس لم ومسلمة بحسب الاستطاعة ، فثواب ذلك جزيل ، والآثار المترتبة عند دعوة الداعية للمدعو إلى الله ﷻ خصوصاً إذا استخدم أساليب الرفق واللفظ عظيمة الثمار ، منها :

أولاً / الإعذار إلى الله ﷻ :

لقد جعلنا الله ﷻ خير أمة أخرجت للناس ، فقال ﷻ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾⁽²⁾ .

وقد كان سبب هذه الخيرية ما تحملته هذه الأمة من الإلزام بأداء هذه الفريضة المهمة وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أتم وجه ، ولا يكف ذلك بدعوة عنيفة تفتقر إلى الرفق والرحمة في التعامل مع المدعوين .

ولا يتحقق الإعذار المرجو إلا عند تبليغ الدعوة لكل من يستطيع أن يصله الداعي إلى الله ﷻ ، بالصفات والأساليب التي أمر بها في كتابه العزيز ، ووضحها نبيه ﷺ .

يقول الله ﷻ في أهمية الإعذار ، وجواب الدعوة للناس عندما أشاروا عليهم

(١) المدخل إلى علم الدعوة . محمد أبو الفتح البيانوني . مرجع سابق : ص / 40 .

(٢) سورة آل عمران : جزء من الآية رقم (110) .

بترك الدعوة في عصاة لا يتعظون بالنصح : ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّايَ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُونَ ﴾ (1) .

وقد بلغ النبي ﷺ ما عليه على أتم وجه ، وأبلغ طريقة جاعلاً الله شهيداً على ذلك ، فقال : « اللهم قد بلغت » قالوا : نعم ثلاثاً قال : « اللهم أشهد ثلاث مرات » (2) .

ثانياً / الطمأنينة القلبية :

لا شك أن البر فيما يطمئن إليه القلب ، وتنشرح له النفس ، لقول رسول الله ﷺ : « الْبِرُّ مَا أَطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَأَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ » (3) .

وتأتي هذه الطمأنينة عندما يشعر الداعية أنه قام بما أوجبه الله ﷻ من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر متتهجاً منهج الرفق في دعوته مقتدياً بأنباء الله ﷻ ورسله ، حيث قال : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (4) .

وقد ربط الله ﷻ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالإيمان فوصف المؤمنين بقوله : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

(1) سورة الأعراف : رقم الآية (164) .

(2) جزء من حديث في سنن البيهقي الكبرى : رقم الحديث : 10245 . 5 / 275 .

(3) جزء من حديث في سنن الدارمي : كِتَابِ الْبُيُوعِ . باب دَعَا مَا يَرِيئُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيئُكَ . رقم

الحديث : 2533 . 2 / 320 .

(4) سورة آل عمران : رقم الآية (104) .

عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾ فالإيمان هو أساس السعادة القلبية
 والاطمئنان النفسي .

ثالثاً / اكتساب المزيد من العلم :

وذلك لأن الداعية عندما يرى مدى نجاح دعوته بفضل الله وتوفيقه ثم بسبب
 ما استخدمه في رفق سيشجعه ذلك حتماً إلى مزيد من طلب العلم حتى يجيب عما أشكل على
 المدعويين من أمور ، فيجيب عما يعلم ، ويبحث عما لا يعلم
 إن الداعية إلى الله ﷻ الملتزم بالرفق في دعوته يزداد علمه بينما القاعد في زوايا بيته ولا
 يفتح صدره لطلبة العلم ولا للناس يضعف علمه وينسى كثيراً

فالداعية المجتهد في دعوته الرفيق بأمر من يدعوه نجده عندما يقبل موسم
 رمضان يدرس أحكام رمضان بالتفصيل ، وعندما يأتي موسم الحج يدرس أحكام
 الحج بالتفصيل وبذلك يزداد علمه يوماً بعد يوم (2) .

رابعاً / اكتساب المزيد من الخصال الحميدة :

سيكتسب الداعية إلى الله أثناء سيره في طريق الدعوة باستخدام الرفق والتأني
 خصال حميدة أخرى تتفرع من الرفق كضبط النفس والصبر والسماحة .
 لأن هذه الصفات لا يستطيع اكتسابها عند عزلته للناس ، فلا تتم إلا
 بمخالطتهم ، فيربي نفسه عليها أثناء التعامل .

(١) سورة التوبة : رقم الآية (71) .

(٢) انظر : الدعوة إلى الله توجيهات وضروابط . عبد الله الخاطر . طبع على نفقة المؤلف - الرياض .

خامساً / محبة المدعويين للداعي :

على قدر حظ الداعية من بذل خلق الرفق أثناء دعوته ترتفع سهام محبته لدى المدعويين ويكون ذلك أدعى لالتفافهم حوله كما قال الله ﷻ مخاطباً نبيه : ﴿ فِيمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ (1) .

فبالحب يحصل الإتياع فتحصل الهداية بإذن الله ، التي هي مبتغى كل داعية عند دعوته إلى الله ﷻ .

وفي الأثر العميق الذي يتركه الرفق على الناس يقول الشهيد سيد قطب - رحمه الله - في خواطر قام بإرسالها إلى أخته : « عندما نلمس الجانب الطيب في نفوس الناس ، نجد أن هناك خيراً كثيراً قد لا تراه العيون أول وهلة ، شيء من العطف على أخطائهم ، وحماتهم شيء من الود الحقيقي لهم ، شيء من العناية (غير المتصنعة) باهتماماتهم وهمومهم ثم ينكشف لك النبع الخير في نفوسهم ، حين يمنحوك حبهم ومودتهم وثقتهم في مقابل القليل الذي أعطيتهم إياه من نفسك ، متى أعطيتهم إياه في صدق وصفاء وإخلاص ، هذه الثمرة الحلوة تتكشف لمن يستطيع أن يشعر الناس بالأمن من جانبه ، بالثقة في مودته ، بالعطف الحقيقي على كفاحهم وآلامهم وعلى أخطائهم وعلى حماقاتهم كذلك .. وشيء من سعة الصدر في أول الأمر كفيل بتحقيق ذلك كله أقرب مما يتوقع الكثيرون » (2) .

(1) سورة آل عمران : رقم الآية (159) .

(2) أفراح الروح . سيد قطب . دار عمار للنشر والتوزيع - عمان / الأردن . ط 1 / 2002 م :

ونجد هذه المحبة واضحة جلية كأروع ما يكون في حب السلف الصالح تجاه داعية البشرية الأكرم رسولنا ﷺ ، وترجموا هذا الحب العظيم أقوالاً وأفعالاً ، فهذا رجل من أهل البادية أتى النبي ﷺ : مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ ، قال : « وَيَلَكَّ وَمَا أَعَدَدْتَ لَهَا » قال : ما أَعَدَدْتُ لَهَا إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، قَالَ إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحَبَّيْتَ « فَقُلْنَا : وَنَحْنُ كَذَلِكَ ، قال « نعم » فَفَرَحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا⁽¹⁾ .

بل إنهم صدعوا بهذا الحب أمام الطغاة مستصغرين كل ألم ، مسترخصين حياتهم فداء رسول الله ﷺ فهذا زيد بن الدثنة رضي الله عنه لما أرادوا قتله ، قال له أبو سفيان رضي الله عنه حين قدم ليُقتل : نشدتك الله يا زيد أُنَّحِبُ أَنْ مُحَمَّدًا عِنْدَنَا الْآنَ مَكَانَكَ فَضَرْبَ عُنُقِهِ وَأَنْكَ فِي أَهْلِكَ ، فقال : والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُوْذِيهِ وَأَنِّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي ، فقال أبو سفيان : ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحب أصحاب محمد معهداً⁽²⁾ .

وشهد بحب الصحابة للنبي ﷺ أعداؤه فهذا عروة بن مسعود الثقفي الذي أوكلت له قريش التفاوض مع الرسول ﷺ في صلح الحديبية فرأى حب أصحابه له رضي الله عنه وتقديرهم حتى قال لما عاد إلى قومه : « أَيُّ قَوْمٍ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَلَيْسَرَى وَالنَّجَاشِيِّ وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتَ مَلِكًا قَطُّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّداً وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمْ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ

(١) صحيح البخاري : كِتَابُ الْأَدَبِ . بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الرَّجُلِ وَيَلَكَّ . رقم الحديث : 5815 .

. 2282 / 5

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة . عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري . تحقيق :

عادل أحمد الرفاعي . دار إحياء التراث العربي - بيروت / لبنان . ط 1 / 1417 هـ - 1996 م .

. 343 / 2

فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَادُوا يَاقْتَتِلُونَ
عَلَى وَضُوئِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ وَمَا يُحَدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا
لَهُ « (1) .

أما الدلالات الفعلية لمحبة الصحابة - رضي الله عنهم - لرسول الله ﷺ
فكثيرة حتى فدوه بأرواحهم ، ومن تلك الدلالات :

- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : « والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر
وليوم من أبي بكر خير من آل عمر لقد خرج رسول الله ﷺ لينطلق إلى الغار ومعه
أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه حتى فطن له رسول الله ﷺ
فقال : « يا أبا بكر مالك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي » فقال : يا رسول الله
أذكر الطلب فأمشي خلفك ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك ، فقال : « يا أبا بكر
لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني » قال : نعم والذي بعثك بالحق ما كانت
لتكون من ملامة إلا أن تكون بي دونك ، فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا
رسول الله حتى أستبرئ لك الغار فدخل واستبرأه حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه
لم يستبرئ الحجرة فقال مكانك : يا رسول الله حتى أستبرئ الحجرة فدخل
واستبرئ ثم قال : انزل يا رسول الله ، فنزل « (2) .

- لما تأمرت قريش على رسول الله ﷺ لقتله بضربه ضربة رجل واحد فإذا
قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها وأتى جبريل رسول الله ﷺ فأخبره الخبر وأمره أن

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري : كِتَابُ الشُّرُوطِ . بَابُ الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ وَالْمُصَالِحَةِ مَعَ

أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوطِ . رقم الحديث : 2581 . 2 / 967 .

(٢) المستدرك على الصحيحين : كتاب الهجرة . رقم الحديث : 4268 . 3 / 7 .

لا ينام في مضجعه تلك الليلة ، فخاطر علي ﷺ بروحه تلك الليلة ونام في بيت النبي ﷺ (1) .

- عن أنسٍ ﷺ قال : « لَمَّا كَانَ يَوْمٌ أُحْدِ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ مُجَوَّبٌ بِهِ عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ لَهُ وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ الْقِدِّ يَكْسِرُ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ الْجُعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ فَيَقُولُ : انْثَرَهَا لِأَبِي طَلْحَةَ فَأَشْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَتَا نَبِيَّ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا تُشْرِفْ يَصْبِكُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ خَرِي دُونَ نَحْرِكَ » (2) .

سادساً / اقتداء المدعوين بالداعية :

إن مقتضى المحبة الحقيقية يلزم المدعو بالاقتداء بالداعي والسير على نهجه في تطبيقه للأوامر الربانية والتوجيهات النبوية مع مراعاة عدم الغلو في ذلك ، وجعل المقياس في الإتيان قوة الموافقة للكتاب والسنة والسير على طريقته من حيث سهولة إتقان العبادات إن رآها المدعو تطبيقاً عملياً من لدن الداعية .

فاز بهذا الاقتداء الكامل معلم البشرية الأعظم الرسول ﷺ ثماراً حصدها بدوام رفقه وكرامته ومعاملته وكثير لطفه ، ولتيقنه الأكيد ﷺ أن فعل رجل في ألف رجل يؤثر بخلاف قول ألف رجل في رجل .

ومن الأمثلة الدالة على تأسي الصحابة ﷺ والسلف الصالح جميعاً رحمهم الله

(1) انظر : الطبقات الكبرى . ابن سعد . مرجع سابق : 1 / 228 .

(2) صحيح البخاري : كتاب المناقب . باب مناقب أبي طلحة رضي الله عنه . رقم الحديث :

3600 / 3 . 1386 . صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير . باب غزوة النساء مع الرجال .

رقم الحديث : 1811 / 3 . 1443 .

ما يفيض به المقام نذكر بعض هذه الأمثلة التالية :

1 - عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه : « أَنَّهُ أَبْصَرَ فِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم خَاتَمًا مِنْ وَرَقٍ يَوْمًا وَاحِدًا قَالَ فَصَنَعَ النَّاسَ الْخَوَاتِمَ مِنْ وَرَقٍ فَلَبِسُوهُ فَطَرَحَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خَاتَمَهُ فَطَرَحَ النَّاسَ خَوَاتِمَهُمْ » (1) .

2 - عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : « لَا تُوَاصِلُوا » قَالُوا : إِنَّكَ تُوَاصِلُ قَالَ : « إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي » (2) .

3 - لقد كان من شدة تأسيهم - رضي الله عنهم - برسول الله صلى الله عليه وسلم أن تبعوه في كل حركاته وسكناته ، كما كان ابن عمر ر - رضي الله عنهما - يأتي شجرة بين مكة والمدينة فينزل تحتها ويقول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتيها (3) .

4 - كانوا لا يفتتحون خطبة أو درساً - بعد حمد الله والصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم - إلا بقول : « إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى وَأَحْسَنَ الْهُدْيِ هُدْيُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم مَدِّ » (4) .

(1) صحيح مسلم : كِتَابُ اللَّبَّاسِ وَالزَّيْنَةِ . بَابُ فِي طَرَحِ الْخَوَاتِمِ . رقم الحديث : 2093 .
1657 / 3 .

(2) صحيح البخاري : كِتَابُ الْإِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ . بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّعَمُّقِ وَالتَّنَازُعِ فِي الْعِلْمِ وَالْعُلُوِّ فِي الدِّينِ وَالْبِدَعِ . رقم الحديث : 6869 . 6 / 2661 .

(3) المعجم الأوسط . مرجع سابق : 4 / 199 .

(4) صحيح البخاري : كِتَابُ الْأَدَبِ . بَابُ فِي الْهُدْيِ الصَّالِحِ . رقم الحديث : 5747 .
2262 / 5 .

سابعاً / رفق الله ﷺ بالداعية في الدارين :

فمن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « اللهم من رفق بأمتي فارفق به ومن شق عليهم فشق عليه » (1) .

لقد كان رسولنا الكريم ﷺ رفيقاً رحيماً حتى قال فيه ربه ﷻ : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (2) .

ومن منظور وجوب التأسى برسول الله ﷺ في جميع أقواله وأفعاله جاءت دعوته بالتسهيل على كل من ترفق بأمته والدعوة بالمشقة على كل من ضيق عليهم ، وفي الحديث يقول النووي - رحمه الله - : « وهذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس ، وأعظم الحث على الرفق بهم » (3) ومن المعلوم أن دعوته ﷺ مستجابة مقبولة لذا يجب الحذر كل الحذر من مخالفة أمره خوفاً من وقوع دعوته على المخالف .

ثامناً / حصول الخير له في الدنيا والآخرة :

عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق » (4) وعن عائشة أيضاً : « أن رسول الله ﷺ قال : يا

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل . 6 / 62 . ومسند إسحاق بن راهويه . 3 / 1020 .

(2) سورة التوبة : رقم الآية (128) .

(3) شرح النووي على صحيح مسلم . مرجع سابق : 12 / 213 .

(4) مسند الإمام أحمد بن حنبل : 6 / 71 . مسند ابن الجعد : 1 / 495 .

عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطَى عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطَى عَلَى الْعُنْفِ
 وما لا يعطى على ما سواه» (1) وعن جرير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من يُحْرِمَ الرَّفْقَ
 يُحْرِمَ الْخَيْرَ» (2) وجاء عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من أُعْطِيَ حَظَّهُ
 من الرَّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ من الْخَيْرِ وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ من الرَّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ من
 الْخَيْرِ» (3).

قرر الرسول صلى الله عليه وسلم في الأحاديث السابقة قاعدة هامة ينبغي لكل داعية التنبه لها
 وهي: أن حصول المرء على الخير يكون مساوياً لمقدار ما يبذله في هذه الحياة من
 رفق ولين ف«نصيب الرجل من الخير على قدر نصيبه من الرفق وحرمانه منه على
 قدر حرمانه منه» (4).

والواجب على كل داعي «لزوم الرفق في الأمور كلها وترك العجلة
 والخفة فيها إذ الله تعالى يحب الرفق في الأمور كلها ومن منع الرفق منع الخير
 كما أن من أعطى الرفق أعطى الخير ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته في سلوك
 قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يجب إلا بمقارنة الرفق ومفارقة
 العجلة» (5).

(١) تقدم تخريج الحديث في صفحة (172) .

(٢) تقدم تخريج الحديث في صفحة (172) .

(٣) تقدم تخريج الحديث في صفحة (172) .

(٤) تحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذي . المباركفوري . مرجع سابق : 7 / 190 .

(٥) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء . البستي . مرجع سابق : 1 / 219 .

تاسعاً / تحريم وجهه على النار :

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ » (1) .

ما أعظمها من بشارة يبشر بها الرسول صلى الله عليه وسلم المتصفين بهذا الخلق العظيم من تحريم جلودهم على النار والفوز بالجنة ، وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم مطبقاً لما يأمر به فقد كان أشد الناس رحمة ورفقاً وليناً بأمته ومن ذلك كثرة أحاديثه صلى الله عليه وسلم الدالة على التخفيف وعدم المشقة ، يقول صلى الله عليه وسلم : « لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ » (2) وقوله : « لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ » (3) .

عاشراً / إتباع الداعية لأمر النبي صلى الله عليه وسلم :

وذلك عندما أمر معاذ بن جبل وأبو موسى الأشعري - رضي الله عنهما - بالتيشير والرفق عند بعثتها إلى اليمن فقال : « بَشِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلَا تُتَفِّرَا وَتَطَاوَعَا وَلَا تَحْتَلِفَا » (4) .

إن المتأمل في هذا الحديث النبوي الكريم يرى مدى دقة أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقد قال

(1) تقدم تخريج الحديث في صفحة (174) .

(2) صحيح البخاري : كِتَابُ الْإِيْمَانِ . بَابُ الْجِهَادِ مِنَ الْإِيْمَانِ . رقم الحديث : 36 / 1 . 22 .

(3) صحيح البخاري : كِتَابُ التَّمَنِّيِّ . بَابُ مَا يُجُوزُ مِنَ اللَّوِّ . رقم الحديث : 6813 / 6 . 2645 .

صحيح مسلم : كِتَابُ الطَّهَارَةِ . بَابُ السَّرْوَاكِ . رقم الحديث : 252 / 1 . 220 .

(4) صحيح البخاري : كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ . بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّنَازُعِ وَالْإِخْتِلَافِ فِي الْحَرْبِ

وَعُقُوبَةٍ مِنْ عَصَى إِمَامِهِ . رقم الحديث : 2873 / 3 . 1104 . صحيح مسلم : كِتَابُ الْجِهَادِ

وَالسِّيَرِ . بَابُ فِي الْأَمْرِ بِالتَّيْسِيرِ وَتَرْكِ التَّنْفِيرِ . رقم الحديث : 1733 / 3 . 1359 .

« يسرا ولا تعسرا » فإنه لو قال « يسرا » فقط لتطابق قوله مع تيسير الدعوة في مواقف وتعسيرهم في مواقف أخرى إلا أنه نهى عن التعسير والتنفير والاختلاف في كل الأوقات طلباً لتأليف القلوب « وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدرج فمتى يسر على الداخل في الطاعة أو المرید للدخول فيها سهلت عليه وكانت عاقبته غالباً التزايد منها ومتى عسرت عليه أو شك أن لا يدخل في ها وإن دخل أو شك أن لا يدوم أو لا يستحليها»⁽¹⁾.

وفي هذا الحديث فائدة عظيمة لكل داعية إلى الله باستخدام مبدأ التدرج في النصيحة وعدم تكليف الغير ما لا يطيقه خوفاً من وقوع مفسدة أكبر فهم أحق الناس بالتحلي بهذه الخصلة لما لو وظيفة الدعوة من أهمية عظيمة ولما لهذا الخلق من آثار حميدة في مجال الدعوة إلى الله خاصة وفي معاملة الناس فيما بينهم بصفة عامة .

(1) شرح النووي على صحيح مسلم . مرجع سابق : 41 / 12 .

المبحث الثالث

أثر الرفق في المدعو إلى الله ﷻ

المدعو هو من: « توجه إليه الدعوة وهو الإنسان مطلقاً قريباً كان أم بعيداً ، مسلماً أو غير مسلم ، ذكراً كان أو أنثى إلى غير ذلك من الأوصاف» (1) .

دليل ذلك قول الله ﷻ : ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَتَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (2) .

والمدعو هو أحد أركان الدعوة فه و من توجه له ابتغاء إسلامه إن كان كافراً ، أو تصحيحاً لخطأ ارتكبه إن كان مسلماً ، ولغير ذلك من باب الوعظ والذكرى تشبيهاً له لقوله ﷻ : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الدَّكْرَى نَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (3) .

وللرفق آثار جليلة إن استخدم في الدعوة إلى الله ﷻ خصوصاً في حياة المدعو ، ومن تلك الآثار :

أولاً / هداية المدعو إلى طريق الحق :

وذلك لأن الرفق في دعوة المدعو إلى الحق يئلف النفس رغم إدبارها بداية ،

(1) المدخل إلى علم الدعوة . محمد أبو الفتح البيانوني . مرجع سابق : ص / 42 .

(2) سورة الأعراف : رقم الآية (158) .

(3) سورة الذاريات : رقم الآية (55) .

ويقربها إلى الحق ، ويحبها إلى الإصغاء للنصح « فإن الرفق يصلح النفوس ويؤثر فيها تأثيراً لطيفاً حسناً ويستعطفها إلى المطلوب منها أفضل استعطاف ، ومن شأنه أن يلين عريكتها وإن كانت صلبة جافة قاسية ، بخلاف معاملته بالعنف ، فإنه يولد لديها صلابة التحدي والعناد ، وعدم الاستجابة للمطلوب منها وإن كان حقاً وخيراً ، وإن كانت لينة العريكة في فطرتها » (1) .

وقد مرّ بنا الأثر العظيم للرفق في الدعوة رسول الله ﷺ مما يتوجب على الدعوة الاقتداء بهديه والسير على نهجه .

ولا أدل على ذلك من موقف الشاب الذي أتى الرسول ﷺ يستأذنه في الزنا فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : إن فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مه مه . فقال : « أدنه » فدنا منه قريباً قال فجلس قال : « أتجبه لأمك » قال : لا والله جعلني الله فداءك قال : « ولا الناس يحبونه لأمهاتهم » قال : « أفتحبه لابنتك » قال : لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك ، قال : « ولا الناس يحبونه لبناتهم » قال : « أفتحبه لأختك » قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : « ولا الناس يحبونه لأخواتهم » قال : « أفتحبه لعممتك » قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : « ولا الناس يحبونه لعماتهم » قال : « أفتحبه لأمهاتهم » قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : « ولا الناس يحبونه لخالاتهم » قال فوضع يده عليه وقال اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه « فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء » (2) .

(1) أخلاق المسلم وآدابه . بدر عد الرزاق الماص . مرجع سابق : ص / 91 .

(2) تقدم تحريج الحديث في صفحة (134) ، وذكره في هذا الموطن ليس على سبيل التكرار ولكن

لدلالته المهمة في الاستشهاد على أهمية الرفق في هداية المدعو إلى طريق الرشاد بإذن الله ﷻ .

ساحة ورفق من رسول الله ﷺ ليس لها مثل فلم يمنع أصحابه من إيذاء هذا الأعرابي فحسب ، ولكن رفقه وحسن نصحه كان طوق النجاة للشباب من الاستمرار في هذا التفكير ، ولم يخرج من عنده ﷺ إلا وهو مقتنع قناعة تامة بالابتعاد عن المعصية التي جعلها له الشيطان سابقاً ، ف كانت الهداية التي نالها الشاب - بتوفيق من الله ﷻ - من أعظم آثار الرفق عليه .

ونلمس ذلك جلياً في موقف الأعرابي الذي قام بتدنيس المسجد عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال : بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ دِ فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : مَهْ مَهْ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لَا تُزْرِمُوهُ (1) دَعْوُهُ » فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ : « إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عِزِّهِ وَجَلِّ وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ » أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ : فَأَمَرَ رَجُلًا مِنْ الْقَوْمِ فَجَاءَ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَنَّهُ عَلَيْهِ (2) .

ولم يكتف الرسول ﷺ بنهي أصحابه من الصراخ على الأعرابي ، بل أفهمه بكل رفق ولطف أن هذه المساجد أطهر من أن تدنس بالقذارة ، وكان للرفق أثر جميل في نفس الأعرابي فقد هتف قائلاً : « اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا » (3) جاعلاً أباه وأمه فداء لرسول الله ﷺ : « بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَلَمْ يُؤْنَبْ وَلَمْ يَسْب » (4) .

(1) أي لا تقطعوا عليه بوله (مختار الصحاح ، مادة : (زرم) : (1 / 114)

(2) تقدم تخريج الحديث في الصفحة (217 - 218) .

(3) تقدم تخريج الحديث في الصفحة (219) .

(4) تقدم تخريج الحديث في الصفحة (219) .

ثانياً / السعادة في الدارين :

إن منهج الدعوة الإسلامية يقوم على الرفق والرحمة فيه يتم نجاحها ، فعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : قال رسول الله ﷺ « يا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطَى عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطَى عَلَى مَا سِوَاهُ » (1) فبين ﷺ كيف أن أبواب الخير تفتح لمن اتصف بهذا الخلق العظيم ما لا يجازى به من تركه ، فبالرفق « يتأتى به من الأغراض ويسهل به المطالب ما لا يتأتى بغيره (2) .

وعندما يتأتى بالرفق الهداية يسعد المدعو ويطمئن قلبه ، وتستنير حياته وفي ذلك يقول إبراهيم بن أدهم - رحم الله - : « إن للذنوب ضعفاً في القوة وقسوة في القلب وإن للحسنات قوة في البدن ونوراً في القلب » (3) وذلك لأن المدعو يشعر مع الرجوع إلى الحق بحلاوة التوبة ، ولذة الأوبة إلى الله .

ولله در العلامة ابن القيم - رحمه الله - عندما وصف هذه السعادة التي تصيب المؤمن فقال : « إنه لا نعيم له ولا لذة ولا ابتهاج ولا كمال إلا بمعرفة الله ومحبته والطمأنينة بذكره والفرح والابتهاج بقربه والشوق إلى لقائه فهذه جنته العاجلة كما أنه لا نعيم له في الآخرة ولا فوز إلا بجواره في دار النعيم في الجنة الآجلة فله جنتان لا يدخل الثانية منهما إن لم يدخل الأولى وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة وقال : بعض العارفين إنه ليمر

(1) تقدم تخريج الحديث في صفحة (172) .

(2) شرح النووي . مرجع سابق : 16 / 145 .

(3) شعب الإيمان . مرجع سابق : 5 / 446 .

بالقلب أوقات أقول إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب وقال بعض المحبين : مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وم اذاقوا أطيب ما فيها قالوا : وما أطيب ما فيها قال : محبة الله والأنس به والشوق إلى لقائه والإقبال عليه والإعراض عما سواه « (1) .

ثالثاً / سكينه النفس :

إذا باشرت الدعوة ش غاف القلوب ، ظهر أثرها في النفس ، واستجابت للداعية لما في أسلوبه من رفق وحرص ، عندها ستفوز بالسكينة والطمأنينة فلا تجزع لنوائب الدهر وصروفه لقول الله ﷻ : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (2) فسماع ذكر الله من دعوة إليه وتسييح وتهليل لأكبر دافع لقدوم هذه السكينة وتمكنها من قلب المؤمن ، حتى تجعله ثابتاً في الضراء كما في السراء ، قال رسول الله ﷺ : « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » (3) .

وتلازمه هذه السكينة حتى آخر لحظات حياته لقول الله ﷻ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ (4) .

(١) مدارج السالكين . مرجع سابق : 1 / 454 .

(٢) سورة الرعد : رقم الآية (28) .

(٣) صحيح مسلم : كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ . بَابُ الْمُؤْمِنِ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ . رقم الحديث : 2999 .

. 2295 / 4

(٤) سورة الفجر : من الآية رقم (27 - 30) .

ولقد كان لدعوة الرسول ﷺ الرفيقة أعظم أثر في قلب الصحابة - رضوان الله عليهم - ومن جاء من بعدهم من السلف الصالح - رحمهم الله - من سكون النفس رغم الابتلاءات ، وما أجمل مقولة شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عندما سُجن في أحد قلاع الشام : « إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة ، فما يصنع أعدائي بي ، أنا جنتي وبستاني في صدري ، إن رحمت فتهي معي لا تفارقتني ، إن حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة ، ولو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة ، فالمحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى ، والمأسور من أسره هواه » (1) .

وهكذا أثمرت دعوة الرسول ﷺ الرفيقة للبشرية ، فانطلق المؤمنون دعاء لمن جاء بعدهم ، صادعين بالحق ، قد تعلقت قلوبهم بخالقه م ، لا يخافون فيه لومة لائم .

رابعاً / حرص المدعو على السؤال والاستفادة :

إن رفق الداعية بالمدعو ولطفه معه من أعظم السبل التي تشجعه على الاستزادة من طلب العلم والحرص على السؤال في كل ما أشكل عليه من أوامر الشريعة الإسلامية ونواهيها ، ولقد رأينا ذلك جلياً واضحاً في موقف معاوية بن الحكم رضي الله عنه عندما تحدث في الصلاة .

فعنه رضي الله عنه أنه قال : بَيْنَمَا أَنَا أُصَلِّيُّ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ

(1) الوابل الصيب من الكلم الطيب . أبو عبد الله شمس الدين محمد الزرعي الدمشقي . تحقيق :

محمد عبد الرحمن عوض . دار الكتاب العربي - بيروت . ط 1 / 1405 هـ - 1985 م :

فقلت : يَرْحَمُكَ اللهُ فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ : وَاتَّكَلُ أُمِّيَاءَ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ
إِلَيَّ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتَهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُ فَلَمَّا
صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ فَبَأْبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ
فَوَالله مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي قَالَ : « إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ
مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ »
قلت : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي حَدِيثٌ عَهْدٌ بِجَاهِلِيَّةٍ وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالْإِسْلَامِ وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا
يَأْتُونَ الْكُفَّانَ ، قَالَ : « فَلَا تَأْتِهِمْ » ، قَالَ : وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ قَالَ : « ذَاكَ شَيْءٌ
يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّتْهُمْ قَالَ بِنِ الصَّبَاحِ فَلَا يَصُدَّنْكُمْ » قلت : وَمِنَّا رِجَالٌ
يُحْطُونَ . قَالَ : « كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يُحْطُ فَمَنْ وَافَقَ حَظَّهُ فَذَاكَ » قَالَ : وَكَانَتْ لِي
جَارِيَةٌ تَرَعَى غَنَمًا لِي قَبْلَ أَحَدٍ وَالْجَوَانِيَّةُ فَاطَّلَعَتْ ذَاتَ يَوْمٍ إِذَا الدَّيْبُ قَدْ ذَهَبَ
بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسِفُونَ لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً
فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَعَظَّمْتُ ذَلِكَ عَلَيَّ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلَا أُعْتِقْتُهَا ؟ قَالَ :
« أَتَيْتُهَا بِهَا » فَأَتَيْتُهُ بِهَا فَقَالَ لَهَا : « أَيْنَ اللهُ » قَالَتْ : فِي السَّمَاءِ ، قَالَ : « مِنْ أَنَا ؟ »
قَالَتْ : أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، قَالَ : « أُعْتِقْتُهَا فَاتِّمَمَتْ مُؤْمِنَةٌ » (1) .

لقد رماه الصحابة - رضوان الله عليهم - بأبصارهم تعنيفاً لهم عما صدر منه
في صلاته ، لكن الداعية الرحيم بأمته المشفق عليهم رسولنا الكريم ﷺ لم يعنفه أو
يؤبخه وإنما بين له بهدوء ورفق أن هذه الصلاة هي أمر عظيم وهي اتصال بين

(1) تقدم تحريج الحديث في الصفحة (220) ، وذكره في هذا الموطن ليس على سبيل التكرار ولكن

لدلالته المهمة في الاستشهاد على أهمية الرفق وما يثمره من حب المدعو للاستزادة من طلب

العلم الشرعي وإقباله عليه .

الخالق وعنده فلا ينبغي لمثل هذه العبادة أن يكون بها شيء الحديث اليومي المعتاد .

فأثمر رفقته ﷺ في هذا الموقف أن تشجع معاوية رضي الله عنه فأصبح يستزيد منه ويسأله متفقهاً في أمور الدين وأقر للرسول ﷺ أنه حديث عهد بجاهلية لذلك خُفيت عليه أحكام كثيرة ، ثم سأله عن أمور متداولة في الجاهلية ، بل إنه ﷺ ختم اللقاء بإعتاقه لرقبة مؤمنة تأثراً برأفة الرسول ﷺ ورفقه به .

خامساً / تفريج الداعية لهم المدعو – بإذن الله ﷻ - :

وذلك لأن المعصية تورث همماً في القلب ، وضيقاً في الصدر ، لا ينجو الإنسان إلا عند التوبة منها وتكفيرها ، إن كانت من المعاصي المستوجبة للكفارة .

ولا شك أن رفق الداعية وحسن تعامله مع ذنب المدعو من أبرز الوسائل التي تعين المدعو – بإذن الله تعالى – من التخلص من هذا الضيق الذي يعتره إزاء اقترافه لهذه المعصية ، ففي مسند الإمام أحمد عن سلمة بن صخر الأنصاري رضي الله عنه قال : « كنت امرأً قد أُوتيتُ من جماع النساء ما لم يُوتَ غيري فلما دخل رمضانُ تظَهَّرتُ من امرأتي حتى ينسلخَ رمضانُ فرقاً من أن أصيبَ في ليلتي شيئاً فأتتبعُ في ذلك إلى أن يدركني النهارُ وأنا لا أقدر على أن أنزعَ فبينما هي تخدمني إذ تكشَّفَ لي منها شيء فوثبتُ عليها فلما أصبحتُ غدوتُ على قومي فأخبرتُهم خبري وقلتُ لهم : انطلقوا معي إلى النبي ﷺ فأخبره بأمرِي ، فقالوا : لا والله لا نفعلُ نتخوفُ أن يُنزلَ فينا قرآنٌ أو يقولَ فينا رسولُ الله ﷺ مقالةً يبقَى علينا عارها ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك ، قال : فخرجتُ فأتيتُ النبي ﷺ فأخبرته خبري فقال لي : « أنت بذاك » فقلت : أنا بذاك ، فقال : « أنت بذاك » فقلت : أنا بذاك ، قال :

« أَنْتِ بِذَاكَ » قلت : نعم ها أنا ذا فامض في حُكْمِ الله عز وجل فإني صابِرٌ له ،
قال : « اعتق رَقَبَةً » قال : فَضَرَبْتُ صَفْحَةَ رِقْبَتِي بِيَدِي وَقُلْتُ : لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ
بِالْحَقِّ مَا أَصْبَحْتُ أَمْلِكُ غَيْرَهَا قال : « فَصُمْ شَهْرَيْنِ » قال : قلت يا رَسُولَ الله
وَهَلْ أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي إِلَّا فِي الصِّيَامِ قال فَتَصَدَّقْ قال فقلت والذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ
لقد بَتْنَا لَيْلَتَنَا هذه وحشاء ما لنا عَشَاءُ قال : « اذْهَبْ إِلَى صَاحِبِ صَدَقَةِ بَنِي زُرَيْقٍ
فَقُلْ لَهُ فإني دَفَعُهَا إِلَيْكَ فَأَطْعِمْ عَنْهَا مِنْكَ وَسَقَا مِنْ تَمْرٍ سِتِّينَ مِسْكِينًا ثُمَّ اسْتَعِينُ
بِسَائِرَةِ عَلَيْكَ وَعَلَى عِيَالِكَ » قال : فَرَجَعْتُ إِلَى قَوْمِي فَقُلْتُ : وَجَدْتُ عِنْدَكُمْ
الضُّيْقَ وَسُوءَ الرَّأْيِ وَوَجَدْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ السَّعَةَ وَالْبَرَكَاتَةَ قد أَمَرَ لِي
بِصَدَقَتِكُمْ فَادْفَعُوهَا لِي قال فَادْفَعُوهَا إِلَيَّ » (1) .

لقد انقلب هم سلمة رضي الله عنه إلى فرح وسرور إثر لطف الرسول صلى الله عليه وسلم ورفقه به فلم
يزد في عتابه عن قول « أَنْتِ بِذَاكَ؟! » ثم باشر صلى الله عليه وسلم بمعالجة المشكلة والمساهمة في
عرض حلونها فظهر تأثر الصحابي جلياً في حياه ، بليغاً في كلماته بعد حل المشكلة
عندما قال لقومه « وَجَدْتُ عِنْدَكُمْ الضُّيْقَ وَسُوءَ الرَّأْيِ وَوَجَدْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ
السَّعَةَ وَالْبَرَكَاتَةَ قد أَمَرَ لِي بِصَدَقَتِكُمْ فَادْفَعُوهَا لِي قال فَادْفَعُوهَا إِلَيَّ »

وهي بعض الآثار اللبقة الواضحة للرفق في نفس المدعو وحياته ، وإلا فآثار ذلك لا
تخفى على أحد وقد تم استعراضها طيلة مباحث البحث ومطالبه

(1) تقدم تخريج الحديث في الصفحة (222) .



المبحث الرابع

رفق الأنبياء - عليهم السلام - مع أقوامهم

وفيه تمهيد وسبعة مطالب :

المطلب الأول : نماذج من رفق نوح عليه السلام في الدعوة إلى الله ﷻ .

المطلب الثاني : نماذج من رفق إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله ﷻ .

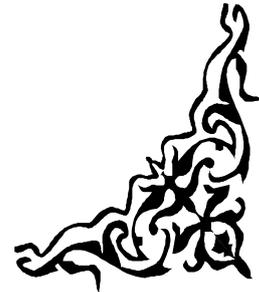
المطلب الثالث : نماذج من رفق هود عليه السلام في الدعوة إلى الله ﷻ .

المطلب الرابع : نماذج من رفق صالح عليه السلام في الدعوة إلى الله ﷻ .

المطلب الخامس : : نماذج من رفق يوسف عليه السلام في الدعوة إلى الله ﷻ .

المطلب السادس : نماذج من رفق موسى عليه السلام في الدعوة إلى الله ﷻ .

المطلب السابع : نماذج من رفق عيسى عليه السلام في الدعوة إلى الله ﷻ .



تهديد :

إن الله رحيم بعباده ، عالم بما يصلحهم ، فلم يتركهم سدى ، ولم يضيعهم هملاً ، فمن مقتضيات رحمته ﷻ أن أرسل إليهم أنبياء ومرسلين اصطفاهم من خلقه لما يعلم عنهم عظيم إيمانهم وكمال أخلاقهم لقوله ﷻ : ﴿ اللَّهُ يُصْطَفِي مَنِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ (1) .

يقول الشيخ السعدي - رحمه الله - : « أي يختار ويحتبي من الملائكة رسلاً ومن الناس رسلاً يكونون أزكى ذلك النوع وأجمعه لصفات المجد وأحقه بالاصطفاء فالرسل لا يكونون إلا صفوة الخلق على الإطلاق والذي اختارهم واجتباهم ليس جاهلاً بحقائق الأشياء أو يعلم شيئاً دون شيء وأن المصطفى لهم السميع البصير الذي قد أحاط علمه وسمعه وبصره بجميع الأشياء فاخياره إياهم عن علم منه أنهم أهل لذلك وأن الوحي يصلح فيهم » (2) .

وهناك نماذج مباركة قصها علينا القرآن الكريم لأساليب الرفق والرحمة التي استخدمها الأنبياء - عليهم السلام - في دعوة أقوامهم إلى الله ﷻ سنوردها - بإذن الله في المطالب التالية .

(1) سورة الحج : رقم الآية (75) .

(2) تفسير السعدي . مرجع سابق : 1 / 546 .

المطلب الأول

نماذج من رفق نوح عليه السلام في الدعوة إلى الله عز وجل

(1) مكانته بين الأنبياء - عليهم السلام - :

نوح عليه السلام من أولي العزم من الرسل الذين ذكرهم الله عز وجل في قوله : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (1)

وهو أول رسول أرسله الله إلى أهل هذه الأرض بعد أن كثر الفساد والطغيان، وانتشرت عبادة الأصنام والأوثان وذلك كما ثبت في الصحيحين في حديث الشفاعة : « يَجْمَعُ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُبْصِرُهُمُ النَّاطِرُ وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِيَ وَتَدْنُو مِنْهُمْ الشَّمْسُ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ أَلَا تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ إِلَى مَا بَلَّغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ... فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى إِلَى مَا بَلَّغْنَا أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ .. » (2).

(1) سورة الشورى : جزء من الآية رقم (13) .

(2) جزء من حديث في صحيح البخاري : باب قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . رقم الحديث : 3162 . 3 / 1215 . صحيح مسلم :

كِتَابُ الْإِيمَانِ . باب أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ فِيهَا . رقم الحديث : 194 . 1 / 185 .

ولقد قال العلماء والمؤرخون في الخلاف الذي وقع بين أول الرسل ، هل هو آدم أم نوح - عليهما السلام - فقالوا : « إن نوح هو أول رسول أرسل لقوم كافرين ينهاهم عن الإشراف بالله تعالى ويأمرهم بإخلاص العبادة له وحده ويدل لهذا الوجه قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾⁽¹⁾ أي على الدين الحنيف أي حتى كفر قوم نوح⁽²⁾ .

أما آدم عليه السلام فقد أرسل إلى بنيه وقد كانوا لا يزالون على الفطرة فلا تعارض في ذلك أبداً .

ويعد نوح أباً ثانياً للبشر بعد آدم عليهما السلام - وذلك لأن الناس غرقوا وصارت ذريته هي الباقية⁽³⁾ ، فولد من سام العرب وفارس والروم ، وولد من يافث يأجوج ومأجوج والترك والصقالية ، وولد من حام القبط والبربر والسودان⁽⁴⁾ .

يقول الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾^(٧٥) وَبَجَيْنَهُ وَأَهْلَهُ مِنْ كَرْبِ الْعَظِيمِ^(٧٦) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ^(٧٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ^(٧٨) سَلَّمَ عَلَيَّ فِي الْعَالَمِينَ⁽⁵⁾ .

(١) سورة البقرة : رقم الآية (213) .

(٢) أضواء البيان . مرجع سابق : 1 / 155 .

(٣) تفسير السمرقندي . مرجع سابق : 1 / 232 .

(٤) انظر : الدر المنثور . مرجع سابق : 7 / 99 .

(٥) سور الصفات : رقم الآية (75 - 79) .

(2) مظاهر الرفق في دعوته ﷺ :

لقد كانت حياة نوح ﷺ الدعوية طويلة جداً قدرها القرآن نحو ألف سنة إلا خمسين عاماً لقوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (1) حياة دعوية مكمللة بالرفق ، منتهجة للصبر ، داعية إلى الله بالتي هي أحسن .

إن الناظر في هذه الحياة الدعوية الطويلة يظن أن أعداداً هائلة التفت حوله مستجيبة لدعوته ، ولكن هذه الدعوة بكل ما حوت من رفق ورحمة لم تكافأ إلا بالجحود والإعراض عن الحق حتى قال ابن إسحاق : « لم يلقَ نبي من قومه من الأذى مثل نوح ﷺ إلا نبي قتل » (2) .

وكانت حصيلة هذه الأعوام الطويلة ثمانين نفساً مؤمنة فقط ، قال الله ﷻ : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (3) « أي نزر يسير مع طول المدة والمقام بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فعن ابن عباس كانوا ثمانين نفساً منهم نساء وهم وعن كعب الأخبار كانوا اثنين وسبعين نفساً وقيل كانوا عشرة » (4) .

وعلى الرغم من هذا لم يدخل في قلبه ﷺ يأس أو قنوط حتى أخبره الله ﷻ أنه لن يؤمن له أكثر ممن آمن ، عند ذلك دعا عليهم بالهلاك ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي

(1) سورة العنكبوت : رقم الآية (14) .

(2) عمدة القاري . مرجع سابق : 15 / 217 .

(3) سورة هود : جزء من الآية رقم (40) .

(4) تفسير ابن كثير . مرجع سابق : 2 / 446 .

عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿١﴾ وذلك لأن « بقاءهم لا ينفع بل يضر الأجيال القادمة ويفسد عليهم عقيدتهم » (2).

وقد دعاهم إلى الله ﷻ بشتى الوسائل مستخدماً أساليب دعوية تنم عن حرص وشفقة لا حدود لهما ومن هذه الأساليب :

(أ) استخدام الترغيب في دعوته :

دعا نبي الله نوح عليه السلام قومه إلى عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له وترك ما عداه من معبودات لا تضر ولا تنفع ، كما دعاهم إلى الاستغفار لله ﷻ على ما سبق ، ورغبهم على ذلك بأمر كثيرة جاءت في الآية : ﴿ فَكَلَّمْتُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ (3).

وكانت الأمور التي وعدهم بها :

- نحو الله ﷻ بعضاً من ذنوبهم فيغفر ما بينه وبين العبد إلا ما يتعلق بحقوق العبد ، وقيل بل جميعها والـ (من) زائدة وليست تبعيضية (4).

- يطيل في أعمارهم إلى أقصى مدى ويبارك لهم فيها ، وقيل : بل هي المباركة

(١) سورة نوح : رقم الآية (26) .

(٢) قصة نوح عليه السلام كما يصورها القرآن الكريم . علي عبد الله طوبجي . رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى بكلية الشريعة الإسلامية ، فرع قسم الكتاب والسنة . 1402 هـ - 1982 م .

(٣) سورة نوح : رقم الآية (10 - 12) .

(٤) انظر : فتح القدير . مرجع سابق : 5 / 297 .

فقط فالأجل إذا جاء لا يمكن تأخيره وأقوال العلماء في ذلك : « قال ابن عباس :
 أي ينسى في أعماركم ومعناه أن الله تعالى كان قضى قبل خلقهم أنهم إن آمنوا بارك
 في أعمارهم وإن لم يؤمنوا عوجلوا بالعذاب ، وقال مقاتل : يؤخركم إلى منتهى
 آجالكم في عافية فلا يعاقبكم بالقحط وغيره فالمعنى على هذا يؤخركم من
 العقوبات والشدائد إلى آجالكم قال الزجاج أي يؤخركم عن العذاب فتموتوا غير
 موة المستأصلين بالعذاب ولا يميتكم غرقا ولا حرقا ولا⁽¹⁾ .

- تكثير الأموال والبساتين والأولاد فجمع لهم مع الحظ الوافر في الآخرة
 الغنى في الدنيا⁽²⁾ .

- إرسال الأمطار الكثيرة المتتابعة وفي الآية فائدة عظيمة في توصية المرء
 بالاستغفار فهو من أعظم الطرق لفتح الخيرات ، ولقد « أتى رجل إلى الحسن
 وشكا إليه الجذب فقال له : استغفر الله تعالى ، وأتاه آخر فشكا إليه الفقر فقال له :
 استغفر الله تعالى وأتاه آخر فقال : ادع الله سبحانه أن يرزقني ابناً ، فقال له : استغفر
 الله تعالى ، وأتاه آخر فشكا إليه جفاف بساتينه فقال له : استغفر الله تعالى ، فقلنا :
 أتاك رجال يشكون ألوانا ويسألون أنواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار ، فقال : ما
 قلت من نفسي شيئاً إنما اعتبرت قول الله عز وجل حكاية عن نبيه نوح عليه الصلاة
 والسلام أنه قال لقومه استغفروا ربكم الآية⁽³⁾ .

(١) انظر : تفسير القرطبي . مرجع سابق : 18 / 299 .

(٢) انظر : فتح القدير . مرجع سابق : 5 / 297 .

(٣) روح المعاني . مرجع سابق : 29 / 72 .

(ب) التلطف في دعوة قومه :

حاول نوح عليه السلام بشتى الوسائل إثارة مشاعر قومه وإشعارهم برفقه ورحمته
 ف « الموعدة الحسنة هي التي تدخل إلى القلوب برفق وتعمق في المشاعر بلطف ،
 ولا تكون بالزجر والتأنيب في غير موجب »⁽¹⁾ فدعاهم إلى الله تعالى بقوله : ﴿ لَقَدْ
 أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
 عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾⁽²⁾ والأخوة هنا كما أجمع المفسرون أنها أخوة نسب ونشأة لا
 أخوة دين⁽³⁾ إلا أنها « تثير فيهم عاطفة الأخوة النسبية وتوحي لهم بأنه يريد لهم
 الخير فهو ليس بعيد عنهم ولا غريباً عنهم إنه أخوهم »⁽⁴⁾ .

(ج) إظهار الشفقة في دعوة قومه :

وقد قون نوح عليه السلام اللطف والرفق في دعوته بشفقة وخوف من أن ينال قومه
 عذاب الله تعالى والشفقة كما تم تعريفها سابقاً : « رقة ورحمة تمازج القلب يصحبها
 الخوف والحرص على سلامة المنصوح من نفس أو أهل أو غير ذلك » وعلى ضوء
 هذا التعريف نرى مقدار حرص نوح عليه السلام وخوفه على قومه في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ
 أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ

(1) قصة نوح عليه السلام كما يصورها القرآن الكريم . علي عبد الله طوبجي . . مرجع سابق :

(2) سورة الأعراف : رقم الآية (59) .

(3) فتح القدير . مرجع سابق : 4 / 108 . روح المعاني . مرجع سابق : 19 / 106 . المحرر

الوجيز . مرجع سابق : 4 / 37 .

(4) المستفاد من قصص القرآن . عبد الكريم زيدان . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط 1 / 1426 هـ

عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾ « وهذا من نصحه عليه الصلاة والسلام وشفقته عليهم حيث خاف عليهم العذاب الأبدي والشقاء السرمدي كإخوانه من المرسلين الذين يشفقون على الخلق أعظم من شفقة آبائهم وأمهاتهم » (2) .

ولا أروع من رده على قومه عندما اتهموه بالضلالة في قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ مِنْكُمْ شِرْكَاءَ مَعَالِمٍ فَإِن جَاءتْكُمْ سُرُورٌ مِّن رَّبِّكُمْ قَالُوا هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (3) .

أنكر عليهم هذا القول لأنه يمس عقيدته التي أتى بها لدعوتهم إلا أن ذلك لم يجعله يجفو في الخطاب ، إنما أنكر هذا الأمر بحزم مشوب بليلى ولطف.

ويأتي موقفه مع ابنه الكافر مسطراً لمعاني الرفق والشفقة فبدأ حواراً معه بنداء رفيق رقيق بقوله « يا بني » وذلك في قول الله ﷻ : ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَىٰ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ (4) فلم يكن من ابنه إلا أن رد عليه مدبراً ﴿ سَاوِيٌّ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ (5) .

(١) سورة الأعراف : رقم الآية (59) .

(٢) تفسير السعدي . مرجع سابق : 1 / 292 .

(٣) سورة الأعراف : رقم الآية (60 - 61)

(٤) سورة هود : رقم الآية (42) .

(٥) السورة السابقة : جزء من الآية رقم (43) .

ولكن نوح عليه السلام لم يحجم عن استمرار النصيح حتى مع استكبار ابنه عن
 اللحاق معه فقال له: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ ثم انتهى الحوار
 بأن ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ .

وهكذا انتهج نبي الله نوح عليه السلام شتى سبل الرفق وأساليبه مع البعيد قبل
 القريب ، جاعلاً شعاره الرفق ، ومنطقه الرحمة والشفقة رغم قلة من اتبعه ،
 وتكذيب قومه له .

المطلب الثاني

نماذج من رفق هود عليه السلام في الدعوة إلى الله عز وجل

(1) مكانة هود عليه السلام:

هو أحد أنبياء الله عز وجل الذين اختصهم بالذكر في كثير من آياته في كتابه العزيز دوناً عن غيره من أنبياء الله عز وجل الذين لا يحصى عددهم .

كما أن الله عز وجل قد خصص سورة في القرآن باسمه عليه السلام ، وهي من سور القرآن التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد شئت ، قال : « شيبتي هودٌ والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت » (1) .

(1) من مظاهر الرفق في دعوة هود عليه السلام:

لقد أرسل الله عز وجل نبيه هوداً عليه السلام لدعوة قومه عاد إلى عبادته وحده لا شريك له ، وترك ما كانوا يعبدون من أصنام لا تضر ولا تنفع .

(1) سنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن . باب ومن سورة الواقعة . رقم الحديث : 3297 .

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (1) .

فلم يقابلوا دعوته لهم ، وحرصه عليهم إلا بكل عتو واستكبار في الأرض
 بغير الحق . وبذلك أخبر الله ﷻ عنهم في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي
 الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ
 قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ (2) .

ولقد اتضح تمسكه بالرفق عند دعوة قومه في كثير من المواقف ، ومنه قوله الله
 ﷻ : ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ ﴾ (3) قال لهم :
 ﴿ يَا قَوْمِ ﴾ شفقة ورحمة بهم وأملاً في هدايتهم ، وإشعاراً لهم بمدى محبته وخوفه
 من وقوع العذاب عليهم فهو أخوهم في النسب كما وصفه الله ﷻ ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ
 هُودًا ﴾ .

ثم قال لهم في معرض دعوته : ﴿ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنِّي أَجْرِي إِلَّا
 عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (4) أي يا قوم إنما أنا مخلص لكم في النصيحة لا
 أبتغي من وراء ذلك منفعة ذاتية .

(١) سورة الأعراف : رقم الآية (65) .

(٢) سورة الأعراف : رقم الآية (15) .

(٣) سورة الأعراف : رقم الآية (65) .

(٤) سورة هود : رقم الآية (51) .

فوجب عليكم أن « تميزوا بين الحق والباطل ، والنافع والضار ، وأن تعلموا بأني منكم ، وأنا أخوكم في النسب ، وإن الأخ لا يغش إخوته ، ولا يعرض نفسه لغضب قومه بدعوتهم إلى ما يضرهم ولا ينفعهم » (1) .

وتبين الآيات القرآنية الكريمة مدى حلم هود عليه السلام ورفقه بقومه عندما رموه بالسفاهة والكذب ، فقد قالوا له : ﴿ إِنَّا لَنَرُّكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (2) .

لكنه رغم ذلك لم يعدل عن موقفه الرفيق معهم ، الناصح لهم ، ولم يبادلهم هذا التهجم بما يليق بهم ، وأجابهم بكل حلم على جهلهم وإيذائهم ، وإتهامهم له بالباطل : ﴿ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (17)

أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿ (3) فأسقط التهمة الأولى التي تمس شخصه فقط في جملة واحدة بقوله : ﴿ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ ﴾ ولكن عندما توصل بهم الأمر لاتهمه في رسالته بقولهم : ﴿ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ إذا به ينبري للدفاع عن دين الله ﷻ ودعوته إليه ﷻ قائلاً : ﴿ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (17) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿ (18) أَوْعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءً مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ

(1) تفسير الماز . محمد رشيد رضا . دار المعرفة - بيروت . ط 2 . بدون تاريخ نشر : 12 / 115 .

(2) سورة الأعراف : جزء من الآية رقم (66) .

(3) سورة الأعراف : رقم الآية (67 - 68) .

وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصًطَةً ۖ فَادْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾ .

وهكذا تكون أخلاق الداعية إلى الله ﷻ ، فهو لا ينتقم لنفسه ممن أساء إليه من المدعويين ، إلا أن تنتهك محارم الله ﷻ أو يتم التعدي على دينه الإسلامي سباً وشتماً ، فهو عند ذلك يقوم منبرياً بالدفاع عنه لا تأخذه في الله لومة لائم .

المطلب الثالث

نماذج من رفق صالح عليه السلام في الدعوة إلى الله عز وجل

(1) مكانته عليه السلام :

هو أحد أنبياء الله عز وجل الذين اختصهم بالذكر في كثير من آياته في كتابه العزيز من أنبياء الله عز وجل الذين لا يحصى عددهم .

(2) من مظاهر الرفق في دعوته عليه السلام :

لقد أرسل الله عز وجل نبيه صالح عليه السلام إلى قومه ثمود ، يدعوهم لعبادة الله عز وجل وحده ، وترك ما كانوا يعبدون من أصنام وأوثان لا تضر ولا تنفع ، فقال لهم : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ ﴾ (1) .

وقد كانت هذه الدعوة رسالة الأنبياء جميعهم من الله عز وجل حيث قال عز وجل :

(1) سورة الأعراف : جزء من الآية رقم (73) .

﴿ وَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (1) .

وكما أسلفنا في رفق هود عليه السلام بقومه وتجيبه لهم بمناداتهم : ﴿ يَا قَوْمِ ﴾ شفقة ورحمة بهم وأملاً في هدايتهم ، فقد ناداهم صالح عليه السلام بنفس النداء طمعاً في رجوعهم إلى طريق الحق والصواب .

ولقد لاقى من قومه شديد العنت ، وكثير السخرية ، فوصموه بما هو براء منه ، بل طعنوا في نبوته ، واتهموه بالكذب ، ومن تلك الافتراءات التي ألصقوها به :

(أ) الكذب ، وذلك في قولهم : ﴿ أءَأَلْفَى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴾ (2) .

(ب) السحر ، وذلك في قولهم : ﴿ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴾ (3) .

فلم يكن له من جواب على تلك الافتراءات إلا أن قابلها بكل شفقة بقوله :

﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ (4) .

استمرار النصيح والتوجيه بأن يتقوا الله و حده ، ونفى أن يكون له هدفاً مادياً

(1) سورة النحل : رقم الآية (36) .

(2) سورة القمر : رقم الآية (25) .

(3) سورة الشعراء : رقم الآية (153) .

(4) سورة الشعراء : رقم الآية (143) .

وراء دعوته ، فما يريد إلا الثواب من الله ﷻ : ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (1) .

ثم ذكرهم بما عند الله ﷻ من نعيم مقيم لمن آمن به وأطاعه فقال : ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَهَا هِضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ (2) .

إلا أنهم استمروا في تكذيبهم ، بعد كل هذا الوعظ والآيات البينات والمعجزة التي أجراها الله ﷻ على يد نبيه ، وهي الناقة التي أخرجها الله ﷻ من بين الصخرة فإذا بهم يعقروها مستكبرين معاندين ، واستحقوا عذاب الله ﷻ ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيمِينَ ﴾ (٧٨) فتولى عنهم وقال يقوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون النصيحة ﴿ (3) .

(١) سورة الشعراء : رقم الآية (145) .

(٢) سورة الشعراء : رقم الآية (146 – 152) .

(٣) سورة الأعراف : رقم الآية (78 – 79) .

المطلب الرابع

نماذج من رفق إبراهيم عليه السلام في الدعوة إلى الله ﷻ

(1) مكانته بين الأنبياء – عليهم السلام - :

- أكرمه الله ﷻ بأن جعله أباً للأنبياء جميعاً ، قال الله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا

وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ (1) .

- خليل الرحمن لقوله ﷻ : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (2) .

- إماماً يقتدى به لجميع بني البشر ، قال الله ﷻ : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ

بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالِ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ (3) وقال ﷻ : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً

قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (4) .

(١) سورة الحديد : رقم الآية (26) .

(٢) سورة النساء : جزء من الآية رقم (12) .

(٣) سورة البقرة : جزء من الآية رقم (124) .

(٤) سورة النحل : رقم الآية (120) .

- نعته في القرآن بالصفات الجميلة والخصال الحميدة ، كوصفه بالحلم والأناة

في قول الله ﷻ : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (1) كما وصفه بأنه وفي ما عليه من

أمور ، قال الله ﷻ : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ (2) .

- من أولي العزم من الرسل ، يقول الله ﷻ : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى

بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ

وَلَا تَنفَرُوا فِيهِ ﴾ (3) .

(2) من مظاهر الرفق في دعوة إبراهيم عليه السلام :

لقد كانت دعوة إبراهيم عليه السلام متضمنة لأسمى معاني الولاء لله ﷻ والبراء من

الشرك وأهله حتى وإن كان متمثلاً في أحب الناس إلى قلبه ، فقد كان والده آزر

على الشرك يعبد الأصنام والأوثان ، فأحزن إبراهيم عليه السلام ذلك ، وقام بدعوته بكل

رفق ولين وتوضيح أن هذه الأصنام ما هي إلا ضلال مبين .

بذل إبراهيم عليه السلام جهده بكل لطف وسماحة ، قال الله ﷻ : ﴿ وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ

إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا

يُعْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾ (4) .

واستعمل (يا أبت) للتحبب والتودد له وإشعاره أنه حريص على هدايته

(١) سورة التوبة : جزء من الآية رقم (114) .

(٢) سورة النجم : رقم الآية (37) .

(٣) سورة الشورى : جزء من الآية رقم (13) .

(٤) سورة مريم : رقم الآية (41 - 42)

بقوله : ﴿ يَتَأْتِ إِيَّيَ قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ (1) .

يقول القاسمي - رحمه الله تعالى - : « فلم يصف أباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ، ولكنه قال : إن معي طائفة من العلم وشيئاً منه ليس معك و ذلك علم الدلالة على الحق والطريق السوي ، فلا تستنكف يا أبت من قبول قولي ونصحي لك وهب أنا وأنت في مسير وعندي معرفة بالطريق ، فمصلحتك تقتضي أن تتعبنى لتنجو من الضلالة والتهيه » (2) .

ثم قال : ﴿ يَتَأْتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ (3) يَتَأْتِ إِيَّيَ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ (3) .

وهنا تظهر أسمى معاني الشفقة والخوف ، تحذيراً منه ﷻ لأبيه أن يكون من اتباع الشيطان فتُحرم من رحمة الله ﷻ كما حُرِم منها الشيطان فتشاركه عذاب الله ﷻ .

فـ « لم يخل هذا التخويف من حسن الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له ، وأن العذاب لاحق بـ ه ولكنه قال : ﴿ يَتَأْتِ إِيَّيَ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ ﴾ فذكر الخوف والمس ونكر العذاب » (4) .

(1) سورة مريم : رقم الآية (43) .

(2) تفسير القاسمي . مرجع سابق : 11 / 129 .

(3) سورة مريم : رقم الآية (44 - 45) .

(4) المستفاد من قصص القرآن . عبد الكريم زيدان . مرجع سابق : 1 / 195 .

وبعد كل هذا اللطف وهذه الساحة في دعوة أبي إلى الله ﷻ إذا به يجيبه بقوله : ﴿أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا﴾ (1) ، جواب قاسي تحزن منه النفس ويضيق به الصدر ، كيف بأقرب الناس إليه قام بتهديده بعد هذا اللطف بالرجم ، بل إنه أعان قومه على محاولة قتله وإلقائهم في النار لما أراد هدايتهم وإقناعهم بالحجة بعدم فائدة آلهتهم وأنها جماد لا تضر ولا تنفع ، وقام بالكيد لها ولم يبق إلا أكبر الأصنام وقال لهم عندما سألوه عمن فعل ذلك ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ (2) قاصداً توبيخهم على فعلهم وإلا فكيف لجماد أن ينطق ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (3) .

هنا وقفة صادقة مع أنفسهم استطاعت أن تبين لهم سفاهة ما كانوا عليه إلا أنها ما لبثت أن ذهبت طامسين عليها ، مؤثرين ما هم به من ضلال فقالوا بعد دحض حججهم ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا ءَالِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ﴾ (4) .

ما أصعب هذه اللحظات على إبراهيم عليه السلام خصوصاً وأن أباه كان مشاركاً لقومه في محاولة إحراقه ، لكن الله ﷻ نصره عليهم وقال للنار ﴿قُلْنَا يَنْزِلُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (5) .

(1) سورة مريم : رقم الآية (46) .

(2) سورة الأنبياء : رقم الآية (63) .

(3) سورة الأنبياء : رقم الآية (64) .

(4) سورة الأنبياء : رقم الآية (68) .

(5) سورة الأنبياء : رقم الآية (69) .

ثم أجاب أباه على كل ذلك الأسى الذي أحقه به بقوله : ﴿ قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزُّ لَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ (1) .

فقابل القسوة باللطف ، ووعده بدوام الاستغفار له عسى أن يهديه الله ﷻ ، ووفى ما عليه من وعد فكان دائم الاستغفار له ، كما جاء في قوله ﷻ :

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾ (2) وقوله ﷻ :
﴿ وَأَغْفِرْ لِأَيِّئِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ (3) .

وذلك كله طمعاً في إيمانه ، فلما تبين له إصراره على الكفر تبرأ منه ، قال الله ﷻ : ﴿ وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَرُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا أَيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (4) .

وهكذا فقد كان إبراهيم عليه السلام في دعوته مثلاً للابن البار الذي يجب الخير لأقرب الناس إليه ، وكان منهجه في دعوته لأبيه أنه دعاه برفق ولين وأنه لم يقس عليه في الكلام ولم يعنفه في الخطاب أو يزعجه ، بل كان يخاطبه بكل أدب ووقار ويمجده بالحسنى وبألطف عبارة ، ويبين له في محاورته ومجادلته معه بطلان ما هو

(١) سورة مريم : رقم الآية (47 - 48)

(٢) سورة إبراهيم : رقم الآية (41) .

(٣) سورة الشعراء : رقم الآية (86) .

(٤) سورة التوبة : رقم الآية (114) .

عليه من عبادة الأصنام والأوثان بتسفيه معبوداته وتحقير آلهته⁽¹⁾، ومع ذلك كله لم يستجيب له والده بل إنه قابل كل ذلك بالجحود والنكران والتهديد والهجران لولده .

(1) الخليل إبراهيم عليه السلام في الكتاب والسنة ودعوته وهجراته ورد شبه المستشرقين . عبد الله بن علي محمد أبو سيف . رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بجامعة الملك عبد العزيز - فرع مكة . كلية الشريعة الإسلامية فرع قسم الكتاب والسنة . 1397 هـ - 1977 م . ص / 25 .

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ ؟ قال : أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاهُمْ ، قالوا : ليس عن هذا نَسَأَلُكَ ، قال : فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ بنِ نَبِيِّ اللَّهِ بنِ نَبِيِّ اللَّهِ بنِ خَلِيلِ اللَّهِ ، قالوا : ليس عن هذا نَسَأَلُكَ ، قال : فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونَنِي ، قالوا : نعم ، قال : فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَهَمُوا » (1)

(2) مظاهر الرفق في حياة يوسف عليه السلام ودعوته :

لقد كانت حياة يوسف عليه السلام مجموعة ابتلاءات خاض في غمارها وتجرع مرارتها من طفولته وحتى شبابه ، وكانت بدايتها حسد إخوته لمحبة أبيهم يعقوب عليه السلام له .

قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (2) .

ثم تشاوروا بينهم في كيفية التخلص منه فقالوا : ﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ (3) .

وعزموا على التخلص منه حتى يخلوا لهم ود أبيهم ، ثم عزموا التوبة بعد ذلك لعلمهم فداحة ما سيقترفون فقالوا : ﴿ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ .

(1) صحيح البخاري : كتاب التفسير . باب ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾ . رقم

الحديث : 4 . 4412 / 1729 .

(2) سورة يوسف : رقم الآية (8) .

(3) سورة يوسف : رقم الآية (9) .

ثم عدلوا عن ذلك فاكتفوا برميهِ في غياهب بئر منقطع ، ومن هنا بدأت تلك
الابتلاءات المتواصلة ليوסף عليه السلام من رق القوم الذين أخرجوه من البئى وبيعهم
له إلى افتراء امرأة العزيز عليه وحتى سجنه ظلماً لسنوات عديدة ، ورغم أن حسد
إخوته هو المسبب الرئيسى لمر به إلا أنه عليه السلام كان مثلاً رائعاً في العفو والتسامح ،
والرفق بالمخطئى مهما كان عظيم خطئى ، فقد قال لهم : ﴿ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ
أَلْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (1) .

والتزم عليه السلام بها وعدهم به عندما قال : ﴿ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ ﴾ فلم يعيرهم أو
يذكرهم أبداً بما كان منهم من ظلم أثناء سرده لأبويه مصاعبه التي لاقاها فلم
ينسب هذا الأذى الذي أصابه إليهم بل إلى الشيطان (2) فقال : ﴿ بَعْدَ أَنْ نَزَعَ
الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ (3) .

وفي رفقهِ عليه السلام عظة وعبرة لكل الدعاة إلى الله تعالى في مشارق الأرض ومغاربها
أن يحسنوا إلى المدعويين ويتجاوزوا عما يلاقوه من أذى ف « تجاوز يوسف عن ذنب
إخوته وولقائه عليهم ومصافاته لهم تعلمنا أن نغفر لمن يسيء إلينا ونحسن إليه ، ونصفي له
الود ، وأن نغضي عن كل إهانة تلحق بنا ، فيسبغ الله إذ ذاك علينا نعمه وخيراته في هذه الدنيا
لئما أسبغ على يوسف ويورثنا السعادة الأخلاوية(4)

(١) سورة يوسف : رقم الآية (92) .

(٢) انظر ابن كثير . مرجع سابق : 2 / 490 .

(٣) سورة يوسف : جزء من الآية رقم (100) .

(٤) محاسن التأويل . مرجع سابق : 4 / 394 .

كذلك يظهر رفقه مع أبويه وتقديره لهما عند رفعه لهما على عرش ملكه ، جاء

ذلك في قول الله ﷻ : ﴿ وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ (1) .

كما يضرب لنا نبي الله يوسف ﷺ مثالا آخر في حسن دعوته ورفيق موعظته، وذلك أثناء دخوله إلى السجن ، وقد كان معه فيه فتیان ارتاحا ليوסף ﷻ فور رؤيتهما وقصا عليه ما رآياه في منامهما كما حكى لنا القرآن الكريم في قول الله ﷻ : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣٦) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ (٣٧) وَاتَّبَعَتْ مَلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٣٨) يَصْحَبِي السِّجْنَ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (2) .

وتتضح في محاورته للفتين أموراً كثيرة ، منها :

(أ) إعلامها منذ البداية أن ما به من نعمة تأويل الرؤى إنما هي منة امتن الله

ﷻ بها عليه فهو المستحق للعبادة ﴿ ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ .

(١) سورة يوسف : جزء من الآية رقم (100) .

(٢) سورة يوسف : رقم الآية (36 - 40) .

(ب) ثنى بعد ذلك بطمأننتها بأنه سي أول لهما رؤياهما ليكسب ثقتها منذ اللحظة الأولى ، وحتى يستطيع إقناعها (1) .

وهكذا يجب أن يكون الداعية إلى الله ﷻ مغتنماً لأي فرصة ، لا يمنعه عن ذلك ضيق وقته ، أو صعوبة حاله ، فالدعوة الإسلامية خصوصاً في عصرنا الحالي تحتاج إلى « يقظة كاملة من الدعاة وعليهم - أي الدعاة - أن يتحينوا الظروف المناسبة لتبليغ دعوتهم لأن ذلك أدعى للإجابة ، وأسرع في التبليغ ، ولهم في ذلك أسوة بقصة يوسف ﷺ .

فلقد كان يدعو إلى الله تعالى ويعرض قضاياه في أوقات تناسب قضيته ودعوته ، ولذلك كان السمع وكانت الاستجابة ، ومن ذلك ما نراه حين دخل السجن مع الفتين فهو لم يبادر بعرض الدعوة عليهما ، وإنما تحين الفرصة المناسبة وهي أنهما عرضا عليه رؤياهما (2) .

(ج) بيانه ﷺ أن العبودية الحققة هي لله ﷻ خلافاً لما كان سائداً من كفر وطغيان ، مهتماً بإصلاح العقيدة الفاسدة ، وإعطاء حق الربوبية والألوهية لمستحقها الوحيد وهو الله ﷻ خلافاً لتلك الأرباب المتفرقة التي ما أنزل الله بها من سلطان .

(د) التحبب والرفق معها في مناداتها بـ ﴿ يَصْحَبِي السَّجْنِ ﴾ رغم أن

(1) انظر: في ظلال القرآن . سيد قطب . مرجع سابق : 4 / 1988 - 1989 .

(2) العبرة من قصة يوسف ﷺ . رفيقة عمر بكر صباغ . رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الشريعة

الإسلامية - فرع الكتاب والسنة بجامعة أم القرى . 1405 هـ . ص / 207 .

أحدهما كان على غير دينه ، بل وصفها بصحبة السجن (1) « أي يا ساكني السجن
 وذكر الصحبة لطول مقامها » (2) جاء وصف مماثل في قول الله ﷻ : ﴿أُولَئِكَ
 أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (3) .

وهكذا كانت دعوة يوسف عليه السلام وسيرته على وجه العموم حافلة بمعاني الرفق
 والسماحة مؤثراً فيها العفو عن الإساءة ، والرفق في المعاملة منتهجاً فيها لنهج آباءه
 وأجداده من أنبياء الله ورسله في دعوتهم إلى قومهم .

(1) انظر : تفسير الطبري . مرجع سابق : 12 / 219 .

(2) تفسير القرطبي . مرجع سابق : 9 / 192 .

(3) سورة البقرة : رقم الآية (82) .

المطلب السادس

رفق موسى ﷺ في الدعوة إلى الله ﷻ

(1) مكانته بين الأنبياء – عليهم السلام - :

- اصطفى الله ﷻ موسى ﷺ نبياً ورسولاً وميزه عن كثير من الأنبياء بأن جعله من أولي العزم من الرسل المذكورين في قول الله ﷻ : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (1) .

- اختصه الله ﷻ بعظيم الفضل وشرف المكانة بما لم يكن لغيره من البشر فكلمه بدون وسيط أو ترجمان لقوله ﷻ : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ

(1) سورة الشورى : جزء من الآية رقم (13) .

وَرُسُلًا لَمْ نَقْضُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١﴾ « قال جمع من العلماء : التوكيد بالمصدر ينفي المجاز لئلا يظن أن أرسل إليه رسولا أو كتب إليه كتابا بل كلمه منه إليه » (2).

- موسى عليه السلام هو أول من يفيق من صعق الله عز وجل للناس يوم القيامة ، أو أن الله امتن عليه بعدم صعقه أبداً معهم وذلك لما جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : جاء يهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضرب في وجهه فقال له ضربني رجل من أصحابك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « لم فعلت » قال : يا رسول الله فضّل موسى عليك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تفضلوا بعرض الأنبياء على بعض فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يرفع رأسه من التراب فأجد موسى عليه السلام عند العرش لا أدري أكان فيمن صعق أم لا » (3).

(2) من مظاهر الرفق في دعوة موسى عليه السلام :

لقد أرسل الله صلى الله عليه وسلم موسى عليه السلام إلى أعتى جبابرة الأرض ، لم يترك ذنباً إلا اقتطفه من تنكيل وتعذيب للمستضعفين لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يذِبحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (4).

(١) سورة النساء : رقم الآية (164) .

(٢) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية . مرجع سابق : 12 / 515 .

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل : رقم الحديث : 11383 . 3 / 40 .

(٤) سورة القصص : رقم الآية (4) .

بل لم يكتفِ عند هذا الحد فأضاف إلى ذلك دعواه الربوبية بقوله : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ
 الْأَعْلَى ﴾ (1) والألوهية بقوله : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ (2) وأي جرم
 أكبر من ذلك فقد أخبر الله ﷻ أنه لا يغفر لمن يشرك معه آلهة ، فكيف بمن ادعى
 أنه إله مستحق للعبادة؟! .

وتمادى بعد ذلك في السخرية من موسى ﷺ بقوله : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا
 الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ (3) .

أي لا تتوضح مخارج حروفه من العقدة التي في لسانه (4) وذلك إمعاناً منه في
 التحقير والاستهزاء .

ومع كل هذا العتو والتجبر ، نجد في المقابل الأمر الرباني من الله ﷻ الكريم
 الرفيق لرسوله ﷺ يأمره بالإحسان والرفق بهذا الجبار المعتدي ، رغم علمه السابق
 سيكون منه من كفر وتكبر حتى آخر لحظة من حياته ، ولأنه أراد أن يرسم لجميع الدعاة
 وحتى قيام الساعة طريقاً واضحاً للأسلوب المتبع دعوتهم لدينه ﷻ مع إلزام الحجة
 وقطع المَعذرة عنهم يوم القيامة ، فقال لموسى ﷻ : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ
 يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَى ﴾ (5) أي لا خشونة فيه (6) .

(1) سورة النازعات : رقم الآية (24) .

(2) سورة القصص : جزء من الآية رقم (38) .

(3) سورة الزخرف : رقم الآية (52) .

(4) انظر : فتح القدير . مرجع سابق : 4 / 559 .

(5) سورة طه : رقم الآية (44) .

(6) تفسير القرطبي . مرجع سابق : 11 / 200 .

وقيل : القول اللين هو تكينته بما يجب (1) .

ويقول الشيخ السمعاني - رحمه الله - : « معنى فقولا له قولاً لنا أي داريه وارفقاً به » (2) .

ولقد خرج المفسرون رحمهم الله من هذه الآية بفوائد جليلة ، وثمار عظيمة فيقول الشيخ ابن كثير - رحمه الله - : « هذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار وموسى عليه السلام صفوة الله وعليك من خلقه إذ ذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين كما قال يزيد الرقاشي عند قول الله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا ﴾ يا من يتحجب إلى من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه » (3) .

ويقول العلامة القرطبي - رحمه الله - : « في هذه الآية دليل على جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن ذلك يكون باللين من القول لمن معه القوة وضمنت له العصمة ألا تراه قال : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا ﴾ وقال : ﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ » (4) .

فكيف بنا فنحن أولى بذلك وحينئذ يحصل الأمر والناهي على مرغوبه ويظفر

(1) فتح القدير . مرجع سابق : 3 / 366 .

(2) تفسير السمعاني . مرجع سابق : 3 / 331 .

(3) تفسير ابن كثير . مرجع سابق : 3 / 154 .

(4) سورة طه : رقم الآية (46) .

بمطلوبه وهذا واضح» (1) ويقول رحمه الله في موضع آخر: «فإذا كان موسى أمر بأن يقول لفرعون قولاً لنا فمن دونه أخرى بأن يقتدى بذلك في خطابه وأمره بالمعروف في كلامه وقد قال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (2)» (3).

ولقد استجاب موسى عليه السلام لأمر الله عز وجل فذهب إلى فرعون وألان له الكلام قائلاً: ﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّى ﴾ (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخَشَىٰ ﴿ (4) فلم يأمره - صراحة أن يطهر نفسه مما يشوبها من الكفر والطغيان، إنما جاءه بهيئة الطلب إمعاناً في الرفق واللين عند دعوته.

وقد طبق موسى عليه السلام أمر الله عز وجل كذلك عندما قال: ﴿ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (5) فلقبه بـ (فرعون) لأنه أحب إليه مما سواه، وهو لقب يلقب به ملوك مصر قديماً (6)، ككسرى لملك الفرس وقيصر لملك الروم.

وقد قابل فرعون هذا اللطف الفائق بمزيج من الاستكبار والعلو في الأرض بعد أن رأى من آيات الله عز وجل الخارقة التي أجراها على يديهِ عليه السلام فكان مصيره الغرق في البحر كافراً عليه من الله عز وجل ما يستحقه.

(١) تفسير القرطبي: 11 / 199 .

(٢) سورة البقرة: جزء من الآية رقم (83) .

(٣) تفسير القرطبي . مرجع سابق: 11 / 200 .

(٤) سورة النازعات: رقم الآية (18 - 19) .

(٥) سورة الأعراف: رقم الآية (104) .

(٦) تفسير القرطبي . مرجع سابق: 11 / 200 .

المطلب السابع

نماذج من رفق عيسى عليه السلام في دعوته إلى الله عز وجل

(1) مكانته بين الأنبياء – عليهم السلام - :

لقد كان عيسى عليه السلام من معجزات الله عز وجل في خلقه ، حيث قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ مَثَلَ

عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (1) .

فقد وُلد بدون أب ، وأمه مريم بنت عمران ، المرأة العابدة التقيّة ﴿ وَإِذْ قَالَتِ

الْمَلَكَةُ يَمْرِيُمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ (2) .

وجعلها الله عز وجل آية للعالمين : ﴿ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ

لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (3) .

(١) سورة آل عمران : رقم الآية (59) .

(٢) سورة آل عمران : رقم الآية (42) .

(٣) سورة آل عمران : رقم الآية (47) .

و عيسى عليه السلام من أولي العزم الرسل الذين ذكرهم الله عز وجل في قوله : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (1) .

(2) من مظاهر الفرق في دعوة عيسى عليه السلام :

كانت رسالة عيسى عليه السلام آخر رسالة قبل الإسلام ، فبينها وبين بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ستائة سنة (2) ، ولقد بشر ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم بما أوحاه الله عز وجل إليه من بشرى بمقدم خاتم الأنبياء والمرسلين : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَاءَ يَلِإِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (3)

والمقصود بأحمد هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فعن مطعم بن عدي قال سمعت رسول الله : « إِنَّ لِي أَسْمَاءً أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاجِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِئِ الْكُفْرَ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُخَشِّرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي وَأَنَا الْعَاقِبُ سُورَةُ الْجُمُعَةِ » (4) .

وهذا الفرق المطلوب بين الدعوة فيما بينهم ، لا حقد ولا حسد ، إنما حب لهذا الدين ولأهله ، ولكل من ينصره لا فرق بين داعية وآخر ، ما دام الهدف هو رفعة هذا الدين الإسلامي ونشره .

(1) سورة الشورى : جزء

(2) التسهيل لعلوم التنزيل . مرجع سابق : 3 / 157 .

(3) سورة الصف : رقم الآية (6) .

(4) صحيح البخاري : كتاب التفسير . باب قَوْلُهُ تَعَالَى . ﴿ مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ . رقم الحديث :

وقد أرسل إلى بني إسرائيل يدعوهم إلى توحيد الله ﷻ ، والبراء من الشرك وأهله .

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَائِيلَ ۗ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۗ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ۗ ﴾ (1) .

واستخدم في دعوته ، أسلوب الرفق مظهراً أسمى آيات التحبب والشفقة عليهم ، فقال لهم : ﴿ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَالْأَيِّنِّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۗ ﴾ (2) .

إلا أنهم كفروا بالله ﷻ وأشركوا معه رسوله : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ ﴾ (3) رغم إنكار المسيح عليهم ذلك بقوله : ﴿ يَبْنَىٰ إِسْرَائِيلَ ۗ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۗ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ۗ ﴾ (4) .

وقد قابل بنو إسرائيل هذا اللطف الفائق بمزيد من الغلو بعد أن رأوا من آيات الله ﷻ الخارقة التي أجراها على يد نبيه عيسى عليه السلام من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص .

(١) سورة المائدة : رقم الآية (٧٢) .

(٢) سورة الزخرف : رقم الآية (٦٣) .

(٣) سورة المائدة : جزء من الآية رقم (٧٢) .

(٤) السورة السابقة : نفس الآية .

واختقوا هذا الصد عن قبول دعوته بمحاولة قتله فرفعه الله ﷻ: ﴿ وَقَوْلِهِمْ

إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ
الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعِ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ
رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١﴾ .



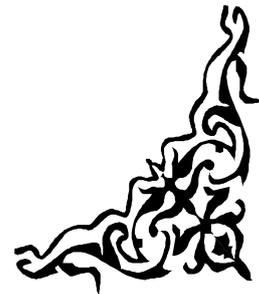
المبحث الخامس

نماذج من رفق الرسول ﷺ

وفيه مطلبين :

المطلب الأول : مكانة الرسول ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام .

المطلب الثاني : بعض مواقف الرفق في حياة الرسول ﷺ .



المطلب الأول

مكانة الرسول ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام

خلق الله ﷻ البشر وفضل منهم من يشاء لحمل رسالته وتبليغ دينه ﷻ لكافة البشر ، ثم إنه فضل من الأنبياء أولي العزم من الرسل ، ثم اصطفى من أولي العزم خليله وخاتم الأنبياء رسولنا محمد ﷺ ، ففضله على جميع الأنبياء والمرسلين فهو إمام الأنبياء وسيد الأصفياء ، وصاحب الشفاعة العظمى يوم الدين

زكاه الله ﷻ في عقله فقال : ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ (1) .

(1) سورة النجم : رقم الآية (2) .

وزكاه في قلبه فقال : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ (1) .

كما زكاه في خلقه فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (2) .

وله ﷺ من المآثر والفضائل ما يضيق بذكره المقام ، نذكر بعضاً منها

أخذ الله ميثاق الأنبياء جميعاً أن يؤمنوا برسول الله ﷺ قال الله ﷻ : ﴿ وَإِذْ

أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ (3) .

سيد ولد آدم يوم القيامة كما أنه أول من يشق عنه القبر وأول شافع ومشفع

فعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ » (4) .

أعطي خمساً لم تعط لأحد قبله ﷺ ، فعن جابر بن عبد الله ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ

قال : « أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكْتَهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً

(١) سورة النجم : رقم الآية (11) .

(٢) سورة القلم : رقم الآية (4) .

(٣) سورة آل عمران : رقم الآية (81) .

(٤) صحيح مسلم : كتاب الرؤيا . باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق . رقم الحديث :

وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً « (1) .

—خاتم الأنبياء والمرسلين ، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسَ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ الرَّسِيِّينَ » (2) .

—له الشفاعة العظمى عند قيام الساعة فعن أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : « يُجَبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُهْمُوا بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فِي قَوْلُونَ أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ لَتَشْفَعُ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا قَالَ : فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ قَالَ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ أَكْلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَدْ هَمِيَ عَنْهَا وَلَكِنْ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيِّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَكِنْ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ قَالَ : فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ وَلَكِنْ ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا ، قَالَ : فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ قَتْلَهُ النَّفْسِ

(1) صحيح البخاري : كِتَابُ التَّيْمَمِ . قول الله تعالى ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا

فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ . رقم الحديث : 328 / 3 / 1300 . صحيح

مسلم : كِتَابُ الصَّلَاةِ . باب قول النبي ﷺ جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا . رقم الحديث :

. 1791 / 4 . 427

(2) صحيح مسلم : كِتَابُ الْمَنَاقِبِ . باب خاتم النبيين ﷺ . رقم الحديث : 2286 / 4 / 1791 .

وَلَكِنْ أَتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ ، قَالَ : فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَلَكِنْ أَتُوا مُحَمَّدًا ﷺ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي فَيَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدَ وَقُلْ يُسْمَعُ وَاشْفَعْ تُشْفَعُ وَاسْأَلْ تُعْطَى قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُتِي عَلَى رَبِّي بِسَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةُ وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي ثُمَّ يَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدَ وَقُلْ سَمِعَ وَاشْفَعَ تُشْفَعُ وَاسْأَلْ تُعْطَى قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُتِي عَلَى رَبِّي بِسَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ قَالَ ثُمَّ أَسْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةُ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّلَاثَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ لَهُ سَاجِدًا فَيَدْعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُنِي ثُمَّ يَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدَ وَقُلْ يُسْمَعُ وَاشْفَعَ تُشْفَعُ وَاسْأَلْ تُعْطَى قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُتِي عَلَى رَبِّي بِسَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ قَالَ ثُمَّ أَسْفَعُ فِي حَدِّي لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةُ وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأَخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ قَالَ ثُمَّ تَلَايَتَهُ الْآءُ ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ (1) قَالَ :

وَهَذَا الْمَقَامُ الْمُحْمُودُ الَّذِي وَعَدَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ (2) .

(1) سورة الإسراء : رقم الآية (79) .

(2) صحيح البخاري : كتاب التوحيد . باب قول الله تعالى ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ .

المطلب الثاني

من مواقف الرفق في حياة الرسول ﷺ

إن النماذج التي دلت على رفق النبي ﷺ وشفقته كثيرة ، وهي تقدم للدعاة إلى الله ﷻ خير قدوة يستطيعون السير على نهجه فيها ، وقد استعرضنا بعضاً منها طيلة المباحث السابقة ، وسنورد أخرى منها في هذا المطلب :

الموقف الأول : رفته ﷺ بأهل مكة رغم ما أصابه منهم :

أوذى الرسول ﷺ من أهل مكة أشد الإيذاء ، ضربوه وعذبوه ورموا القاذورات عليه أثناء صلاته وهو صابر محتسب ، حلیم عما كان منهم أذى

بلغ تكذيبهم له في يوم من الأيام أن تحدوه في أن يجعل لهم الصفا ذهباً كما جاء في مسند الإمام أحمد - رحمه الله - عن ابن عباس قال : « قالت قُرَيْشٌ للنبي ﷺ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا الصِّفَا ذَهَبًا وَرَقًّا مِنْ بَيْتِكَ قَالَ : « وَتَفْعَلُونَ » قالوا : نعم قال : فدعا فاتاه جبريل فقال : إن ربك عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً فمن كفر بعد ذلك منهم عذبتهم عذاباً لا أعذب به أحد من العالمين وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة قال : بل باب التوبة والرحمة » (1) .

فمن رحمته ﷺ عليهم أن اختار الثانية لعلمه بتعنتهم فأشفق عليهم الهلاك ، بل أراد المحاولة في هدايتهم .

ويتوالى إيذاؤهم له حتى بعد الهجرة ، ففي غزوة أحد شجوا رأسه الشريف ،

(1) مسند الإمام أحمد : رقم الحديث : 2166 / 1 . 242 .

وكسروا رباعيته ، فطلب منه الصحابة الدعاء على الكافرين فأجابهم : « إني لم أُبعثُ لِعَانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً » (1) .

ولما فتح مكة ﷺ ودخلها منتصراً يستطيع أن ينتقم لنفسه من سنوات طويلة عذب فيها وضيق عليه حتى طرد إذا به يسألهم : « ما ترون أي صانع بكم ، قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » (2) .

الموقف الثاني : رفقهُ ﷺ بمن آذاه من أهل الطائف :

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ : هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومٍ أُحُدٍ ، قال : « لقد لقيتُ من قومك ما لقيتُ وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يوم العقبَةِ إذ عرَضْتُ نَفْسِي على بن عبدِ يَليل بن عبدِ كُلالٍ فلم يُجِبنِي إلى ما أَرَدْتُ فأنطَلَقْتُ وأنا مَهْمُومٌ على وَ جَهِي فلم أَسْتَعِقْ إلا وأنا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فإذا أنا بِسَحَابَةٍ قد أَظَلَّتْنِي فَنظَرْتُ فإذا فيها جِرْبِلٌ فناداني فقال إنَّ اللهَ قد سمع قولَ قومك لك وما رَدُّوا عليك وقد بعثَ اللهُ إليك مَلَكَ الجِبَلِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فناداني مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قال يا محمد فقال ذلكَ فيما شِئْتَ إن شِئْتَ أنْ أُطِيقَ عليهم الأَحْشَبِينَ فقال النبي ﷺ بَلْ أَرَجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهُ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا » (3) .

(١) صحيح مسلم : كتاب البرِّ والصَّلةِ وَالْأَدَابِ . باب النهي عن لعنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا . رقم .

الحديث : 2599 / 4 . 2006 .

(٢) سنن البيهقي : 9 / 118 . رقم الحديث : 18055

(٣) صحيح البخاري : كتاب بدءِ الخَلْقِ . باب إذا قال أحدكم آمينَ وَالْمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ فَوَافَقَتْ

إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ . رقم الحديث : 3059 / 3 . 1180 .

لقد كان هذا الموقف من أشد المواقف على رسول الله ﷺ إيذاء وقهراً حتى طغى على ما جرى له في يوم أحد وقد كسرت رباعيته وشج رأسه إذ كان ذلك اليوم محاطاً بالمؤمنين الذين أخذوا يذبون عنه ، ولكنه في يوم الطائف كان وحيداً ، قد توفي عمه أبو طالب وزوجته خديجة - رضي الله عنها - أكثر المناصرين له في دعوته إلى الله ﷻ ، وأراد تأييداً وإيواء من أهل الطائف ، فإذا بهم يغرون صبيانهم عليه ويرمونهم بالحجارة ، ويصيحون عليه ، حتى ألقوه إلى حائط ، يناجي ربه بدعاء لم يعرف المكروب ولا المحزون له مثل : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ؟ أم إلى عدو ملكته أمري ؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك ، أو أن يحل عليّ سخطك ، لك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » (1) فإذا بربه ﷻ يستجيب له من فوق سبع طباق ويرسل له أمين وحيه ، وخير ملائكته ، جبريل العليّ ، ومعه ملك الجبال يبشرانه بالانتقام العاجل ممن آذوه وأدموه ، فماذا يكون جوابه ؟ « بل أرجو أن يخرج الله ﷻ من أصلاهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً » إنها لإجابة جديرة بمن قال فيه ربه ﷻ ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (2) ،

وقوله ﷻ : ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ

(1) مجمع الزوائد . مرجع سابق : 6 / 35 .

(2) سورة التوبة : رقم الآية (128) .

حَوْلِكَ ﴿١﴾ أي « فبرحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى - وهي ربطه على جأشه وتخصيصه بمكارم الأخلاق - كنت لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف بهم » ﴿٢﴾ وفي بعض فوائد الحديث يقول العلامة ابن حجر - رحمه الله - : « بيان شفقة النبي ﷺ على قومه ومزيد صبره وحلمه » ﴿٣﴾ .

الموقف الثالث : رفقه بمن حاول قتله :

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - أَخْبَرَ أَنَّهُ : « غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ نَجْدٍ فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُ فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرٍ الْعِضَاهُ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَطْلُونَ بِالشَّجَرِ فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ سَمْرَةٍ وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ وَنَمْنَا نَوْمَةً فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْعُونَا وَإِذَا عِنْدَهُ أُعْرَابِيٌّ فَقَالَ : إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ فِي يَدِي صَلْتًا فَقَالَ مِنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي فَقُلْتُ : اللَّهُ ثَلَاثًا ، وَلَمْ يُعَاقِبْنِي وَجَلَسَ » ﴿٤﴾ .

لقد جاء هذا الرجل ، ويدعى (دعثور) ﴿٥﴾ وقيل : « غورث بن الحارث » ﴿٦﴾ بينما رسول الله ﷺ نائماً ، لم يراعِ عُرفاً ولا مبادئ تمنعه من إيذاء آمن نائم ،

(١) سورة آل عمران : رقم الآية (159) .

(٢) . إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . مرجع سابق : 2 / 105 .

(٣) فتح الباري . مرجع سابق : 6 / 316 .

(٤) صحيح البخاري : كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ . بَابُ الْحَمَائِلِ وَتَعْلِيْقِ السَّيْفِ بِالْعُنُقِ . رقم الحديث :

2753 . 3 / 1065 . صحيح مسلم : كِتَابُ الْفَضَائِلِ . بَابُ تَوَكُّلِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَعِصْمَةِ اللَّهِ

تَعَالَى لَهُ مِنَ النَّاسِ . رقم الحديث : 843 . 4 / 1786 .

(٥) فتح الباري . مرجع سابق : 7 / 428 .

(٦) شرح النووي . مرجع سابق : 15 / 45 .

فتوشح سيفه قائلاً : « من يمنعك مني » فقال له الرسول ﷺ بكل توكل وشجاعة : (الله ﷻ) فإذا بسيفه المسلط على رسول الله ﷺ يسقط « لما شاهد ذلك الثبات العظيم وعرف أنه حيل بينه وبينه وتحقق صدقه وعلم أنه لا يصل إليه فألقى السلاح وأمكن من نفسه ووقع في رواية بن إسحاق بعد قوله قال الله فدفع جبريل في صدره فوقع السيف من يده » (1) ثم كان خير آخذ ﷺ فلم ينتقم لنفسه كما أخبرت عن خلقه عائشة - رضي الله عنها - : « ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تُنتهك حرمة الله فينتقم لله بها » (2) بل دعاه إلى الإسلام كما جاء في بعض الروايات ثم تركه بعض رفضه .

الموقف الرابع : رفقه مع زيد بن سحنة ﷺ قبل إسلامه :

عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : « إن الله تبارك وتعالى لما أراد هدي زيد بن سحنة قال زيد بن سحنة : ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه إلا شيئين لم أخبرهما منه هل يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً فكنت أطف به لئن أخالطه ف أعرف حلمه من جهله قال زيد بن سحنة : فخرج رسول الله ﷺ يوماً من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأتاه رجل على راحلته كالبدوي فقال : يا رسول الله إن بصرى قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام وكنت حدثتهم إن أسلموا آتاهم الرزق رغداً وقد أصابتهم سنة وشدة وقحوط من الغيث فأنا أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً فإن رأيت أن ترسل

(1) فتح الباري . مرجع سابق : 7 / 427 .

(2) تقدم تخريج الحديث في الصفحة (209) .

إليهم بشيء تعينهم به فعلت فنظر إلي رجل وإلى جانبه أراه علياً رضي الله عنه فقال يا رسول الله ما بقي منه شيء قال زيد بن سعدة فدنوت إليه فقلت يا محمد هل لك أن تبيعي تمرأ معلوماً من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا فقال : لا يا يهودي ولكن أبيعك تمرأ معلوماً إلى أجل كذا وكذا ولا أسمي حائط بني فلان فقلت نعم فبايعني فأطلقت همياني فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا فأعطاها الرجل فقال : اعدل عليهم وأعنهم بها فقال زيد بن سعدة فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة أتتته فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ فقلت له : ألا تقضيني يا محمد حقي فوالله ما علمت لك يا بني عبد المطلب سيئي القضاء مظل ولقد كان لي بمخالطتكم علم ونظرت إلى عمر فإذا عيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ثم رماني ببصره فقال يا عدو الله أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع وتصنع به ما أرى فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر قوته لضربت بسيفي رأسك ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال : يا عمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التباعة اذهب به يا عمر فاعطه حقه وزده عشرين صاعاً من تمر فقلت ما هذه الزيادة يا عمر قال أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما نقيمتك قلت : أتعرفني يا عمر قال : لا من أنت ؟ قلت : زيد بن سعدة قال : الخبر قلت : الخبر قال : فما دعاك أن فعلت برسول الله ﷺ ما فعلت وقلت له ما قلت قلت له يا عمر لم يكن له من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنين لم أخبرهما منه هل يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً فقد اخترتتها فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً وأشهدك أن شطر مالي فإني أكثرهم مالاً صدقة على أمة محمد ﷺ

فقال عمر رضي الله عنه أو على بعضهم فإنك لا تسعهم قلت أو على بعضهم فرجع زيد إلى رسول الله ﷺ فقال زيد أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأمن به وصدقه وبايعه وشهد معه مشاهد كثيرة ثم توفي زيد في غزوة تبوك مقبلا غير مدبر ورحم الله زيدا» (1).

وفي هذا الموقف بيان واضح لمعرفة أهل الكتاب وإقرارهم على أنفسهم على صدق نبوة الرسول ﷺ، وورود صفاته في كتبهم، فقد أراد زيد ﷺ التوثق من صفتين وردت في كتبهم عن رسول الله ﷺ: «يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً» ولا يأتي هذا الكم الهائل من الحلم إلا برفق يلازمه فيجعله يتغاضى عن الإساءة دافعاً السيئة بالحسنة، لذلك قام زيد بما فعل حتى يتيقن بنفسه، فلما تيقن من صدق نبوته ﷺ ترك اليهودية وهو من أحبارها، لأنه علم الحق وتيقن منه فأمن بالله ورسوله.

الموقف الخامس: رفقه بمن أصاب امرأته قبل أداء الكفارة

عَنْ سَلَمَةَ بْنِ صَخْرِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنْتُ امْرَأً قَدْ أُوتِيْتُ مِنْ جَمَاعِ النِّسَاءِ مَا لَمْ يُؤْتِ غَيْرِي فَلَمَّا دَخَلَ رَمَضَانَ تَطَهَّرْتُ مِنْ امْرَأَتِي حَتَّى يَنْسَلِخَ رَمَضَانٌ فَرَقَا مِنْ أَنْ أُصِيبَ فِي لَيْلَتِي شَيْئًا فَاتَّبَعْتُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَدْرِكَنِي النَّهَارُ وَأَنَا لَا أَقْدِرُ عَلَى أَنْ أَنْزِعَ فَبَيْنَمَا هِيَ تَخْدُمُنِي إِذْ تَكَشَّفَ لِي مِنْهَا شَيْءٌ فَوَثَبْتُ عَلَيْهَا فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ عَلَى قَوْمِي فَأَخْبَرْتُهُمْ خَبْرِي وَقُلْتُ لَهُمْ: انْطَلِقُوا مَعِيَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَخْبِرْهُ بِأَمْرِي، فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ لَا نَفْعُ لَنَا نَتَخَوَّفُ أَنْ يَنْزَلَ فِيْنَا قُرْآنٌ أَوْ يَقُولَ فِيْنَا رَسُولُ اللَّهِ

(1) المستدرک علی الصحیحین: ذکر اسلام زید بن سعنة مولى رسول الله علي ه وآله وسلم . رقم

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَةً يَبْقَى عَلَيْنَا عَارُهَا وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتِ فَاصْنَعِ مَا بَدَا لَكَ ، قَالَ : فَخَرَجْتُ
فَأْتَيْتِ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ خَبْرِي فَقَالَ لِي : « أَنْتِ بَدَاكَ » فَقُلْتُ : أَنَا بَدَاكَ ، فَقَالَ :
« أَنْتِ بَدَاكَ » فَقُلْتُ : أَنَا بَدَاكَ ، قَالَ : « أَنْتِ بَدَاكَ » قُلْتُ : نَعَمْ هَا أَنَا ذَا فَاْمُضْ فِي
حُكْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنِّي صَابِرٌ لَهُ ، قَالَ : « اعْتَقِ رَقَبَةً » قَالَ : فَضَرَبْتُ صَفْحَةَ رَقَبَتِي
بِيَدِي وَقُلْتُ : لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَصْبَحْتُ أَمْلِكُ غَيْرَهَا قَالَ : « فَصُمِّ
شَهْرَيْنِ » قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي إِلَّا فِي الصِّيَامِ قَالَ
فَتَصَدَّقْ قَالَ فَقُلْتُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَقَدْ بَتْنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ وَحِشَاءُ مَا لَنَا عَشَاءُ قَالَ :
« اذْهَبِي إِلَى صَاحِبِ صَدَقَةِ بَنِي زُرَيْقٍ فَقُلِي لَهُ فَلْيَدْفَعْهَا إِلَيْكَ فَأَطْعِمِ عَنْهَا مِنْكَ وَسَقَاً
مِنْ تَمْرٍ سِتِّينَ مِسْكِيناً ثُمَّ اسْتَعِينِ بِسَائِرَةِ عَلَيْكَ وَعَلَى عِيَالِكَ فَارْجِعِي إِلَى قَوْمِي فَقُلْتُ
وَجَدْتُ عِنْدَكُمْ الضِّيْقَ وَسُوءَ الرَّأْيِ وَوَجَدْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْبَرَكَاتَةَ وَالْبَرَكَاتَةَ قَدْ أَمَرَ لِي
بِصَدَقَتِكُمْ فَادْفَعُوهَا لِي قَالَ فَادْفَعُوهَا إِلَيَّ

لقد كان سلمة مخطئاً فيما فعل ، لكن الرسول ﷺ لم يوبخه أو يعنفه ، فقد
جاء نادماً ، طالباً الحل منه ﷺ ، بل إنه لم يضيق عليه حتى في أداء الكفارة وتجاوز
عنه في أدائها لما علم من صدق عجزه في ذلك ، وكلل هذا الإحسان بدفع صدقة له
وأخذها من قومه الذين رفضوا الذهاب معه بداية الأمر إلى رسول الله ﷺ لإيجاد
حل للمشكلة .

وفي جواب سلمة لما عاد إلى قومه من رسول ﷺ بيان لشدة تأثره من رفق رسول

ﷺ به وكيف تجلى هذا الأثر في كلماته الممتنة لفعل الرسول ﷺ له .

الموقف السادس رفقه ﷺ بالأعرابي الذي جذبته من رداءه

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : « كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبته جذبته شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته ثم قال : مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه فضحك ثم أمر له بعتاء » (1) .

لقد قدم النبي ﷺ في هذا الموقف معنى عظيم من معاني الرحمة والرفق مع قدر كبير من العفو عند الإساءة ، فقد آلمته الجذبة ألماً شديداً لقول أنس رضي الله عنه : « حتى نظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ قد أثرت به حاشية الرداء من شدة جذبته » ووصف شدة هذه الجذبة - في رواية مسلم - بأنها كانت قوية جداً حيث : « رجع نبي الله ﷺ في نحر الأعرابي » (2) ولكن لم يكن من رسول الله ﷺ إلا أن تبسم ضاحكاً وأمر أصحابه أن يعطوه ما لا تألفاً له وكسباً لوده وفي الحديث « بيان حلمه وصبره على الأذى في النفس والمال والتجاوز عن جفاء من يريد تألفه على الإسلام وليتأسى به الولاية من بعده في خلقه الجميل من الصنف والإغضاء والدفع بالتي هي أحسن » (3) .

(1) صحيح البخاري : كتاب الخمس . باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفَةَ قلوبهم وغيرهم . رقم الحديث : 2980 .

(2) صحيح مسلم : كتاب الزكاة . باب إعطاء من سأل بفحشٍ وغلظةٍ . رقم الحديث : 1057 .
731 / 2 .

(3) عمدة القاري . مرجع سابق : 21 / 312 .

الموقف السابع : رفقہ ﷺ بالمرأة الباكية عند قبر :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : مرَّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر فقال : « أتقي الله وأصبري » قالت : إنيك عني فإنك لم تُصب بمصيبتي ، ولم تعرفه فقيل لها : إنه النبي ﷺ فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت : لم أعرفك فقال : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » (1) .

لقد مر الرسول ﷺ على امرأة تبكي على صبي لها كما جاء في رواية مسلم :
« أن رسول الله ﷺ أتى على امرأة تبكي على صبي لها » (2) فأمرها بتقوى الله ﷻ وأوصاها بالصبر على أقداره ، فما كان جواب المرأة إلا أن أغلظت على رسول الله ﷺ قائلة « إنيك عني » جاهلة لشخصه ومكانته ، فلم يهتف النبي ﷺ ولم يوبخها بل أشفق عليها وراعى حزنها على فقدان عزيزها وتركها عائداً لمنزله

فكانت ثمار هذه الرحمة أن توارت المرأة خجلاً عند معرفتها لشخصه ، كما جاء في رواية مسلم : « قيل لها إنه رسول الله ﷺ فأخذها مثل الموت » (3) وأقبلت مسرعة على رسول الله ﷺ لتعتذر فأجابها بكل رفق أن « الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر الجزيل لكثرة المشقة فيه » (4) وأصل الصدم هو « ضرب الشيء الصلب بمثله فاستعير للمصيبة الواردة على القلب ، قال الخطابي : المعنى أن الصبر

(1) صحيح البخاري: كتاب الجنائز . باب زيارة القبور . رقم الحديث : 1223 / 1 . 430 .

(2) صحيح مسلم : كتاب الجنائز . باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى . رقم الحديث : 137 / 2 . 926 .

(3) المصدر السابق : نفس الحديث .

(4) شرح النووي . مرجع سابق : 3 / 227 .

الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة يخ لاف ما بعد ذلك فإنه على الأيام يسلو» (1).

الموقف الثامن : رفقه بمن اشتاقوا إلى أهلهم :

عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه أنه قال : « أتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ شَبَابٌ مُتَقَارِبُونَ فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَحِيمًا رَفِيقًا فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدْ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا أَوْ قَدْ اشْتَقْنَا سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا فَأَخْبَرْنَاهُ قَالَ ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِكُمْ فِيمَنْ فِيهِمْ وَعَلْمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ وَذَكَرْ أَسْيَاءَ أَحْفَظْهَا أَوْ لَا أَحْفَظْهَا لَوْ كَهَلُ أَيُّتُمُونِي أُصَلِّي فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَدِّنْ لَكُمْ أَحَدَكُمْ وَلْيُؤَمِّكُمْ أَكْبَرَكُمْ (2) »

لقد جاء مالك رضي الله عنه في نفر من قومه حتى يأخذوا تعاليم الدين من رسول صلى الله عليه وسلم ، ويلازموه في مجلسه ، ولما طال بهم المقام لعشرين ليلة ، شعر الرحيم المشفق على أمته مدى اشتياقهم إلى أهلهم ، وقد انتهت الهجرة بفتح مكة ، فعلمهم ما ينبغي لهم أن يعلموه من أمور دينهم وأكد على الصلاة التي هي عماد الدين كله

وفي الحديث بيان لرفقه صلى الله عليه وسلم ، وعظيم لطفه ، ليكون أسوة لكل معلم بأن يتفقد أحوال طلبته ويهتم بمشاكلهم ويزرع الثقة في نفوسهم ، كما زرعها الرسول صلى الله عليه وسلم عندما حملهم مسؤولية إبلاغ قومهم وتعليمهم .

(1) فتح الباري . مرجع سابق : 3 / 149 - 150 .

(2) صحيح البخاري : كتاب الأذان . باب الأذان للمُسافر إذا كانوا جماعةً والإقامة وكذلك بعرفة وجمع وقول المؤذن الصلاة في الرحال في الليلة الباردة أو المطيرة . رقم الحديث : 605 .
1 / 226 . صحيح مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة . باب من أحق بالإمامة . رقم

الحديث : 674 / 1 . 465 .

الموقف التاسع : رفقه في مقابل لؤم اليهود ومكرهم :

عن عائشة - رضي الله عنها - أَنَّ الْيَهُودَ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا السَّامُ (1) عَلَيْكَ
 قال : « وَعَلَيْكُمْ » فقالت عائشة - رضي الله عنها - : السَّامُ عَلَيْكُمْ وَلَعَنَكُمْ اللَّهُ
 وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ ، فقال رسول الله ﷺ : « مَهْلًا يَا عَائِشَةُ عَلَيْكَ بِالرَّفْقِ وَإِيَّاكَ
 وَالْعُنْفَ أَوْ الْفُحْشَ » قالت : أو لم تسمع ما قالوا ؟ قال : « أو لم تسمعي ما قلت
 رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ » (2) .

بين هذا الموقف النبوي الكريم مدى كمال حسن خلق الرسول ﷺ مع
 أعدائه ، فأبي سماحة وأي رفق تلك التي لا تجعله يجازي السيئة بأكثر منها ، مع
 علمه بما يقصد أعداء الله من الدعاء عليه بالموت ، بل يكتفي بالرد عليهم
 « وعليكم » .

ثم يوجه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - بعدم التكلف في سب الناس
 حتى وإن ابتدروا الفحش .

إن هذا الخلق الكريم المتمثل في شخصية سيد المرسلين ﷺ كما وصفه ربه جل
 وعلا في كتابه : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (3) .

(1) السام وهو الموت فإن كان عربياً فهو من سام يسوم إذا مضى لأن الموت مضى (الفائق في غريب
 الحديث . محمود بن عمر الزمخشري . تحقيق: علي محمد الجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم .
 دار المعرفة - لبنان . ط 2 . بدون تاريخ نشر : 2 / 144)

(2) صحيح البخاري : باب قول النبي ﷺ يُسْتَجَابُ لَنَا فِي الْيَهُودِ وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِينَا رقم
 الحديث : 6038 . 5 / 2350 .

(3) سورة القلم : رقم الآية (4) .

وهذا ما ينبغي أن يسير عليه كل داعي وداعية في دعوته إلى الله ﷻ فقد قال الله

ﷻ: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ

وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (1).



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين .

فبعد هذه الرحلة الممتعة المفيدة التي قضيتها بين جوانب البحث ، كانت هذه هي أبرز النتائج والتوصيات :

(أ) النتائج :

1 - إن الرفق من أعظم مقومات الداعية وأخلاقه ، وهو من دعائم الدعوة إلى الله ﷻ .

2 - إن معنى الرفق في اللغة يدور حول التلطف في أخذ الأمور مع محاولة بلوغ المقصود بأيسر الطرق وألطفها .

3 - يرادف الرفق كل كلمة تدل على الموافقة والمقاربة بلا عنف كالرحمة والعطف واللطف والرأفة وغيرها من المصطلحات التي تقع تحت مظلة معنى واحد ، وهو « تحقيق المبتغى بأسهل الطرق وأيسرها » .

كما جاءت الألفاظ المقابلة للرفق دالة على كل م عاني : « الحدة في القول والفعل والجفوة في معاملة الناس عند التحدث إليهم » كالغلظة والشدة والفظاظة والفحش وغير ذلك من مصطلحات .

4 - إن الرفق المقصود تطبيقه يكون في الأسلوب والمعاملة ، وليس بغض الطرف عما حرم الله وعدم الغيرة على محارمه ، فمما يشكل ويلتبس ع ند بعض الناس في شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الخلط وعدم التمييز بين الرفق وهو مداراة المدعوين وبين المداهنة المنهي عنها وقد توضح الفرق بينهما في طيات البحث .

5 - إن الأساليب المنافية للرفق هي « كل طريقة خالفت ما أمر الإسلام به الدعاة عند تعاملهم مع المدعويين ، متجاهلاً لأحوال المدعويين ومدى صلاح هذه الطريقة لنجاح دعوته » .

6 - إن القرآن الكريم قد حفل بكثير من الآيات التي تحدثت عن الرفق لفظاً ومعنى كما وردت أقوال عن العلماء قديماً وحديثاً ، كذلك الشعراء في ضرورة التحلي بالرفق وفضله وبينت أهميته في حياة المسلمين عامة وفي دعوة الدعاة إلى الله ﷺ بصفة خاصة .

7 - لا شك أن اللين والرفق هما الأساسان في نجاح الدعوة إلى الله ﷻ ، ولكن لا بد من أحوال يعدل فيها الداعي من هذا الخلق العظيم إلى الشدة فتكون أوقع أثراً عند دعوته ، ومن المعلوم بالضرورة أن الشدة في هذه الأحوال هي رفق في حقيقة الأمر ، وهي حرص على أن لا يصيب المدعو ضرر إن لم يؤخذ على يده لسوء فعله سواء كان عالماً بخطأ هذا الفعل أو غير عالم ، كالطبيب عند مداواته للمريض فهو رحيم به حريص على علاجه حتى وإن كانت الوسيلة في هذا العلاج مؤلمة ، عند التيقن بعد جدوى غيرها من وسيلة .

8 - إن النصيحة التي تلقى في أدب ولطف تستسيغها القلوب وتنشرح لها الصدور ، وترتاح لها الأسماع ، ويعلم منها المدعو مدى شفقة الداعية وصدق أخوته ، أما ما جاء منها بغلظة وجفاء فتمجها الأسماع وتنفر منها القلوب ، ولا تؤتي ثمارها المرجوة .

9 - من أهم الأمور التي يجب أن يدركها أبناء هذا الدين الإسلامي القائم على السهاحة والمحبة والرفق أن الإسلام لم يأت أبداً سيفاً مسلطاً على رقاب

المخالفين له إن لم يعترضوا انتشاره ، فهذا الاختلاف حكمة من حكمه ﷺ إنما جاء شديداً على من أضاف إلى خصلة الكفر خصلة الظلم والبغي بغير الحق .

10 - من أهم الآثار المحموده للرفق لتحقيق الغاية من الدعوة إلى الله ﷻ وهي عبادة الله ﷻ وحده لا شريك له ، كما أن من آثاره المحموده جذب الناس إلى الدين الإسلامي الحنيف ، فلا شك أن النفس البشرية تميل إلى السهاحة والرفق ، وتضيق ذرعاً بالغلظة والقسوة ، ومن منطلق ذلك نجد أن من أهم عوامل نجاح الدعوة الإسلامية وجذب الناس إليها انتهاج الدعاة للرفق واللين في تبليغهم .

11 - على قدر حظ الداعية من بذل خلق الرفق أثناء دعوته ترتفع سهام محبته لدى المدعوين ويكون ذلك أدعى لالتفافهم حوله ، فبالحب يحصل الإتياع فتحصل الهداية بإذن الله ، التي هي مبتغى كل داعية عند دعوته إلى الله ﷻ .

12 - إن الله ﷻ رحيم بعباده ، عالم بما يصلحهم ، فلم يتركهم سدى ، ولم يضيعهم هملاً ، فمن مقتضيات رحمته ﷻ أن أرسل إليهم أنبياء ومرسلين اصطفاهم دوناً عن خلقه لما يعلم عنهم عظيم إيماهم وكمال أخلاقهم ، وهناك نماذج مباركة قصها علينا القرآن الكريم لأساليب الرفق والرحمة التي استخدمها الأنبياء - عليهم السلام - في دعوة أقوامهم إلى الله ﷻ وقد تم استعراضها في البحث ، كما احتوى البحث على مواقف مشرقة رائعة من جوانب سيرة خاتم الأنبياء والمرسلين رسولنا الكريم ﷺ .

(ب) التوصيات :

1 - توصي الباحثة المؤسسات الدعوية والإصلاحية في مجتمعاتنا الإسلامية بتبني موضوع الرفق عامة وهذا البحث خاصة ، فتضع أهدافها وخططها انطلاقاً من موضوعاته ومفاهيمه .

2 - توصي الباحثة المؤسسات التعليمية أن يكون موضوع ال رسالة من مفردات المناهج التعليمية في شتى المراحل ، حتى ينشأ جيل رفيق بأمر أمته ، رحيم بها ، مبتعداً كل البعد عن أساليب العنف والغلظة في التعامل .

3 - توصي الباحثة بعقد دورات تدريبية على ضوء هذا البحث لتدريب الدعاة على الأساليب الرفيعة لإنجاح الدعوة الإسلامية ، وكسب قلوب المدعوين ، كما أن هذه الدورات ستكون مفيدة لجميع شرائح المجتمع من أبوين وأبناء ومعلمين وغيرهم لتفعيل هذا الخلق العظيم في شتى ميادين الحياة .

4 - إن في مضامين هذه الرسالة وعلى ضوء ما جاء في مترادفات الرفق من أخلاق عظيمة مواضيع عدة يمكن أن تكون نواة لرسائل علمية سواء في مرحلة الماجستير أو الدكتوراه .



الفهارس

أولاً : فهرس الآيات

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
9	83	سورة البقرة	وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا
41	225	سورة البقرة	لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ
64	207	سورة البقرة	وَمِنَ النَّاسِ مَن يَسْرِى نَفْسَهُ أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ
91	169	سورة البقرة	إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا
91	268	سورة البقرة	الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ
101	264	سورة البقرة	يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ
127	159	سورة البقرة	إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَى
128	174	سورة البقرة	إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ
133	179	سورة البقرة	وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ
133	269	سورة البقرة	يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ
156	157	سورة البقرة	أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ
164	219	سورة البقرة	وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ
166	187	سورة البقرة	أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٍ لَّكُمْ
166	52	سورة البقرة	ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
167	178	سورة البقرة	يَتَّبِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
168	237	سورة البقرة	وَإِنْ طَلَقْتُمْوهنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً
169	109	سورة البقرة	وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلَ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ
169	286	سورة البقرة	إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
192	164	سورة البقرة	الطَّلَاقِ مَرَاتَيْنِ فَامْسَاكُهُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُهُ بِإِحْسَانٍ
228	229	سورة البقرة	يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ
256	40	سورة البقرة	كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ
273	151	سورة البقرة	أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ
274	44	سورة البقرة	شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى
276	185	سورة البقرة	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ
278	67	سورة البقرة	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ
284	219	سورة البقرة	وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ
290	228	سورة البقرة	يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ
309	215	سورة البقرة	لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
351	273	سورة البقرة	قَالُوا أَدْعُنَا رَبَّنَا يَبِينْ لَنَا مَا هِيَ قَالَتْ إِنَّهُ يَقُولُ
428	68	سورة البقرة	وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
428	23	سورة البقرة	إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى
433	159	سورة البقرة	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ
445	126	سورة البقرة	كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً
470	213	سورة البقرة	

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
484	124	سورة البقرة	وَإِذْ أُنزِلَتْ آيَاتُهُمْ رَبُّهُمُ يَنْزِلُ فِي السَّمَوَاتِ فَاتَّبَعَهَا الْمُؤْمِنُونَ وَقَدْ آتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا وَأَنْزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْغُرُوبَ
160	207	سورة البقرة	وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ أُتْبَعَاءً
160	143	سورة البقرة	وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ
495	82	سورة البقرة	أَوْلِيَّكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ
-87-78 - 12 -156-143 -182-158 -367-183 169 -408	159	سورة آل عمران	فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا الْقَلْبِ
128	187	سورة آل عمران	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ
145	103	سورة آل عمران	وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
157	6	سورة آل عمران	هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ
160	30	سورة آل عمران	يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ
165	134	سورة آل عمران	الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ
166	155	سورة آل عمران	إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ
166	152	سورة آل عمران	وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمُ
409	136	سورة آل عمران	أَوْلِيَّكَ جَزَاءُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ
435-430	110	سورة آل عمران	كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
431	104	سورة آل عمران	وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
507	81	سورة آل عمران	وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ
501	59	سورة آل عمران	إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
501	42	سورة آل عمران	وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرِيئِمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ
501	47	سورة آل عمران	كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا
42	136	سورة النساء	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ
153-58-57	69	سورة النساء	وَحَسَنَ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا
88	21	سورة النساء	وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ
113	113	سورة النساء	وَأَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ
117	66 - 68	سورة النساء	وَلَوْ أَنَا كُنْبَنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ
128	63	سورة النساء	وَعِظْتَهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا
156	110	سورة النساء	وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ
165	43	سورة النساء	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ
165	99	سورة النساء	فَأُولَئِكَ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ
167	153	سورة النساء	يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ
168 - 165	149	سورة النساء	إِنْ تُبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءِ
195	64	سورة النساء	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ
259	171	سورة النساء	لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ
264	93	سورة النساء	وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ
273 - 272	49	سورة النساء	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكِي

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
273	65	سورة النساء	فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ
273	128	سورة النساء	وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا
274	135	سورة النساء	يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ
274	95	سورة النساء	لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ
-288 - 30 359	1	سورة النساء	يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
289	19	سورة النساء	وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ
301	36	سورة النساء	وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَاللَّوَالِدِينَ إِحْسَانًا
340	10	سورة النساء	إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا
343	9	سورة النساء	وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَفًا
344	6	سورة النساء	وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ
345	127	سورة النساء	وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ
345	3	سورة النساء	وَإِن خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ
377	11	سورة النساء	يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ
395	83	سورة النساء	وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ
484	12	سورة النساء	وَأَتَّخِذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا
496	164	سورة النساء	وَرَسُولًا قَدْ قَضَيْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ
504	- 157 158	سورة النساء	وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
لَيْنٌ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِنَقْلِنِي	سورة المائدة	٢٨	44
لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ	سورة المائدة	٧٨ - ٧٩	61-201 432
إِنْ تُعَذِّبِهِمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ	سورة المائدة	118	137
يَبْنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ	سورة المائدة	72	149
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ	سورة المائدة	6	154
يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا	سورة المائدة	15	168
فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا	سورة المائدة	13	170
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ	سورة المائدة	105	201
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ	سورة المائدة	101	205
أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي	سورة المائدة	3	233
أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا	سورة المائدة	6	233
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا	سورة المائدة	32	266
تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعَلَّمُ مَا فِي نَفْسِكَ	سورة المائدة	116	267
مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ	سورة المائدة	6	276
قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ	سورة المائدة	15	440
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ	سورة المائدة	95	166

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
503	72	سورة المائدة	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۗ وَقَالَ الْمَسِيحُ
30	1	سورة الأنعام	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۗ
51	153	سورة الأنعام	الْيَوْمَ يَسْأَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِيَارِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ
74	103	سورة الأنعام	لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۗ
84	100	سورة الأنعام	وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ
86	152	سورة الأنعام	وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ
130	55	سورة الأنعام	وَكَذَلِكَ نَفِصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ
163	103	سورة الأنعام	لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۗ
188	147	سورة الأنعام	فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ
193	63	سورة الأنعام	قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً
268	93	سورة الأنعام	وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ
270	82	سورة الأنعام	الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
338 – 336	141	سورة الأنعام	وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا
343	152	سورة الأنعام	وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
355	52	سورة الأنعام	وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ
51	38	سورة الأنعام	وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
356	53	سورة الأنعام	وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
67	151	سورة الأعراف	قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ
69	٥٢	سورة الأعراف	وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلْنَاهُ عَلَىٰ عَلَيْهِ هُدًى
118	182	سورة الأعراف	وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ
125	145	سورة الأعراف	وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
126	33	سورة الأعراف	قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ
149	65	سورة الأعراف	وَالِإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
149	73	سورة الأعراف	وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
157	149	سورة الأعراف	وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا
164	199	سورة الأعراف	خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ
167	95	سورة الأعراف	ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا
188	156	سورة الأعراف	وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ
192	179	سورة الأعراف	وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ
257	116	سورة الأعراف	قَالَ الْفُؤَادُ فَلَمَّا الْفُؤَادُ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ
267	205	سورة الأعراف	وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً
282	31	سورة الأعراف	يَبْنِي ۖ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَاشْرَبُوا
447	164	سورة الأعراف	وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ
458	158	سورة الأعراف	قُلْ يَتَّبِعْتُمُ النَّاسَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
474	59	سورة الأعراف	لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
475	61 - 60	سورة الأعراف	قَالَ أَمَلًا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
478	65	سورة الأعراف	وإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
479	66	سورة الأعراف	إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ
479	68 - 67	سورة الأعراف	قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي
483	79 - 78	سورة الأعراف	فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِّثِيمِينَ
500	104	سورة الأعراف	يَقْرِعُونَ إِيَّي رَسُولٍ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ
353	41	سورة الأنفال	وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ
149	46	سورة الأنفال	وَلَا تَتَزَعَوْا فَنفْسُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا
257	60	سورة الأنفال	وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
274	53	سورة الأنفال	ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغْتِرًا بِنِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ
- 65 - 11 161	128	سورة التوبة	لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ
92-88	١٢٣	سورة التوبة	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَتَلُوا الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
115	6	سورة التوبة	وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ
161	117	سورة التوبة	لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
167	43	سورة التوبة	عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ
169	66	سورة التوبة	لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ
311 - 246	6	سورة التوبة	وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
354 - 271	103	سورة التوبة	خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا
275	120	سورة التوبة	مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ
318	5	سورة التوبة	فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ
351	60	سورة التوبة	إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ
354	103	سورة التوبة	إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ
447	71	سورة التوبة	وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
485	114	سورة التوبة	إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ
488	114	سورة التوبة	وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ
68	21	سورة يونس	وَإِذَا أَدَقْنَا لِلنَّاسِ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّهِمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا
9	27	سورة هود	مَا نَزَّلْنَا إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَزَّلْنَاكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا
105	88	سورة هود	وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمُ عَنْهُ
112	1	سورة هود	كَتَبْتُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ
137	31	سورة هود	وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ
245-232	118 - 119	سورة هود	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ
404	118	سورة هود	وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ
471	40	سورة هود	وَمَا أَمْنٌ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ
475	42	سورة هود	وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
476	43	سورة هود	سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ
478	51	سورة هود	يَقُومُ لَا أَشْكُرُ عَلَيْهِ أَجْرًا
10	92	سورة يوسف	لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ
10	92	سورة يوسف	يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ
10	100	سورة يوسف	مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي
12	108	سورة يوسف	قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي
90	24	سورة يوسف	وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِهِ ^ط وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ
133	111	سورة يوسف	لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ
149	39	سورة يوسف	يَصْصِحِي السِّجْنَ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ
491	8	سورة يوسف	إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا
491	9	سورة يوسف	أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ
492	92	سورة يوسف	قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ ^ط يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ
492	100	سورة يوسف	بَعْدَ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي
493	100	سورة يوسف	وَرَفَعَ أَبُوبِي عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا
493	40 - 36	سورة يوسف	وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانًا ^ط
302	24 - 21	سورة الرعد	أُولَئِكَ هُمُ عُقَبُ الدَّارِ
428	14	سورة الرعد	لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ
437	14	سورة الرعد	لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ
462	28	سورة الرعد	الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
382	37	سورة إبراهيم	رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ
488	41	سورة إبراهيم	رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
137	36	سورة إبراهيم	فَمَنْ يَبْعِنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي
382	40	سورة إبراهيم	رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي
183-170	88	سورة الحجر	وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ
30	17	سورة النحل	أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
40	36	سورة النحل	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ
50	٨٩	سورة النحل	وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ
52	126	سورة النحل	وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَعَاقِبَةٌ مِثْلُ مَا عُوذْتُمْ بِهِ
107-95	125	سورة النحل	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدِّ لَهُمْ
107	125	سورة النحل	ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
148	36	سورة النحل	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ
161	47	سورة النحل	أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ
161	7	سورة النحل	وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا
190	8 - 5	سورة النحل	وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
194	97	سورة النحل	مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ
256	51	سورة النحل	وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُ الْوَالِدِينَ إِلَّا أَنفُسًا أُولَٰئِكَ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
324	5	سورة النحل	وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ فِيهَا دَفٌٌّّ وَمَنَافِعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
324	8	سورة النحل	وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَالشَّجَرَاتِ الْمُبْتَلَا وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخْلَ وَالزَّيْتُونَ
370	90	سورة النحل	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
389	58	سورة النحل	وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ
406	134	سورة النحل	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ
430	125	سورة النحل	أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
482	36	سورة النحل	وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
484	120	سورة النحل	إِنَّ إِتْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا
170	53	سورة الإسراء	وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
240	79	سورة الإسراء	عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا
301	26	سورة الإسراء	وَأَتَىٰ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ
302	26	سورة الإسراء	وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ
306-305	23	سورة الإسراء	وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
377	6	سورة الإسراء	ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ
402	86	سورة الإسراء	وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
42	107	سورة الكهف	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
58	29	سورة الكهف	يَسْأَلُ الشَّرَابِ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا
58	31	سورة الكهف	نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا
59	16	سورة الكهف	وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ
153	29	سورة الكهف	وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ
153	31	سورة الكهف	أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا
154	16	سورة الكهف	وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَىٰ إِلَى الْكَهْفِ
157	81	سورة الكهف	فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا
161	49	سورة الكهف	وَوَضِعَ الْكِنْدِبَ فَتَرَى الْمَجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ
163	19	سورة الكهف	فَأَبَعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ
274	28	سورة الكهف	وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ
284	19	سورة الكهف	وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَيْتَكُمْ
341	82	سورة الكهف	وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ
351	79	سورة الكهف	أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا
356	28	سورة الكهف	وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ
377	46	سورة الكهف	الْمَالِ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
429	14	سورة الكهف	وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
485	42 - 41	سورة مريم	وَأَذَكَّرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ
486	43	سورة مريم	يَتَأْتِ بِإِنِّي قَدْ جَاءَ فِي مِصْرَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ
486	44 - 45	سورة مريم	يَتَأْتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَأْتِ
488	47	سورة مريم	قَالَ سَلِّمْ عَلَيَّ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا
158 - 61 - 9 191 - 498 -	44	سورة طه	فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى
498	46	سورة طه	قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى
68 - 12	107	سورة الأنبياء	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ
72	٢٨	سورة الأنبياء	يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ
162 - 72	49	سورة الأنبياء	الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ
148	92	سورة الأنبياء	إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا
157	83	سورة الأنبياء	وَأْتُوبُكَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ
162	28	سورة الأنبياء	يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ
190	30	سورة الأنبياء	أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْما رَتْقًا
434	34	سورة الأنبياء	وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ
487	68	سورة الأنبياء	قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ
487	69	سورة الأنبياء	قُلْنَا يَنْدُرُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
160	65	سورة الحج	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ
164	63	سورة الحج	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
165	60	سورة الحج	ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ
204	78	سورة الحج	وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ
295	5	سورة الحج	ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا
468	75	سورة الحج	اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا
71	٦٠	سورة المؤمنون	وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ
100	60	سورة المؤمنون	وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ
156	75	سورة المؤمنون	وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا
157	109	سورة المؤمنون	إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا
157	118	سورة المؤمنون	وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ
162	57	سورة المؤمنون	إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ
43	١ - ١١	سورة المؤمنون	قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ
209-59 - 64	2	سورة النور	الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ
157	56	سورة النور	وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
160	20	سورة النور	وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ
405	35	سورة النور	يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ
309 - 170	22	سورة النور	وَلَا يَأْتِي أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ
209-202	63	سورة النور	فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
295	31	سورة النور	أَوِ الْبَطْرِ الْمُرْتَدِّ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ
121	32	سورة الفرقان	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً
225	63	سورة الفرقان	وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا
382 - 377	74	سورة الفرقان	وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا ذُرِّيَّتَنَا
137	112 - 113	سورة الشعراء	قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
309	214	سورة الشعراء	وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ
482	153	سورة الشعراء	قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمَسْحُورِينَ
482	143	سورة الشعراء	إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ
483	145	سورة الشعراء	وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ
483	146 - 152	سورة الشعراء	أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هَاهُنَا آيَاتِنَا ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ
488	86	سورة الشعراء	وَأَغْفِرْ لَأَيِّئِ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ
268	14	سورة النمل	وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا
445	57	سورة القصص	وَقَالُوا إِن نَّبِيعٌ أَهْدَىٰ مَعَكَ نَنْخَطِفُ مِنْ أَرْضِنَا
497	4	سورة القصص	إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا
498	38	سورة القصص	مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي
46	45	سورة العنكبوت	أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ
394	43	سورة العنكبوت	وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
471	14	سورة العنكبوت	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا
53	30	سورة الروم	فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ
231	22	سورة الروم	وَمَنْ ءَايَنَيْهِ خَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْبَلُكُمْ السِّنِينَ
352	38	سورة الروم	فَتَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ، وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ حَيْرٌ
164	16	سورة لقمان	يَبْنَىٰ لَهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ
93	32	سورة الأحزاب	فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ
104	21	سورة الأحزاب	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
120	46 - 45	سورة الأحزاب	يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا
162	72	سورة الأحزاب	إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
164	34	سورة الأحزاب	وَأَذْكُرَكَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ
311	6	سورة الأحزاب	لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ
429	46	سورة الأحزاب	وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا
159	10	سورة سبأ	وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْبَىٰ مَعَهُ، وَالطَّيْرَ
52	143	سورة فاطر	وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ
115	32	سورة فاطر	ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا
470	79 - 75	سور الصفات	وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجِّنَاهُ وَأَهْلَهُ.
85	20	سورة ص	وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ، وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
125	55	سورة الزمر	وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ
159	23	سورة الزمر	اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ
195	53	سورة الزمر	قُلْ يَتَّبِعَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا
394	9	سورة الزمر	قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
264	19	سورة غافر	يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ
429	41	سورة غافر	وَيَقُومِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى
112	42	سورة فصلت	لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ
522 - 170	35 - 34	سورة فصلت	وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ
469 - 45	١٣	سورة الشورى	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا
52	40	سورة الشورى	وَحِزْرًا وَسَيِّئَةً سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ
164 - 75	19	سورة الشورى	اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ
162	18	سورة الشورى	يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ
162	22	سورة الشورى	تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا
167	40	سورة الشورى	وَحِزْرًا وَسَيِّئَةً سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا
168	25	سورة الشورى	وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ
169	30	سورة الشورى	وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ
169	34	سورة الشورى	أَوْ يُؤَيِّبَنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ
193	25	سورة الشورى	وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ
389	49 - 50	سورة الشورى	لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنشَاءً

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
440	52	سورة الشورى	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
498	52	سورة الزخرف	أَمْرًا نَّأْتِيهِ خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ
503	63	سورة الزخرف	جِئْتُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَا يُبَيِّنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي
85	4	سورة محمد	فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ
303 - 157	22	سورة محمد	فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
158 - 92	29	سورة الفتح	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
141	11	سورة الحجرات	يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ
223	2	سورة الحجرات	يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ
268 - 264	16	سورة ق	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ
286	11	سورة الحجرات	يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ
458 - 227	55	سورة الذاريات	وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ
434	56	سورة الذاريات	فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا
273	32	سورة النجم	فَلَا تَرْكَبُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى
485	37	سورة النجم	وَإِذْ رَهِمَهُ الَّذِي وَفَى
506	2	سورة النجم	مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى
507	11	سورة النجم	مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى
482	25	سورة القمر	أَهْلَقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
159 - 65	27	سورة الحديد	ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ
160	9	سورة الحديد	هُوَ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ؕ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم
484	26	سورة الحديد	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا
162	13	سورة المجادلة	ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَاتٍ
165	2	سورة المجادلة	الَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ
245	22	سورة المجادلة	لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ
159 - 76	5	سورة الحشر	مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا
160	10	سورة الحشر	وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا
353	7	سورة الحشر	مَا آفَأَهُ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ؕ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ
359	18	سورة الحشر	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ؕ آمَنُوا أَنفُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ
362	9	سورة الحشر	وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ
246	1	سورة الممتحنة	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ؕ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ
246	8	سورة الممتحنة	لَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُّوكُمْ فِي الدِّينِ
502	6	سورة الصف	وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ
168	14	سورة التغابن	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ؕ آمَنُوا ابْتِغَاءً مِن أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ
270	11	سورة التغابن	مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
433	6	سورة التحريم	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ؕ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
163	14	سورة الملك	أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ
189	15	سورة الملك	هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا
35-30	4	سورة القلم	وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ
61	٩	سورة القلم	وَذُؤًا لَوْ نُدِّهْنُ فَيُدَّهِنُونَ
337	16 - 33	سورة القلم	إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَنْتُونَ
354	19 - 20	سورة القلم	فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَت كَالصَّرِيمِ
355	30 - 37	سورة الحاقة	خُدُّهُ فَعَلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا
163	27	سورة المعارج	وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ
149	1 - 3	سورة نوح	إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ
471	26	سورة نوح	وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا
472	10 - 12	سورة نوح	فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ
353	20	سورة المزمل	وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
100	6	سورة المدثر	وَلَا تَمَنَّ نَسْتَكْثِرُ
24	8	سورة الإنسان	وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنَاتِنَا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا
318	5-6	سورة الإنسان	إِنَّ الْأَبْتَرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا
319	8-9	سورة الإنسان	وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِنَاتِنَا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا
498 - 9	24	سورة النازعات	أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ
500	18 - 19	سورة النازعات	فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَنَ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
163 - 72	١٦	سورة الانشقاق	فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ
271	28 - 27	سورة الفجر	يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ . أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً
158	17	سورة البلد	تُذَكَّرَانِ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ
192	3	سورة البلد	إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا
192	10	سورة البلد	وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ
351	16	سورة البلد	أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ
272-271	10 - 9	سورة الشمس	قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا
30	2	سورة الضحى	وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ
341	9	سورة الضحى	فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرَ
50	٧	سورة الزلزلة	فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ
86	8	سورة العاديات	وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ
50	١	سورة الحمزة	وَبِئْسَ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمَزَةٍ
444	4	سورة قريش	الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ

ثانياً / فهرس الأحاديث :

292	سنن أبي داود	أَبْعَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الطَّلَاقُ
47	صحيح مسلم	أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟
210	صحيح البخاري	أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ
174	صحيح البخاري	أَتَعْجِبُونَ مِنْ لَيْنِ هَذِهِ لَمَرَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ
207	مسند الإمام أحمد	أَتَلْبَسُ الْمُعْصِفَرُ وَقَدْ هَمَى عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ
296	صحيح البخاري	أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ فَمَيِّصٌ أَصْفَرُ
384	صحيح البخاري	أَخْبَرُونِي بِشَجَرَةٍ تُشْبِهُهُ أَوْ كَالرَّجُلِ الْمُسْلِمِ لَا يَتَحَاتُّ
122	صحيح البخاري	ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولَ اللَّهِ
134	مسند الإمام أحمد	أُذَنُهُ
176	سنن النسائي الكبرى	أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ
322	المعجم الكبير	اسْتَوْصُوا بِالْأَسَارَى خَيْرًا
289	صحيح البخاري	اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ
203	صحيح البخاري	أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهَوْنَ
507	صحيح البخاري	أَعْطَيْتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ
386	صحيح البخاري	أَعْطَيْتُ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا
282	صحيح البخاري	اغْتَسَلُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْسَلُوا رُؤُوسَكُمْ
360	صحيح البخاري	أَفَلَا جَارِيَةٌ تَلْعَبُهَا وَتَلْعَبُكَ
127	صحيح البخاري	أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ
333	سنن أبي داود	اقْتُلُوا الْأَسْوَدِينَ فِي الصَّلَاةِ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ
333	صحيح البخاري	اقْتُلُوا الْحَيَّاتِ وَاقْتُلُوا ذَا الطُّفَيْتَيْنِ وَالْأَبْتَرَ
291 - 36	سنن النسائي - سنن أبي داود	أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم
174	مسند الإمام أحمد بن حنبل	أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ
327	سنن أبي داود	أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَكَ اللَّهُ
203	مسند الإمام أحمد بن حنبل	أَلَا تَسْتَحْيُونَ أَوْ تَعَارُونَ فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنْ نِسَاءَكُمْ يَخْرُجْنَ

278	صحيح مسلم	أَلَا هَلْكَ الْمُتَنَطِّعُونَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ
289	سنن النسائي الكبرى	أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ
397	سنن الترمذي	أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللَّهِ
357	صحيح البخاري	اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنْ كُنْتَ لِأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْجُوعِ وَإِنْ كُنْتَ لِأَشُدُّ الْحَجَرَ
280	صحيح البخاري	أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ
145	صحيح البخاري	أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ
329	سنن أبي داود	أَمَّا بَلْعَكُمْ أَنِّي قَدْ لَعَنْتُ مِنْ وَسَمِ الْبَهِيمَةِ فِي وَجْهِهَا
345	سنن النسائي الكبرى	أَمَّا قَوْلُكَ إِنِّي امْرَأَةٌ غَيْرِي فَسَادُّعُو اللَّهَ لَكَ
381	صحيح البخاري	أَمَّا لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَقُولُ حِينَ يَأْتِي أَهْلَهُ بِاسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ جَنِّبْنِي الشَّيْطَانَ
212	مسند الإمام أحمد	أُمَّتَهُو كُونَ فِيهَا يَا بْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ
229	صحيح البخاري	أَنَا أَنَا كَأَنَّهُ كَرِهَهَا
507	صحيح مسلم	أَنَا سَيِّدُ وَكَلِدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ
347	سنن أبي داود	أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ كَهَاتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
342	صحيح البخاري	أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا
176	صحيح البخاري	أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً
326	صحيح مسلم	أَنَّ امْرَأَةً بَعِيًّا رَأَتْ كَلْبًا فِي يَوْمٍ
42	صحيح البخاري	أَنْ تَوْمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
234	صحيح مسلم	أَنْ لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الظُّهْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ
201	مسند الإمام أحمد بن حنبل	أَيْنَ ذَهَبْتُمْ إِنَّمَا هِيَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
38	سنن الترمذي	اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا
328-327	سنن أبي داود	اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ وَفِيهَا
519	صحيح البخاري	اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي
419 - 417	صحيح البخاري	إِخْوَانُكُمْ خَوْلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ
257	صحيح البخاري	إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ
454 - 173	مسند الإمام أحمد بن حنبل	إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ

144	المعجم الأوسط	إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم
380	سنن الترمذي	إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه
251	صحيح البخاري	إذا رأيتم الجنازة فقوموا
307-397	صحيح مسلم	إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة
520	صحيح البخاري	ارجعوا إلى أهليكم
211	سنن أبي داود	ارجعي
519	صحيح مسلم	اصبري يا امرأة ..
421	سنن أبي داود	اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرة
308	صحيح مسلم	إن أبر البر صلة الولد أهل وُد أبيه
453	صحيح البخاري	إن أحسن الحديث كتاب الله تعالى
342	مسند أحمد بن حنبل	إن أردت أن يلين قلبك فأطعم المساكين
332	سنن أبي داود	إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل كان الرجل
402	صحيح مسلم	إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه
2002	صحيح مسلم	إن تطعوا في إمارته - يريد أسامة بن زيد - فقد طعنتم
84-276	صحيح البخاري	إن الدين يسر ولن يشاد
301	صحيح البخاري	إن الرحم شحنة من الرحمن
6-172-184	صحيح مسلم	إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه
44	صحيح البخاري	إن شر الناس من تركه الناس
354	سنن الترمذي	إن الصدقة لتطفي غضب الرب
359	سنن الترمذي	إن الله جعلني عبدا كريما ولم يجعلني جبارا
231	سند الإمام أحمد	إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض
187	صحيح البخاري	إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة
188	صحيح مسلم	إن الله خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق
7-81-172-184	صحيح مسلم	إن الله رقيق يحب الرفق يعطي على الرفق
331	صحيح مسلم	إن الله كتب الإحسان على كل شيء

205	سنن الترمذي	إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ
283	سنن الترمذي	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَنْزَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ
175	صحيح البخاري	إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ
132	صحيح البخاري	إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا وَحَوَارِيَّ الرَّبِيبِ
502	صحيح البخاري	إِنَّ لِي أَسْمَاءً أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي
508	صحيح مسلم	إِنَّ مِثْلِي وَمِثْلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمِثْلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا
38	صحيح البخاري	إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ
36	صحيح البخاري	إِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا
36	سنن أبي داود	إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِيَبْلُغَ بِحَسَنِ خَلْقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ
292	صحيح ابن حبان	إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعٍ وَلَنْ تَصْلُحَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ
385	صحيح مسلم	إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا أَنْفَقَ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً
513	صحيح البخاري	إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي
123	مسند الإمام أحمد	إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا
220	صحيح مسلم	إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ
141	سنن أبي داود	إِنَّكَ إِنْ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ
49	صحيح البخاري	إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى
296	سنن ابن ماجه	إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ أَعْلَمُكُمْ إِذَا أَتَيْتُمُ الْعَائِطَ
35	مسند الإمام أحمد	إِنَّمَا بَعَثْتُ لِأَتَمِّ مَكَارِمَ
294	صحيح البخاري	إِنَّمَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ فِي مِنْهَا الْوَلَدُ
359	سنن الترمذي	إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا يَا عَائِشَةُ
406	صحيح مسلم	إِنِّي حَرَمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ
453	صحيح البخاري	إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي
511	صحيح مسلم	إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لِعَانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً
328	سنن أبي داود	إِيَّاكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ مَنَابِرَ فَإِنَّ اللَّهَ إِذَا سَخَّرَهَا
139	مسند الإمام أحمد بن حنبل	إِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ
42	صحيح مسلم	الْيَمَانَ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً
23	رواه البخاري	بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ
447	سنن الدارمي	الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ

320	صحيح مسلم	بَعَثَ رَسُولَ اللَّهِ خَيْلًا قَبْلَ تَجَدُّدِ فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي
11	رواه البخاري	بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ وَجْهَكَ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ
328	صحيح البخاري	بَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقْرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا
326	صحيح البخاري	بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَنَزَلَ
398	صحيح البخاري	بَيْنَمَا مُوسَى فِي مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : هَلْ
383	سنن الترمذي	تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَحَبِّكَ لَكَ صَدَقَةٌ
175	صحيح البخاري	تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ أُوتِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ
260	موطأ مالك	تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا
212	سنن أبي داود	تَعَاَفُوا الْخُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ فَمَا بَلَغَنِي
37	رواه الترمذي	تَقْوَى اللَّهِ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ
381	سنن أبي داود	ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ دَعْوَةُ
101	المعجم الأوسط	ثلاث مهلكات وثلاث منجيات
418	صحيح البخاري	ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
140	المعجم الكبير	تَكَلَّمَكَ أُمَّكَ
127	صحيح البخاري	جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْجِهَادِ
378	صحيح البخاري	جَعَلَ اللَّهُ الْوَحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ
305	صحيح البخاري	الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
404	صحيح البخاري	حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتَّحِبُّونَ
116	صحيح ابن حبان	حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ وَحُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَلَكِ
249	صحيح البخاري	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ
332	صحيح مسلم	خَمْسٌ فَوَاسِقٌ يُقْتَلْنَ فِي الْحِلِّ وَالْحَرَمِ الْحَيَّةُ
282	صحيح البخاري	خَمْسٌ مِنَ الْفِطْرَةِ الْخِتَانُ وَالِاسْتِحْدَادُ
313	سنن الترمذي	خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ وَخَيْرُ الْجِيرَانِ
342	سنن ابن ماجه	خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ
291	سنن الترمذي	خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِيهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي
325	صحيح البخاري	الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا
145	صحيح مسلم	الدِّينُ النَّصِيحَةُ

217	صحيح البخاري	دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا
230	المعجم الكبير	ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة
83	معجم الطبراني	الرفق يمن والخرق شؤم
347	صحيح البخاري	السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
176	صحيح البخاري	سبقت رحمتي غضبي
336	كنز العمال	سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته
358	صحيح البخاري	شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى لَهَا الْأَعْيَاءُ
291	سنن الترمذي	خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي
325	صحيح البخاري	الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا
145	صحيح مسلم	الدِّينُ النَّصِيحَةُ
217	صحيح البخاري	دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا
230	المعجم الكبير	ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة
83	معجم الطبراني	الرفق يمن والخرق شؤم
347	صحيح البخاري	السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
176	صحيح البخاري	سبقت رحمتي غضبي
336	كنز العمال	سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته
358	صحيح البخاري	شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى لَهَا الْأَعْرِيَاءُ
291	سنن الترمذي	خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي
477	سنن الترمذي	شَيْبَتِي هُوْدٌ وَالْوَاقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ
462	صحيح مسلم	عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِلْمُؤْمِنِ إِلَّا
327	صحيح البخاري	عُذِبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ
277	صحيح البخاري	عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ
346	الإمام أحمد بن حنبل	الْعَيْلَةُ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
352	صحيح البخاري	فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ
346	صحيح البخاري	فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا فَلْيَرِّئْهُ عَصَبَتَهُ
113	صحيح البخاري	فُرَجَ سَقَفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي

396	سنن الترمذي	فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ
386	صحيح مسلم	فَضْلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارًا يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ
212	مسند الإمام أحمد بن حنبل	فَلَوْلَا كَانَ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَنِي بِهِ يَا أَبَا وَهْبٍ
477	سنن الترمذي	شَبَّيْتَنِي هُوْدٌ وَالْوَأَقِعَةُ وَالْمُرْسَلَاتُ
462	صحيح مسلم	عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ
327	صحيح البخاري	عُذِبَتْ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ
277	صحيح البخاري	عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ فَوَاللَّهِ لَا يَمَلُّ اللَّهُ
346	الإمام أحمد بن حنبل	الْعَيْلَةُ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ وَأَنَا وَلِيَّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
352	صحيح البخاري	فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ
346	صحيح البخاري	فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَاتَ وَتَرَكَ مَالًا فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ
177	مسند الإمام أحمد بن حنبل	فِيهِ خَمْسُ خِلَالَ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ هَبَطَ آدَمُ
279	صحيح مسلم	قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ فَلَمْ يَمْنَعْنِي
135	سنن النسائي الكبرى	قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَأَنَا شَابٌّ مُتَأَرِّزٌ بِبُرْدَةٍ لِي مَلْحَاءَ
213	صحيح البخاري	كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُخْفِرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ فَيُجَاءُ
320	صحيح مسلم	كَانَتْ تَقِيفُ حُلَفَاءَ لَبْنِي عَقِيلٍ فَأَسْرَتْ تَقِيفُ رَجُلَيْنِ
392	صحيح البخاري	كَخِ كَخِ لِيَطْرَحَهَا ثُمَّ قَالَ أَمَا شَعَرْتُ
190	صحيح البخاري	الْكَرِيمُ بْنُ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ بْنِ الْكَرِيمِ يَوْسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
325	صحيح مسلم	كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوَّتَهُ
420	صحيح مسلم	كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوَّتَهُ
194	صحيح البخاري	كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ
266	سنن النسائي	كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ إِلَّا الرَّجُلُ يَقْتُلُ الْمُؤْمِنَ
388	المعجم الكبير	كُلًّا لَمْ يَكُنْ وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعْجَلَهُ
406	صحيح البخاري	كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ
282	سنن النسائي	كُلُّوا وَتَصَدَّقُوا وَابْسُؤُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ
293	صحيح البخاري	كَنتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ عِنْدَ النَّبِيِّ

308	صحيح مسلم	لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسْفِهُهُمْ
360	صحيح البخاري	لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبَابًا فَيَأْخُذَ حَزْمَةً مِنْ حَطْبٍ
206	صحيح مسلم	لَا اسْتَطَعْتَ ، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ
329	صحيح مسلم	لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا
228	سنن ابن ماجه	لَا تَرْفَعُوا أَبْصَارَكُمْ إِلَى السَّمَاءِ
40	صحيح البخاري	لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ
380	صحيح ابن ماجه	لَا تَزَوَّجُوا النِّسَاءَ لِحُسْنِهِنَّ فَعَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُرْدِيَهُنَّ
330 - 325	سنن أبي داود	لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ
497	مسند الإمام أحمد بن حنبل	لَا تُفَضِّلُوا بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى بَعْضٍ فَإِنَّ النَّاسَ يُصَعِّقُونَ يَوْمَ
150	صحيح البخاري	لَا تَقَاطِعُوا ، وَلَا تَدَابِرُوا
287	سنن ابن ماجه	لَا تُكْثِرُوا الضَّحِكَ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ
396	صحيح البخاري	لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسَلَّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ
280	سنن الترمذي	لَا صَامَ وَلَا أَفْطَرَ
234	سنن أبي داود	لَا طَلَّاقَ وَلَا عَتَاقَ فِي غِلَاقٍ
275	صحيح البخاري	لَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ
392	صحيح البخاري	لَا يُجَلِّدُ فَوْقَ عَشْرِ جَلْدَاتٍ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ
303	صحيح مسلم	لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ رَحِيمٍ
266	صحيح البخاري	لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِيبْ
418	سنن البيهقي	لَا يَسَاوِمُ الرَّجُلُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ وَلَا يَخْطُبُ عَلَى خُطْبَةِ أَخِيهِ
290	صحيح مسلم	لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا
314 - 313	صحيح البخاري	لَا يَمْنَعُ أَحَدُكُمْ جَارَهُ
511	صحيح البخاري	لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي
193	صحيح مسلم	لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ مَعَهُ
420	صحيح مسلم	لَلَّهِ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ
189	صحيح البخاري	لَمَّا فَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنُوقُ فِ

382	صحيح البخاري	اللهم أَحِبَّهُمَا فَإِنِّي أُحِبَّهُمَا
357	سنن الترمذي	اللهم أَحِبِّني مِسْكِينًا وَأَمْتِنِي مِسْكِينًا وَأَحْشِرْني
219	سنن أبي داود	اللهم ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا
343 - 290	سنن ابن ماجه	اللهم إِنِّي أُحْرَجُ حَقَّ الضَّعِيفِينَ الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ
200	صحيح البخاري	اللهم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ وَالْجُبْنِ
298	سنن الترمذي	اللهم بَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا وَبَارِكْ لَنَا
383	صحيح ابن حبان	اللَّهُمَّ فَتَقَهُ فِي الدِّينِ وَعَلِمَهُ التَّوْبِيلَ
447	سنن البيهقي الكبرى	اللهم قد بلغت
7 - 173 -	مسند الإمام	اللهم من رَفَقَ بِأُمَّتِي فَارْفُقْ بِهِ
454	أحمد بن حنبل	
367	صحيح مسلم	اللهم من وَلِيَ من أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِم
456	صحيح البخاري	لَوْلَا أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي
144	مسند الإمام أحمد	لَوْلَا أَنْ فِيكَ اثْنَتَيْنِ كُنْتَ أَنْتَ
430	سنن ابن ماجه	لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْعَائِبَ فَإِنَّهُ رَبٌّ مَبْلَغٌ يَبْلُغُهُ
315	سنن البيهقي الكبرى	ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع
309	صحيح مسلم	ليس الوَاصِلُ بِالْمُكَافِي وَلَكِنَّ الْوَاصِلُ
149	صحيح البخاري	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه
222	سنن ابن ماجه	مَا أَطْعَمْتَهُ إِذْ كَانَ جَائِعًا أَوْ سَاغِبًا
335	صحيح البخاري	مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ
204	صحيح البخاري	مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرِغْبُونَ عَمَّا رُخِّصَ لِي فِيهِ
228	سنن أبي داود	مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرَفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ فِي صَلَاتِهِمْ
227	سنن البيهقي الكبرى	مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَلْعَبُونَ بِحُدُودِ اللَّهِ
199	صحيح البخاري	ما بال دعوى الجاهلية ؟
135	سنن البيهقي الكبرى	ما تحت الكعبين من الإزار في النار
313	مسند الإمام أحمد بن حنبل	ما تَقُولُونَ فِي الزَّيْنَا قَالُوا حَرَمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَهُوَ حَرَامٌ
313	صحيح البخاري	ما زال جبريلُ يُوصيني بِالْجَارِ حَتَّى
304	سنن أبي داود	ما من ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعْجَلَ اللَّهُ تَعَالَى

366	مسند أحمد بن حنبل	ما من رجلٍ يلي أمرَ عَشْرَةٍ فما فوقَ ذلك إلا أتى الله
36	سنن أبي داود	ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق
201	سنن أبي داود	ما من قومٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ
336	صحيح البخاري	ما من مُسْلِمٍ يَغْرَسُ غَرْسًا أو يَزْرَعُ زَرْعًا
352	صحيح مسلم	ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ من مَالٍ
279	صحيح البخاري	ما هذا الحَبْلُ؟
33	صحيح البخاري	مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ
150	صحيح مسلم	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم
61	صحيح البخاري	مَلِكُ الْمُدَّهِنِ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا مَثَلُ قَوْمٍ
391	صحيح البخاري	مرحباً بابنتي
392	سنن أبي داود	مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ
176	صحيح البخاري	مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاخٌ مِنْهُ
190	سنن ابن ماجه	الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ فِي الْمَاءِ
445	سنن الترمذي	من أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ
266	سنن ابن ماجه	من أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
172	سنن الترمذي	من أُعْطِيَ حَظَّهُ من الرِّقِّ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ الخَيْرِ
194	صحيح مسلم	من جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا
177	سنن الدارمي	من حَجَّ الْبَيْتَ فَلَمْ يَرُقْ وَلَمْ يَفْسُقْ وَلَمْ يَشْفُقْ
329	سنن أبي داود	من حَرَّقَ هَذِهِ قُلُوبَ نَحْنُ قَالَ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي
247	صحيح مسلم	من خَرَجَ من الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ ثُمَّ مَاتَ مَاتَ
104	سنن الترمذي	من دَعَا إلى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ يَتَّبِعُهُ
431	صحيح مسلم	من رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَعْبِرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ
141	سنن ابن ماجه	من ستر عورة أخيه ستر الله عورته
128	سنن أبي داود	من سئِلَ عن عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ
360	صحيح مسلم	من سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا
291	سنن أبي داود	من قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ

331	سنن النسائي	من قَتَلَ عُصْفُورًا عَبَثًا عَجَّ
247	صحيح البخاري	من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة
281	صحيح مسلم	من قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَتَوَجَّأُ بِهَا
390	مسند أحمد بن حنبل	من كان له ثلاثُ بناتٍ فَصَبَّرَ على لأوائهنَّ
312	صحيح البخاري	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
408	سنن الترمذي	من كَظَمَ غَيْظًا وهو قَادِرٌ على أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللهُ عز وجل
175	صحيح البخاري	من لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ
295	سنن أبي داود	من لم يَرْحَمِ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا
341	مسند أحمد بن حنبل	من مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ لم يَمَسَحْهُ إِلَّا لِلَّهِ كان له بِكُلِّ شَعْرَةٍ
336	مسند الإمام أحمد بن حنبل	من نَصَبَ شَجْرَةً فَصَبَّرَ على حِفْظِهَا وَالْقِيَامِ عَلَيْهِ حتى
172-6	صحيح مسلم	من يُحْرِمُ الرَّفْقَ يُحْرِمُ الْخَيْرَ
390	صحيح البخاري	من يَلِي من هذه البَنَاتِ شيئًا فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ له سِتْرًا من الـ
144	مسند الإمام أحمد	نِعْمَ الرَّجُلُ أنت يا خُرَيْمُ لَوْلَا حُلَّتَانِ
281	صحيح مسلم	هذا من أهل النَّارِ
286	سنن أبي داود	هذه بِئْتِكَ السَّبَقَةَ
362	صحيح البخاري	هل عندك من شيء
100	سنن الترمذي	هم الَّذِينَ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُونَ ؟
313	مسند الإمام أحمد	هي في النار
345	صحيح البخاري	هِيَ الْيَتِيمَةُ فِي حَجْرٍ وَلِيَّهَا فَيْرَغَبُ فِي حِمَالِهَا وَمَالِهَا
195	صحيح مسلم	وَالَّذِي نَفْسِي بِيده لو لم تُدْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ
313	صحيح البخاري	والله لا يُؤْمِنُ والله لا يُؤْمِنُ والله لا يُؤْمِنُ قِيلَ
348	سنن النسائي	وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنِّي امْرَأَةٌ مُصِيبَةٌ فَسَتَكْفَيْنَ صَبِيانَكَ
419	صحيح البخاري	وقال الآخرُ اللهم إني كنت استأجرتُ أجيرًا بفرقٍ أرزُ فلما قَضَى عَمَلَهُ
349	مسند الإمام أحمد بن حنبل	وهل تُرْزَقُونَ وتُنصَرُونَ إِلَّا بِضِعْفَائِكُمْ

292	صحيح البخاري	وَيَحْجِكَ يَا أَنْجَشَةَ
450	صحيح البخاري	وَيَلِّكَ وَمَا أَعَدَدْتَ لَهَا
174	الطبراني	يَا أَبَا أَمَامَةَ إِنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَنْ يَلِينُ لَه قَلْبِي
315	مسند الإمام أحمد	يَا أَبَا ذر إذا طبخت فأكثر المرقة
298	سنن أبي داود	يَا أَبَا عمير ما فعل النغير
302	سنن الدارمي	يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ
121	المستدرک علی الصحيحين	يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلَحُوا
388	صحيح البخاري	يَا بَنِ عَوْفِ إِنَّهَا رَحْمَةٌ
321	السيرة النبوية لابن هـ	يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلِكِ اللَّوْغَابُ الْوَافِدِنْفَامِ عَلِيٍّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ
386	المستدرک علی الصحيحين	يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ إِنَّ اللَّهَ أَبِي أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ
131	مسند الإمام أحمد	يَا عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ أَسْلِمٌ تَسْلَمُ ثَلَاثًا
296	صحيح البخاري	يَا غُلَامُ سَمِّ اللَّهَ وَكُلِّ بِيَمِينِكَ وَكُلِّ مِمَّا يَلِيكَ
211	سنن النسائي الكبرى	يَا هَزَالُ لَوْ سَتَرْتَهُ كَانَ خَيْرًا لَكَ
250	المستدرک علی الصحيحين	يَا يَهُودِيَّ مَا عِنْدِي مَا أُعْطِيكَ
142	صحيح ابن حبان	يُبَصِّرُ أَحَدَكُمْ الْقَدَاةَ فِي عَيْنِ أَخِيهِ
469	صحيح البخاري	يَجْمَعُ اللَّهُ الْأَوْلِيْنَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُنْصِرُهُمْ
508	صحيح البخاري	يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُهْمُوا بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا
286	صحيح البخاري	يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبَشَةِ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ
456	صحيح البخاري	يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرًا وَيَسْرًا
206	صحيح مسلم	يَعْمِدُ أَحَدَكُمْ إِلَى حَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ
303	صحيح البخاري	يَقُولُ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسْطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ أَوْ يُنْسَأَ

ثالثاً / فهرس الآثار :

رقم الصفحة	الراوي	الأثر
297	أنس بن مالك <small>رضي الله عنه</small>	أتى رسول الله <small>ﷺ</small> على غلمان يلعبون
297	عائشة رضي الله عنها	أتى النبي <small>ﷺ</small> بصبي يحنكه
207	عثمان بن عفان <small>رضي الله عنه</small>	أتلبس المعصفر وقد نهي عنه رسول الله <small>ﷺ</small>
296	أم خالد بنت خالد بن سعيد (رضي الله عنهما)	أتيت رسول الله <small>ﷺ</small> مع أبي وعلي قميص أصفر
520	مالك بن الحويرث <small>رضي الله عنه</small>	أتينا إلى النبي <small>ﷺ</small> ونحن شبيهة متقاربون
208	عائشة رضي الله عنها	أخذت نطماً فسترته على الباب
327	عبد الله بن جعفر (رضي الله عنهما)	أردفني رسول الله <small>ﷺ</small> ذات يوم خلفه
203	علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>	ألا تستحيون أو تغارون
357	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	آله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي
140	معاذ بن جبل <small>رضي الله عنه</small>	أنؤاخذ بكل ما نتكلم به
252	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>	أوصيكم بذمة الله فإنها ذمة نبيكم
215	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>	آوه لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة
100	الحسن البصري رحمه الله	أي لا تمنن بعملك على ربك تستكثره
374	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>	أيها الناس إني قد علمت أنكم كنتم تؤنسون مني شدة
370	أبو بكر الصديق <small>رضي الله عنه</small>	أيها الناس إني قد وليت عليكم
397	علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>	إذا مات العالم انثلم في الإسلام ثلثة
223	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>	أذهب فآتيني بمهدين
355	أبو الدرداء <small>رضي الله عنه</small>	إن لله سلسلة لم تزل تغلي فيها مراحل
278	عائشة رضي الله عنها	إن كان رسول الله <small>ﷺ</small> ليدع العمل
	المغيرة بن شعبة <small>رضي الله عنه</small>	إن كان النبي <small>ﷺ</small> ليقوم ليصلي حتى ترم

رقم الصفحة	الراوي	الأثر
178	الحسن البصري رحمه الله	إن المؤمن وقاف
214	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>	إن معي وجوه الناس وجلتهم
178	أبو الدرداء <small>رضي الله عنه</small>	إن من فقه الرجل رفقته في معيشته
372	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>	بئس الوالي إن شبت والناس جياع
220	معاوية بن الحكم السلمي <small>رضي الله عنه</small>	بينما أنا أصلي مع رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> إذ عطس رجل
102	عائشة رضي الله عنها	ثم تحولت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئ
497	أبو سعيد الخدري <small>رضي الله عنه</small>	جاء يهودي إلى رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>
404	علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>	حدثوا الناس بما يعرفون
385	أنس بن مالك <small>رضي الله عنه</small>	خدمت رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> يوماً
387	شداد بن الهاد <small>رضي الله عنه</small>	خرج علينا رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> في إحدى صلاتي النهار
372	أنس بن مالك <small>رضي الله عنه</small>	خرجت معه حتى دخل حائطاً
388	أنس بن مالك <small>رضي الله عنه</small>	دخلنا مع رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> على أبي سيف القين
286	عائشة رضي الله عنها	رأيت النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> يسترني برأيه
328	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	صلى رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> صلاة الصبح
297	جابر بن سمرة <small>رضي الله عنه</small>	صليت مع رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> صلاة الأولى
208	سالم بن عبد الله بن عمر (رضي الله عنه ما)	عرست في عهد أبي فاذن أبي الناس
179	معاوية بن أبي سفيان <small>رضي الله عنه</small>	عجبت لمن يطلب أمراً بالغلبة
178	معاوية بن أبي سفيان <small>رضي الله عنه</small>	فإن التفهم في الخير زيادة رشد
421	نافع رحمه الله مولى عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)	فلقد رأيت بعض غلمانهم ربما شمر
375	سعيد بن المسيب رحمه الله	فوالله لقد وفي بما قال وزاد في موضع الشدة

رقم الصفحة	الراوي	الأثر
510	عبد الله بن عباس <small>رضي الله عنه</small>	قالت قريش للنبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> ادع لنا ربك
215	أبو عبيدة بن الجراح <small>رضي الله عنه</small>	قد صنعت اليوم صنيعاً عظيماً عند أهل الأ
189	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>	قدم النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> سبي فإذا امرأة من السبي
135	عبيدة بن خلف <small>رضي الله عنه</small>	قدمت المدينة وأنا شاب متأزر
363	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	كان أخير الناس للمسكين جعفر
35	عائشة رضي الله عنها	كان خلقه القرآن
360	سهل بن حنيف <small>رضي الله عنه</small>	كان رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> يعود فقراء أهل المدينة
348	عبد الله بن أوفى <small>رضي الله عنه</small>	كان رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> يكثر الذكر
337	أبي بن كعب <small>رضي الله عنه</small>	كان رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> يصلي إلى جذع
236	عبد الله بن مسعود <small>رضي الله عنه</small>	كان عمر حصناً حصيناً يدخل الإسلام في
320	عمران بن الحصين <small>رضي الله عنه</small>	كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل
330	عبد الله بن مسعود <small>رضي الله عنه</small>	كنا مع رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> في سفر
199	جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما)	كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين
420	عبد الله بن مسعود <small>رضي الله عنه</small>	كنت أضرب مملوكاً لي
516 - 465	سلمة بن صخر الأنصاري <small>رضي الله عنه</small>	كنت امرأة قد أوتيت من جماع النساء
518	أنس بن مالك <small>رضي الله عنه</small>	كنت امشي مع مع النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> وعليه برد
236	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>	كنيف ملئ علماً آثرت به أهل القادسية
375	معاوية بن أبي سفيان <small>رضي الله عنه</small>	لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي
103	حذيفة بن اليمان <small>رضي الله عنه</small>	لا ولا أزكي بعدك أحداً
138	عائشة رضي الله عنها	لم يكن النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small> فاحشاً ولا متفحشاً
408	عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)	لما توفي رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> قلت لرجل من الأنصا
452	أنس بن مالك <small>رضي الله عنه</small>	لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>
223	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>	لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما
372	عمر بن الخطاب <small>رضي الله عنه</small>	لو ماتت شاه على شط الفرات

رقم الصفحة	الراوي	الأثر
145	علي بن أبي طالب <small>عليه السلام</small>	ما أنت بمحدث قوماً
514	عائشة رضي الله عنها	ما انتقم رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> لنفسه
253	عمر بن الخطاب <small>عليه السلام</small>	ما أنصفناه أخذنا منه في حال قوته
438 - 209	عائشة رضي الله عنها	ما خير رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small> بين أمرين
294	عائشة رضي الله عنها	ما غرت علي أحد من نساء النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>
400	أبو سعيد الخدري <small>عليه السلام</small>	مرحباً بوصية رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>
421	عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)	من خدعنا بالله انخدعنا به
103	عمر بن الخطاب <small>عليه السلام</small>	نشدتك الله هل سمانى رسول الله <small>صلى الله عليه وسلم</small>
207	عبادة بن الصامت <small>عليه السلام</small>	نهي عن درهمين بدرهم
178	معاوية بن أبي سفيان <small>عليه السلام</small>	هذا جزاء من يعجل
100	عائشة رضي الله عنها	هم الذين يشربون الخمر ويسرقون
345	عائشة رضي الله عنها	هي اليتيمة في حجر وليها
103	أبو ذر الغفاري <small>عليه السلام</small>	وددت لو أني شجرة تعضد
214	أبو بكر الصديق <small>عليه السلام</small>	والذي نفسي بيده لو ظننت أن السباع
451	عمر بن الخطاب <small>عليه السلام</small>	والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر
450	زيد بن الدثنة <small>عليه السلام</small>	والله ما أحب أن محمداً <small>صلى الله عليه وسلم</small> الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة
332	عمر بن الخطاب <small>عليه السلام</small>	ويلك قدها إلى الموت قوداً جميلاً
302	أبو سفيان <small>عليه السلام</small>	يأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف

رابعاً / فهرس الأعلام :

رقم الصفحة	الاسم
414	أحمد بن الجزار القيرواني
439	أحمد بن حجر آل بوطامي آل بن علي
256	أحمد حسين الحوجان
37	أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي
238	أحمد بن حجر الهيثمي
7-6	أحمد بن حنبل الشرياني
416	أحمد خالد
348	أحمد خليل جمعة
80	أحمد زكي بدوي
370	أحمد زكي صفوت
283 - 19	أحمد سعد الغامدي
58	أحمد سعيد الدجوي
312	أحمد شمس الدين
369 - 8	أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني
178	أحمد عبد الرحمن
102	أحمد عبد الله الأصبهاني
397	أحمد عبد الوهاب فتيح
334	أحمد عبيد الكبيسي
86	أحمد بن علي بن أحمد الفزاري
60	أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي
45	أحمد العليان
180	أحمد عمرو الشيباني
45	أحمد فؤاد محمود
29	أحمد بن فارس بن زكريا
31	أحمد محمد بن يعقوب بن مسكويه
87	أحمد محمد القري التلمساني
143	أحمد محمد بن عبد ربه الأندلسي
63	أحمد مصطفى الدمشقي
22	أحمد نافع سليمان المورعي

رقم الصفحة	الاسم
142	أحمد الهاشمي
22	أسماء بنت عبد الله سلطان
179	أشجع السلمي
268	أنس أحمد كرزون
366	أنوشروان ابن زجمهر
22	أميرة بنت أحمد باهميم
63	أيوب الحسيني الكفومي
48	إبراهيم الأبياري
461	إبراهيم أدهم
290	إبراهيم بن إسحاق الحربي
50	إبراهيم باجس
41	إبراهيم السامرائي
87	إحسان عباس
118	إبراهيم عبد الله المطلق
259	إبراهيم موسى بن محمد أبو إسحاق الشاطبي
427 - 182 - 96	إبراهيم النعمة
83	إبراهيم يوسف عجو
7	إسحاق بن راهويه
411	إسماعيل بن موسى الجيطالي
383	باسم فيصل أحمد الجوابرة
459 - 67	بدر عبد الرزاق الماص
238	بشار عواد معروف
330	تاج الدين السبكي
316	تقي الدين أبو بكر علي بن محمد الحموي الحنفي
330	تقي الدين السبكي
363	جعفر بن أبي طالب الهاشمي
179	جعفر بن أبي يحيى
65	جمال عيتاني
439	جوته

رقم الصفحة	الاسم
104	حسن الشرقاوي
74	حسن محمد مقبولي الأهدل
417	حسنيين محمد مخلوص
74	حسين أحمد السياغي
224	حسين الصيمري
74	الحسين بن محمد
285 - 50	حمدي عبد المجيد السلفي
38	خالد السبع العلمي
61	خالد عبد الرحمن العك
213	خباب بن الأرت
41	الخليل بن أحمد الفراهيدي
352	خليل محمد هراس
379	خولة عبد القادر درويش
174	رأثيد بن سَعْدٍ
114-110	رفاعي سرور
22	رفيقة عمر بكر صباغ
56	رمزي البعلبكي
281	زبيدة محمد سعيد عبد العزيز
413	زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري أبو يحيى
80	زكريا يحيى لال
514	زيد بن سعة
112	زيد بن عبد الكريم الزيد
50	زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي
96	سامية عمر

رقم الصفحة	الاسم
56	سعد بن حمدان المالكي
174	سَعْدِ بن مُعَاذٍ
182-181	سعيد بن مسفر القحطاني
312	سلمان بن عَامِرٍ
35	سليمان بن أحمد الطبراني
290	سليمان إبراهيم محمد العايد
6	سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي
260	سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب
230	سليمان بن قاسم العيد
322	سهيل حسين الفتلاوي
86	السيد الجميلي
394	سيد قاضي
8	سيد قطب
131 - 36	شعيب الأرنؤوط
332	شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي
102	شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي
87	شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري
106	شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبيشيهي
150	صادق البيضاني
295-17	صالح بن سليمان المطلق البقعاعي
76	صالح بن عبد الله بن حميد
427	صالح بن غانم السدلان
235	صبحي السامرائي
371	صعصعة بن صوحان

رقم الصفحة	الاسم
67	صفوان عدنان داوودي
35	طارق بن عوض الله بن محمد
83	طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني
29	طاهر أحمد الزاوي
321	طه عبد الرؤوف سعد
117	طه عبد الله محمد السبعاعي
7	عائض بن عبد الله القرني
450	عادل أحمد الرفاعي
398	عادل بن يوسف الغرازي
372	عادل أحمد عبد الموجود
173	عامر أحمد حيدر
222	عبَّاد بن شُرْحَبِيلَ
183	عبد الحلیم محمد الرمي
221	عبد الحميد البلالي
69	عبد الحميد هنداوي
143	عبد الحي أحمد الحنبلي
403 - 22	عبد الرؤوف يوسف عبد الرحمن
225 - 65	عبد الرحمن الجوزي
253	عبد الرحمن القرشي المصري
481	عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي
32	عبد الرحمن بن حبنكة
78	عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي
415	عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي
109	عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي

رقم الصفحة	الاسم
76	عبد الرحمن بن محمد بن ملوح
288	عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني
178	عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي
371	عبد الرحمن بن علي
321	عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي
179 - 58	عبد الرحيم مارديني
105	عبد الرحيم محمد المغذوي
68	عبد الرزاق المهدي
371	عبد الستار أحمد فراج
365	عبد السلام برجس عبد الكريم
29	عبد السلام محمد هارون
181	عبد العزيز بن باز
277	عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة
262	عبد العزيز بن فوزان بن صالح الفوزان
- 180 - 103	عبد العلي عبد الحميد حامد
372	
179	عبد القادر أحمد عطا
131	عبد القادر الأرنؤوط
86	عبد القادر زكار
474 - 96 - 33	عبد الكريم زيدان
506	عبد الكريم محمد السمعاني
261-258	عبد اللطيف حسين فرج
178	عبد الله ابن عياش
281	عبد الله الجبوري

رقم الصفحة	الاسم
448	عبد الله الخاطر
214	عبد الله القاضي
296	عبد الله بن المبارك التابعي الجليل
514	عبد الله بن سلام
21	عبد الله بن علي محمد أبو سيف
281	عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
21	عبد الله سيف الأزدي
22	عبد الله طوبجي
384	عبد الله عبد الدائم
506	عبد الله محمد البارودي
35	عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني
326	عبد المعطي أمين القلعجي
375	عبد الملك بن حسين الشافعي العاصمي المكي
321	عبد الملك بن هشام الحميري المعافري
322	عبد الواحد محمد الفار
68	عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي
38	عبد الله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي
208	عبد الله بن محمد بن أبي شيبه الكوفي
417	عثمان أحمد النجيب الخنبلي
63	عدنان درويش
105	عزيز بن فرحان العنزري
11	علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي
214	علي أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني
67	علي أحمد الواحددي

رقم الصفحة	الاسم
69	علي إسماعيل المرسي
186	علي الجارم
173	علي الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي
79	علي بن جعفر السعدي .
109	علي بن حسين أبو لوز
138	علي بن الحسن بن عبد الله الشافعي
32 - 22	علي عبد الله الشهري
42	علي علاء الدين أبي العز الحنفي
32	علي بن محمد الماوردي
48	علي بن محمد بن علي الجرجاني
180	علي سامي النشار
378	علي عبد الله الشهري
472	علي عبد الله طويجي
416	علي القابسي
321	علي محمد البجاوي
328 - 178	عمر بن عبد العزيز
92	عمر بن محمد بن عوض السنامي
103	عمر بن محمود أبو عمر
42	عمر سليمان الأشقر
102	عمر عبد السلام تدمري
411	عمرو خليفة النامي
75	عياض بن موسى اليحصبي السبتي المالكي
371	عيسى عبد الله محمد مانع الحميري
439	غوستاف لوبون

رقم الصفحة	الاسم
87	فتحي أنور الدابلوي
184	فتحي يكن
377	فخر الدين عثمان الزيلعي الحنفي
18	فضل إلهي ظهير
229	الفضل بن عباس
38	فواز أحمد زمري
285	فيصل العبداني
352	القاسم بن سلام
33	كايد قرعوش
416	كمال دسوقي
208	كمال يوسف الحوت
318	لماوردي
439	ليك
136	مانع بن حماد الجهني
29	المبارك الجزري
68	مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج
56	محب الدين أبي الفيض السيد محمد الواسطي الزبيدي الحنفي
138	محب الدين أبي سعيد عمر العمري
60	محب الدين الخطيب
32	محمد إبراهيم عبادة
96	محمد أبو الفتح البيانوني
375	محمد أبو الفضل إبراهيم
411	محمد أبو زهرة
34-25	محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي

رقم الصفحة	الاسم
41	محمد بن أحمد الأزهرى
9	محمد بن أحمد الأنصارى القرطى
242	محمد بن أحمد بن جبر الكناى الأندلسى
45	محمد أحمد حسن
68	محمد الأمين بن محمد الحكنى الشنقىطى
178	محمد البسى
414	محمد الحبيب الهيلة
253	محمد الحجيرى
56	محمد بن الحسين بن دريد
63	محمد الرازى
363	محمد بن سعد بن منيع البصرى
71	محمد السعيد بسوىنى زغلول
109	محمد العثيمين
12	محمد بن محمد العمادى
63	محمد المصرى
235	محمد بن نصر المروزى
125	محمد الوكىلى
260	محمد أئمن الشبراوى
281	محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن بن يصل الأزدي الحميدى
59	محمد بن أحمد بن محمد الغرناطى الكلبى
11-6	محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى الجعفى
74	محمد بن إسماعيل الأمير الصنعانى
36	محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمى البسى
285	محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعى
426	محمد بن سيدى بن الحبيب

رقم الصفحة	الاسم
181	محمد بن صالح العثيمين
56	محمد بن عبد الله الطائي الجبائي
65	محمد بن علي الشوكاني
6	محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي
31	محمد بن محمد الغزالي أبو حامد
13	محمد بن نعيم ساعي
375	محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني
29	محمد بن يعقوب الفيروز آبادي
237	محمد بيومي مهران
407	محمد جان
60	محمد جميل غازي
34	محمد حامد الفقي
379	محمد حامد الناصر
20	محمد حسني محمد موسى
100	محمد حسين يعقوب
213	محمد خليل هراس
300	محمد ربيعه الجوهري
479	محمد رشيد رضا
371	محمد رواس قلعه جي
241	محمد سعيد رمضان البوطي
434	محمد سليمان عبد الله الأشقر
74	محمد سيد كيلاني
211	محمد شمس الحق العظيم آبادي
56	محمد عبد الرؤوف المناوي
463	محمد عبد الرحمن عوض
56	محمد عبد الرضوان الداية
213	محمد عبد السلام خضر الشقيري
312 - 37	محمد عبد القادر عطا
256	محمد عزيز شكري
372	محمد علي معوض
41	محمد عوض مرعب

رقم الصفحة	الاسم
153 – 37	محمد فؤاد عبد الباقي
46-43	محمد قطب
181-178	محمد محي الدين عبد الحميد
242	محمد مصطفى زيادة
184	محمد منصور
125	محمد همام عبد الرحيم ملحم
443	محمد يسري
42	محمود خفاجي
186	محمود سامي البارودي
101	محمود عمر الدمياطي
56	محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري
371	محمود فاخوري
49	محمود محمد الخزندار
29	محمود محمد الطناحي
64	محمود مطرجي
73	محي الدين بن شرف النووي
32	محي السرحان
6	مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري
38	مصطفى صادق الرافي
76	مصطفى مسلم محمد
220	معاوية بن الحكم السلمي
316 – 106	مفيد محمد قمبيحة
31	مقداد يالجن
234	متقذ بن محمود السقار
41	مهدي المخزومي
92	موتل يوسف عز الدين
70	موسى بن محمد بن الملياني الأحدي
129	ناصر العمر
264	ناهد عبد العال الخراشي
439	نذير حمدان
265	نزار مصطفى الباز

رقم الصفحة	الاسم
64	نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي
144	النعمان بن بشير
130	هاشم علي الأهدل
179	هشام بن عروة
179	هناد بن السري الكوفي
438	هيدلي
237-412	ياقوت بن عبد الله الحموي
238	يوسف بن الزكي عبدالرحمن المزني
238	يوسف عبد البر النمري
240	يوسف عبد الله الشبيلي
81	يوسف القرضاوي
245	يوسف محيي الدين أبو هلاله

خامساً / فهرس الأشعار :

رقم الصفحة	الشاعر	طرف البيت
89	طرفة بن العبد	أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى ..
245	—	أرد طعن العدى عن مهجتي بيدٍ ..
142	شهاب الدين أحمد بن عبد الخالق المالكي	إذا شئت أن تحيا ودينك سالم ..
366	عبد الله بن المبارك	إن الجماعة حبل الله فاعتصموا ..
185	محمد بن الحبيب الواسطي	بني إذا ما ساقك الضر فاتمد ..
185	—	تأن ولا تعجل لأمر تريده ..
150	—	تجمعوا أمماً وصبروا أمة ..
106	—	تصف الدواء لذي السقام ..
185	منصور بن محمد الكريزي	الرفق أيمن شيء أنت تتبعه ..
186	المنتصر بن بلال الأنصاري	الرفق ممن سيلقى اليمن صاحبه ..
185	النابعة الذبياني	الرفق يمن والأناة سعادة
106	أبو الأسود الدؤلي	فابدأ بنفسك فأنها عن غيرها ..
186	محمود سامي البارودي	فاستعمل الرفق تعش راشداً ..
80	—	فأصبحت قد عنفت بالجهل أهله ..
391	أبو تمام	فقسا ليزدجروا ومن يك راحماً ..
185	محمد بن حبيب الواسطي	فلا تحمين عند الأمور تعززا ..
138	معاوية بن أبي سفيان	فلا تسفه وإن مليت غيظاً ..
106	—	فهناك يقبل ما تقول ويهتدى ..
366	عبد الله بن مبارك	كم يدفع الله بالسلطان مظلمة ..
150	—	كونوا كبنيان يشدد بعضه
186	أحمد بن موسى الأزرق	لا ألفينك ثاويماً في غربة ..
142	المنتصر بن بلال الأنصاري	لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا
106	—	لا تنه عن خلق وتأتي مثله
150	—	لا شيء يفصلكم وهذا دينكم ..

رقم الصفحة	الشاعر	طرف البيت
142	شهاب الدين أحمد بن عبد الخالق المالكي	لسانك لا تذكر به عورة امرئ
186	عبد الرحمن التميمي (ابن عائشة)	لن يدرك المجد أقوامٌ وإن كرموا ..
186	أحمد بن موسى الأزرق	لو سار ألف مدحج في ..
366	عبد الله بن المبارك	لولا الخليفة لم تأمن لنا سبل ..
142	المنتصر بن بلال الأنصاري	واذكر محاسن ما فيه لِمَ ذكروا ..
150	_____	والله لا حرية إلا التي ..
186	المنتصر بن بلال الأنصاري	والحزم أن يتأني المرء فرصته ..
185	منصور بن محمد الكريزي	وذو الثبث من حمد الى ظفر ..
186	أبو الفتح البستي	ورافق الرفق في كل الأمور فلم ..
186	أحمد بن موسى الأزرق	وزن الكلام إذا نطقت فيأتما ..
142	_____	وصاحب بمعروف وجانب من اعتدى
142	شهاب الدين أحمد بن عبد الخالق المالكي	وعينك أن أبدت إليك معاييا ..
186	أبو الفتح البستي	ولا يغرنك حظُّ جره حرقاً ..
138	معاوية بن أبي سفيان	وما قتل السفاهة مثل حلم ..
106	_____	ونراك تصلح بالرشاد عقولنا
106	_____	ونفسك فاحفظها من الغيِّ والردي ..
198	_____	ووضع الندى في موضع السيف بالعلی
186	عبد الرحمن التميمي (ابن عائشة)	ويصفحوا عن كثير من إساءتهم
106	_____	يا أيها الرجل المعلم غيره ..

سادساً / فهرس المصادر والمراجع :

- 1 - القرآن الكريم .
- 2 - أبو حنيفة ، حياته وعصره ، آراؤه الفقهية : محمد أبو زهرة . دار الفكر العربي / القاهرة . بدون رقم الطبعة أو تاريخ نشرها .
- 3 - أثر العلم والإيمان في مكافحة الإرهاب والعدوان : عبد العزيز بن فوزان بن صالح الفوزان . دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض . ط 1 / 1428 هـ - 2007 م
- 4 - أجنحة المكر الثلاث وخوافيها (التبشير - الاستشراق - الاستعمار) دراسة وتحليل وتوجيه : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . دار القلم - دمشق . ط 8 / 1420 هـ - 2000 م .
- 5 - الآحاد والمثاني : أحمد بن عمرو بن الضحاك أبو بكر الشيباني . تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة . دار الراية - الرياض . ط 1 / 1411 هـ - 1991 م .
- 6 - الأحكام السلطانية والولايات الدينية : أبو الحسن علي بن محمد البغدادي الماوردي . دار الكتب العلمية / بيروت . 1405 هـ - 1985 م
- 7 - أخبار أبي حنيفة وأصحابه : القاضي أبي عبد الله حسين الصيمري . عالم الكتب - بيروت . ط 2 / 1405 هـ - 1985 م
- 8 - أخلاقنا : محمد ربيعه الجوهري . دار الفجر الإسلامية - المدينة المنورة . ط 8 / 1426 هـ - 2006 م .
- 9 - الأخلاق الإسلامية وأسسها : عبد الرحمن بن حبنكة . دار القلم / دمشق . ط 2 / 1407 هـ - 1987 م .
- 10 - أخلاق العالم والمتعلم عند أبي بكر الآجري : عبد الرؤوف يوسف عبد الرحمن . رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم التربية الإسلامية . كلية التربية . جامعة أم القرى . 1408 هـ .
- 11 - الأخلاق في الإسلام : مجموعة من المؤلفين منهم : كايد قرعوش . دار المناهج للنشر والتوزيع / عمّان . ط 2 / 1422 هـ - 2001 م .
- 12 - الأخلاق في الشريعة الإسلامية . أحمد العليان . دار النشر الدولي . ط 1 / 1420 هـ .

- 13 - أخلاق المؤمن : عمرو خالد . دار المعرفة - بيروت . ط / 3 . 1424 هـ - 2003 م .
- 14 - أخلاق المسلم وآدابه : بدر عد الرزاق الماص . مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع - القاهرة . ط / 1 / 1418 هـ - 1998 م .
- 15 - أخلاق المسلم وكيف نربي أبنائنا عليها : محمد سعيد مبيض . دار الثقافة - الدوحة . ط / 1 / 1411 هـ - 1991 م .
- 16 - الآداب الشرعية والمنح المرعية : أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي . تحقيق : شعيب الأرنؤوط / عمر القيام . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط / 2 / 1417 هـ - 1996 م .
- 17 - أدب الدنيا والدين : علي بن محمد الماوردي . دار الكتب العلمية . بدون رقم الطبعة . 1407 هـ .
- 18 - الأدب المفرد : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي . تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي . دار البشائر الإسلامية - بيروت . ط / 3 / 1409 هـ - 1989 م .
- 19 - أساس البلاغة : أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري . دار الفكر - 1399 هـ - 1979 م .
- 20 - أساليب الإقناع في المنظور الإسلامي : طه عبد الله محمد السبعواوي . دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان . ط / 1 / 1426 هـ - 2005 م .
- 21 - أسد الغابة في معرفة الصحابة : عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري . تحقيق: عادل أحمد الرفاعي . دار إحياء التراث العربي - بيروت / لبنان . ط / 1 / 1417 هـ - 1996 م .
- 22 - أسرى الحرب : عبد الواحد محمد الفار . عالم الكتب / القاهرة . ط / 1 / 1975 م .
- 23 - الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر : عبد الرحيم بن محمد المغذوي . دار الحضارة للنشر والتوزيع - الرياض . ط / 1 / 1429 هـ - 2008 م .
- 24 - أصول الدعوة : عبد الكريم زيدان . مؤسسة الرسالة / بيروت . ط / 9 / 1423 هـ - 2002 م .

- 25 - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن : محمد الأمين بن محمد الجكني الشنقيطي .
تحقيق : مكتب البحوث والدراسات . دار الفكر للطباعة والنشر / بيروت .
1415هـ - 1995م .
- 26 - أفراح الروح : سيد قطب . دار عمار للنشر والتوزيع - عمان - الأردن .
ط 1 / 2002 م .
- 27 - الأفعال : أبو القاسم علي بن جعفر السعدي . عالم الكتب - بيروت . ط 1 /
1403هـ - 1983م .
- 28 - الأمثال من الكتاب والسنة : أبو عبد الله محمد الحكيم الترمذي . تحقيق : السيد
الجميل . دار ابن زيدون / دار أسامة - بيروت - دمشق . بدون رقم الطبعة
وتاريخها .
- 29 - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : أبو بكر الخلال . تحقيق : عبد القادر أحمد
عطا . دار الباز للنشر والتوزيع - مكة المكرمة . ط 1 / 1406 هـ .
- 30 - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني . تحقيق :
محمد جميل غازي . مكتبة المدني - جدة . بدون رقم الطبعة وتاريخها .
- 31 - الأموال : أبو عبيد القاسم بن سلام . تحقيق : خليل محمد هراس . دار الفك ر -
بيروت . 1408هـ - 1988م .
- 32 - الأنساب : أبي سعيد عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني . تحقيق : عبد الله
عمر البارودي . دار الفكر - بيروت . ط 1 / 1998م .
- 33 - الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية : صالح بن غانم السدلان . دار
بلنسية - الرياض . ط 1 / 1417 هـ - 1997 م .
- 34 - أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ (تفسير البيضاوي) : دار الفكر -
بيروت . بدون طبعة وتاريخ نشر .
- 35 - إجابة السائل شرح بغية الآمل : محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني . تحقيق :
حسين بن أحمد السياغي - حسن محمد مقبولي الأهدل . مؤسسة الرسالة -
بيروت . ط 1 / 1986م .

- 36 - الإحسان في ضوء الكتاب والسنة دراسية موضوعية : أحمد بن سعيد الغامدي . رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه . جامعة أم القرى . كلية الدعوة وأصول الدين . قسم الكتاب والسنة . 1422 هـ .
- 37 - إحياء علوم الدين : محمد بن محمد الغزالي أبو حامد . دار المعرفة - بيروت . بدون طبعة وتاريخ نشر .
- 38 - اختلاف العلماء : أبو عبد الله محمد بن نصر المروزي . تحقيق : صبحي السامرائي . عالم الكتب - بيروت . ط 2 / 1406 هـ .
- 39 - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم (المعروف بتفسير أبي السعود) . أبي السعود محمد بن محمد العمادي . دار إحياء التراث العربي - بيروت . بدون رقم الطبعة و تاريخها .
- 40 - الإرهاب ، روافده ، أسبابه الفكرية ، علاجه ، أقوال العلماء فيه : أحمد حسين بن عبد الله الموجان . سنا الفروق للنشر / جدة . ط 1 / 1425 هـ - 2004 م .
- 41 - الإرهاب الدولي ، دراسة قانونية ناقدة : محمد غزير شكري . دار العلم للملايين - بيروت . ط 1 / 1992 م .
- 42 - الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار : أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي . تحقيق : سالم محمد عطا - محمد علي معوض . دار الكتب العلمية - بيروت . ط 1 / 2000 م .
- 43 - الإسلام والمستشرقون : نخبة من العلماء . عالم المعرفة / جدة . بدون رقم الطبعة . 1405 هـ .
- 44 - الإسلام والرسول في نظر منصفى الشرق والغرب : أحمد بن حجر آل بوطامي آل بن علي . مكتبة الثقافة . 1403 هـ .
- 45 - الإصابة في تمييز الصحابة : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي . تحقيق : علي محمد البجاوي . دار الجيل - بيروت . ط 1 / 1412 هـ - 1992 م .

- 46 - الاعتصام : أبو إسحاق الشاطبي . المكتبة التجارية الكبرى - مصر . بدون طبعة أو تاريخ نشر .
- 47 - إعلام الموقعين عن رب العالمين : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي . تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد . دار الجليل - بيروت - 1973 م .
- 48 - إكمال الأعلام بتثليث الكلام : محمد بن عبد الله الطائي الجياني . تحقيق : سعد بن حمدان المالكي . جامعة أم القرى - مكة المكرمة . ط / 1 . 1404 هـ - 1984 م .
- 49 - الإمامة وأهل البيت . محمد بيومي مهران . دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت . بدون رقم الطبعة . 1993 م .
- 50 - بدائع السلك : ابن الأزرق . تحقيق : د.علي سامي النشار . وزارة الإعلام - العراق . ط 1 . بدون تاريخ النشر .
- 51 - بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : محمد الفيروز آبادي . دار المعارف - القاهرة . 1389 هـ .
- 52 - البداية والنهاية : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي . مكتبة المعارف - بيروت . بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر .
- 53 - البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى : عزيز بن فرحان العنزي . مكتبة دار الإمام مالك - أبو ظبي . ط 1 / 1426 هـ - 2005 م .
- 54 - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . تحقيق : عمر عبد السلام تدمري . دار الكتاب العربي - لبنان - بيروت . ط 1 / 1407 هـ - 1987 م .
- 55 - تاريخ بغداد : أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي . دار الكتب العلمية - بيروت . بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر .
- 56 - تاريخ الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري . دار الكتب العلمية - بيروت . بدون رقم الطبعة وتاريخ نشر .

- 57 - تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل : أبي القاسم علي بن الحسن بن عبد الله الشافعي . تحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر العمري . دار الفكر - بيروت . 1995م .
- 58 - تأصيل فقه الأولويات : محمد همام عبد الرحيم ملحم . دار العلوم / عمان - الأردن . ط 1 / 2007 م
- 59 - التبيان في تفسير غريب القرآن : شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري . تحقيق : فتحي أنور الدابلوي . دار الصحابة للتراث بطنطا - مصر . ط 1 / 1412هـ - 1992م .
- 60 - تبين الحقائق شرح كنز الدقائق : فخر الدين عثمان الزيلعي الحنفي . دار الكتب الإسلامي - القاهرة . بدون رقم الطبعة . 1313هـ -
- 61 - تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي : محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبار كفوري أبو العلا . دار الكتب العلمية - بيروت .
- 62 - تحفة المودود في أحكام المولود . محمد بن أبي بكر أيوب الزرععي أبو عبد الله . تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط . مكتبة درا البيان - دمشق / سوريا . ط 1 / 1390هـ - 1971م .
- 63 - تحفيز التعلم : عبد اللطيف حسين فرج . دار الحامد للنشر والتوزيع - عمان / الأردن . ط 1 / 2007م .
- 64 - التدرج في دعوة النبي ﷺ : إبراهيم عبد الله المطلق . وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - مركز البحوث والدراسات الإسلامية . ط 1 / 1417هـ .
- 65 - تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم : بدر الدين بن جماعة . دار الكتب العلمية / بيروت . دون رقم الطبعة أو تاريخها .
- 66 - التذكرة في الوعظ : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي . تحقيق : أحمد عبد الوهاب فتيح . دار المعرفة - بيروت . ط 1 / 1406هـ .
- 66 - التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة : سيد قاضي . الشركة العربية المتحدة - القاهرة . بدون رقم الطبعة . 2003م .

- 67- تعليم الأطفال والصفوف الأولية : عبد اللطيف حسين فرج . دار المسيرة - الأردن . ط 1 . 1426 هـ - 2005 م .
- 68- تربية الأطفال في رحاب الإسلام في البيت والروضة : محمد حامد الناصر - نخولة عبد القادر درويش . مكتبة السوادي للتوزيع - جدة . ط 1 - 1411 هـ / 1991 م .
- 69- التربية الذاتية من الكتاب والسنة : هاشم علي الأهدل . دار التربية والتراث / مكة المكرمة - دار المعالي / عمّان - الأردن . ط 2 / 1421 هـ - 2001 م
- 70- تربية الشباب للبعد عن التطرف والإرهاب : عبد اللطيف حسين فرج . على نفقة المؤلف . ط 1 / 1426 هـ - 2005 م .
- 71- تربية الطفل في ضوء الكتاب والسنة : أسماء عبد الله السلطان . رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير . كلية التربية للبنات بالرياض . قسم التربية الإسلامية . 1409 هـ - 1989 م .
- 72- التربية العامة : رونه أوبير . ترجمة : عبد الله عبد الدائم . دار العلم للملايين - بيروت / لبنان . بدون طبعة . 1982 م .
- 73- تعامل المسلمين مع غيرهم في مجتمع الدعوة : يوسف محيي الدين أبو هلاله . دار الضياء / عمان - الأردن . ط 1 / 1422 هـ - 2002 م .
- 74- التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني . تحقيق: إبراهيم الأبياري . دار الكتاب العربي - بيروت . ط 1 / 1405 هـ .
- 75- التسهيل لعلوم التنزيل : محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي . دار الكتاب العربي - لبنان . 1403 هـ - 1983 م .
- 76- تسهيل النظر وتعجيل الظفر : علي بن محمد الماوردي . تحقيق : محي السرحان - محمد بن حبيب . دار النهضة العربية - بيروت . ط 1 / 1981 م .
- 77- تفسير الجلالين : محمد بن أحمد و عبد الرحمن بن أبي بكر الخلي و جلال الدين السيوطي . دار الحديث - القاهرة . ط 1 . دون تاريخ نشر .

- 78 - تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم : نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي . تحقيق : محمود مطرجي . دار الفكر - بيروت . دون طبعة وتاريخ نشر .
- 79 - تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم : محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن بن يصل الأزدي الحميدي . تحقيق : زبيدة محمد سعيد عبد العزيز . مكتبة السنة / القاهرة - مصر . ط 1 / 1415 هـ - 1995 م .
- 80 - تفسير القرآن : أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني . تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم . دار الوطن - الرياض - السعودية . ط 1 / 1418 هـ - 1997 م .
- 81 - تفسير القرآن العظيم : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء . دار الفكر - بيروت . بدون طبعة . 1401 هـ .
- 82 - التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) : فخر الدين محمد التميمي الرازي . دار الكتب العلمية - بيروت . ط 1 / 1421 هـ - 2000 م .
- 83 - تفسير مجاهد : مجاهد بن جبر المخزومي التابعي أبو الحجاج . تحقيق : عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي . المنشورات العلمية - بيروت . دون طبعة وتاريخ نشر .
- 84 - تفسير المنار : محمد رشيد رضا . دار المعرفة - بيروت . ط 2 . بدون تاريخ نشر .
- 85 - التقريرات السننية في شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث ويليه منظومة أبي إسحاق الألبيري في الحث على طلب العلم والتحلي بالأخلاق الفاضلة : حسن محمد المشاط . مكتبة السوادى للتوزيع / جدة . بدون رقم الطبعة أو تاريخه .
- 86 - تلبيس إبليس : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد . تحقيق : السيد الجميلي . دار الكتاب العربي - بيروت . ط 1 / 1405 هـ - 1985 م .
- 87 - تنبيه الغافلين في الموعدة بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين : المكتبة العصرية - بيروت . 1423 هـ .

- 88 - تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : الفيروز آبادي . دار الكتب العلمية - لبنان . بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر .
- 89 - تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق : ابن مسكويه . مكتبة الثقافة الدينية / بورسعيد - القاهرة . بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر .
- 90 - تهذيب الأسماء واللغات : محي الدين بن شرف النووي . تحقيق : مكتب البحوث والدراسات . دار الفكر - بيروت . ط 1 / 1996م .
- 91 - تهذيب اللغة : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى . تحقيق : محمد عوض مرعب . دار إحياء التراث العربى - بيروت - 2001م . ط 1 /
- 92 - التوقيف على مهمات التعاريف : محمد عبد الرؤوف المناوي . تحقيق : محمد عبد الرضوان الداية . دار الفكر المعاصر - بيروت . ط 1 / 1410هـ .
- 93 - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد : سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . تحقيق : محمد أيمن الشبراوي . عالم الكتب - بيروت . ط 1 / 1999م .
- 94 - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبد الرحمن بن ناصر السعدي . تحقيق : ابن عثيمين . مؤسسة الرسالة - بيروت . 1421هـ - 2000م .
- 95 - ثمرات الأوراق في المحاضرات : تقي الدين أبو بكر علي بن محمد الحموي الحنفي . شرحه وضبطه : مفيد محمد قميحة . دار الكتب العلمية - بيروت . ط 1 / 1403هـ - 1983م .
- 96 - الجامع لأحكام القرآن (المعروف بتفسير القرطبي) : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي . دار الشعب - القاهرة . بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر .
- 97 - جامع بيان العلم وفضله : يوسف بن عبد البر النمري . دار الكتب العلمية - بيروت . بدون رقم الطبعة . 1398هـ .
- 98 - جامع البيان عن تأويل آي القرآن (المعروف بتفسير الطبري) : أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري . دار الفكر - بيروت - 1405هـ .

- 99 - الجامع الصحيح سنن الترمذي : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي .
تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون . دار إحياء التراث العربي - بيروت . بدون
رقم الطبعة وتاريخ النشر .
- 100 - الجامع الصحيح المختصر : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي .
تحقيق : مصطفى ديب البغا . دار ابن كثير . اليمامة - بيروت . ط 3 /
1407 هـ - 1987 م .
- 101 - جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم : زين الدين أبي
الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين البغدادي . تحقيق : شعيب الأرنؤوط / إبراهيم
باحس . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط 7 / 1417 هـ - 1997 م .
- 102 - جمهرة خطب العرب : أحمد زكي صفوت . المكتبة العلمية - بيروت . بدون
رقم الطبعة وتاريخ النشر .
- 103 - جمهرة اللغة : أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد . تحقيق : رمزي البعلبكي . دار
العلم للملايين . ط 1 / 1784 م .
- 104 - جوانب التربية الإسلامية الأساسية : مقداد يالجن . طبع على نفقة المؤلف .
ط / 1 . 1406 هـ - 1986 م .
- 105 - الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية : أبو محمد عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن
أبي الوفاء القرشي . دار مير محمد كتب خانة / كراتشي . دون رقم الطبعة
وتاريخ النشر .
- 106 - حكمة الدعوة : رفاعي سرور . مكتبة وهبة - القاهرة / مصر . ط 1 /
1398 هـ - 1978 م .
- 107 - الحكمة في الدعوة إلى الله تعريف وتطبيق : زيد بن عبد الكريم الزيد . دار
العاصمة - الرياض . ط 1 / 1412 هـ
- 108 - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني . دار
الكتاب العربي - بيروت . ط 4 / 1405 هـ .

- 109 - خصائص أهل السنة والجماعة دراسة وبيان : صالح بن عبد الرحمن بن إبراهيم الدخيل . رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة من قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى . 1421 هـ .
- 110 - الخطاب الديني بين تحديث الدخلاء وتجديد العلماء : محمد بن نعيم ساعي . دار السلام - القاهرة . ط 1 / 1427 هـ - 2006 م .
- 111 - الخليل إبراهيم عليه السلام في الكتاب والسنة ودعوته وهجرته ورد شبه المستشرقين : عبد الله بن علي محمد أبو سيف . رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بجامعة الملك عبد العزيز - فرع مكة . كلية الشريعة الإسلامية فرع قسم الكتاب والسنة . 1397 هـ - 1977 م .
- 112 - خلق المسلم : محمد الغزالي . دار البيان للتراث - القاهرة . ط 1 / 1408 هـ - 1987 م .
- 113 - دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون : القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمـد نكري . تحقيق: عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص . دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت . ط 1 / 1421 هـ - 2000 م .
- 114 - الدر المنثور : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي . دار الفكر - بيروت . بدون رقم الطبعة . 1993 م .
- 115 - الدعوة إلى الله تجارب وذكريات : سعيد بن مسفر بن مفرح القحطاني . دار طيبة الخضراء - مكة المكرمة . ط 2 / 1423 هـ .
- 116 - الدعوة إلى الله توجيهات وضوابط : عبد الله الخاطر . طبع على نفقة المؤلف - الرياض . ط 1 / 1419 هـ - 1998 م .
- 117 - الدعوة إلى الله : الرسالة الوسيلة الغاية : مكتبة الفلاح / الكويت . بدون طبعة . 1406 هـ - 1986 م .
- 118 - الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل : محمد بن سيدي بن الحبيب . دار الوفاء للنشر والتوزيع / جدة . ط 1 - 1406 هـ - 1985 م .
- 119 - الدعوة الفردية وسائل ومفاهيم : محمد منصور . دار التوزيع والنشر / القاهرة . ط 1 / 1424 هـ - 2003 م .

- 120 - ديوان البارودي : محمود سامي البارودي . تحقيق : علي الجارم / محمد شفيق معروف . دار العودة - بيروت . بدون طبعة . 1992 م
- 121 - ديوان أبو تمام بشرح الخطيب التبريزي : أبو زكريا يحيى بن علي . تحقيق : محمد عبده عزام . دار المعارف - مصر . ط4 . دون تاريخ النشر .
- 122 - رحلة ابن جبير : أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبر الكناني الأندلسي . تحقيق : محمد مصطفى زيادة . دار الكتاب اللبناني / دار الكتاب المصري - بيروت / القاهرة . دون طبعة وتاريخ .
- 123 - الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين : أبو الحسن علي القابسي . تحقيق : أحمد خالد . الشركة التونسية للتوزيع . 1986 م
- 124 - الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين : نذير حمدان . دار المنارة للنشر والتوزيع . ط2 / 1406 هـ - 1986 م .
- 125 - روابط الأخوة الإسلامية على ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة : صادق محمد البيضاني . دار الهدى النبوي / مصر . ط1 / 1430 هـ - 2009 م .
- 126 - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي . دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- 127 - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء : محمد البستي . تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد . دار الكتب العلمية - بيروت . 1397 هـ - 1977 م
- 128 - روضة المحبين ونزهة المشتاقين : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي . دار الكتب العلمية - بيروت . دون طبعة : 1412 هـ - 1992 م
- 129 - الرياض النضرة في مناقب العشرة : أبو جعفر أحمد بن عبد الله الطبري . تحقيق : عيسى عبد الله محمد مانع الحميري . دار الغرب الإسلامي - بيروت . ط1 / 1996 م
- 130 - زاد المسير في علم التفسير : عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي . المكتب الإسلامي - بيروت . ط3 / 1404 هـ

- 131 - زاد المعاد في هدي خير العباد : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي .
تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار
الإسلامية - بيروت - الكويت . ط 14 / 1407 هـ - 1986 م .
- 132 - زبدة التفسير من فتح القدير : محمد سليمان عبد الله الأشقر . دار النفائس
للنشر والتوزيع - عمان . ط 1 / 2002 م .
- 133 - الزهد : ابن أبي عاصم . تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد . دار الريان للتراث
- القاهرة . ط 2 / 1408 هـ .
- 134 - الزهد : أحمد بن عمرو الشيباني . تحقيق : عبد العلي عبد الحميد حامد . دار
الريان للتراث / القاهرة . ط 2 - 1408 هـ .
- 135 - الزهد : هناد بن السري الكوفي . تحقيق : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي . دار
الخلفاء للكتاب الإسلامي / الكويت . ط 1 / 1406 هـ .
- 136 - الزواج عن اقتراف الكبائر : ابن حجر الهيتمي . المكتبة العصرية - بيروت .
1420 هـ - 1999 م . ط 2 . تحقيق: تم التحقيق والاعداد بمركز الدراسات
والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز .
- 137 - السحر الحلال في الحكم والأمثال : أحمد الهاشمي . دار الكتب العلمية - بيروت
. بدون طبعة أو تاريخ نشر
- 138 - سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي : عبد الملك بن حسين بن
عبد الملك الشافعي العاصمي المكي . تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد
معوض . دار الكتب العلمية - بيروت . بدون طبعة . 1419 هـ - 1998 م .
- 139 - سنن أبي داود : سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي . تحقيق :
محمد محيي الدين عبد الحميد . دار الفكر . دون طبعة وتاريخ نشر .
- 140 - سنن ابن ماجه : محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني . تحقيق : محمد فؤاد
عبد الباقي . دار الفكر - بيروت . بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر
- 141 - سنن البيهقي الكبرى : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي .
تحقيق: محمد عبد القادر عطا . مكتبة دار الباز - مكة المكرمة . 1414 هـ -
1994 م

- 142 - سنن الدارمي . عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي . تحقيق: فواز أحمد زمري ، خالد السبع العلمي . دار الكتاب العربي - بيروت . ط 1 / 1407 هـ
- 143 - السنن الكبرى : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي . تحقيق : عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن . دار الكتب العلمية - بيروت . ط 1 / 1411 هـ - 1991 م .
- 144 - السنن والابتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات : محمد عبد السلام خضر الشقيري . تحقيق: محمد خليل هراس . دار الفكر / بيروت . بدون طبعة وتاريخ نشر .
- 145 - سياسة الصبيان وتدابيرهم : أبو جعفر أحمد بن الحزار القيرواني . تحقيق : محمد الحبيب الهيلة . الدار التونسية للنشر . بدون طبعة . 1968 م
- 146 - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني . دار المعرفة . بدون طبعة وتاريخ نشر .
- 147 - سير أعلام النبلاء : أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي . تحقيق : ش عيب الأرنؤوط - محمد نعيم العرقسوسي . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط 9 / 1413 هـ .
- 148 - سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه : أبي محمد عبد الله بن عبد الحكم . تحقيق: أحمد عبيد . عالم الكتب - بيروت / لبنان . ط 6 / 1404 هـ - 1984 م .
- 149 - سير القرآن العظيم : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي . دار الفكر - بيروت . 1401 هـ .
- 150 - السيرة النبوية لابن هشام : أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري المعافري . تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد . دار الجليل - بيروت . ط 1 / 1411 هـ .
- 151 - شذرات الذهب في أخبار من ذهب : عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي . تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط - محمود الأرنؤوط . دار بن كثير - دمشق . ط 1 / 1406 هـ .

- 152 - شرح الزركشي على مختصر الخرقى : شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي . قدم له ووضع حواشيه: عبد المنعم خليل إبراهيم . دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت . ط 1/ 1423هـ - 2002م .
- 153 - شرح العقيدة الطحاوية : ابن أبي العز الحنفي . المكتب الإسلامي - بيروت . بدون طبعة . 1391هـ .
- 154 - شرح القاموس المسمى بتاج العروس من جواهر القاموس : الإمام ال لغوي محب الدين أبي الفيض السيد محمد الواسطي الزبيدي الحنفي . المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر . ط 1/ 1306هـ .
- 155 - شعب الإيمان : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي . تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول . دار الكتب العلمية - بيروت . ط 1/ 1410هـ .
- 156 - الشهب اللامعة في السياسة النافعة : أبو القاسم ابن رضوان المالقي . تحقيق : علي سامي النشار . دار الثقافة - المغرب . ط 1 . 1404هـ - 1984م .
- 157 - صبح الأعشى في كتابة الإنشا : القلقشندي أحمد بن علي بن أحمد الفزاري . تحقيق : عبد القادر زكار . وزارة الثقافة - دمشق . بدون رقم طبعة . 1981م .
- 158 - الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات : محمد العثيمين . إعداد وترتيب : أبو أنس علي بن حسين أبو لوز . دار الحمد / الرياض - المملكة العربية السعودية . ط 1/ 1414هـ - 1993م .
- 159 - صحيح ابن حبان : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي . تحقيق : شعيب الأرنؤوط . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط 2/ 1414هـ - 1993م .
- 160 - صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي - بيروت . بدون طبعة أو تاريخ نشر .
- 161 - صحيح مسلم بشرح النووي : أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي . دار إحياء التراث العربي - بيروت . ط 2/ 1392هـ .

- 162 - صفات الداعية : الرفق والدين : فضل إلهي ظهير . دراسة منشورة - إدارة
ترجمان الإسلام سي - باكستان في كتاب . ط7 / 1420 هـ .
- 163 - صفة الصفوة : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي . تحقيق : محمود فاخوري -
د. محمد رواس قلعه جي . دار المعرفة - بيروت . ط2 / 1399 هـ - 1979م
- 164 - صور من سماحة الإسلام : عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة . مؤسسة الرسالة
- بيروت . بدون رقم طبعة . 1399 هـ
- 165 - الطبقات الكبرى : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري . دار صادر -
بيروت . بدون رقم الطبعة و تاريخ النشر .
- 166 - طرق التدريس في القرن الواحد والعشرين : عبد اللطيف حسين فرج . دار
المسيرة للنشر والتوزيع / عمان - الأردن . ط1 / 1425 هـ .
- 167 - طريق المهجرتين وباب السعادتين : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله .
تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر . دار ابن القيم - الدمام - ط2 / 1414 هـ -
1994م .
- 168 - العبرة من قصة يوسف عليه السلام : رفيقة عمر بكر صباغ . رسالة ماجستير
مقدمة إلى كلية الشريعة الإسلامية - فرع الكتاب والسنة بجامعة أم القرى .
1405 هـ .
- 169 - العقد الفريد : أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي . دار إحياء التراث العربي -
بيروت / لبنان . ط3 / 1420 هـ - 1999م .
- 170 - العقيدة والسلوك من الإيمان إلى التطبيق والانفصام بينهما : أحمد عبده
عوض . مركز الكتاب للنشر . ط1 / 1422 هـ - 2002 م .
- 171 - عقيدة المؤمن : أبو بكر الجزائري . مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة . ط3
/ 1417 هـ .
- 172 - علم النفس العقابي : كمال دسوقي . دار المعارف - مصر . ط1 / 1960م .
- 173 - عمدة القاري شرح صحيح البخاري : بدر الدين محمود بن أحمد العيني . دار
إحياء التراث العربي - بيروت . بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر .

- 174 - العنف في عالم متغير : زكريا يحيى لال . طبع على نفقة المؤلف . ط 1 / 1428 هـ - 2007 م .
- 175 - عون المعبود شرح سنن أبي داود : محمد شمس الحق العظيم آبادي . دار الكتب العلمية - بيروت . ط 2 / 1995 م .
- 176 - العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي . تحقيق: مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي . دار ومكتبة الهلال . بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر .
- 177 - غريب الحديث : أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي . تحقيق : سليمان إبراهيم محمد العايد . جامعة أم القرى - مكة المكرمة . ط 1 / 1405 هـ .
- 178 - غريب الحديث : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي . تحقيق : عبد المعطي أمين القلعجي . دار الكتب العلمية / بيروت - لبنان . ط 1 / 1405 هـ - 1985 م .
- 179 - غريب الحديث : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . تحقيق : عبد الله الجبوري . مطبعة العاني - بغداد . ط 1 - 1397 هـ .
- 180 - غريب الحديث : القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد . تحقيق : محمد عبد المعيد خان . دار الكتاب العربي - بيروت . ط 1 / 1396 هـ .
- 181 - الفائق في غريب الحديث : محمود بن عمر الزمخشري . تحقيق : علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعرفة - لبنان . ط 2 . دون تاريخ النشر .
- 182 - الفتاوى الفقهية الكبرى : ابن حجر الهيتمي . دار الفكر . بدون طبعة وتاريخ النشر .
- 183 - فتح الخلاق في مكارم الأخلاق : أحمد سعيد الدجوي . تحقيق : عبد الرحيم مارديني . مكتبة دار المحبة . ط 1 / 1411 هـ - 1991 م .
- 184 - فتح الباري بشرح صحيح البخاري : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي . تحقيق : محب الدين الخطيب . دار المعرفة - بيروت . بدون طبعة أو تاريخ نشر .

- 185 - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي الشوكاني . دار الفكر - بيروت . بدون طبعة وتاريخ النشر .
- 186 - فتوح مصر وأخبارها : أبو القاسم عبد الرحمن القرشي المصري . تحقيق : محمد الحجيري . دار الفكر - بيروت . ط 1 / 1416 هـ / 1996 م .
- 187 - فقه الأولويات دراسة في الضوابط : محمد الوكيل . المعهد العالي للفكر الإسلامي . سلسلة الرسالة الجامعية (22) . بدون طبعة وتاريخ النشر .
- 188 - فقه الخلاف وأثره في القضاء على الإرهاب : يوسف عبد الله الشبيلي . بحث مقدم لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب . 1425 هـ - 2004 م .
- 189 - فقه الدعوة والداعية : إبراهيم النعمة . دار الفرقان للتوزيع والنشر - عمان / الأردن . بدون طبعة أو تاريخ نشر .
- 190 - الفقيه والمتفقه : أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي . . تحقيق : أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي . دار ابن الجوزي - السعودية . ط 2 / 1421 هـ .
- 191 - في تمييز الصحابة : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . تحقيق : علي محمد البجاوي . دار الجليل - بيروت . ط 1 / 1412 هـ - 1992 م .
- 192 - فيض القدير شرح الجامع الصغير : عبد الرؤوف المناوي . المكتبة التجارية الكبرى - مصر . ط 1 / 1356 هـ .
- 193 - في ظلال القرآن : سيد قطب . دار العلم للطباعة والنشر - جدة . بدون رقم طبعة . 1406 هـ .
- 194 - في العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة دراسة ونقد : محمود خفاجي . مطبعة الأمانة . ط 1 / 1399 هـ - 1979 م .
- 195 - في غريب الحديث : محمود بن عمر الزمخشري . تحقيق : علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعرفة - لبنان . ط 2 . بدون تاريخ نشر .
- 196 - الفوائد : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي . دار الكتب العلمية - بيروت . ط 2 / 1393 - 1973 م .

- 197- الكامل في التاريخ : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني .
تحقيق : عبد الله القاضي . دار الكتب العلمية - بيروت . ط 2 / 1415 هـ .
- 198 - الكبائر : الحافظ شمس الدين الذهبي . المكتبة العصرية - بيروت . ط 1 /
1423 هـ - 2003 م .
- 199 - الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (المعروف بمصنف ابن أبي شيبه) : أبو
بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي . تحقيق : كمال يوسف الحوت . مكتبة
الرشد - الرياض . ط 1 / 1409 هـ .
- 200 - كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : أبو العباس أحمد عبد الحلیم بن
تيمية الحراني . تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي . مكتبة
ابن تيمية . ط 2 . بدون تاريخ نشر .
- 201 - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم
محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي . تحقيق : عبد الرزاق المهدي . دار إحياء
التراث العربي - بيروت . بدون طبعة وتاريخ نشر .
- 202 - الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية : أبو البقاء أيوب الحسيني
الكفومي . تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري . مؤسسة الرسالة -
بيروت . بدون طبعة . 1419 هـ - 1998 م .
- 204 - القاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروز آبادي . مؤسسة الرسالة - بيروت .
بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر .
- 205 - قصة نوح عليه السلام كما يصورها القرآن الكريم : علي عبد الله طوبجي . رسالة
ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى بكلية الشريعة الإسلامية ، فرع قسم الكتاب
والسنة . 1402 هـ - 1982 م .
- 206 - قناطر الخيرات : إسماعيل بن موسى الجيطالي . تحقيق : عمرو خليفة النامي .
مكتبة وهبة / القاهرة . 1965 م .
- 208 - لا تغضب : أحمد عبد الرحمن . دار الإيمان - الإسكندرية . بدون رقم الطبعة
وتاريخ النشر .

- 209 - اللا مذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية : محمد سعيد رمضان البوطي .
دار الفارابي للمعارف / دمشق . ط2 / 1426 هـ - 2005 م .
- 210 - لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور . دار صادر - بيروت . ط1 . بدون
تاريخ النشر .
- 211 - اللطائف في اللغة (معجم أسماء الأشياء) : أحمد بن مصطفى الدمشقي . دار
الفضيلة - القاهرة . بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر .
- 212 - مآثر الإنافة في معالم الخلافة : أحمد بن عبد الله القلقشندي . تحقيق : عبد الستار
أحمد فراج . مطبعة حكومة الكويت - الكويت . ط2 / 1985 م .
- 213 - مبدأ الرفق مع المتعلمين من منظور التربية الإسلامية : صالح بن سليمان
البقعاوي . بحث مقدم لنيل درجة الماجستير . جامعة أم القرى . كلية التربية .
قسم التربية الإسلامية . 1420 هـ .
- 214 - المبسوط : شمس الدين السرخسي . دار المعرفة - بيروت . دون رقم ال طبعة
وتاريخ النشر .
- 215 - مجمع الأمثال : أبو الفضل أحمد الميداني النيسابوري . تحقيق : محمد محيي الدين
عبد الحميد . دار المعرفة / بيروت . دون رقم الطبعة وتاريخ النشر .
- 216 - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : علي بن أبي بكر الهيثمي . دار الريان للتراث -
القاهرة . دار الكتاب العربي - بيروت - بدون رقم الطبعة . 1407 هـ .
- 217 - مجموع دروس ورسائل في الدعوة إلى الله : عبد العزيز بن باز / محمد بن صالح
العثيمين / صالح بن عبد العزيز آل الشيخ . دار ابن الجوزي / القاهرة . ط1 /
1427 هـ - 2006 م .
- 218 - محاسن التأويل : جمال الدين القاسمي . مؤسسة التاريخ العربي - بيروت . بدون
رقم الطبعة . 1415 هـ .
- 219 - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : أبو القاسم الحسين بن محمد
الأصفهاني . تحقيق : عمر الطباع . دار القلم - بيروت . بدون رقم الطبعة
1420 هـ - 1999 م .

- 220 - المحكّم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي . تحقيق : عبد الحميد هندراوي . دار الكتب العلمية - بيروت . ط 1 / 2000 م .
- 221 - مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر الرازي . تحقيق : محمود خاطر . مكتبة لبنان ناشرون - بيروت . ط 2 / 1415 هـ - 1995 م .
- 222 - المختصر من فقه الدعوة إلى الله : سامية عمر . مكتبة الرشد / الرياض . ط 1 / 1429 هـ - 2008 م .
- 223 - مختصر منهاج القاصدين : عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي . تحقيق : عبد الرزاق المهدي . دار الكتاب العربي للطباعة والنشر . ط 1 / 2002 م .
- 224 - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي . تحقيق : محمد حامد الفقي . دار الكتاب العربي - بيروت . ط 2 / 1393 هـ - 1973 م .
- 225 - المدخل إلى علم الدعوة . محمد أبو الفتح البيانوني . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط 3 / 1422 هـ - 2001 م .
- 226 - المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية : عبد الكريم زيدان . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط 16 / 1421 هـ - 2001 م .
- 227 - المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة : إبراهيم بن محمد البريكان . دار ابن عفان / القاهرة . دار السنة / السعودية . ط 5 / 1418 هـ .
- 228 - المرشد النفيس إلى أسلمة طرق التدريس : محمد صالح علي جان . دار الطرفين / الطائف . ط 1 / 1419 هـ .
- 229 - مراقبة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : علي بن سلطان القاري . تحقيق : جمال عيتاني . دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت . ط 1 / 1422 هـ - 2001 م .
- 230 - المسؤولية الجسدية في الإسلام : عبد الله إبراهيم موسى . دار ابن حزم - بيروت . ط 1 / 1416 هـ - 1995 م .

- 231 - المستدرك على الصحيحين : محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري .
تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية - بيروت . ط 1 /
1411هـ - 1990م .
- 232 - المستطرف في كل فن مستظرف : شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح
الأبشيهي . تحقيق : مفيد محمد قميحة . دار الكتب العلمية - بيروت . ط 2 /
1406هـ - 1986م .
- 233 - المستفاد من قصص القرآن : عبد الكريم زيدان . مؤسسة الرسالة - بيروت .
ط 1 / 1426هـ - 2005م .
- 234 - مسند ابن الجعد : علي بن الجعد بن عبيد أبو الحسن الجوهري البغدادي .
تحقيق : عامر أحمد حيدر . مؤسسة نادر - بيروت . ط 1 / 1410هـ .
- 235 - مسند أبي داود الطيالسي : سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري
الطيالسي . دار المعرفة - بيروت . بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر .
- 236 - مسند إسحاق بن راهويه : إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي .
تحقيق : عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي . مكتبة الإيمان - المدينة المنورة . ط 1 /
1412هـ - 1991م .
- 237 - مسند الإمام أحمد بن حنبل : أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني . مؤسسة
قرطبة - مصر . بدون طبعة أو تاريخ نشر .
- 238 - مسند الشهاب : محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي . تحقيق :
حمدي بن عبد الحميد السلفي . مؤسسة الرسالة - بيروت . ط 2 / 1407هـ -
1986م .
- 239 - مشارك الأنوار على صحاح الآثار : أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي
السبتي المالكي . المكتبة العتيقة ودار التراث . بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر .
- 240 - مشكلات الدعوة والداعية : فتحي يكن . مؤسسة الرسالة - بيروت / لبنان .
ط 16 / 1412هـ - 2001م .
- 241 - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : أحمد بن محمد بن علي المقرئ
الفيومي . المكتبة العلمية - بيروت . بدون رقم الطبعة أو تاريخ النشر .

- 242 - المصطفى من صفات الدعاة : عبد الحميد البلالي . دار الدعوة - الكويت . ط4 / 1408 هـ .
- 243 - المصنف : أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني . تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي . المكتب الإسلامي - بيروت . ط2 / 1403 هـ .
- 244 - معالم في أصول الدعوة : محمد يسري . طبع على نفقة المؤلف - الرياض . ط1 / 1424 هـ - 2003 م .
- 245 - معالم التنزيل المعروف بـ (تفسير البغوي) : أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي . تحقيق : خالد عبد الرحمن العك . دار المعرفة - بيروت . بدون طبعة وتاريخ نشر .
- 246 - معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة : عبد السلام برجس عبد الكريم . مكتبة الرشد / الرياض . ط7 / 1427 هـ - 2006 م .
- 247 - معجم البلدان : ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله . دار الفكر - بيروت . بدون طبعة وتاريخ نشر .
- 248 - معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب : أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي . دار الكتب العلمية - بيروت . ط1 / 1411 هـ .
- 249 - معجم الأفعال المتعدية بحرف : موسى بن محمد بن الملياني الأحمدي . دار العلم للملايين - بيروت . 1979 م .
- 250 - المعجم الأوسط : أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني . تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد - عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني . دار الحرمين - القاهرة . 1415 هـ .
- 251 - معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية : أحمد زكي بدوي . مكتبة لبنان - بيروت . بدون رقم الطبعة . 1993 م .
- 252 - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي - بيروت . بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر .

- 253 - معجم مقاليد العلوم : أبو الفضل عبد الرحمن جلال الدين السيوطي . تحقيق : محمد إبراهيم عبادة . مكتبة الآداب - القاهرة / مصر . ط 1 / 1424هـ - 2004 م .
- 254 - معجم مقاييس اللغة : أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا . تحقيق : عبد السلام محمد هارون . دار الجليل - بيروت . ط 2 / 1420هـ - 1999م .
- 255 - المعجم الكبير : سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني . تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي . مكتبة الزهراء - الموصل - ط 2 / 1404هـ - 1983م .
- 256 - المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار . تحقيق : مجمع اللغة العربية . دار الدعوة . بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر .
- 257 - مفاهيم في فقه الدعوة وأساليبها : عبد الحلیم محمد الرحمي . دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع - عمان . ط 1 / 2002 م .
- 258 - مفاهيم يجب أن تصحح : محمد قطب . دار الشروق . ط 1 . بدون تاريخ النشر .
- 259 - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي . دار الكتب العلمية - بيروت . بدون طبعة أو تاريخ نشر .
- 260 - المفردات في غريب القرآن : أبو القاسم الحسين بن محمد . تحقيق : محمد سيد كيلاني . دار المعرفة - لبنان . بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر .
- 261 - مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي . دار القلم - بيروت . ط 5 / 1984م .
- 262 - مكارم الأخلاق : الحافظ ابن أبي الدنيا الطبراني . تحقيق : أحمد شمس الدين / محمد عبد القادر عطا . دار الكتب العلمية - بيروت . ط 1 / 2000 م .
- 263 - من أسس التربية الإسلامية : عمر محمد الشيباني . المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان - ليبيا . ط 2 / 1982 م .

- 264 - مناقب الإمام أحمد بن حنبل : عبد الرحمن الجوزي . دار السعادة / مصر .
بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر .
- 265 - مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة : الموفق بن أحمد المكي . دار الكتاب العربي /
بيروت . بدون رقم الطبعة . 1401 هـ .
- 266 - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن
الجوزي . دار صادر - بيروت . ط 1 . 1358 هـ .
- 267 - من صفات الداعية : الرفق واللين : فضل إلهي ظهير . إدارة ترجمان الإسلام
سي - باكستان . ط 7 / 1420 هـ .
- 268 - المنهاج النبوي في دعوة الشباب : سليمان بن قاسم العيد . دار العاصمة للنشر
والتوزيع / الرياض . ط 1 / 1415 هـ .
- 269 - منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة الإسلامية : أنس أحمد كرزون
. دار ابن حزم للطباعة والنشر / بيروت - لبنان . دار نور المكتبات / جدة -
المملكة العربية السعودية . ط 4 / 1428 هـ - 2007 م .
- 270 - منهج التربية النبوية للطفل : محمد نور سويد . طبع على نفقة المؤلف . ط 2 /
1408 هـ - 1988 م .
- 271 - منهج القرآن الكريم في عرض الأخلاق الأسرية : علي بن عبد الله الشهري .
رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية . 1406 هـ - 1986 م .
- 272 - المنهج المسلوک في سياسة الملوك : عبد الرحمن بن نصر الشيزري . تحقيق : محمد
أحمد دمج . دار المنال - بيروت . بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر .
- 273 - موسوعة القيم والمكارم الأخلاق العربية الإسلامية (خلق الرحمة) : الباحث
الرئيسي ورئيس الفريق العلمي : مرزوق بن صنيان بن تباك . دار رواح . ط 1 /
1421 هـ .
- 274 - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة : إعداد : الندوة
العالمية للشباب الإسلامي بإشراف : مانع بن حماد الجهني . دار الندوة العالمية
للطباعة والنشر والتوزيع . ط 5 / 1424 هـ - 2003 م .

- 275 - موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ : إعداد مجموعة من المختصين بإشراف : صالح بن عبد الله بن حميد ، عد الرحمن بن محمد بن ملح . دار الوسيلة للنشر والتوزيع .
- 276 - موطأ الإمام مالك : مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي - مصر . بدون رقم الطبعة وتاريخ النشر .
- 277 - النبات في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة : جواهر محمد سرور باسلوم . بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه تخصص كتاب وسنة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى . 1408 هـ .
- 278 - النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي : عبد الملك بن حسين الشافعي العاصمي المكي . تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض . دار الكتب العلمية - بيروت . 1419 هـ - 1998 م .
- 279 - نحو تربية إسلامية : حسن الشرقاوي . مؤسسة شباب الجامعة / الإسكندرية . 1983 م .
- 280 - نحو ثقافة إسلامية أصيلة : عمر سليمان الأشقر . دار النفائس للنشر والتوزيع - الأردن . ط 12 / 1425 هـ - 2005 م .
- 281 - نساء أهل البيت في ضوء القرآن والحديث : أحمد خليل جمعة . دار اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع / دمشق - بيروت . ط 1 / 1414 هـ .
- 282 - نصاب الاحتساب : عمر بن محمد بن عوض السنامي . تحقيق : موئل يوسف عز الدين . دار العلوم - الرياض . ط 1 / 1982 م .
- 283 - النظام الإجتماعي والخلقي في الإسلام : محمد أحمد حسن ، أحمد فؤاد محمود . دار النشر الدولي . ط 1 / 1424 هـ - 2004 م .
- 284 - نظام أسرى الحرب في القانون الدولي وتطبيقاته في الحرب العراقية - الإيرانية : سهيل حسين الفتلاوي . دار القادسية للطباعة / بغداد . بدون رقم الطبعة . 1983 م .
- 285 - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : أحمد بن محمد المقرئ التلمساني . تحقيق : إحسان عباس . دار صادر - بيروت . 1388 هـ .

- 286 - النهاية في غريب الحديث والأثر : أبو السعادات المبارك الجزري . تحقيق : طاهر أحمد الزاوي - محمود معجد الطناحي . المكتبة العلمية - بيروت . بدون رقم الطبعة . 1399هـ - 1979م .
- 287 - هداية الراغب شرح عمدة الطالب : عثمان أحمد النجيب الحنبلي . تحقيق : حسنين محمد مخلوص . دار محمد - الطائف . ط 1 / 1417هـ - 1996م
- 288 - هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة : علي محفوظ . دار الاعتصام . ط 4 / بدون تاريخ النشر .
- 289 - هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقاً : محمود محمد الخزندار . دار طيبة للنشر والتوزيع . بدون طبعة وتاريخ نشر .
- 290 - الوابل الصيب من الكلم الطيب : أبو عبد الله شمس الدين محمد الزرعي الدمشقي . تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض . دار الكتاب العربي - بيروت . ط 1 / 1405هـ - 1985م .
- 291 - الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي . تحقيق : صفوان عدنان داوودي . دار القلم / بيروت - الدار الشامية / دمشق . ط 1 / 1415هـ .
- 292 - وحي القلم : مصطفى صادق الرافعي . دار الكتاب العربي - بيروت . ط 1427هـ - 2006م . بدون طبعة أو تاريخ نشر .
- 293 - الوحي الحمدي : محمد رشيد رضا . مؤسسة عز الدين - بيروت / لبنان . ط 3 / 1406هـ .

- الشبكة العنكبوتية :

- . www.aldawah.net - 295
- . www.iu.edu.sa - 296
- . www.saaid.net - 297
- . www.yaqop.com - 298
- . www.55a.net - 299
- . www.almoslim.net - 300

- الدوريات :

301 - صحيفة الشرق الأوسط : 21 ربيع الأول 1430 هـ - 17 مارس 2009م

. العدد : 11067 .

سابعاً / فهرس الموضوعات :

الصفحة	الموضوع
3	ملخص الرسالة (باللغة العربية)
4	ملخص الرسالة (باللغة الانجليزية)
5	الإهداء
6	مقدمة
28	تمهيد :
29	أولاً / تعريف الأخلاق .
34	ثانياً / أهمية الأخلاق في حياة الإنسان .
40	ثالثاً / أسس الأخلاق الإسلامية .
48	رابعاً / خصائص الأخلاق الإسلامية .
الفصل الأول : مفهوم الرفق في الإسلام ومجالاته	
55	المبحث الأول : تعريف الرفق مع ذكر ما يرادفه وما يقابله
56	المطلب الأول : تعريف الرفق .
60	المطلب الثاني : الفرق بين مفهوم الرفق ومفهوم المداينة .
63	المطلب الثالث : مرادفات الرفق .
79	المطلب الرابع : ما يقابل الرفق .
94	المبحث الثاني : الأساليب المنافية للرفق في الدعوة إلى الله .
95	تمهيد .
99	المطلب الأول : الأساليب المنافية للرفق في شخصية الداعية .
107	المطلب الثاني : الأساليب المنافية للرفق في الدعوة إلى الله ﷻ
133	المطلب الثالث : الأساليب المنافية للرفق مع المدعوين .
148	المطلب الرابع : الأساليب المنافية للرفق في تعامل الدعاة فيما بينهم

الصفحة	الموضوع
152	المبحث الثالث : النصوص الدالة على الرفق من الكتاب والسنة وأقوال العلماء
153	المطلب الأول : الآيات القرآنية الواردة في الرفق
172	المطلب الثاني : الأحاديث النبوية الواردة في الرفق .
178	المطلب الثالث : من أقوال العلماء في أهمية الرفق وفضله .
187	المطلب الرابع : من مظاهر رفق الله ﷻ في الكون .
196	المبحث الثالث : الرفق في مجال الدعوة
197	تمهيد
216	المطلب الأول : الرفق مع المدعوين عند الدعوة .
231	المطلب الثاني : الرفق مع المخالف .
243	المطلب الثالث : الرفق مع الكفار .
263	المبحث الرابع : رفق الإنسان مع نفسه ومع غيره
264	المطلب الأول : رفق الإنسان بنفسه .
288	المطلب الثاني : الرفق بالنساء والأطفال .
300	المطلب الثالث : الرفق بالأرحام .
311	المطلب الرابع : الرفق بالجوار .
318	المطلب الخامس : الرفق بالأسير .
324	المطلب السادس : الرفق مع غير الإنسان .
340	المبحث السادس : الرفق بالضعفاء
341	المطلب الأول : الرفق بالأيتام والأرامل .
350	المطلب الثاني : الرفق بالفقراء والمساكين .
364	المبحث السابع : رفق الراعي بالرعية
365	المطلب الأول : رفق الحاكم برعيته .

الصفحة	الموضوع
377	المطلب الثاني : رفق الوالدين بأولادهم .
394	المطلب الثالث : رفق المعلم بتلامذته .
417	المطلب الرابع : الرفق بالخدم .
الفصل الثاني : أثر الرفق في الدعوة إلى الله	
424	تمهيد
425	1 - تعريف الدعوة .
430	2 - حكم الدعوة .
434	3 - أهمية الدعوة .
436	المبحث الأول : أثر الرفق في الدعوة إلى الله .
446	المبحث الثاني : أثر الرفق في الداعي إلى الله .
458	المبحث الثالث : أثر الرفق في المدعو إلى الله ﷻ .
467	المبحث الرابع : رفق الأنبياء - عليهم السلام - مع أقوامهم .
468	تمهيد
469	المطلب الأول : نماذج من رفق نوح ﷺ في الدعوة إلى الله .
477	المطلب الثاني : نماذج من رفق هود ﷺ في الدعوة إلى الله .
481	المطلب الثالث : نماذج من رفق صالح ﷺ في الدعوة إلى الله .
484	المطلب الرابع : نماذج من رفق إبراهيم ﷺ في الدعوة إلى الله .
490	المطلب الخامس : نماذج من رفق يوسف ﷺ في الدعوة إلى الله .
496	المطلب السادس : نماذج من رفق موسى ﷺ في الدعوة إلى الله .
501	المطلب السابع : نماذج من رفق عيسى ﷺ في الدعوة إلى الله .
505	المبحث الخامس : نماذج من رفق الرسول ﷺ
506	المطلب الأول : نسب الرسول ﷺ ومكانته بين الأنبياء عليهم السلام .

الصفحة	الموضوع
510	المطلب الثاني : بعض مواقف الرفق في حياة الرسول ﷺ .
523	الخاتمة .
523	(أ) النتائج .
529	(ب) التوصيات .
527	الفهارس
528	أولاً / فهرس الآيات .
551	ثانياً / فهرس الأحاديث .
563	ثالثاً / فهرس الآلتو .
567	رابعاً / فهرس الأعلام .
578	خامساً / فهرس الأشعار .
580	سادساً / فهرس المراجع
608	سابعاً / فهرس الموضوعات .